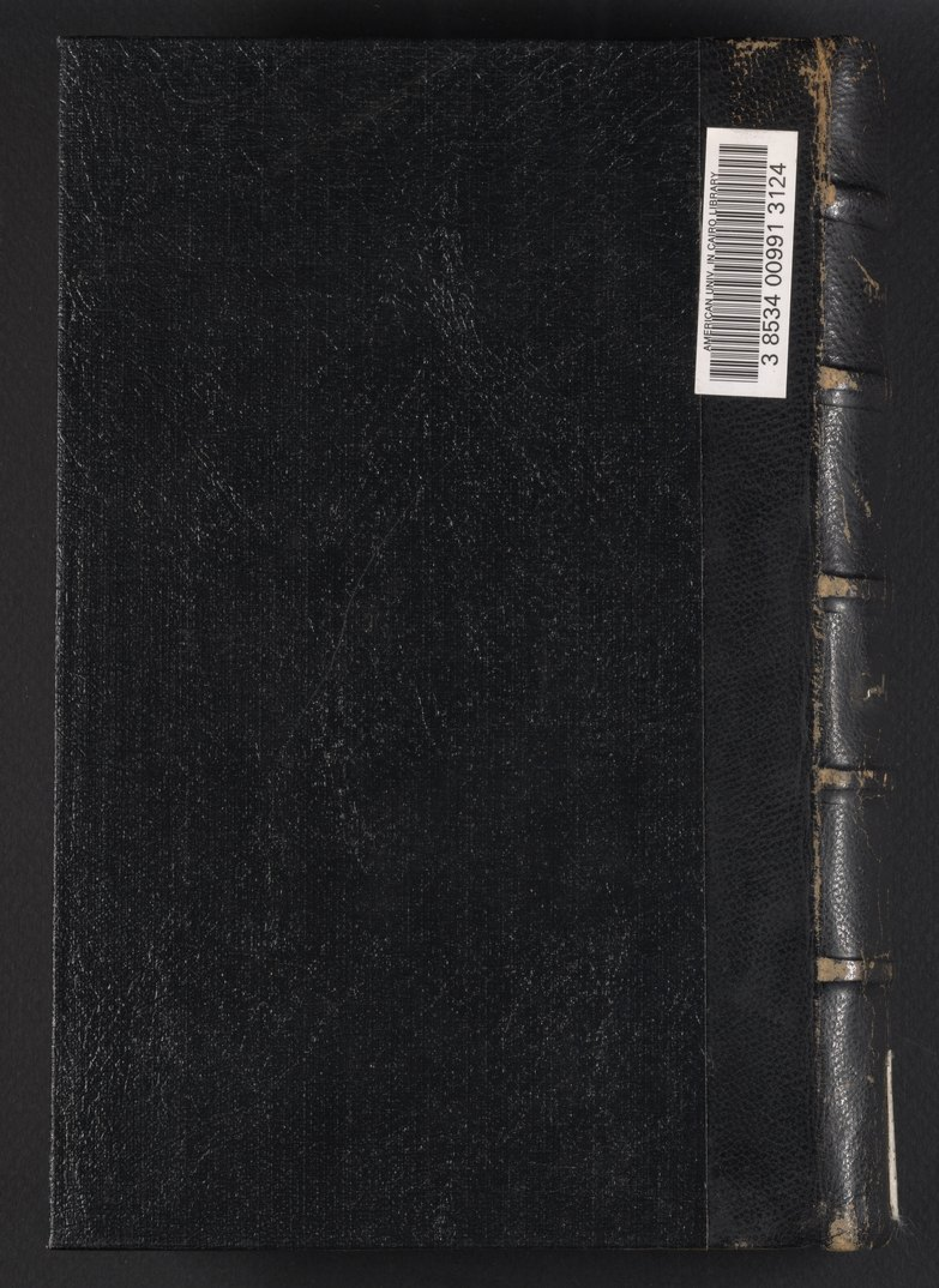
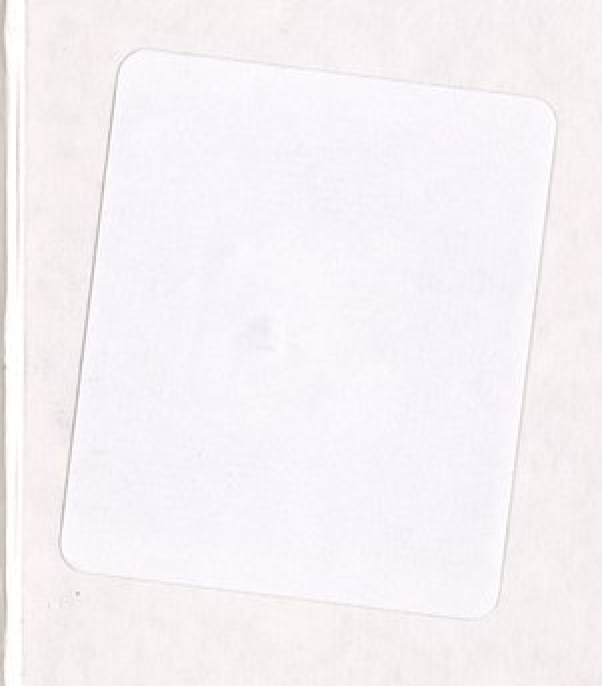

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00991 3124





SITY

الجـ

كتاب

الرسالة الحميدية

في

حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية

تاليف
نادرة زمانه وعلامة دهره واوانه
حضرة استاذ العصر
مولانا الشيخ
حسين افندي الجسر
عفي عنه
بمنه وكرمه

طبع بنفقة السيد حسن افندي القرق
وحقوق طبعه راجعة اليه

وكان طبعه برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فيقول الفقير الى عفو مولاه حسين بن محمد الجسر الطرابلسي انني في هذا الاثناء وجدت في جرائد بلادنا الشامية بعض مقالات مترجمة عن جرائد اورباوية منسوبة لبعض احبار الانكليز المدعو اسحاق طيلر قد حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين واقامة الدلائل على تقاربهما وتشابه كتبهما وان الاختلاف بين الطائفتين ليس الا في امور غير جوهرية وذكر في احدى تلك المقالات انه اتى البلاد المصرية لمخالطة الاسلام واستكشاف حقيقة دينهم لبلوغ هذه الغاية وكلامه وان كان صريحاً بهذا المقصد ولكنه يشف عن استحسان الدين الاسلامي ويرنو الى دفع اعتراضات يوردها بعض احبار بلاده على المسلمين فيعارضهم بورود امثالها عليهم ويدعوهم للنصفة ولاعتبار الدين الاسلامي اول مساعد على تمدن الامم المتوحشة التي يدعون حرصهم على تمدنها مستدلاً بان

الذي شوهد في افريقيا ان تلك الامم هناك اسرع قبولاً للدين الاسلامي من سواه وهو افعل في تهذيب اخلاقهم وتعزز انفسهم من كل ما عداه وما ذاك الا لمطابقته لصريح العقول وسهولة فهمه عليها وقد انتشر هناك في هذه السنين انتشاراً غريباً مع عدم المبشرين به والداعين اليه ومع ذلك كله فالناظر في كلام هذا القس لا يقطع بحقيقة مقصده وان كان يتخيل للفكران بحثه في هذا الشان للتوصل الى كشف الحقيقة لبني جلدته واقناعهم بالصواب اعانه الله تعالى على عمله الذي يرضى الله تعالى وبلغه مقصده فيه وبلغني ايضاً ان بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعى هذه الايام ببناء معبد للاسلام في البلاد الانكليزية وانه يباشر هناك بنشر جريدة عربية ليكون جل مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله لدى غير العارفين بها وقد رغب هذا الرجل بواسطة احد اذكياء المسيحيين اللبنانيين الموجود الآن في لندن من بعض فضلاء بلدتنا ان نقدم بعض مقالات للجريدة المذكورة في هذا البحث الرفيع وفقه الله لما فيه خير العالم الانساني وما يرضى مولانا جل وعلا وقد خطر لي حيث وجدت مجالاً للكلام وسميعاً للنداء ان احرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي وكيفية تحققه لمتبعيه

على اسلوب جديد سهل الفهم لا تمله الانفس ولا تستوعره الافكار يروق العقول الحرة ويعجب الاذهان المطلقة عن قيود التعصب ان شاء الله تعالى وحيث ان الحامي للدين الاسلامي والمؤيد لشعائره والمحافظ على اوامره هو حضرة مولانا امير المؤمنين وخليفة رب العالمين حامي حمى الاسلام ومشيد اركان شريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام السلطان الاعظم والخاقان الافخم السلطان بن السلطان السلطان (الغازي عبد الحميد خان) بن السلطان الغازي عبد المجيد خان ادام الله ايامه ونصر اعلامه وامده بالامدادات الالهية والتوفيقات الصمدانية فكان من كمال حظ هذه الرسالة وطالع سعدها الاكبر ان تكون لاسمه الكريم منسوبة وفي صحائف حسناته مكتوبة اذ هي حسنة من حسنات عصره السعيد وقطرة من بحار تقدم رعاياه في منهج المعرفة والتسديد فسميتها (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية) فاسال الله تعالى التوفيق لطرق الصواب وهداية قلوب ذوى الالباب للنظر في عاقبة يوم المآب انه قريب مجيب وهذا اوان الشروع بالمقصود بعون الملك المعبود

فاقول قام رجل بين جماهير بلدة وهو من اول نشأته قد عرف بينهم بالصدق والامانة ولم يعهد عليه تزوير ولا احتيال

باطل كما انه معروف لهم بانه اميّ لا يقرأ ولا يكتب فضلاً عن اقتداره على تقليد خط سواه ولم يسبق له معاناة بوضع قوانين الملوك ونظامات الامم المتكفلة بصالح الرعايا فنادى باعلى صوته بين اولئك الجماهير وقال يا ايها الناس اني رسول ملككم اليكم امرني ان ابلغكم رسالته واشرح لكم قوانينه التى سنها لكم الآن وهو يامركم بالسير على مقتضاها والعمل بفحواها وقد كان فيما مضى من الزمان ارسل اليكم رسلاً غيري بلغوكم عنه قوانين كانت مناسبة لذلك الزمان الماضى فالآن يامركم بترك كثير من تلك القوانين القديمة حيث ان الزمان الذي كان يناسبها وتناسبه قد انقضى ويوجب عليكم اتباع هذه القوانين الجديدة التي ارسلني بها كما يوجب عليكم ان تهجروا العوائد التي اخذتموها عن اسلافكم او ابتدعتموها باهوائكم لم يكن امركم بها وقتاً من الاوقات وانما هي عادات قبيحة يأباها العقل ويمجها الطبع وترجع عليكم بالضرر وكثير منها هو لنعم الملك كفران وعلى ضعفاء رعيته عدوان فعليكم بتصديقي وسلوك طريقي حتى ابين لكم ما يرضى الملك وما يغضبه فاجابوه باجمعهم وقالوا له مهلاً ايها المدعي مقاماً عظيماً ومنصباً جسيماً لقد كلفتنا بدعواك هذه سلوك طريق يصعب علينا سلوكه وتنفر منه نفوسنا وتشمأز عقولنا وتضطرب من تصور احتماله

افكارنا الا اذا تحققنا ان ملكنا المغدق علينا النعم والمستأسر ارواحنا بالكرم هو يأمرنا به ويرضاه لنا فاننا حينئذٍ لا يسعنا الا الانقياد والتسليم اليك والتصديق برسالتك والاقبال على اطاعتك لما لملكنا علينا من الامر النافذ والسلطان القاهر ولعلمنا انه لا يختار لنا الا ما فيه صلاحنا حساً ومعنىً فهل لصحة دعواك من برهان وهل معك دليل يضطرنا الى الخضوع لك والايمان فقال ذلك الرجل نعم يا ذوي الالباب وهل يليق بالعاقل التصديق بدعوى الا بدليلها المرشد الى الصواب ان معي كتاباً من الملك بخطه وختمه وانشائه المعلومة لديكم يقول فيه ان فلاناً وهو انا حامل كتابي هذا المتحلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه للعيان هو صادق في كل ما يبلغكم عني وهو رسولي اليكم ليشرح لكم القوانين التي سننتها لكم لتعود بالنفع عليكم فامتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه فقالوا له ابرز لنا هذا الكتاب الذي تدعيه حتى يتميز الصدق من المين وتزاح الشبهة من البين فحينئذٍ ابرز لهم كتاباً والقاه بين ايديهم واجتمع للنظر فيه قاصيهم ودانيهم فنظروا باجمعهم فيه وقرأوه وفهموا معانيه فاذا هو طبق ما الرجل يدعيه مشتمل على خطاب الملك لاولئك الجماهير بان هذا الرجل الحامل كتابي المتحلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه هو رسولى

اليكم وهو صادق فيما يبلغكم عني من دقيق وجليل فامتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه وخذوا عنه القوانين التي سننتها لكم الى آخر ما ادعى ذلك الرجل من وظائفه التي فوضها الملك اليه وقد كان اولئك الجماهير في قوة المدارك ومعرفة طرق الاستدلال متفاوتين ومفترقين عدة طوائف اذ من المعلوم ان العلم لا يوجد جميعه عند واحد ولكنه يوجد عند الجميع

(فطائفة) منهم كانوا يعرفون خط الملك حق المعرفة ولا يشتبهون فيه ويعلمون انه لا يقلد فعند ما نظروا ذلك الكتاب قالوا هذا خط ملكنا فهذا كتابه بلا ارتياب فنحن قد اذعنا لما فيه وصدقنا هذا الرجل فيما يدعيه

وطائفة منهم كانوا يعرفون ختم الملك اتم المعرفة ويعلمون انه لا يقلد ايضاً فحينما نظروا اليه قالوا هذا ختم ملكنا الذي لا يقبل التزوير فنحن ايضاً قد صدقنا هذا الرجل بلا نكير

وطائفة منهم كانوا يعرفون انشاء الملك واساليبه الملوكية وخطاباته السلطانية التي يقصر عن بلاغتها سواه فقالوا نعم ان انشاء هذا الكتاب هو انشاء ملكنا المعلوم لنا اختصاصه به وهذا الخطاب خطابه الذى نعهده منه في مخاطباته رعاياه فنحن ايضاً قد صدقنا هذا الرجل فيما ادعاه

وطائفة منهم لم يكونوا يعرفون شيئاً مما تقدم ولكن كانوا يعرفون ان عند الملك انواعاً من التحف والذخائر التي لاتوجد عند سواه من اكبر الاغنياء واعظم الملوك فقالوا لذاك الرجل ان برهان صدقك عندنا ان تحضر لنا من عند الملك التحفة الفلانية والتحفة الفلانية من تلك التحف المختصة بخزائنه فقال لهم افعل ان شاء الله تعالى وبعد مدة وجيزة احضر لهم ما طلبوه ونظروا اليه وتحققوه وهم يعلمون انه لايمكن احضاره الا باذن الملك وارادته اذ هو محصن بخزائنه غاية التحصين فعند ذلك صدقوا ذلك الرجل في دعواه على اكمل وجه

وطائفة منهم قالوا ان ملكنا كان فيما مضى من الزمان قد ارسل لنا رسلاً واصحبهم بقوانين تناسب ذلك الوقت وتكفي احتياجاته وقد برهنوا على ارسال الملك اياهم بما اثبت دعواهم وكانوا يقولون لنا ان الملك مزمع على ارسال رسول اليكم ياتي بعد زمان من ايامنا هذه ويصحبه بقوانين تتكفل باصلاح شؤنكم وتناسب الزمان الذى يرسله فيه وتقوم باحتياجاته وان ذلك الرسول توجد فيه علامات هي كذا وكذا وذكروا لنا علامات كثيرة لايصدق العقل بوجودها باجمعها في شخصين فنحن الان نتامل فيما جاء به هذا الرجل وادعى انه من عند الملك فان كان

موافقا لما قاله اولئك الرسل ووجد فيه تلك العلامات التي ذكروها لنا نعلم انه صادق فيما يدعيه وان كان الامر بخلاف ذلك رفضنا دعواه بلا ارتياب فعند ما تاملوا قوانينه التي يدعى انه مرسل بها وجدوها طبق ما اخبرتهم به الرسل المتقدمون وبحثوا عن العلامات التي قالوا انها توجد فيه فوجدوها موجودة ظاهرة فيه بلا تمويه فعند ذلك صدقوه بدعواه ايضا واتبعوه اكمل الاتباع

وطائفة منهم قالوا الاحوط ان نتروى وننظر فيما يامرنا به ذلك الرجل وما ينهانا عنه وفي تلك القوانين التي يدعى انها من عند الملك فان كان يامرنا بما نعهده مطابقا لرضى ملكنا وينهانا عما نعهده خلاف رضاه وراينا القوانين التي جاء بها هى طبق ما نعهده ايضا من قوانين الملك متكفلة بخير الوطن رافعة عن الناس شرور المحن لاسيما اذا رأينا ذلك الرجل لايامر بشيء يعود عليه بصالح خاص به بل مطالبه عائدة بالنفع العام لجميع الشعب نعلم انه صادق في دعواه وان كان الامر خلاف ذلك كله نعلم انه كاذب بمدعاه فعند ما نظروا الى اوامره وجدوها طبق ما يعهدونه مرضيا لملكهم وراوا قوانينه كذلك متكفلة بخير البلاد ونجاح العباد ورفع الفساد ولاصالح له خصوصي في كل ما يامر به

وينهى بل هو مشتمل على ما يجلب الخير ويدفع الضير محتو على
تعليمهم شكر الملك على انعاماته عليهم وبالحقيقة ذلك الشكر
عائد بالمنافع اليهم فعند ذاك جزموا بصدق ذلك الرجل بما
يدعيه وخضعوا له اتم الخضوع

وطائفة منهم قالوا لاشك ان جميع ما يدعيه هذا الرجل
بيمنناوما ينشره من القوانين وما هو عازم على اجرائه من التصرف
باحوال من يتبعونه من رعية ملكنا لا بد ان يعلم به ملكنا ومن
المحال ان لا يعلمه لظهوره علنا بين الخاص والعام ومثل ذلك لايتم
كتمانه ولو عن اقصى البلاد فان كانت دعواه صحيحة اقره
الملك على اعماله ولم يرسل اليه من يكذبه ويقبض عليه وعلى
من يتبعه ويعاقبهم اشد العقاب وان كان كاذبا في دعواه مزورا على
الملك خطه وختمه ومتلاعبا في رعيته حسب هواه فلا شك ان
الملك في اسرع وقت بعد ما يعلم خبره يرسل من يكذبه بمدعاه
ويقبض عليه وعلى اتباعه وينزل بهم النكال الشديد لان هذا
الافترا لايكون حقيرا عند ملكنا الحكيم الحازم بل هو امر من
اعظم الامور يستحيل ان يعفو عنه او يتساهل فيه فصبر اولئك
القوم مدة من الزمان كافية لان يعلم الملك خبر ذلك الرجل
ومضت الليالى والايام التى لايصدق العقل معها انه يخفى على

الملك خبره ومع ذلك لم يرد من جانب الملك من يكذب ذلك
الرجل ويقبض عليه وعلى من يتبعه وينزل بهم النكال ويمنع
الناس عن العمل بقوانينه التى نشرها بينهم في جميع الشؤون
والاحوال بل لم يزل ذلك الرجل يزداد اتباعاً يوما فيوما ويعلو
شانه حينا فحينا فعند ذلك جزم اولئك الطائفة بصدق ذلك
الرجل واتبعوه اكمل الاتباع

وطائفة منهم لم تسبق افكارهم الى تلك الادلة التى وصلت
اليها افكار اولئك الطوائف السابقة وانما تاملوا في شان هذا
الرجل وفي متابعة اولئك الطوائف له وفي الوجوه والدلائل التى
حملتهم على تصديقه والتسليم اليه فقالوا ان هولاء الاقوام الذين
اتبعوا هذا الرجل لاشك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة
ومستعدون للاستدلال على الحقائق والتوصل للصواب ونراهم
قد تركوا عوائدهم المألوفة لهم والموروثة عن ابائهم وهجروا اكثر
قوانين ملكهم التي كان قد سنها في الزمان الماضي كل ذلك بسبب
تصديقهم هذا الرجل ولا شك ان هجر مثل تلك العوائد المذكورة
يصعب عليهم جداً وانهم يعلمون قطعا ان تركهم لكثير من
القوانين التي كان سنها لهم الملك ان لم يكن بامره ورضاه يستحقون
انتقامه الشديد فتصديقهم هذا الرجل لابد ان يكون ناشيئاً عن

تحرير ادلتهم التي اعتمدوها في تصديقه ولولا انهـا ادلة قاطعة
اوصلتهم الى الصواب لما كانوا جروا بمقتضاها ولما هجروا مألوفاتهم
وتعرضوا لانتقام ملكهم ولكانت عقولهم السليمة تمنعهم ان
يقدموا هذا الاقدام ويخاطروا هذه المخاطرة اعتماداً على دليل
ضعيف او هوى نفس وخيم العاقبة فاتفاقهم جميعا على تصديق هذا
الرجل مع تنوع ادلتهم لاشك انه حجة اخرى مستقلة تثبت دعواه
اذ ان من المحال الذي لايصدقه العقل ان يكون ذلك الاتفاق
من اولئك القوم العقلاء وتوفر تلك الادلة التي وضحت لهم
حاصلا بوجه الصدفة ولا يقول بالصدفة في ذلك الا مكابر فنحن
اعتماداً على جميع ما تقرر لدينا على هذا الوجه المشروح وهو اتفاق
هولاء الجماهير بهذه الكيفية التي لاتكون بوجه الصدفة ولا تنشأ
الا عن تثبت وتحقيق تام من اولئك العقلاء قد صدقنا هـذا
الرجل فيما يدعيه وامتثلنا جميع ما يامرنـا به مقرين بانه رسول
ملكنا بلا اشتباه

وطائفة منهم كانوا ممن اغفلهم امر معاشهم واستغراقهم في
لذاتهم فهم لايعلمون ان للناس ملكا متولياً عليهم وان حقيقته
انه كبير له السلطة التامة على شؤن جميع الناس بحيث يتصرف
في احوالهم بموجب العدل حتى يمكنه ان يجمع الاموال الكثيرة

منهم التي لايتوفر جمعها لغيره وانه يمكنه ان يقتني التحف الفاخرة التي يمتنع على سواه ان يقتنيها لانفراده بانقياد الناس اليه مادةً وادباً فيمكنه جمع قواهم الحسية والمعنوية الى قوته فيبلغ بذلك مالا يبلغه غيره وكانوا ايضا من غفلتهم يظنون ايضا ان امور الناس ومجرى احوالهم ومعـاملاتهم بمقتضى القوانين التي بين ايديهم كل ذلك ليس بتدبير ملك واختيار متصرف متسلط بل يتوهمون ان ذلك جميعه جار على طريق الاعتياد ومقتضى تقلبات الزمان وطوارق الحدثان حتى صار ذلك ناموسا مألوفا جاريا بلا تخلف الفته الطباع وخلافه عندها لايستطاع فهم بالاحرى ان لايعرفوا رسلاً للملك وكيفية ارسالهم ووضع القوانين من جانب الملك وانها باختياره وان له تبديلها بسواها فهولاء القوم لما سمعوا دعوى ذلك الرجل التي ادعاها في بلدتهم على رؤس الاشهاد ونظروا الى شؤن اولئك الطوائف معه وانهم كذبوه او لا وحاوروه ثم انقادوا اليه وصدقوه تنبهت افكارهم واستيقظت البابهم ومن يسمع يخل فقال بعضهم لبعض ان هذا الامر مهم جدًّا فان كان يوجد للناس ملك متسلط عليهم غاية التسلط وشانه في تلك السلطة ان يتصرف في احوالهم وان يجمع اليه قواهم ويتحلى بغناهم وهو الان مرسل هذا الرجل ويامرنا

باتباعه وبقينا نحن في غفلتنا هذه لانمتثل له امرا ولا نرفع لهُ
ذكرًا فلا شك ان عاقبتنا تكون وخيمة علينا اذ لابد ان هذا
الرجل يبلغه حقيقة حالنا وعدم التفاتنا اليه فينتقم منا اشد الانتقام
ولا يعذرنا بجهلنا وغفلتنا عن سلطانه فالصواب لنا ان نتامل في
كلام هذا الرجل ودعواه وفي شؤن هولاء الجماهير الذين
خالفوه ثم اتبعوه حتى نتوصل الى حقيقة الحال أهو صادق فنتبعه
ام كاذب فبالتكذيب نصدعه فاخذوا يتأملون في ذلك مع كامل
التحري واتم البحث فبعد تأملهم الصحيح وتحريهم الكامل وبحثهم
التام عن حقيقة الصواب نتج لهم ما ملخصه اننا وان كنا لانعرف ان
في الكون ملكا ولا نعرف خطه ولا ختمه ولا انشاه ولاشيئامن
قوانينه حتى نقابل بها ما جاء به هذا الرجل ولا نعرف اخبار
الرسل المتقدمين في شانه ولا العلامات التي علموه بها فلا اقل من اننا
نعتبر شهادة هولاء الجماهير الكثيرة الذين قالوا انهم يعرفون تلك
الامور جميعها ويحققونها وقد اتخذوها عمدتهم في تصديق هذا الرجل
وسلوكهم في سبيل يصعب عليهم سلوكه لولا تيقنهم بصدقه
فاتفاقهم على ذلك وهم عقلاء وتصريحهم بشهاداتهم انهم يعرفون
تلك الادلة ولا يرتابون فيها وانها كافية للتصديق وسلوك هذا
الطريق الذي فارقوا فيه مألوفاتهم وبعض ما امرهم به الكبير

الذي دعوه باسم الملك هو دليل لنا كاف على صدق هذا الرجل
فيما يدعيه فان ذلك كله لا يكون ناشئاً بطريق الصدفة او عن
عبث او هوى نفس او مداهنة تحمل اولئك الاقوام على الامر
الخطير واذا اهملنا هذا الاستدلال وقطعنا النظر عن شهادة
هولاء الاقوام في شان هذا الرجل وعن جميع ما اجروه معه فلا
يمكننا ان نهمل النظر فيما احضره من التحف الفاخرة التي طلبت
منه وشهد له طلابها بانها من عند الملك ولا توجد عند سواه ولا
يمكن احضارها الا باذنه ونحن كذلك نرى انه ليس من شأن هذا
الرجل قطعياً ان يوجد عنده مثل هذه التحف بل بمقتضى شأنها
وعزتها وقلة امثالها تجزم عقولنا بانها لا توجد الا عند من له السلطة
التامة والتصرف المطلق في اموال الناس قادر على جمع قواهم الحسية
والمعنوية الى قوته حتى تبلغ درجة يمكنه معها ان يقتني مثل هذه
التحف النفيسة فاحضار هذا الرجل لها عندما طلبت منه هو
دليل كاف على وجود كبير متصف بتلك الصفات السامية
يسمى ملكاً وانه هو الذي ارسل ذلك الرجل الينا وصدقه في
دعواه بتسليمه له تلك التحف عندما طلبت منه فاعتماداً على
ذلك كله قد جزمنا نحن بوجود ملك للناس و بارساله هذا الرجل
الينا وخضعنا له اتم الخضوع وانقدنا اليه كامل الانقياد

هذا وقد كان يوجد بين اهل تلك البلدة من كل طائفة من الطوائف المتقدمة اناس اخذتهم عزة النفس وعتو الانفة والتهالك على ما اعتادوا عليه موروثاً عن ابائهم فتصوروا ان هذا الرجل اذا سلمنا له دعواه فلا بد ان يصير هو الآمر علينا ونحن المامورين لهُ وكثير منهم قد كانوا امراء بين اقوامهم متميزين على اقرانهم فصعب عليهم تصديقه والخضوع له بسبب تلك الوساوس فاصروا على تكذيبه ظاهراً وقلوبهم مملوءة بتصديقه ولكنما غلب هواهم العاجل على عقولهم وهان عليهم انتقام الملك الآجل بما سكنت اليه نفوسهم من اختيارها الباطل وهكذا يوجد من الحمقاء من تراه عند انفعالاته النفسية من نحو عزة النفس او الغضب او الغيرة او التعصب الباطل يغمص الحق وينصر البطل ويهون عليه الخطر العظيم ثم يندم بعد ذلك حين لا ينفعه الندم ثم اخذ اولئك المعاندون يؤولون كل دليل من الادلة التي اعتمد عليها سواهم من اولئك الجماهير بتاويلات واهية وتمحلات ساقطة ويصرفون كلا منها عن دلالته بطرائق فاسدة لا يقبلها صريح العقل ولا يشهد بها الضمير الحر وتارة يغلطون اولئك الاقوام في استدلالاتهم بغير سند يعتمد عليه وغفلوا عن امر لا يغفل عنه الا البليد الجاهل بطرق الاستدلال ولا ينكره الا متجاهل مكابر

يدعي جواز وقوع المحال وهو انه لو سلم لهم بالفرض ومجاراة
الخصم تأويل كل دليل على حدته لا يسلم العقل السليم والضمير
الحر انه بطريق الصدفة قد توفرت تلك الدلائل لتصديق ذلك
الرجل وتيسر له ان يصورها مع فسادها بصور الادلة الصحيحة
ويموهها على اولئك الجماهير حتى اقنع افكارهم بتصديقه واخرجهم
مما الفوه الى غير ما الفوه على ان بعض تلك الدلائل لم يكن ذلك
الرجل مقيماً لها عليهم ولا ساعياً بتدوينها لديهم وانما اوصلتهم اليها
عقولهم بعد التأمل والاستبصار ولا صنع له فيها البتة ووجود
العلامات التي قالت الرسل قبله انها توجد فيه لا يصدق العقل
ايضاً ان يكون في قدرته احداثها في نفسه واحواله وقد جهل
هؤلاء المولون ان الاشياء المجتمعة لها حكم غير حكم كل فرد منها
على انفراده فلها من القوة ما ليس له وهذا مسلم في المحسوسات
والمعقولات فشهادة الفرد غير شهادة الافراد الكثيرة المجتمعة
وهذه تفيد ما لا تفيده الاولى وتعطى من القوة ما لا تعطيه
وكذلك الادلة الكثيرة المجتمعة على نتيجة واحدة تقنع الضمير
وتبعده عن الركون للتاويل ما لا يفعله الدليل الواحد والدليلان
فاذا سلمنا ان ذلك الرجل تيسر له تقليد خط الملك فكيف
يصدق العقل انه مع ذلك تيسر له تقليد ختمه وانشائه وموافقة

القوانين التي سنها الملك سابقاً واحضاره التحف التي لا توجد الا
عند الملك ولا يمكن احضارها الا ارادته وكيف اتفق مع ذلك
ان توجد فيه العلامات التي كانت الرسل المتقدمون ذكروا انها
توجد في الرسول الذي في عزم الملك ان يرسله بعد حين وكيف
خفي ايضاً امر دعواه على الملك بعد اشاعته في البلدة ومرور مدة
كافية لبلوغ خبره للملك ولم يرسل اليه من يكذبه ويعاقبه
وبالحق انه لا يصر على القول بتلك التأويلات واعتقاد الصدفة
بتلك الموافقات الامكابر جامد على هواه وتعصبه الا عمى يستحق
اهمال كلامه وعدم الالتفات اليه

وقد وجد ممن كذب ذلك الرجل فرقة لم يعملوا فكرهم في
الاستدلال على صدقه او كذبه فغاية ما كان منهم انهم بقوا
متمسكين بما الفوه من قديم الزمان موروثاً عن اسلافهم وقالوا اننا
لا نترك ما نحن عليه ولا نفارقه الى سواه تمسكاً اعمى وتعصباً اعشى
وهؤلاء القوم لو قيل لهم ان هذا الرجل اذا كان صادقاً في دعواه
يخشى عليكم من انتقام الملك بسبب عدم اتباعه لم يكن لهم من
الجواب الا قولهم انه كذاب ونحن لا نصدقه فيما يدعيه فهذا غاية
ما عندهم من الجواب الناشئ عن الجمود البارد والفكر الخامد
فهولاء الخاملون هل يظلمهم الملك بانزال انتقامه بهم لا والله لانه

لو قيل له عند ارادته عقاب من كذب رسوله ان هولاء معذورون
في تكذيبهم اياه لعدم ظهور دليل لهم على صدقه كان له ان يقول
لو كنت اراهم عديمي العقول فاقدي الادراك في امر معاشهم
لكنت عذرتهم وعفوت عنهم ولكني اراهم في امور معاشهم
وصوالحهم الخاصة بهم ذوي عقول وتنبه تام وتيقظ كامل كاف
لبلوغهم مآربهم فكان عليهم ان يوجهوا هذه القوى التي
يستخدمونها في تعيشهم وصوالحهم الى التامل في دعوى ذلك
الرجل والاستدلال بواسطتها على صدقه او كذبه كما يستعملونها
في استدلالهم على اخصامهم عند منازعتهم في اغراضهم فاذن
هم عندي غير معذورين بل تهاونهم في الالتفات الى كلام رسولي
والتامل في دعواه هو الذي اعمي عين بصيرتهم واوقعهم في خطأ
تكذيبهم اياه وبذلك يستحقون انتقامي وسلب انعامي فانا انتقم
منهم بهذا الوجه الظاهر الجاري على موجب العدل
ثم ان ذلك الرجل المدعى ارسال الملك اياه بعد اتباع اولئك
الجماهير له لم يزل مهتماً باقناع الذين لم يصدقوه وهم الفرقة
المكابرة المتمحلة عليه بالتاويلات الواهية والفرقة المكذبة له بدون
التفات الى الدلائل فجعل دائماً يقدم لهم النصائح ويوضح لهم الادلة
ويوقظ افكارهم لما فيه صلاحهم وهم مع ذلك لا يزدادون الا

نفورًا ومكابرة وجمودًا فلما اعياه امرهم وتحقق انه لا ينجع فيهم عمل البرهان وراهم قد انتصبوا له ولاتباعه اعداء الداء يترقبون الفرص للأضرار والاذى جرد لهم السيف ونـاصبهم الحرب بامر الملك الذي ارسله —

اذا المرء لم ينجع به النصح لم يكن　　له رادعا الا العصا فوق راسه

فاستعان بمن اطاعه على من عصاه وقامت بين الفريقين الحرب على قدم وساق وحاصل الامر بعد ما استمرت الحرب بينهما سجالا سنة الله في خلقه اذ جعل الامر دولاً انه انتصر ذلك الرجل على مخالفيه والعاقبة للمتقين فقتل بعضهم اذ لا دافع لاذاهم الا القتل واتلاف المؤذى امر معقول مقبول وبقتلهم سلامة المدينة من الدمار —

(وقطعك العضو المريض ان يكن　　به حياة المرء عين الواجب)

واستأسر بعضهم كسرًا الشوكة اذاهم بضرب الاسترقاق عليهم وجزاء لمخالفتهم رضاء ملكهم واخضع بعضهم لامتثال بعض اوامره التي تكف بأسهم عن الاضرار به وباتباعه وشرط عليهم ان لا يجاهروا بتكذيبه وان كانوا باطنًا مكذبين حفظًا لابهته وحذرا من انصداع افكار متبعيه وان يدفعوا اليه من مكاسبهم ما يكون عونًا على تدبير شؤن البلدة وابقى مجازاة تكذيبهم له الى حضور

الملك يفعل بهم ما تقتضيه حكمته والبعض منهم خرج من البلدة والتجأ الى المعاقل والجبال وهؤلاء ايضاً لم يهمل محاربتهم كلما امكنته الفرصة املاً في رجوعهم الى تصديقه وحذراً من كرهم عليه وعلى اتباعه بالاذى عند قدرتهم عليه وقد انذرهم بانه وان خلصوا من انتقامه بتحصنهم فلا يخلصون من انتقام الملك متى حضر وظهر عليهم فانه يفعل بهم حينئذٍ ما يستحقونه بمقتضى العدل والحكمة

والبعض منهم الجأهم الخوف او الطمع الى التصديق ظاهراً واضمروا في قلوبهم التكذيب فالحقهم ذلك الرجل باتباعه وعاملهم معاملة اشياعه لانه كان يقول اني مامور من الملك ان اعتبر ظاهر من يتبعني لان البحث عن بواطنهم ربما افسد على كثيراً منهم بعد ان يكون صادقاً ويفتح لاعدائي باباً ان يقولوا عني اني مرتاب في اتباعي وغير مطمئن لهم وهولاء القوم المتلبسون متى انكشف حالهم للملك فيما بعد واطلع على بواطنهم وانهم لم يتبعوا رسوله الا خوفاً او طمعاً وهم يبغضونه اشد البغض ويترقبون الفرص لاذيته واذية اتباعه الصادقين فلا شك انه ينزل بهم اشد النكال ويذيقهم الاهوال اذ هم اعظم ضرراً من سواهم ولا يؤمن في جميع الاحوال اذاهم

والبعض منهم الجأهم الخوف او الطمع بما في ايدي ذلك الرسول وايدي اتباعه من الاموال التي يجمعها لاصلاح شان المدينة الى التصديق والخضوع ظاهراً وهم في الباطن مكذبون ولكنهم بعد ما خالطوا ذلك الرجل واختبروا احواله وفهموا حقيقة القوانين التي ادعى ان الملك ارسله بها وشاهدوا معاملته مع اتباعه بكل استقامة وانه لا يامر الا بالخير ولا ينهي الا عن الشر انشرحت قلوبهم لتصديقه ظاهراً و باطنا فصدقوه كذلك وصاروا من خيار اتباعه واكرم انصاره

اذا احطت خبراً بجميع ما حررناه وفهمت رموزه وخفاياه وظهر لك في شان هذا الرجل ان العقل الحر السليم الخالي عن الهوى والتعصب الاعمى المطلق من قيود التقليد وخجل الخروج عن الخطأ الذي اعتاد عليه يحكم بصحة دعواه وانه رسول الملك بلا اشتباه لان اتفاق تلك الدلائل لا يكون بوجه الصدفة عند كل لبيب عاقل فاعلم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام قد نقل لنا بالتواتر اي نقل لنا الجماهير الكثيرة الذين لا يحصى عددهم ويحيل العقل تواطئهم على الكذب كاحالته مثلاً تواطىء الناس جميعا على الاخبار بوجود مكة وهي غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرًّا عن

الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوه ونظروه راي العين
واحاطوا باحواله وبما جرى له في مدة حياته مع الامم حتى تم له
تصديق الالوف من اتباعه بكل ما جاء به انه بعد ما مضي له من
العمر اربعون سنة بين قومه وقد عرفوه بالصدق والامانة حتى
دعوه محمد الامين ولم يجر له في تلك المدة تعلم القراءة والكتابة
ولم يجتمع مع اهل هاتين الخطتين اجتماعاً يمكنه معه ان يتعلمهما
منهم ويؤهله ذلك لاكتساب جملة من معارف الامم وشرائع
الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه في تلك المدة بمعاناة شيء
من ذلك قام بين جماهير العالم من العرب والعجم مع قلة ذات يده
وقلة انصاره واعوانه وعدم سبق سلطنة في اجداده قد زالت
فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل على الرآسة فادعى ان الله
سبحانه وتعالى اله العالم ارسله الى الناس كافة لاجل ان يبلغهم شرعه
الذي شرعه لهم ليتكفل بنجاحهم في الدنيا والاخرة وان هذا
الشرع يناسب زمانه الذي بعث فيه الى انقضاء هذا العالم وانه
ينسخ به كثيراً من احكام شرايع الرسل الذين بعثهم الله تعالى
قبله فيما مضى من الزمان الذي كان هذا المنسوخ يناسبه وانه
ينهاهم عن عوايد واخلاق قبيحة مضرة بصوالحهم ورثوها عن
ابائهم او زينها لهم الشيطان واقبح شيء منها عبادة الاوثان والنيران

والاحجار والاشجار وانه يامرهم بتوحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه يعلمهم كيفية شكرهم لخالقهم على نعمه التي انعمها عليهم و بالحقيقة ذلك الشكر عائد بالمنافع اليهم الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير مما حوته شريعته المرسل بها فعند ما سمع منه اولئك الجماهير عاليهم ودانيهم وسلاطينهم وجبابرتهم هذه الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه اشد المعاداه وهجره منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان وتحول له الاوداء اعداء والموافقون اخصاماً الداء ثم اخذوا في مجادلته ومحاولته وجرهم منهج المجادلة الى طلب حجته وصار كل منهم يطلب برهاناً على صدق دعواه ويتمحل له التعجيز في كل ما يراه وهو عليه السلام ينصب لهم الدلائل ويجيب في المقترحات كل سائل ومن اعظم الحجج التي استند في اثبات دعواه اليها وجعل معظم اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربي يسميه قرآنا ويقول انه من عند الله تعالى ارسله به اليهم وهو مشتمل على التصريح بانه رسول الله تعالى الى الناس كافة وانه صادق في كل ما يبلغ عنه سبحانه وهو متكفل ببيان الشريعة التي شرعها الله تعالى لهم وقد جعل عليه السلام يتحداهم باقصر جملة منه يسميها

سورة بمعنى انه يستدل على انه من عند الله تعالى بعجز فصحاء اللسان العربي منهم و بلغائه باجمعهم عن الاتيان بما يساوي اقصر سورة منه في فصاحتها و بلاغتها واهل ذلك اللسان هم امراء هاتين الخطتين وفطاحل هاتين الصنعتين وفيهم من بلغ فيهما اعلى المراتب التي يعجز عن بلوغها كل من سواهم من البشر ولا توجد فوقها مرتبة يمكن استيلاء القوة البشرية عليها ووصول العقل الانساني اليها ثم بعد الاخذ والرد والاقبال والصد اخذ اولئك الجماهير ينضمون الى محمد عليه الصلاة والسلام و يخضعون لديه و يدخلون في دينه افواجا ويمتثلون اوامره افراداً وازواجا مسلمين له بالرسالة من عند الله الامن لم يرد الله تعالى ان يتولاه واذا اردنا ان نمثل احوال اولئك الاقوام وشوءنهم معه عليه السلام حسب ما تدل عليه الاخبار الصحيحة والآثار الثابتة وحسب الامكانات العقلية التي لو فرض وقوعها تكون نتايجها كما سنقرره في هذه الرسالة اوصلنا التأمل الصادق الى تمثيل شوءنهم معه عليه السلام بانهم كانوا في شانه على طرائق مختلفة ومناهج متنوعة سلكوها حسب استعدادهم وسمو افكارهم وخمودها فطائفة منهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة العربيتين الرائج في ذلك الزمان بين الامة العربية سوقهما فكانتا اشرف علومهم واكرم مفاخرهم وهم

امراوءهما العالمون باساليبهما الحاملون اعلامهما والمحيطون
باسرارهما وبما هو في طوق البشر من مراتبهما وبما هو ليس
في طوقهم من ذلك اصحاب الخطب الطنانه والقصائد الرنانه
لما تحداهم عليه السلام باقصر سورة من القرآن الذي جاء
به وادعى عجزهم عن معارضته ووصفهم بالضعف
والقصور عن بلوغ تلك المنقبة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا
منوها بذلك في كل محفل مشهرا له في كل جحفل ومع ذلك
يسفه احلامهم في عاداتهم وعباداتهم ويطعن في معبوداتهم التي
عبدوها بضلالتهم اخذوا يتاملون في ذلك القرآن ويسبرونه
بمسبار التبيان ويقلبونه ظهرًا لبطن ويتدبرونه تدبر الناقد البصير
فظهر لهم ان هذا القرآن بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لاتدركها
القوى البشرية ولو ان بعضهم كابر وعارضه لجاء بالغث البارد
واصبح سخرية عند الصادر والوارد لان كل امر قوبل بما يفوقه
ويفضله بدرجات سامية تظهر للعقول دناءته وتتضح للافكار
خساسته وتنحط في الانفس منزلته ولو كان في نفسه سميا فتحقق
عندهم عجزهم عن معارضته ولو باقصر سورة منه فاقروا بعجزهم بل
بعجز البشر وبان ذلك دليل على انه من عند خالق القوى والقدر
فصدقوا جميعا دعوى محمد عليه السلام بالرسالة واتبعوه فيما جاء

به من عند الله على ما يرام

وطائفة منهم كانوا من اهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وتدبر اساليبه التي تروق ذوى الالباب ومشتملاته التي تاتى بالعجب العجاب فظهر لهم بعد التامل الصادق في ذلك القران انه وجدت فيه خواص كاملة لايمكن في العقل اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل واحوال الامم في شوءنها اجمع والاحاطة في جميع الفنون والاداب والحكم والسياسات وتحرى فيه عدم المضاربة والتناقض وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا ان يكون القائل هو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم وجدوا هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبله تاتي طبق اخباره كوعده اتباع محمد عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هى حكاية من شاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر من غير ان يظهر ذلك من اصحابها بقول اوفعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض اتباع محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ولبعض اعدائه (كما في التفاسير وكتب الحديث) وهو مع اتساع مجاله في كل فن من

اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق واداب وترغيب
وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع
الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة
الاخصام وتبكيت الطغام واقامة الدلائل على وجود الباري تعالى
وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف
دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها ووصف عالم
السموات وما في العالم العلوى من الايات من كواكب وامطار
وسحائب و بروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها
و بحارها و ينابيعها وانهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات
ومعادن وازهار واثمار واشجار واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان
يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار
اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم
يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن
مشابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يقتدي
به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الاراجيز البدويه ولا
من الخطب القسيه ومع ذلك فهو في العقول مستحسن وفي
النفوس مستملح وفي الاذواق مستعذب وفى القلوب محبوب
وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اي الافواه سمعته علا وغلا

ولا يصح بصرك الله تعالى في العقل السليم ان تجتمع كل تلك الصفات فيه اتفاقا ولا يصدق بالصدفة في ذلك الضمير الحر فقالوا ان الذي ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات في هذا الكلام البديع انه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاتيان محمد عليه السلام به وهو امي ومن المحال عادة ان يأتي به اكبر العلماء واحذق الفلاسفة واعظم المؤرخين واكبر السياسيين دليل واضح على انه من عند الله تعالى ارسل محمدا به ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه فنحن قد صدقنا دعوى محمد عليه السلام بالرسالة من عند الله وآمنا بجميع ما جاء به فاصبحوا من اتباعه واكرم اشياعه

وطائفة منهم لم يكونوا من اصحاب الفصاحة والبلاغة ولم يكن عندهم قوة النظر والاحاطة بالصفات التي اشتمل عليها القرآن الدال اجتماعها فيه على انه ليس من مصنوعات البشر ولكنهم راوا محمدا عليه السلام ادعى الرسالة من عند الله وادعى ان هذا القرآن من عند ربه وانه يتحدى اهل الفصاحة والبلاغة باقصر سورة منه ويدعى عجزهم عن معارضته ويشافههم بذلك في كل مجمع ويقرعهم بقصورهم عنه على مرأى من عموم الناس ومسمع وراوا ان البعض من اهل الفصاحة والبلاغة الحائزين قصب

السبق في ميادينهما قد اقروا بالعجز عن معارضته وفارقوا دين ابائهم وقديم عاداتهم واتبعوا محمدا عليه السلام في دينه وسلكوا معه سبيلا يصعب عليهم سلوكه لولا تيقنهم بانه عليه السلام رسول الله تعالى يامرهم بسلوك هذا الطريق وراوا ان بعضا اخر من اهل الانتقاد والبصيرة ومعرفة الصفات الفاضلة للكلام قد شهدوا له باجتماع صفات فاضلة شريفة في ذلك القرآن لايمكن اجتماعها في كلام الا ان يكون من عند الله تعالى فصدقوا محمدا لاجل ذلك ايضا وفارقوا ما هم عليه واتبعوا سبيله وراوا بعضا اخر من اهل الفصاحة والبلاغة المشهود لهم بالسبق في هذين الفنين من جمهور اهلهما قد احجموا عن المعارضة لذلك القرآن مع تحديه لهم عليه السلام باقصر سورة منه ومناداته بين الملاء العام بعجزهم عن معارضته وتقريعهم في كل ناد بذلك العجز ومع ذلك لم يظهر منهم الا الاصرار على ما هم عليه والالتجاء الى مكافحته عليه السلام بالحرب فتعرضوا لسفك دمائهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم وتخريب ديارهم وهجر اوطانهم فلو كان في قدرتهم معارضة ذلك القرآن ولو بمقدار اقصر سورة منه كما تحداهم به لما كانوا احجموا عن المعارضة وتعرضوا للبلاء العظيم فكان يمكنهم ان يؤلفوا مقدارًا من الكلام الفصيح البليغ مساويا في الفصاحة والبلاغة

لاقصر سورة من القرآن و يقولوا لمحمد عليه السلام ها نحن قد عارضنا قرآنك وابطلنا برهانك فسقطت دعواك بعجزنا عن المعارضة وتبين ان الاتيان بمثل هذا القرآن في استطاعة الانسان فلا وابيك ما فعلوا ذلك ولو فعلوه او جاءوا بما يقارب المساوى لنقل الينا لتوفر دواعيه كما نقل الينا جميع شوءنهم معه عليه السلام من هجوله وقذف وسفه عليه وعنف ومعارضة شعراء امته وخطبائهم وانما التجوا الى ذلك البلاء العظيم والخطر الجسيم وهم بلا شك اصحاب عقول تمنعهم ان يتركوا السبيل السهل المستطاع ويختاروا اوعر المسالك واصعب المناهج فاي عاقل يفعل ذلك ويسعى في اتلاف نفسه وماله وولده وتخريب دياره وهجران اوطانه بلا ضرورة تلجئه الى اختيار الاشق وارتكاب الصعب نعم

اذا لم تكن الا الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبها

وحيث لا اضطرار فاي شي حملهم على تجشم الاخطار ما حملهم الا عجزهم عن المعارضة والتعصب الاعمى الذي اشقاهم فاولئك القوم لما تاملوا في احوال هولاء الفرق الثلاث وتبصروا فيها تبصر الناقد البصير قالوا ان شؤن هولاء الفرق من اقرار الفصحاء البلغاء منهم بالعجز عن المعارضة غير متهمين بالمداهنة وانقيادهم الى التصديق واقرار اهل المعرفة منهم ببلوغ القرآن الدرجة التي لا تنال

في الصفات الكمالية واذعانهم ايضا بصدق محمد عليه السلام وظهور عجز بعضهم من اهل الفصاحة والبلاغة عن المعارضة باحجامهم عنها والتجائهم الى الصعب الاشق هو دليل كاف لنا على صدق محمد عليه السلام في دعواه الرسالة فنحن آمنا به وصدقناه

اقول كأن هولاء الطائفة قد كوشفوا باستدلال الجاحظ رحمه الله تعالى في بعض كتبه على صحة دعوى محمد عليه السلام الرسالة من عند الله بعجز العرب عن معارضته في القرآن الكريم ولننقل هنا كلامه في ذلك كلاما ياخذ بمجامع القلوب ويدفع الريب عن كل محجوب قال رحمه الله تعالى بعث الله تعالى محمدا عليه السلام اكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله تعالى وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبه وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم واعلامهم واعمامهم وبني اعمامهم وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء الى ان يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة او بآيات يسيرة فكلما اراد تحديالهم بها وتقريعا لعجزهم عنها تكشف

كلام الجاحظ

حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستفحال لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان سورة واحدة وايات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الاوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الراي والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز ادناهم فمحال اكرمك الله ان تجتمع هولاء كلهم في الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق انفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيله في الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين

سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم
يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه انتهى

وطائفة منهم وهم غالبا الذين لاسبق لهم في الفصاحة والبلاغة ولم
تسم افكارهم الى الاحاطة بما حواه القرآن من الصفات الفاضلة
التي لايمكن جمعها فيه لاحد من البشر ولم يلتفتوا الى عجز من عجز
عن معارضته من اهل تينك الخطتين واقرارهم بذلك ولا الى حال
من حملهم العجز على الالتجاء الى المقارعة كانت انظارهم منصرفة
الى عالم الطبيعيات والى النواميس التي تجري على موجبها حوادث
الكون ويعلمون انه ليس في قدرة البشر تغيير شي منها قالوا نحن
نطلب من محمد (عليه السلام) الاتيان بامور تكون خارقة لتلك
النواميس اي خارقة للعادة المطردة في هذا الكون فان جاء بذلك
يكون صادقا لانه اذا خرقت العادة في ذلك على يديه عند طلبنا
ذلك منه يتبين لنا ان الله تعالى خرقها له تصديقا لدعواه الرسالة من
عنده ويكون اجراء ذلك بمنزلة قوله تعالى صدق محمد فيما يبلغ
عني الاترى انه لو قام رجل في حضرة ملك وخاطب الحاضرين
قائلاً ان هذا الملك يامركم ان تطيعوني فيما آمركم به فقالوا نحن
لا نصدقك في هذه الدعوى حتى يقوم هذا الملك الآن من مكانه
ويجلس في المكان الفلاني من هذا المجلس فلما سمع الملك كلامهم قام

من مكانه في الحال وجلس في ذلك المكان الذي ذكروه ثم اذا طلبوا منه حركة اخرى تصدر من الملك تكون تصديقا له كنزع الملك التاج عن رأسه ووضعه على رأس اخر ففعلها الملك في الحال وهكذا حركة اخرى كمشيه سبع خطوات في المجلس ورجوعه لمكانه ففعلها ايضا فلا شك ولا ريب حينئذٍ ان تلك الافعال التي صدرت من ذلك الملك على خلاف عادته بمجرد سماع كلامهم لا تكون بوجه الصدفة وانما هي بمنزلة قوله صدق هذا الرجل فيما يدعيه لديكم من اني آمركم باطاعته ومن يقل خلاف ذلك ويدعي الصدفة في وقوع ذلك يعد من الحمقاء وان عجز محمد عن الاتيان بما نطالبه منه من خوارق العادات كان ذلك دليلاً على كذبه وتكذيب الله له فاخذوا يطلبون منه عليه السلام اجراء خوارق للعادات الجارية في هذا العالم باطراد

فبعضهم طلب منه انشقاق القمر فاتي به طبق ما طلبوه ورآه رأي العين حاضرهم وغائبهم ممن ورد من امكنة بعيدة متحدة الافق مع مكان الحاضرين فاخبر بانه رأى انشقاقه مثل ما رأى الحاضرون

وانشقاق القمر ليس الا من قبيل ما يحصل عند الزلازل من انصداع الجبال العظيمة وانقلاب عاليها سافلها ومن قبيل ما يزعمه

بعض متاخري الطبيعيين من ان الارض وكواكب اخر منفصلات عن الشمس وسيعدن اليها يوما ما وكل ذلك من الجائز عقلا الداخل تحت تصرف الآله القادر وان كان غير معتاد سواء جعل له سبب ام لا وطول الزمان الذي يلزم ان يكون عوضا عن زيادة القوة في احداث الاعمال انما هو شرط في جانب القوة الناقصة اي قوة المخلوقات لا في جانب قدرة الآله التامة وانما جعل سبحانه تلك الازمنة والاسباب في اعماله ذات الاعجاب ابتلاء لاولى الالباب يضل بذلك من يضل و يهتدى اخرون الى الصواب

و بعضهم طلب منه ان تسعي اليه شجرة وتكلمه وتشهد له بالرسالة فجاء بذلك طبق ما طلب منه

و بعضهم طلب ان يكلمه الضب و يشهد له بالرسالة ايضا ففعل على وفق ما طلب منه (وكلام ما ذكر يكون بخلق الله الكلام وصدوره من ذلك وهو من الجائز عقلا الداخل تحت تصرف القدرة الالهية بناء على المعتمد ان نحو الحياة والادراك والآت النطق ليست الا شروطا للنطق عادية يمكن حصوله بدونها او يكون بخلقها ثم صدور النطق عما ذكر بناء على انها شروط لازمة للنطق على ما قيل وهو ايضا تحت تصرف القادر سبحانه وتعالى)

و بعضهم شاهد اتباعه عليه السلام حينما اعوزهم الماء في السفر فطلبوا

منه السقيا فوضع كفه في قليل من الماء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه وهم يستقون منه حتى اكتفوا وهم كثيرون (وهذا يكون بخلق الله تعالى مقدارا من الماء ينضم الى ذلك القليل منه ويظهر للرائين انه خارج من بين اصابعه حيث يخلق هناك والله الخالق لا خالق سواه وايضا اذا كان انقلاب الهواء ماء هو داخل تحت تصرف قدرة الكيماويين فما بالك بقدرة خالق العناصر والكيميا والكيماويين) وهكذا من خوارق العادات التي جرت على يديه عليه السلام عند ماطلبت منه وقد نقل لنا ذلك بالاخبار الصحيحة التي جاء بها العدول وان يكن بعض منها على انفراده لم يبلغ حد التواتر فلا شك ان مجموعها بلغ ذلك الحد فانه بلا ارتياب صح متواترا اجمالا انه عليه السلام اتى بخوارق العادات عند ما طلبت منه وهذا هو التواتر المعنوي المعتبر عند المحققين من العقلاء ولا ينكر تواتر ذلك الا مكابر لايخجل من انكار الضروريات فهولاء القوم حين وجدوا انه عليه السلام قد جاء بما طلب منه من خوارق العادات وخلاف النواميس الكونية التي لايقدر على خرقها الا الله تعالى ايقنوا بتصديق الله له باجرائها على يديه عند طلبها منه فآمنوا به وصدقوه واعتقدوا رسالته عليه السلام (اقول وليعلم ان امثال هذه المعجزات ما كانت الا لاقناع عقول من

قصرت افهامهم عن ادراك المعجزات الادبية كما مر في شان القرآن
وسياتي في شان انتظام الشريعة المحمدية واشتمالها على ما يدل انها
من عند الله تعالى وفي انطباق العلامات المذكورة في كتب
المتقدمين على محمد عليه السلام ونرجو ممن يدعون ادراكهم
للمعجزات الادبية ان لاتكون تلك المعجزات الحسية عقبة في
طريق ايمانهم زعما انها تخالف علومهم التي درسوها في مدارسهم
وترفضها عقولهم بل الصواب في شأنهم والحزم والاحتراس في سعيهم
ان يعلموا ان هذه الخوارق ما جاءت الا لاقناع من قصر عن
ادراك تلك الادبيات وان عليهم ان يقتنعوا بما تقبله عقولهم ثم ما
لاتقبله ويرفضه البرهان العقلي القاطع يرجعون فيه الى التاويل
الجامع بين النقل والعقل كما سيأتي ان ذلك هو القاعدة في
الشريعة المحمدية فيما ورد نقله وظاهره مخالف للبرهان والا فيصبحون
كمن يرى الشمس في كبد السماء ويزعم ان الوقت ليل لانه
تخيل له رؤية نجم طالع فيترك الدليل الواضح على وجود النهار
ويتشبث بما تخيله من ذلك النجم الذي لم يتحقق وجوده كما تحقق
وجود الشمس ثم لقصور تحققه ربما يكون مخطئا في رؤيته واعتقاد
وجوده لسبب من اسباب الغلط فكان عليه ان يؤل رؤيته
لذلك النجم ان لم يتحقق عدمه ولا يهمل الدليل الواضح على

وجود النهار وهو تلك الشمس المشرقة والله يهدي من يشأ الى صراط مستقيم

وطائفة منهم قالوا ان الله تعالى قد ارسل الينا رسلا فيما مضى من الزمان مصحوبين بشرائع شرعها لنا تتكفل باصلاح شؤننا وتناسب الزمان الذي ارسلوا فيه وقد كان اولئك الرسل يقولون ويشيرون الى انه سوف يرسل الله الى الناس كافة رسولا بعد حين بشريعة تتكفل باصلاح شؤنهم وتناسب الزمان الذي يرسل فيه ويوجد في ذلك الرسول علامات هي كذا وكذا ولم يزل كثير من تلك العلامات مذكورا في الكتب التي بين ايدينا المنسوبة لاولئك الرسل فنحن ننظر في حال محمد (عليه السلام) فان كان ما جاء به من الشريعة طبق ما اخبر به الرسل المتقدمون ووجدنا فيه تلك العلامات التي قالوا انها تكون فيه نعلم يقينا انه صادق في دعواه وان كان الامر بخلاف ذلك كانت دعواه ساقطة ولايعبأ بكلامه فلما تاملوا في حاله عليه السلام وجميع شؤنه وجدوا ان شريعته متكفلة باصلاح شؤون الناس على اكمل ما يرام (كما سياتي شرحه في كلام الطائفة التالية لهذه الطائفة) ووجدوا فيه العلامات التي ذكرها الرسل على اظهر ما يكون عند من يرفع التعصب الاعمى والتأويلات الواهية ويروم الوقوف على الحق والخلاص من سوء

العاقبة والنصيحة لنفسه ولولامه قومه وعذله بنوه وتلك العلامات لم تزل مسطرة في تلك الكتب الى الآن وتفصيل ذلك انهم وجدوا انه يصدق على محمد عليه السلام كناية اشعيا بقوله (١) ان الرب استعلن من جبال فاران ومعه الوف الاطهار وفي عينه سنة النار كما ان مجيء الرب من سينا في قول اشعيا كناية عن موسى واشراقه في ساعير كناية عن عيسى عليهما السلام لان جبال فاران هي مكة كما جاء في سفر التكوين عن اسماعيل عليه السلام انه سكن فاران (٢) وقوله معه الوف الاطهار كناية عن اتباع محمد عليه السلام الطاهرين من كل الشوائب كما هو مشاهد فيهم (٣) وقوله في عينه سنة النار كناية عن مشروعية الجهاد في شريعته ويصدق عليه ما في التثنية (٤) انه يقيمه الرب نبيا من وسط اخوتهم وليس اخوة اسرائيل الابني اسماعيل (٥) وانه مثل موسى يعني في شريعته ومشروعية الاحكام والجهاد فيها (٦) وجعل كلام الرب في فمه هو ذلك القرآن الذي اتى به في غاية الكمال ويصدق عليه ما في يوحنا (٧) من انه الفارقليط والمعزى الذي يعلم كل شي يعني من الحقائق والمعارف التي نراه يعلمها اتباعه (٨) وانه هو المذكر بما قاله عيسى عليه السلام يعني من التوحيد والايمان والتزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة (٩) وانه الذي يشهد لاجل عيسى عليهما

السلام يعني بالنبوة والرسالة وبراءته مما قيل فيه (١٠) وانه لم يجئ
حتى يذهب عيسى عليه السلام وكان الامر كذلك (١١) وانه يوبخ
العالم على الخطيئة فانا نراه يوبخ كل ذي معصية واثم ويصدق عليه
ما في المزامير وهو (١٢) كونه حسنا فانه في اعلى طبقات الحسن
(١٣) وكون الحكمة منسكبة على شفته وذلك ظاهر في ذلك
القرآن الذي يتلوه والحكم التي يجلوها والمعارف التي
يبرزها (١٤) وكونه متقلدًا سيفا فهو ملتزم محاربة اعداء دينه
(١٥) وكونه قويا فهو قوي الحجة متين السياسة قوي الجسم فقد
صرع اشداء العرب (١٦) وكونه ذا حق (١٧) وكونه ذا دعة
(١٨) وكونه ذا صدق فهذه الصفات الثلاث ظاهرة فيه (١٩) وكون
نبلة مسنونة فاستعداده هو واتباعه للاعداء في أدوات الرمي امر
معلوم وهم مأمورون في شريعته بتعلمه ومن نسيه منهم بعد ان
تعلمه يحكم عليهم بالاثم (٢٠) وكون الشعب تحته فهو قد استولى على
الشعب العربي تقريبا (٢١) وكونه محبا للبر (٢٢) وكونه مبغضا
للاثم فكلا الامرين محقق فيه يشهد له بهما اعدى اعدائه
(٢٣) وكون بنات الملوك تخدمه فهذه بنات امراء العرب يجلبن
اسيرات اليه وهذه صفية بنت احطب صارت زوجته وهي بنت
ملك من ملوك اليهود (٢٤) وكون الهدايا ترد اليه من الملوك فهذا

النجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وغيرهما يقدمون له الهدايا (٢٥) وكون الاغنيا تنقاد له فهولاء اغنياء اتباعه يدفعون زكاة اموالهم للفقراء بمقتضى اوامره و يصدق ما في اشعيا ايضا (٢٦) على صلاته التي فرضت في شريعته من انها تسبيحة جديدة لانه لم يعهد في الشرائع الماضية عبادة تشاكلها (٢٧) وانه يعممها على سكان اقاصي الارض واهل الجزائر والبراري فهي اول عبادة في دينه بعد الايمان لايستثنى منها مكلف (٢٨) وان البرية ترفع صوتها بذكره وهي الديار التى يسكنها قيدار وهو احد اجداده في سلسلة النسب الذي بينه وبين اسماعيل عليهما السلام وهي بلاد العرب وقد طبق ذكره تلك البلاد بل ملأ المسكونة من اغوار وانجاد (٢٩) وانه به يترنم سالع وهو سلع من رؤوس الجبال فهولاء اتباعه يهتفون بذكره في رؤس الجبال وقمم الآكام في الاذان والصلاة عليه والتسليم في كل آن (٣٠) وانه يخبر بحمده وهو الاذان في خمسة اوقات في اليوم والليلة يذكر فيه اسمه ويشهد له بالرسالة (٣١) وخروج الرب كجبار هو كناية عن الجهاد المشروع في شريعته ولما كان الاخلاص في الجهاد موكدًا عليه غاية التاكيد حتى اخذ بتعريفه فقيل ان الجهاد هو مقاتلة العدو لاعلاء كلمة الله تعالى صح ان يكنى عنه بخروج الرب تعالى كجبار (٣٢) وهو يسير العمى

في طريق لم يعرفوها وهم العرب اجهل خلق الله في الاديان
وقد سيرهم في طريق دينه الذي لم يعرفوه (٣٣) وهو يخزي عباد
الاوثان والمنحوتة فهو اشد خلق الله عليهم وقرآنه مملوء بتسفيه
احلامهم والطعن في اصنامهم (٣٤) وهو القتول الذي خلق
لاهلاك من اشرك بالله تعالى ويصدق عليه ما في متى (٣٥) من
انه الحجر الذي رفضه البناؤن صار راس الزاوية لانه من نسل
هاجر الذين كان بنو اسرائيل يحتقرونهم ويقولون عنهم ابناء
الجارية ويصدق عليه ما فى المشاهدات (٣٦) من انه الذي اعطى
سلطانا على الامم وهو يرعاهم بقضيب من حديد لانا نراه قد اعطى
ذلك السلطان كما هو مشاهد فيه فقد خضعت له اعظم القبائل
اصحاب الانفة وقضيبه الحديد هو سيفه الذي زجر وساق به
من عصاه (٣٧) وهذا القرآن الذي جاء به اذا تاملنا هدايته
لمنهج الخيرات فهو كوكب الصبح الذي يعطاه ويصدق عليه
ما في المزامير (٣٨) ان الحبشة تجثو له فهذا نجاشيها قد آمن به (٣٩)
وهذه ملوك اليمن تأتيه بالقرابين (٤٠) وهذه الامم تخضع وتدين له
بالطاعة (٤١) وهو مخلص المضطهد البائس ممن هو اقوى منه لانا
نراه يحرج على ظلم الاقويا للضعفاء وينهى عنه اشد النهي ويكف
الظالم عن ظلمه مادة وادبا (٤٢) وهو ينقذ الضعيف الذي لاناصر

له فانا نرى هذا شأنه كما هو مشاهد فيه (٤٣) وهو رؤُف بالضعفاء والمساكين كما هو معلوم من حاله ولا يزال يتودد اليهم حتى يعد نفسه منهم ويدعو ربه بذلك فهو يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين (٤٤) وهو ينقذهم من الربا فقد شدد على منع الربا شفقة على المساكين الذين يحتاجون للاستقراض وحضا للاغنياء على عمل المعروف بالاقراض وقد قال في بعض خطبه كل ربا تحت قدمي (٤٥) وهو يعطي من ذهب سبا وهي من احدى جهات اليمن فهذا خراجها يجبى اليه (٤٦) وهو يبارك عليه في كل يوم كما هي عبادة اتباعه فهم في كل يوم في صلوتهم يقولون ما ينوف عن العشرين مرة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويقولون ما ينوف عن عشر مرات وبارك على محمد وعلى آل محمد (٤٧) ونراه هو واتباعه مثل الزرع الكثير على وجه الارض في الاخذ في النمو من يوم قام بدعواه الى الان ويصدق عليه ما في اشعيا (٤٨) انه معضد مختار وهذا ظاهر فيه من تقدم امره يوما فيوما (٤٩) وهو يسعى في اظهار الدين الذي ادعاه دين الله من غير ملال ولا كلال واظهر العلامات الجسدية فيه ما في اشعيا ايضا (٥٠) من وجود علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام وهو يسميه خاتم النبوة

(٥١)وانه يدعى اسمه عجيبا فانه اسمه محمد لم يسبق التسمية به لاحد من اجداده واسمه احمد لم يسم به احد قبله (٥٢) وهو مشاور الله تعالى لان دعواه انه لاينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى(٥٣) وانه ابو العالم لان اتباعه كالابناء له في الطاعة وهولهم كالاب في الشفقة والتربية (٥٤) وانه رئيس السلام لانه منع الحروب الجاهلية التي كانت بين العرب لاثمرة لها الا اتلاف النفوس وجهاده لاعدائه انما كان لتثبيت الدين الذي يدعى انه دين الله تعالى ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل القتل انفى للقتل (٥٥) وان سلطانه يكثر يوما فيوما كما هو مشاهد (٥٦) وانه يكثر سلامه لانه كلما ازدادت اتباعه راقت الاحوال وزالت الفتن الجاهلية (٥٧) وهو راكب الجمل اذ هو من العرب ركاب الجمال كما ان راكب الحمار هو عيسى عليه السلام(٥٨) وانه بعد ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض كما فعله(عليه السلام) بها عند فتح مكة ودخوله الكعبة فصار يلقي الاصنام عنها فتتكسر ويصدق عليه ما في رؤيا يوحنا(٥٩) انه يدعي امينا وهذا الاسم قد اشتهر به حتى من قبل ان يدعى الرسالة فكان يقال له محمد الامين (٦٠) وانه يحكم بالعدل ويحارب وهكذا نرى حاله حتى انه يفرض على امته الحكم بالعدل ولو كان المرء يحكم على نفسه او

ولده ومحاربته كذلك بالعدل لايغدر اذا عاهد ولايقتل في جهاد صبياً ولا امراة ولا عاجزا عن مباشرة الحرب وتدبيرها ولا منعزلا لما يعتقده من العبادة (٦١) والاجناد الذين يتبعونه يلبسون بزا ابيض نقيا وهكذا نرى احب الملابس اليه البياض وامته على اختياره ويحب في شريعته لبس البياض في يوم الجمعة الذي هو العيد الاسبوعي عندهم (٦٢) ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الامم ينطبق هذا على القرآن الذي جاء به فانا نراه قد ضرب به الامم العربية واعجزهم عن معارضته (٦٣) وهذه الطيور تأكل لحوم الملوك الذين يحاربونه ويقتلهم وهو امر مشاهد فكم جندل من ملك اصبح طعمة للطير (٦٤) وقد اجتمعت عليه ملوك الارض واجنادهم ليصنعوا معه حربا وكفانا شاهدا لذلك من تجمع عليه من الاحزاب من ملوك خيبر والاعراب ويصدق على اتباعه ما في المزامير (٦٥) ان معهم السيوف ذات الحدين وانهم المنتقمون من الجبابرة (٦٦) وانهم يقودون الملوك ويسوقونهم بالسلاسل والاغلال فقد فعلوا هذين الامرين بلا ارتياب (٦٧) وانهم يبتهجون على مضاجعهم اذ من سنتهم ان يبتهجوا بذكر الله تعالى عند ارادة المنام حتى يناموا (٦٨) وانهم يكبرون في كل وقت فهذه صلاتهم لايجوز لهم الدخول فيها الا بتكبير الله تعالى

مع تكرار التكبير فى انتقالاتها وتكبيرهم فى الاذان للصلوات وفى
عيد الاضحى امر معلوم ويصدق عليهم ما في التثنية (٦٩) ان الله
اغاربهم شعب اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل اذ
العرب اجهل الشعوب قبلما اهتدوا بمحمد عليه السلام لايعرفون
من الاديان سوى عبادة الاوثان (٧٠) وانهم هم الذين اعطوا ولم
يسالوا اذ هم لم يطلبوا شيئا من الشرائع ويصدق على بلد محمد
وهي مكة ما في اشعيا (٧١) انها العاقر لانه لم يظهر منها نبي بعد
اسماعيل عليه السلام (٧٢) وبنو الوحشة هم العرب اولادهاجر
التي هي بمنزلة المطلقة وقد وقع في حق اسماعيل كما في سفر
التكوين انه سيكون وحشا وبنو ذات رجل هم اولاد سارا فقد
ظهر سر الخطاب لمكة المدعوة عاقرا بان تسبح وتهلل وتنشى
الشكر لان كثيرا من اولاد هاجر الوحشة التي هي بمنزلة المطلقة
افضل من اولاد سارا التي هي ذات رجل (٧٣) وقد حصل لمكة
من الوسعة بواسطة محمد عليه السلام ما لم يحصل لغيرها من
المعابد (٧٤) وحصل لها التعظيم بتقديم القرابين في كل سنة ما
لم يحصل لغيرها ايضا من المعابد الا نادرا فلما تم لهولاء الطائفة
المقابلة بين ما جاء في الكتب المنسوبة للرسل المتقدمين من
العلامات التي ذكروا انها تكون في الرسول الذي وعد الله تعالى

بارساله و بين شؤن محمد واتباعه ووجدوا انها باجمعها منطبقة
عليها لم يشذ عنها شيء مع بلوغ العلامات ما ينوف عن السبعين
وهذا العدد من الكثرة بمكان حتى شاع ذكره عند ارادة المبالغة
قال بعضهم لبعض ان اجتماع تلك العلامات لمحمد عليه السلام
لم يكن حاصلا لسواه من الرسل الذين جاؤا بعد ورود تلك
العلامات في تلك الكتب الى زمن ظهوره وان وجد بعضها في
بعض الرسل الذين جاؤا قبله لكن لم يوجد فيه البعض الاخر
منها ولا يصح ان يقال انه وجد فيه لظهور ان صفاته تخالف ذلك
وتنافيه مثلاً من وجد منهم انه يحب البر ويبغض الاثم لم يوجد
فيه ان تخضع له الملوك ويسوق العالم بقضيب من حديد او هو
قتول للاعداء ونحو ذلك ثم ان اجتماع تلك العلامات فيه (عليه
السلام) لا يصح في العقل ان يكون بوجه الصدفة مع كثرتها وتنوعها
ولا يقول بالصدفة الا مكابر متعنت ومن العبث والعناد وعدم
التحرز من سوء المعاد اننا بعد ان وجدنا انطباق هذه العلامات
الكثيرة على شؤن محمد (عليه السلام) ولا مانع يمنع من كونه
هو المعلم بها لا عقلاً ولا عرفا ولا عادة ولا شرعا ان نقول لعل
المعلم بتلك العلامات هو غيره وان ذلك الغير سيأتي بعد زمن
آخر ونترك اتباع هذا الشخص الذي تحققت العلامات فيه وننتظر

شخصا اخر موهوما مشكوكا في مجيئه فلوان خادما اعطاه سيده
كتابا وقال له ادفعه الى رجل يأتيك بعد حين ويقول لك انا
الرجل الذي امرك سيدك بدفع الكتاب اليه وعلامة ذلك
الرجل هي كذا وكذا وذكر جملة علامات يستبعد العقل اجتماعها
في اثنين ثم لما جاء ذلك الرجل عند الخادم وطلب منه الكتاب كما
قال سيده ورأى الخادم فيه تلك العلامات امتنع عن دفع الكتاب
اليه واحتج على امتناعه بانه لعل مراد سيدي غيرك أفلا يجزم كل
عاقل ان ذلك الخادم قد خالف سيده واستحق عقابه وترك الامر
المحقق وانتظر الامر الموهوم بلا داع يدعوه الى ذلك سوى
الوسواس اوشي اخر قريب منه فنحن ان تركنا اتباع محمد (عليه
السلام) بعد انطباق تلك العلامات عليه واقمنا ننتظر غيره (لاسيما
ان مرت الميئات من السنين ولم يجيء ذلك الغير) يحكم علينا
العقل السليم بما يحكم على ذلك الخادم من انحرافه عن منهج
الصواب بلا ارتياب فاذا كان محمد صادقا في دعواه ووجدنا
فيه تلك العلامات وبعد ذلك لم نصدقه واقمنا ننتظر غيره فماذا
يكون جوابنا لربنا أ نكذب ونقول له لم تنطبق عليه العلامات
التي علمته بها وهو سبحانه لايخفى عليه شي ام نقول له اننا لم
نصدقه لاننا انتظرنا شخصا غيره يجيء فيما بعد فاذا سالنا وقال

ما الذي حملكم على ذاك ولاي دليل استندتم في ترك تصديقه
وانتظار سواه فما جوابنا سوى ان نقول هكذا فعلنا تركنا المحقق
وانتظرنا الامر الموهوم أ يكون هذا جوابا منجيا عند ربنا لا والله
فالصواب في حقنا ان نتبع محمدا ونصدقه بدعواه واذا فرض
(وقد يفرض المحال للتوصل الى الحق في الاستدلال) انه غير
المراد لله ولرسله بتلك العلامات واخطأنا باتباعه مع اجتماع
تلك العلامات فيه كان لنا عذر وحجة عند ربنا اذ لنا ان نقول
حينئذٍ يا ربنا انت عليم بكل شي وتعلم الرسل الصادقين
والمدعين الرسالة كذبا ولا يخفى عليك شي من حوادث المستقبل
البتة فحيث انك تعلم انه سياتي رجل كاذب في دعوى الرسالة
وتوجد فيه جميع العلامات التي ذكرتها رسلك انها توجد في
الرسول الصادق الذي ترسله لنا افلا يكون من موجب حكمتك
التامة ورافتك ورحمتك علينا ان تنبهنا على لسان رسلك عن ذلك
الكاذب وتحذرنا منه ولو بعلامة واحدة تميزه عن الرسول
الصادق المراد بتلك العلامات ولا اقل ان تقول الرسل انه ياتي
كاذب متصف بتلك العلامات قبل الرسول الصادق فاحذروه
فحيث يا ربنا لم يحصل لنا شي من ذلك فحكمتك تقتضي اعفاءنا
من المواخذة والعقاب على اتباعنا غير مرادك لان عذرنا ظاهر

ولكن حاشا ربنا من تلبيس الامر على عباده لان التلبيس نقص في الحكمة وكل نقص في الحكمة محال على الله تعالى فالتلبيس على الله تعالى محال فلو كان المراد بتلك العلامات غير محمد لحصل علينا التلبيس منه تعالى لكن التلبيس لايحصل منه لانه محال فلا يكون المراد غير محمد (عليه السلام) فهو المراد بها من غير شك ولا تردد فنحن اعتمادًا على جميع ما قام لدينا من هذه الادلة بكل اطمئنان قد صدقنا محمدا عليه السلام واتبعناه لان صريح عقولنا قد حكم بصدقه بمقتضى هذه الدلائل التي ظهرت لنا

اقول لو ان هولاء الطائفة حصلت مشاهدتهم لبقية العلامات المذكورة له عليه السلام في تلك الكتب وظهرت في ملك امته بعد زمنه بقليل اوبكثير الى وقتنا هذا لزاد ابتهاجهم بتمام علاماته وتوفرت قوة حجتهم على مخالفيهم وبيان ذلك انه صدق عليه ما في المزامير (٧٥) ان الشعوب سقطت تحته فقد اخضعت امته فارس والروم والبربر وسواهم واستولت على ممالكهم ولا يقال ان السقوط تحت امته لاتحته لان هذا التعبير مجاز معهود استعمال نظيره فى كتب الرسل الا ترى ان الله وعد بني اسرائيل حين اخرجهم من مصر ان يملكهم الارض المقدسة وانما ملكها ابناءهم لان نفس الذين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام قد ماتوا في

زمن التيه كما هو معلوم من تلك الكتب ونظائر هذا المجاز كثير
(٧٦) وانه قامت بنوه عوضا عن ابائهم روساء في الارض فكم من
ذريته عليه السلام امراء فى اليمن والحجاز والغرب وغيرها يقوم
ابناؤهم مقامهم (٧٧) وانه يذكر اسمه دورا فدورا فهو يذكر اسمه على
ممر الايام بين امته فى الاذان والصلوات وفاتحة كل خطبة وخاتمة
كل دعاء (٧٨) وانه تحمده الشعوب فهذا حمده في ألسن الشعوب
من امته من عرب وترك وفرس وهنود وداغستان وافغان وقزاق
وبربروسودان وغير ذلك (٧٩) وانه لم يزل مباركا وهو كذلك
الى هذا الدهر كيفما فسرنا المباركة باحد معانيها وصدق عليه تفسير
دانيال لرؤيا بخت نصر (٨٠) من انه عليه السلام اعطى السلطنة
له ولا تباعه فقد تسلطوا في مدة قليلة شرقا وغربا وعلى بلاد
فارس التي كانت هذه الرؤيا في شانها (٨١) وانه الحجر الذي
انقطع من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب
اي دول فارس المعلومة من كتب التاريخ فانها انسحقت بزمن
امته ولم يبق لها باقية (٨٢) وان ذلك الحجر صار جبلاً وملأ
الارض وعظيم سلطان امته كان كذلك ويصدق على شريعته
ما في متى من قوله (٨٣) يشبه ملكوت الله بحبة خردل اخذها
انسان وزرعها في حقل فنمت وصارت شجرة كبيرة فكان

امر شريعته كذلك لان ابتداءها كان فى غاية الضعف لانه قام
بها منفرداً مضاد القبائل والملوك فلم يال جهدا في رفع شانها حتى
نصر دينه وانتشرت شريعته ونمت نمواً عظيما لاسيما بعد ما
شرحتها علماء امته واستنبطت احكامها واوضحت حلالها وحرامها
(٨٤) وان الملكوت نزع من غير امته واعطى لامته الذين يعملون
اثماره فهذه شريعته لا تضاهيها شريعة من الشرائع احكاما وعدلا
وادابا وهولاء اتباعه قائمون بها اعتقادا وعملا وصدق عليه ما في
المزامير (٨٥) من انه يملك من البحر الى البحر فقد ملكت امته
من بحر الهند الى اقصى بحر طنجه (٨٦) وانه يملك من النهر الى اقاصي
الارض فقد ملكت امته من نهر الاردن اشهر نهر عند بني اسرائيل
في زمن داود الى اقصى بلاد العرب جنوبا وهي اقصى الارض
اذ ليس بعد ذلك الا الاوقيانوس الجنوبي ويصدق على اتباعه ما
في اشعيا (٨٧) من انه هرب اعداوهم امام سيوفهم وقسيهم وشدة
حربهم (٨٨) وانه فني مجد قيدار وهو ابو العرب وقلت عدد
قسيهم وذلك بظهور امته الذين يعتمدون في التناصر على الدين
لا على الجنسية ويصدق عليه (٨٩) انه انفتح به اعين عمى واذان
صم وذلك هداية تلك الامم الجاهلية بشريعته (٩٠) وقد انفجرت
في البرية مياه وانهار في القفر وصار السراب أجما والمعطشة ينابيع

ماء وذلك بما اجراه خلفاؤه في الطريق الحجازية من المصانع والاسبلة (٩١) وصارت هناك سكة وطريق يقال لها المقدسة لانه يمر فيها اهل ملته الموحدون المقدسون من الشرك (٩٢) ولا يمر فيها نجس لانها محرمة على المشركين (٩٣) والسالك فيها لايضل لكثرة علائمها وآثار الحجاج الذين يمرون فيها كل عام الوفا مولفة (٩٤) ويسلك المغديون فيها ومغديو الرب فهم حجاج الكعبة وزوار قبر محمد عليه السلام كل عام (٩٥) ويرجعون وياتون الى صهيون احدى البلاد القدسية التي كانت في مملكة داود عليه السلام يعني بهم الحجاج السوريين الذين يعودون من البلاد الحجازية الى بلادهم ومنها صهيون واظهر ما كان عودهم على هذا الوجه عند ما كان قسم من الحجاج ينعطفون في عودتهم من المزيريب الى البلاد القدسية كما يعلم من التاريخ ولم تزل آثار ذلك موجودة من البرك الكبيرة التي تشاهد قرب القدس وحبرون (٩٦) وهم بترنم وهو ذكرهم مولاهم على ما اولاهم من التوفيق لاداء فريضة حجهم وزيارة قبر نبيهم عليه السلام (٩٧) وكونهم بفرح ابدي هو معلوم لكل من يخالط الامة الاسلامية فانه يشاهد من الحجاج فرحا لايماثله فرح من اي افراحهم حتى ولا فرح الاعراس عند اكثرهم فترى السرور ملاء قلوب الحجاج عند عودتهم وقلوب

اهليهم واحبابهم وفرقوا الهدايا واطعموا الاطعمة واجروا الصدقات
كل منهم على قدر حاله ويدوم ذلك الفرح في قلب الحاج الى
آخر نفس من حياته ولذلك سمي ابديا ومهما حدث عليه من
المشاق في مدة سفر الحج فلا يزال طول عمره يتلذذ بذكر ذلك
السفر المبارك ويدعو الله ان يمنحه اياه ثانيا ولو بلغه ثانيا يدعو
بنواله ثالثا وهلم جرا واذا اراد احد ان يثني عزم الحاج عند ارادته
تكرار حجه ويقول له يافلان يكفيك ماسبق لك فقد اديت
فرضك يجاوبه باستغراب قائلا له وهل هذا الامر تقل فيه رغبة
الانسان ويرتوي من منهله الظمآن هذا والله حال الامة الاسلامية
في فرحها بزيارة الكعبة المكرمة وقبر رسولهم عليه السلام على رغم
الاثقال التي يتحملونها والحجر الصحي الذي يثقل عواتقهم ويضاعف
نفقاتهم وكثرة من يموت منهم او يقتله قطاع الطريق ينسلون من
كل حدب من اقصى كشغر وبخارى وخوارزم وافغنستان
وبلخستان والهند والجاوى وداغستان والكرج والقوقاز وفارس
والروملي والانضول وبلاد الروس والعراق والغرب واليمن
والسودان وداخل افريقيا ومصر والشام يتكبدون حر الهواجر ويهجرون
المنام في الدياجر يسلكون القفار ويمتطون لجج البحار ويفارقون
البنين والعيال ويهون عندهم اقتحام الاهوال وقد يمر على بعضهم

العام والعامان حتى يعود لاوطانه ويحظى بخلانه وكثير منهم من يحج على الاقدام في تلك البوادي والاكام كل ذلك لرضاء الرحمن وطلب الغفران فهم بكل افتخار اعظم من تمسك بالدين ودفع الوهم باليقين (٩٨) وقوله عن اولئك العائدين الى صهيون وعلى رؤسهم الابتهاج والفرح هو ظاهر في الحجاج بما ينالونه من زيارة الكعبة المكرمة وقبر نبيهم عليه السلام فتراهم مبتهجين فرحين بما اتاهم ربهم (٩٩) وقوله ويزول حزنهم يعنى الذي كان في قلوبهم قبل نوالهم مرغوبهم في تلك الزيارة المباركة (١٠٠) وقوله ويزول التنهد يعني الذي كان يعتريهم ايضا قبل حجهم لقلة ذات ايديهم اولموانع اخرى فهذه تمام مائة علامة تنطبق على احوال محمد عليه السلام واحوال امته وبها قد ظهر الصبح لذي عينين وزال عن القلب الغين

ثم اقول لو بقيت هذه الطائفة الى هذا الزمان ايضا لكان لهم استدلال من تلك الكتب على صدق محمد عليه السلام من اظهر ما يكون وبيان ذلك انه ورد فيها كما في الزبور ان طريق المنافقين تهلك وانه يهلك كل الذين يتكلمون بالكذب وان وجه الرب على الذين يعملون المساوي ليبيد من الارض ذكرهم وان سواعد الخطاة تكسر وانهم يهلكون وان اعداء الرب اذ يمجدون ويرتفعون

يبيدون وكالدخان يفنون انتهى فاي ذكر باد لمحمد عليه السلام
مع مرور ثلاثة عشر قرنا واسمه يذكره الالوف والملايين من امته
على المنابر وفي المآذن وفي الصلوات وكثير من العبادات في اقطار
الارض من مشارق ومغارب ومدن وقرى وقفار وبحار آناء
الليل واطراف النهار ولا يذكر اسم الله تعالى في الغالب الا مقرونا
به اسمه عليه السلام معظما مبجلا مدعوا له بكل خير محمودا بالالسنه
محبوبا في القلوب مفدى بالارواح محفوظ المقام مرعى الجناب
تسعى الى حضرة قبره الشريف كل سنة الالوف المؤلفة من ملوك وامراء
واعزة وكبراء واغنياء وفقراء يسلمون عليه ويطلبون الشفاعة لديه
ويتبركون بلثم اعتابه ويتداوون بعفير ترابه ترفع اليه مدائح الشعرا
ومحامد الفصحاء مزينة بذكر محاسن صفاته وباهر اياته ولم تزل
شريعته عليه السلام معززة مرفوعة المنار موفرة الانصار تقتبس
من انوارها الامم وتهتدي بشموسها العرب والعجم واتباعه بفضل
الله تعالى ما لئون الارض متبعون ما شرع لهم من سنة او فرض
وان خالف بعضهم بعضا في فهم بعض الاحكام من شريعته عليه
السلام عند ارادة توضيح المرام فهم متفقون على اصولها ذات
الاحكام من التوحيد والتصديق بالقران والحشر والنشر ووجود
دار السلام ودار الانتقام متمالؤن على حبه وتعظيمه على ممر

الليالي والايام فاي هلاك هلكوا واي سواعد لهم كسرت واي فناء
كالدخان فنوا غايه ما يكون ان ينالهم حظهم من الابتلاء في هذا
العالم المنطبع على البلاء سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا
وصورة استدلال هولاء الطائفة على صدق محمد عليه السلام
لو بقوا الى هذا الزمان ان يقولوا لو كان محمد واتباعه ممن ذكر
في كلام المزامير من الخطاة والكاذبين واعداء الرب لفعل بهم
جميع ذلك النكال من ابادة الذكر والاهلاك والفناء كالدخان
وكسر السواعد والالزم تخلف خبر الرب على لسان داود لكنه
لم يفعل بهم شي من ذلك فهم ليسوا مما ذكر البتة واذا لم يكونوا
ممن ذكر فيكونون من الطائعين والصادقين واحباب الرب
وحينئذٍ اذا نحن كذبناهم واردنا نقض ما جاء به محمد عليه السلام
نكون محاربين لله تعالى كما قال عمالائيل معلم اليهود في حق
الحواريين كما في اعمال الرسل وان كان (يعني راي الحواريين
وعملهم) من الله تعالى فلا تقدرون ان تنقضوه لئلا توجدوا
محاربين لله تعالى انتهى وعند ما ينتظم لاولئك الطائفة هذا
الاستدلال كنت تراهم من اكمل الناس ايمانا دافعين كل وسوسة
ترد على قلوبهم قائلين قبح الله الشيطان وقبح الله الهوى ما اغنانا
عن التعصب الاعمى واسر الضمير واسترقاق الفكر ايليق بنا

الخجل من الحق ايحسن بنا ترجيح العاجل الدني الفاني على الآجل العظيم الباقي ايجمل بنا الركون الى الغفله عن النظر في العواقب والتقليد الفاسد والجمود البارد لا والله لايرضى بذلك عاقل فانا لله وانا اليه راجعون والله الهادى الى سواء السبيل

وطائفة منهم كانوا فلاسفة اخلاق واداب ولهم معرفة تامة في الشرائع التي شرعها الله تعالى للامم السابقة ودقة نظر في اسرارها وفوائدها وفطرة سليمة تميز بين الحسن والقبيح من الصفات والافعال والسياسات والاحوال فقالوا من المعلوم ان لكل رسول يبعثه الله تعالى آيتين تدلان على صدقه احدهما عقلية يعرفها اولو البصائر والافهام وهي ماله من الاصول الزكية والصور المرضية والاحوال الكمالية والعلوم الباهرة والدلائل القاهرة وثانيتهما هي المعجزة التي تدركها الحواس تكون خارقة للعادة وهذه يطلبها احد رجلين اما ناقص عن ادراك ما تقدم ذكره من الاصول الزكية وما عطف عليها فيحتاج الى مايدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص ومع نقصه هو معاند فقصده بما يطلبه العناد فيقول للرسول المبعوث اليه لا أومن بك حتى تفجر لي من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب وتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء عليّ او تاتى بالله وبالملائكة او يكون لك بيت من زخرف او

ترقي في السماء ولن أومن لرقيك حتى تنزل علي كتابا اقراه
فيقول له الرسول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا يعني
اني بشر عاجز وايجاد هذه المطالب وامثالها مفوض الى ربي ان
شاء ايدني بها وان شاء لم يفعل نعم ان منصبي الرسالة وقد بلغتك
ما امرني الله بتبليغه فاختر لنفسك ما تشاء ونحن لله الحمد والمنة
لسنا من القاصرين عن ادراك ايات الرسل التي هي من القسم
الاول بل نحن من ذوي البصائر والمعرفة وقد شاهدنا في محمد
صفات فاضلة هي من شأن الرسل الذين يرسلهم الله تعالى لهداية
الخلق وذلك كشرف النسب وحسن الخلق والخلق وذكاء وفطنة وقوة
حجة واستقامة محجة فعلينا بعد ذلك ان نتروى في دعواه وننظر
فيما احتوت عليه شريعته التي يدعي انه مرسل بها من عند الله
تعالى فان كانت محتوية على الامر باعتقاد العقائد الصحيحة التي
تكون موافقة لما يعطيه البرهان الصحيح ولا يكلف الانسان بان
يذعن بضد يقينه وعلى الامر بالتحلي بالاخلاق الحسنة والاداب
المستحسنة والصفات الكاملة والاعمال الفاضلة والتدبيرات التي
تحفظ حسن نظام هيئتنا الاجتماعية والعبادات التي تحسن تادية
الشكر لنعم خالقنا علينا وايجابها يكون لحكم ترجع بالنفع الينا كما
هو سر العبادات التي تكون في شرائع الرسل لان الله تعالى غني

عن كل شي وكانت مشتملة على النهي عن اعتقاد العقائد الباطلة الخرافية المكلفة للانسان الاذعان بضد ما تعطيه المشاهدة والبرهان وعلى النهي عن الاتصاف بالاخلاق الذميمة وخلع حلة الاداب والتدنس بصفات تذم وتعاب والاخذ بامور تخل بحسن هيئتنا وتفصم عقد نظامنا ولا تكلفنا باعمال تزعمها عبادات تكون كفرانا لنعم ربنا مخلة بالادب معه تعالى فهو رسول الله تعالى بلا شك لان هذا شان رسله تعالى وحالة شرائعهم عليهم السلام لاسيما اذا لم يكن في شريعته ما يرجع عليه بالنفع الخاص ويضر بالصالح العام فنؤمن به حينئذٍ ونصدقه وان كان الامر بخلاف ذلك فنرفض دعواه ونشدد له المعاداة فتاملوا في شريعته وما اشتملت عليه واستقصوا في البحث والانتقاد فوجدوا ان شريعته عليه السلام تامر بالاعتقادات الصحيحة الحقة الخالية عن كل خرافة وعما يكون ضد اليقين وبالتخلق بالاخلاق الجميلة والتادب بالآداب النبيلة والاتصاف بالاوصاف الكامله والاخذ بالتدابير الفاضلة التي تحفظ هيئة امته ونظامها وتعود عليهم بالمنافع وتدفع عنهم المضار وبالعبادات التي تحسن تادية شكر النعم للخالق تعالى وهي تنطوي على حكم ترجع عليهم بالنفع الكثير وتنهى عن العقائد الزائغة الخرافية المخالفة ليقين الانسان وعن التخلق بالاخلاق

الذميمة وخلع حلة الآداب والتدنس بالصفات التي تعاب وارتكاب
اعمال سيئة التدبير تخل بنظام الامة وعن العبادات الباطلة المخلة
بالادب مع الله تعالى والمنتجة كفران النعم لاشكرها وتفصيل ذلك
انهم وجدوا الشريعة المحمدية محتوية على الامر بتوحيد الله تعالى
ذاتا وصفات وافعالا واعتقاد انه تعالى متصف بصفات الكمال
ومنزه عن صفات النقصان فتوجب على المكلف ان يعتقد بانه
سبحانه وتعالى موجود حي عليم اكمل العلم مريد اتم الارادة قادر
اعظم القدرة مستغن عن كل ما سواه مفتقر اليه كل ما عداه لايشابه
احدا من خلقه ولا يشابهه احد منهم قديم ازلي دائم ابدي ليس
لقدمه بداية ولا لدوامه نهاية حكيم يفعل الاشياء طبق الحكمة
من غير وجوب عليه لايكلف العباد بما ليس في وسعهم لا خالق
سواه ولا مدبر غيره خلق الخلق من العدم وقدر احوالهم من القدم
منزه عن الظلم ولا يتصور منه لان الظلم التصرف بملك الغير بغير
رضاه وهو سبحانه المالك الحقيقي المطلق لجميع الكائنات خلق
دارين غير هذه الدار احداهما لنعيم من اطاعه والاخرى لعذاب
من عصاه فهو يعيد الخلق بعد الفناء كما خلقهم بعد العدم ليثيب
المطيع ويعاقب العاصي ان شاء والا لم يكن من الحكمة ان يتساوى
بعد الموت الغنى المترفه الجبار الظالم لغيره الكافر بربه مع الفقير

البائس الضعيف المظلوم المؤمن وان له سبحانه وتعالى ان يتصرف بخلقه كيف يشاء لكن حاشاه ان تجرى افعاله على خلاف منهج الحكمة بل هي عين الحكمة وكل ما جاء منه فهو بحسب صدوره عنه حسن ارسل رسلا الى البشر لهدايتهم الى العقائد الصحيحة الحقة في حقه تعالى لان عقولهم وان كانت تدل على وجوده تعالى واتصافه بالصفات الكمالية التي تستلزمها الالوهية ولكن كثيرا من صفاته العظيمة لايمكن للعقول البشرية التوصل الى اعتقادها الا بتوقيفه تعالى بواسطة اولئك الرسل وكذلك في ارسالهم هداية الخلق الى ما فيه صلاحهم واستكمال شؤونهم لان حكمته اقتضت ان يخلقهم مطبوعين على اخلاق حسنة تساعدهم على انتظام حالهم وعلى اخلاق تخالفها لاجل ان يتسابقوا بها في عمار هذا الكون الذي قدر وجودهم فيه الى اجل مغلوم لكن لما كان تحديد الرغبة في السبق توجب وقوف كل راغب عند حده ويأسه من مجاوزته وبذلك تنعطل حركة المسابقة لم تعدل الاخلاق في اصل الفطرة فصارت تلك الاخلاق السيئة في معرض الطغيان والوصول الى حد يصبح به ضرها اكبر من نفعها فاقتضى الحال تلطيفها وايقافها عند حدها النافع غير الضار فبعث الرسل لتلطيفها وكسر سورتها حتى تعود لدرجة يظهر فينا نفعها ويزول عناضرها

فكأنها تعود اخلاقا حسنة بعد ان كانت سيئة وذلك التلطيف يكون من الرسل بآلتين مؤثرتين في النفوس وهما الترغيب والترهيب معما يقوى تاثيرهما من اقامة الدلائل على حسن الحسن وقبح القبيح مثلا الطمع خلق سيء ولكن لولاه ما تجشم الخلق اعباء المكاسب والغرس والعمارة واذا طغى نشاء عنه منازعات الخلق وتولدت الشرور المبيدة فشريعة الرسول تلطفه وترده الى ارادة السعي والتعيش بعد ان يكون ارادة التكثر والاستئثار وبذلك تتم المسابقة في عمار الكون بلا ضرر ولا اضرار والى هذا الاشارة بقوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم هولاء الرسل طبعهم الله تعالى على الصفات الكاملة من الصدق والامانة والقيام بالحق في جميع احوالهم مع البر والاحسان والنصيحة لكل انسان ونزهم عما لايليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي والاتصاف بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم وما وقع منهم من صور المعصية وسماها الله معصية فهى امور طفيفة لاتنقص مراتبهم ولا تحط بشؤونهم وتسميتها معصية ومعاتبتهم عليها من جانب الله تعالى ليس الا بالنسبة لعلو مراتبهم وسمو مقاماتهم عليهم السلام وحكمة وقوعها منهم الاشارة الى انفراد الله تعالى وتوحده بالكمال المطلق فهم مبرؤن من كل ما لايليق وقوعه من

احد اتقياء البشر فضلا عن وقوعه منهم وهم كمل الخلق وصفوة
الناس وذلك كالزنا لاسيما في محارمهم والتسلط على اعراض
اتباعهم ومدانسة المومسات والكذب والخيانة والكفر وعبادة
الاوثان حاشاهم من جميع ذلك والشريعة المحمدية تامر بالثناء عليهم
وذكرهم بالتعظيم والتوقير ولزوم الادب معهم والعمل بما جاءوا به
الا ما كان من احكام كانت تناسب ازمنتهم فابدلت في الشريعة
المحمدية بما يناسب زمنه عليه السلام بامر الله تعالى الذي قدر من
الازل لكل زمن ما يناسبه من الاحكام وتامر ايضا هذه الشريعة
المحمدية بتعلم القدر اللازم للانسان من العلم النافع في تصحيح
الاعتقاد والعبادات والاخلاق والآداب وبعد امرها الامر الاولي
الموءكد بالايمان وهو التصديق الجازم بجميع ما جاء به محمد عليه
السلام قطعيا وبالاسلام وهو الخضوع والانقياد لجميع ما جاء به
عليه السلام كذلك تامر بالتقوى وهي اتقاء كل مضر للانسان
في دينه وبالاخلاص في العمل لله تعالى وبالبر والاحسان في العمل
وهو ان المرء يعبد ربه كانه يراه وبالنصيحة لخلق الله تعالى وبالصبر
وهو مقاومة الآلام والاهوال وبالرضى بما يرضى الله تعالى وبالحياء
وهو انحصار النفس خوف ارتكاب القبايح وبالحلم وهو الطمأنينة
عند سورة الغضب وبالعفو وهو ترك المجازاة للمذنب مع القدرة

عليها ما لم تكن حدا من حدود الله تعالى و بالغبطة في عمل الخير و بالسخاء والكرم و بالشجاعة و بالحمية وهي المحافظة على الحرم والدين من التهمة وبالنجدة وهي عدم الجزع عند المخاوف وبالايثار وبالمروة وهي الرغبة الصادقة في الافادة بقدر ما يمكن و بالدعة وهي السكون عند هيجان الشهوة و بالقناعة و بالوقار وهو التأني في التوجه نحو المطالب و بالسكون وهو التأني في الخصومات والحروب و بالرفق وهو حسن الانقياد لما يودي الى الجميل و بحسن السمت وهو محبة ما يكمل النفس و بالحكمة و بالشكر و بالخوف من الله تعالى و بالرجاء منه وبالتفويض اليه والتسليم و بالالفة وهي اتفاق الاراء في المعاونة على تدبير المعاش و بالوفاء وبصلة الارحام و بالشفقة على خلق الله تعالى و بالاصلاح بين عباده و بالامانة و بانجاز الوعد و بالوفاء بالعهد و بالحب في الله و بالبغض في الله و بحسن الظن و بالرشد و بالسعي و بالأناة و بالمبادرة في عمل الخير و بالصلابة في امر الدين و بالانس بالله و بالشوق اليه و بمحبته تعالى و بالعفة و بالورع وهو ملازمة الاعمال الجميلة و بالاستقامة و بالشهامة وهي الحرص على ما يوجب الذكر الجميل و بالرقة وهي التأذي من اذى يلحق الغير مطلقا و بالنزاهة وهي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم وانفاقه في المصارف الحميدة و بكظم الغيظ و بالخشوع

وبالعبودية لله وبالحرية وهي تحرير النفس من ربقة الشهوات ويمحاسبة النفس وبمعاتبتها وهكذا من كل خصلة حميدة وخطة مفيدة (فعلى المرء ان يعالج نفسه للتخلق بهذه السجايا ويجد في ابلاغها درجة الكمال) وتنهي الشريعة المحمدية عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى في العبادة وعن الفسق والعصيان لله تعالى في اوامره ونواهيه وعن اتباع الهوى وعن الرياء وهو العمل لاجل رؤية الناس وعن الكبر وعن الحقد وعن العجب وهو ان يرى الانسان نفسه بعمله بل عليه ان يرى الفضل لله تعالى الذي وفقه للعمل وعن الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن الغير وعن الشماتة بمصائب الخلق وعن العداوة لغير الله وعن التهور وهو ان يهجم المرء على ما لايكون كفوا له وعن سوء الظن بالله تعالى وعن الطيرة والتشاؤم الذي لامستند له من الشرع وعن البخل وعن الشح وعن التقتير وعن الاسراف والتبذير وعن حب المال للحرام وعن الكسل وعن البطالة وعن العجلة في الامر وعن الفظاظة وعن غلظة القلب وعن الوقاحة وعن قلة الحياء وعن الجزع وعن كفران النعم وجحودها وعن السخط وعن الغضب وعن بغض العلماء وعن الجراءة على الله تعالى وعن الأمن من عذابه وسخطه وعن التأسف على ما فات من امر الدنيا وعن الضعف في امر الدين

وعن الطيش والخفة وعن العناد وعن مكابرة الحق وانكاره بعد العلم به وعن التمرد والاباء وعن الشره وعن الطمع وعن الخمود وعن الاصرار على المعاصي وعن الغضب بالباطل وعن الحمية لغير دين الله تعالى وعن القنوط من رحمة الله تعالى وعن محبة الظلمة والفسقة وعن بغض الصالحين وعن قسوة القلب بحيث تمنع صاحبها عن اغاثة المضطر وعن آفات كثيرة للسان فمنها النميمة وهي كشف ما يكره كشفه وافشاء السر والسخرية والاستهزاء والاستصغار والاستخفاف بالناس واللعن والسب والشتم والتعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة والطعن بالانساب والمراء وهو الطعن في كلام الغير لا لاظهار الحق والخصومة عناداً اوالخوض في الباطل والشحاذه لغير مضطر والمنافقة باللسان وكلام ذي اللسانين بين المتعادين والشفاعه السيئة والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وغلظة الكلام والعنف فيه والسوال والبحث عن عيوب الناس والدعاء للظالم بالبقاء والكلام الدنيوي في المساجد والمنابذة بالالقاب واليمين بغير الله وكثرة الحلف ولو على الصدق لاجل تعظيم اسم الله ورد عذر اخيه وعدم قبوله وتفسير القرآن برأيه وقطع كلام الغير لغير مصلحة شرعية ورد التابع كلام المتبوع ومخالفته وعدم قبوله ما دام كلام المتبوع لايمنعه الشرع والتناجي

بين اثنين عند ثالث والتكلم مع الشابة الاجنبية ودلالة من يريد
المعصية على طريقها والمزاح الذي يمنعه الشرع و يوصل الى الشر
والكلام فيما لايعني وافساد العبدعن سيده وافساد المرأة عن
زوجها وكتمان الشهادة وشهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات
وسب الاموات وسب السلاطين وترك الدعاء بصلاحهم وكتم
العلم وتعمد الكذب على الله تعالى وعلى رسوله والكلمة التي تعظم
مفسدتها وينشر ضررها وملازمة الفحش حتي يخاف الناس من
شره والالحاح بالسوال المؤذي للمسئول ايذاء شديدا والمن
بالصدقة وكفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمه الخالق وترك
المريض اقراره بما عليه من الدين والاقرار بنسب كاذبا او
جحوده كذلك والاستطالة في الاعراض وانتساب المرء الى غير
ابيه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيبة وهي ان
تذكر اخاك بما يكره في نفسه او فيما يخصه وهي اكثر آفات
اللسان وقوعا ومن اعظمها ضررا وعن افعال واعمال قبيحة كثيرة
ايضا منها نقض العهد وخلف الوعد والخيانة والمكر والخديعة
والفتنة وهي ايقاع الناس باضطراب والاختلال والاختلاف بلا
فائدة دينية وقتل النفس وقتل الانسان نفسه والزنا واللواطه
واتيان احد ولو امراته في الدبر لان في هذه الامور الثلاثة تقليل

النسل ومخالفة الحكمة الالهية وفي الزنا ضياع الانساب المؤدي لترك التناصر وغش الغير في النسب وتمليك الاموال لغير مستحقها وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية الى غير ذلك من المفاسد التي يطول شرحها ومس المرأة الاجنبية والخلوة بها لان ذلك داعية الزنا وفعل مثل ذلك في الولد الامرد ووطئ الحائض لما فيه من الاذى وسفر المرأة في طريق تخاف فيه على بضعها وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال واظهار الجماع والتبتل اي ترك الزواج للقادر عليه ولا عذر له في تركه لان فيه تعطيل الحكمة الالهية في تكثير النسل وعضل الولي موليته عن النكاح وافشاء الرجل سر زوجته وعكسه وخروج المرأة مزينة والدياثة والقيادة بين الرجال والنساء وشرب المسكرات لان فيه ذهاب العقل الذي هو افضل نعمة على الانسان والسكران مستعد للوقوع في كل معصية وارتكاب كل شنيعة والنفع المزعوم به لايوازي اضراره والمقامره التي تعرض المال للمخاطرة وانفاق السلعة بالحلف الكاذب وبخس الكيل اوالوزن او الذرع ومطل الغني بالدين بعد مطالبته وانفاق المال في المحرمات وايذاء الجار ولو ذميا والسرقة والغصب والربا الذي يفقد معه عمل المعروف من الدائن بالاقراض وسد حاجة المحتاج بالاستقراض وتلقي الجلب والسوم على السوم وخيانة

احد الشريكين لشريكه واستعمال العاريه في غير ما اذن به صاحبها وتاخيره اجرة الاجير او منعه منها بعد فراغه ومنع الناس من الاشياء المباحة لهم عموما او خصوصا و تصرف في الطريق الخاص بغير اذن اصحابه او العام بما يؤذي والخيانة في الامانات والتصوير ووضع الصور الحيوانية في المكان تباعدا عن التشبه بعباد الحيوانات وصورها والاكثار من الطعام بحيث يضر وترجيح احدى الزوجات على الاخرى ظلماً وعدوانا وتهاجر المسلمين فوق ثلاثة ايام والتدابر والتشاحن واضاعة المرء اولاده وعياله والضرب لاحد بغير مسوغ شرعي وترويع احد بسلاح من غير مسوغ شرعي ايضا والسحر وتعلمه وتعليمه وطلب عمله والكهانة والتنجيم واتيان اصحابها والخروج على امام للمسلمين بلا تاويل او بتاويل يقطع ببطلانه ونكث بيعة الامام لفوت غرض دنوي وقبول الامارة مع علم المتولي بخيانة نفسه وتولية جائر او فاسق امرا من امور المسلمين وعزل الصالح وتولية من دونه وجور ولاة الامور واحتجاب ولي الامر عن قضاء حوائج رعيته المضطرين اليها بنفسه او نائبه وظلم الامراء والقضاة لمسلم او ذمي بنحو ضرب او شتم وقبول القاضي هدية من احد لم يكن له عادة باهدائها له قبل توليته القضاء وقبوله الضيافة الخاصة واخذ الرشوة من محق اومبطل

ودفع الرشوة من مبطل لا من محق اضطر الى دفعها والتوسط
بالرشوة المحرمة وخذلان المظلوم مع القدرة على نصرته وهتك مسلم
وتتبع عوراته حتى ينفضح واطلاع المرء على دار غيره بغير اذنه
ولو من ثقب والتسمع لحديث قوم يكرهون الاطلاع عليهم وترك
الجهاد عند تعينه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقتل
او ظلم او غدر من له امان او عهد او ذمة وترك الرمي بعد تعلمه
وتوليته القضاء من يعلم قصوره عنه بالجور او الجهل والخصومة
بباطل او بحق مع اظهار اللدد والكذب لايذاء الخصم والتسلط
عليه والخصومة لمحض العناد بقصد قهر الخصم وكسره وجور القاسم
بقسمه وجور المقوم بتقويمه والجلوس مع الفساق والتغوط تحت
شجرة مثمرة او على ضفة نهر وترك التوبة عن المعاصي وهكذا من
كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية او النفس او المال او العقل او
الشرف مما لو اردنا الاحاطة به مع ذكر ادلته من القرآن والاحاديث
المنقولة عن محمد عليه السلام لضاق لذلك المجلدات الكبيرة ثم
ان هولاء الطائفة تاملوا بالعبادات التي اوجبتها الشريعة المحمدية
على اتباعها فوجدوها اعمالاً منطوية على تعظيم الخالق سبحانه
واداء بعض شكره على نعمه التي لا تحصى معا اشتملت عليه من
الاسرار والحكم والفوائد التي يفوز بها المتعبد وينال اعلى منازل

السعادة وذلك من تهذيب نفسه وتخليتها عن الاخلاق الذميمة
وتحليتها بالسجايا الحميدة وتذكاره بخالقه ليأمن من الغفلة عنه
سبحانه بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فيحجم عن العصيان
ويهجر اماني الشيطان وتلازمه المراقبة بان عليه رقيبا مهيمنا قريبا
ومن الاجتماع مع اخوانه في اوقات العبادات الداعي ذلك الى
الالفة معهم والاطلاع على شؤنهم المحتاجة للتعاون والتوازر ومن
اغاثة ذوي الحاجات وتصور حالهم المحزنة ليقضي ذلك بالشفقة
عليهم والاحسان اليهم وتذكر شوءن الرسل المتقدمين وآلهم
الذين ادوا عبادة ربهم وامتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه ليكون
ذلك داعيا للاقتداء باعمالهم والنسج على منوالهم وتجديد الثناء
عليهم وعلى متبعيهم ومن السعي في تكثير سواد المسلمين وهداية
المخالفين واعلاء كلمة الله تعالى الى غير ذلك من الثمار اليانعة
والفوائد النافعة والتدابير الجامعة المنبثه في تلك العبادات ولا يعقلها
الا العالمون ومن نظر الى ظواهر تلك العبادات وغفل عن حكمها
واسرارها وفوائدها واثمارها كان كمن نظر الى صدفة مملوءة بالدرر
النفيسة فيحسبها قطعة حجر فلا يلقى لها بالا ولا يروق منظرها في
عينه حسنا وجمالا فيفوت ذلك الجاهل انفس نفيس ينفق في
تحصيله الذهب الابريز ويفادي به كل عزيز وربما بعض الجهلة

المطموس على بصيرته يستقبح تلك العبادات فهو كالمريض الذي
ينكر طعم الماء ويحكم بمرورة الحلواء فليته اذا استصعبتها نفسه
الساقطة الهمة يعتقد بها اعتقاد المريض بالدواء المر يحكم بنفعه
ويتكلف تجرعه فقاتل الله الجهل وقبح محياه من صاحب سوء
مشؤم الطالع على اهله يوقعهم بالخسران ويلعب بهم ككرة الصبيان
وتفصيل بعض ما ظهر لهذه الطائفة من اسرار العبادات في الشريعة
المحمدية انهم وجدوا ان تلك الشريعة قد امرت كل مكلف من
اتباعها باداء عبادة تسمى الصلاة وهي عبارة عن اقوال وافعال
مبتدأة بتكبير الله تعالى مختتمة بالتسليم ياتي بها المكلف كالمتمثل
بين يدي الله تعالى وقد شرعت ان يدعو المنادي المكلفين اليها
عند حضور اوقاتها بافصح الفاظ مشتملة على اشرف معانٍ فيبدأ
بتكبير الله تعالى اربع مرات كانه يقول ايها الناس كل ما انتم فيه
من رغائبكم الدنيوية والاخروية الحسية والمعنوية فالله تعالى اكبر
واحق برغبتكم في جنابه من كل مرغوب فيه ثم يشهد له سبحانه
بانفراده بالالوهية مرتين كانه يقول لا يقضي حوائجكم الدنيوية
والاخروية حقيقة الا الاله الحقيقي الذي من اخص اوصافه
التي ينفرد بها استغناؤه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه
اليه والله تعالى قد انفرد بمقام الالوهية الحقة فعليكم ان تقصدوا

جنابه في طلب حوايجكم الدنوية والاخروية وتلتجوءا الى حضرته
ثم يشهد لمحمد عليه السلام بالرسالة مرتين كأنه يقول ان هذا
الرسول الذي هو الواسطة بينكم وبين ذلك الاله العظيم في
هدايتكم لمصالحكم الدنيوية والاخروية وقد علمتم بالمشاهدة او
بالدليل ما عليه ذلك الرسول من النصيحة لكم والهداية الى سبيل
الخير فعليكم اذن ان تسعوا لاداء ما شرعه لكم وهداكم اليه من
هذه العبادة الجليلة المتكفلة لكم بالخيرات الحسان ثم يطلب منهم
الاقبال على تلك الصلاة مرتين وهو كالتصريح بما اشار اليه اولا
بالتكبر والتشهد من لزوم الالتجاء الى حضرة ذلك الاله العظيم او هو
كالنتيجة لما تقدم كانه يقول اذا كان ذلك الاله اكبر من كل
كبير ومنفردا بالالوهية وقضاء حوايج الخلق وذلك الرسول
الناصح قد هداكم الى عبادة ذلك الاله ووعدكم ببلوغ امانيكم بها
فعليكم ان تقبلوا عليها وتدخلوا حضرة ذلك الاله الجليل وتتوسلوا
اليه وتطلبوا قضاء حوايجكم الكلية والجزئية منه عند اداء تلك
الصلاة ثم يشير الى ثمراتها وما احتوت عليه على وجه الاجمال
فيقول حي على الفلاح مرتين كانه يقول ان فلاح المرء هو اعظم
رغائبه وان الفلاح الدنيوي والاخروي منوط بهذه العبادة لما تفيده
من تهذيب الاخلاق واستحضار عظمة الخلاق ونوال الثواب يوم

المآب فاقبلوا عليها واغتنموا فلاحها ثم بعد ذلك كله يستدرك ذلك المنادي ويريد صرف هم المكلفين لاكمل الرغائب بانهم اذا اقبلوا على هذه العبادة فلا يجعلوا مطمح انظارهم الاجناب الحق تعالى والقرب الى حضرته فليكن هو المقصد الاعلى والمرام الاسنى في هذه الدار وفي دار القرار ولذلك يعيد التكبير مرتين وافراده تعالى بالالوهية فيقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ثم ان السامعين لذلك المنادي يقولون مثل قوله كأنهم يصرحون بموافقته على ما يسمعون منه ويقولون صدقت فيما تقول لكن عند طلبه منهم الاقبال على الصلاة والاقبال على الفلاح لايقولون مثل قوله لان تلفظ المأمور بلفظ آمره الذي امره به يعد كالسخرية بل يقولون لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كأنهم يقولون ان تحصيل هذا الخير العظيم من الدخول في تلك العبادة ونوال فلاحها لا طمع لنا فيه الا بحول الله تعالى وقوته فنحن نستعين به تعالى وليس قولهم ذلك عن قصد التكره لما دعوا اليه كما يستشكله بعض الجهلة ثم عند اجتماعهم في المكان الذي يخصص لاداء تلك العبادة يعيد عليهم ذلك المنادي تلك الالفاظ المتقدمة التي دعاهم بها اولا لتاكيد تلك المعاني في نفوسهم وليسمع من لم يكن سمع اولاً بل حضر بسبب غير سماعه النداء وليكونوا على اتم الاستحضار لدخول

تلك الحضرة الجليلة حيث قد قرب وقت دخولها ولهذا يزيد على تلك الالفاظ قوله قد قامت الصلاة مرتين اي قرب وقت قيامها ثم ان هذه الشريعة شرطت لهذه العبادة شروطا وسنت لها آدابا فشرطت لها طهارة بدن المصلي وثوبه ومكانه من اعيان مستقذرة ترد من خارج البدن او من داخله وطهارة بدنه من احوال اعتبارية تسمى احداثا يعتبر قيامها في بدنه عند حدوث امور مخصوصة وكأن في ذلك الاشارة والتنبيه للمصلي على انه عند دخوله في الصلاة التي هي بمنزلة حضوره بين يدي مولاه ودخوله في حضرته لاداء شكره وطلب بره يلزمه ان يكون نظيف الجوارح من الاعمال الذميمة التي يكون منشؤها من ميله وشهوته او من وساوس ترد عليه من غيره وان يكون ظاهر القلب من الاخلاق السيئة غاسلا جميع تلك الادران بماء التوبة والندم كما ان من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا يجتهد ان لايقع نظر الملك على شيء منه تشمئز منه نفسه ثم في غسل الجسد بالماء تنشيط يصل اثره للروح اذ العلاقة بينه و بينها لاتنكر فكل تاثير باحدهما يظهر في الاخر فترى الروح عند تلك الطهارة قد انشرحت وزال كسلها كأنها نشطت من عقال لاسيما عقب مباشرة النساء وفيها من الفوائد الطبية ما لايخفى ثم ان الشريعة قسمت طهارة

بدن المكلف من الاحوال الاعتبارية التي تعتبر قيامها في بدنه
وتسميها احداثا الى قسمين طهارة كبرى وهي غسل جميع الجسد
وطهارة صغرى وهي غسل اعضاء منه مخصوصة ومسح اخرى
فاوجبت غسل جميع الجسد عند خروج مني ولو حكما كما في
حالة الجماع بلا احساس بانزال او عند خروح دم الرحم بالحيض
او النفاس لان هذه الاعيان المستقذرة واردة من جميع البدن
فتعتبر الشريعة بخروجها ان حالة اعتبارية تسمى حدثا اكبر قد
حلت في جميع البدن فكانها تشير بغسله وتطهيره الى التوبة والطهارة
من الذنوب التي تنسب الى البدن جميعه لا الى عضو مخصوص
لاسيما الاخلاق السيئة وايضا ان هذه الاعيان هي مادة تكوين الولد
فالمني مادة تلقيحه وتصوره ودم الرحم مادة غذائه ونموه والولد
الذي يحدث بسببها يحتمل ان يكون تقيا ويحتمل ان يكون
شقيا فباعتبار النظر للاحتمال الاول يكون التسبب في تكون
الولد من الاعمال الممدوحة شرعا الموعود عليها بالثواب الجزيل
للزوجين المتباشرين لاسيما ان كانت مباشرتهما على نية صالحة
يقصد بها تكثير نسل الموحدين المطيعين لله تعالى وباعتبار النظر
للاحتمال الثاني تظهر الاشارة الى المكلف عند خروج هذه الاعيان
منه ان هذه الاشياء المنفصلة منك المشترك فيها جميع جسدك هي

مادة لتكوين ولد يحتمل ان يعصى الله تعالى ويكفر به فتنبه
بغسل جسدك الى التوبة من تأهلك لهذا الذنب الذى انت في
معرض الوقوع فيه فكأن المكلف يقول بلسان حاله يا ربي اني
بمشاهدة هذه الاعيان التي خرجت مني واشترك فيها جميع جسدي
تمثل وتشخص عندي اني متأهل للتسبب ببروز ولد يكون لك
عاصيا فانا اغسل جسدي واجعله عنوان توبتي اليك من هذا
التأهل الذي انا متصف به وهذا من باب التباعد عن الوقوع في
المعصية والمبالغة والتشدد في التوبة منها ولو كانت بالقوة لا بالفعل
واما عند خروج بقية الاعيان المستقذرة من البدن التي لم يشترك
فيها جميع الجسد حقيقة كخروج دم من غير الرحم وخروج شيء
من احد السبيلين غير المني والدم المذكور او حكما كما عند تماس
الفرجين من غير ادخال فاعتبرت الشريعة ان حالة اعتبارية
تسمى حدثا اصغر حلت في اعضاء مخصوصة من الجسد وكأنها
تشير بالطهارة الصغرى المسماة وضوءًا وهي غسل بعضها ومسح
الاخر الى التوبة من ذنوب تلك الاعضاء المخصوصة وفي تخصيصها
وترتيب تطهيرها سر عجيب يروق ذوي الالباب وبيان ذلك
انه ليس في البدن ما يتحرك للمخالفة اسرع من هذه الاعضاء فكأن
في غسلها التنبيه للمتعبد على الاعتناء بطهارتها الباطنة وهي التوبة

من ذنوبها الكثيرة الوقوع واما ترتيبها في التطهير فعلى ترتيب سرعة الحركة في المخالفة فما كان منها اسرع في التحرك في المعصية من غيره امر المكلف بغسله قبل ما بعده فامر بغسل الوجه اولا وفيه الفم والانف والعينان فيبدأ بغسل فمه اولا لان اللسان اكثر الاعضاء واشدها حركة في المخالفة لان به التلفظ بالكفر والغيبة والنميمة والفحش وغير ذلك من آفات اللسان فبغسل الفم يتذكر ان طهارة الظاهر انما هي اشارة الباطن فيتوب الى الله تعالى و يقلع عما تكلم به لسانه ثم بالاستنشاق يتذكر كذلك ويتوب مما شم بانفه وكذلك يتوب مما نظرت عيناه مما حرم عليه نظره ثم يؤمر بغسل اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت اليدان او لمستا فاذا جاء الى طهارتهما ابتدأ بطهارتهما باطنا فيتوب مما تحركتا فيه ثم يؤمر بمسح راسه وكأنه انما أمر بمسحه ولم يومر بغسله لاجل انه لم يقع من نفس الراس مخالفة وانما هو مجاور لما وقعت منه وهو اللسان والعينان فاعطى حكما بين حكمين وامر بمسحه ولم يومر بغسله وكأنه لما كان السمع قد يطرؤ على الانسان في غالب الحال وهو لا يتعمده خفف امر الاذنين فامر بمسحهما ولم يؤمر بغسلهما وبهذين المسحين يتذكر فيتوب ويطهر الباطن مما سمعت الاذنان ومما وقع من الراس من مجاورة تلك الاعضاء المخطئة ومثل ذلك يقال في مسح

الرقبة ثم يؤمر بعد ذلك بغسل الرجلين لان العينين اذا نظرتا وتكلم
اللسان وتحركت اليد وسمعت الاذن حنيئذٍ تسعى الرجلان
فالرجلان اخر الجميع في المخالفة فجعلتا اخر الجميع في الغسل
و بغسلهما يتذكر ويقدم طهارتهما الباطنية فيتوب مما سعتا فيه من
المخالفة ثم كأن لتثليث الغسل للاعضاء المغسولة المباشرة للمخالفة
عمدا في الغالب سرًا دقيقا وحكمة فائقة وهي المقابلة لاركان التوبة
الثلاثة وهي الندم على ما وقع من الذنب والاقلاع عنه والعزم
على عدم العود اليه فكأن كل غسلة تنبيه على ركن من هذه
الاركان ثم بعد فراغ المتوضي من الوضوء وتحصيل ما امر به
من تطهير الباطن بالتوبة شرع له ان يقول اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين فكأن فيه اشارة له ان يسال الله
تعالى قبول ما قد اتي به من التوبة والتطهير والتفضل به عليه ثم
اذا تعسر الماء على مريد الصلاة فقد عوضته الشريعة بالتيمم وهو
مسح الوجه واليدين بطاهر من جنس الارض وهذه هي الاعضاء
التي ينزهها الانسان عن ملامسة ذلك غالبا زيادة عن غيرها
ففي ذلك المسح بعض الذلة والانكسار للنفس فكأن الاشارة فيه
الى العبد انه اذا تعسرت عليه اركان التوبة ولم يوفق لها فلا اقل
من التجائه الى الذلة والانكسار من روءية معاصيه فقد يكون ذلك

سببا لعفو مولاه تعالى كما قيل رب معصية اورثت ذلاً وانكسارًا
خير من طاعة اورثت عزًا واستكبارا على ان ذلك المسح بملاحظة
الاشارة المذكورة حقيق باغراء العبد بتحصيل تلك الاركان ثم لما
كانت الرجلان في اعضاء الوضوء هما محل الاسراف بالماء ومظنة
المشقة خفف الامر باباحة مسح خفيهما الملبوسين بالماء بشروط
مخصوصة ولا تفوت بمسحهما اشارة التذكار للتوبة من معاصيهما ثم
شرطت هذه الشريعة لهذه الصلاة ستر العورة وفيه من الادب
الظاهر ما لا يخفى وفيه اشارة الى ان العبد عند دخوله في الصلاة
وتمثله في حضرة مولاه اذا لم يتيسر له الطهارة من المخالفة بالمعاصي
والاخلاق السيئة بالتوبة التامة فلا اقل من ان يعالج اضعاف
تلك المخالفات واخماد سورتها حتى تبقى كالمستورة وان كان
لا يخفى على علم الله شيء وفي الستر ايضا منع دواعي الشهوة للجماع
بحجب النظر عن اعضائه وما يقرب منها ولما كان النظر الى
جميع بدن المراة داعيا لتلك الشهوة شرط لها ستر جميع جسدها
الا ما احوجت الضرورة الى كشفه من الوجه واليدين والقدمين
اذا كانت حرة والا فهذه الاعضاء واعضاء اخرى تقتضي الخدمة
كشفها غالبا وفي التزام سترها نوع من الحرج اذا كانت رقيقة
وشرطت لها ايضا استقبال المصلى جهة الكعبة لان العبد قد خلق

ذا جهات ألوفا لها عند اداء اعماله وهي الامام والخلف واليمين
والشمال والفوق والتحت فلو فوض اليه امر الاستقبال وخير في
اي جهة اراد عند اداء هذه الصلاة التي يطلب فيها حضور
القلب مع الله تعالى وجمع الضمير في خدمته تعالى لغلب على نفسه
الاضطراب والحيرة فلا يدري اي الجهات هي اقرب واوفق
لاقبال مولاه عليه واجابة دعاه فلطفا من الله تعالى وتنزلا لعقل
العبد وفطرته التي فطر عليها عين له في توجهه جهة الكعبة المكرمة
التي هي بقعة من الارض شرفها الحق وكرمها وله ان يفضل ما يشاء
من ملكه اذ هو الفاعل المختار والمالك المطلق وسماها بيته وهو سبحانه
غني عن المكان ومنزه عنه وبهذا التعيين يجتمع قلب العبد عند
مناجاة ربه وتطمئن نفسه بانه استقبل افضل الجهات واقربها
واوفقها لاقبال ربه عليه وحظوته باجابة دعاه فقد تبين ان الصلاة
وما تحتوي عليه من نحو ركوع وسجود يقصد بها جناب الحق تعالى
عند استقبال الكعبة وليس المقصود بها الكعبة فان الشريعة تحكم
على من يقصد بسجوده غير الله تعالى بالكفر والعياذ بالله تعالى
فتوهم قصد الكعبة بتلك العبادة يعد من اقبح الجهل الفاحش ثم ان
تلك الصلاه مفتتحة بالتكبير كما تقدم وهو قول العبد الله اكبر
ويرفع عنده يديه حذاء اذنيه والمرأة قبال كتفيها وفي ذلك مع تعظيم

الله تعالى والاتيان بما هو بمنزلة التحية والسلام على حضرة الملك
والاستئذان بالدخول عليه اشارة للعبد ان يستحضر ان مولاه الذي
هو عازم على التمثل بين يديه اكبر من كل شيء ولا يدانيه شي
في العظمة والكبريا فعلى العبد ان يطهر قلبه من كل ما سوى مولاه
من علائق الدنيا ورغائب الاخره واكد هذا المعنى باشارة رفع
اليدين كالذي يكف يديه عن تناول ما هو حاضر امامه كأنه
يتخيل ان كل ما سوى مولاه حاضر نصب عينيه ويكف يديه
عنه قائلا الله اكبر من كل شيء فلا اختار عليه سواه وها انا فارقت
رغائبي وعزمت على الدخول في حضرته وفي بلوغ الرجل في رفع
يديه حذاء اذنيه والمراة قبال منكبيها اشارة الى انحطاط رتبتها
عنه في الاقتدار على كف النفس عن رغائبها فكأن كلاً منهما
يترجم ويشير الى منزلته في ذلك الاقتدار على ان اكتفاء المرأة
بحذاء المنكبين اقرب لسترها اللائق بشانها ثم بعد ذلك التكبير
يتمثل العبد قائما قيام الخادم بين يدي مولاه واضعا يديه بهيئة
الادب مطرقا نظره الى الارض صافا قدميه لا يتحرك منه عضو
ولا يميل منه طرف ثم يشرع في الاستفتاح وهو تسبيح ربه وتنزيهه
والثناء عليه وتعظيم اسمه والتنويه بعظمة سلطانه وافراده بالالوهية
وهو بمنزلة استفتاح الخطاب للملوك بذكر الالقاب التي تذكر قبل

مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتبجيل ولله المثل الاعلى فالتكبير
افتتاح دخول الحضرة الالهية وهذا استفتاح خطاب الحق تعالى
ثم لما كان الشيطان مسلطا على العبد وحريصا على تفريق قلبه
بوساوسه وتشويش مناجاته مع ربه يريد العبد ان يتحصن من
ذلك العدو الالد فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بعد ان
يطمئن قلبه باعاذة مولاه اياه من ذلك العدو المبين ولم يبقَ الا
التشرف بمناجاة ربه سبحانه يشرع في قراءة الفاتحة وكأن الاشارة
في قراءتها ما يأتي وهو انه يبتدئ بالتوسل اليه سبحانه باشرف
الوسائل وهو اسمه العظيم الاعظم الذي لم يسم به سواه متيمنا بذكره
وحيث يرى انه في مقام هو فيه احوج ما يكون الى الرحمة
والاحسان بجلائل النعم ودقائقها اذ هو مقام الطلب لرغائبه ونوال
امانيه يأخذ بوصف ربه بانه الرحمن الرحيم كأنه يشير الى انه
لا وسيلة له في اجابة دعاه الا الرحمة العامة المطلقة من جانب
مولاه ثم يستحضر عظمة الحق سبحانه وسعة انعامه على خلقه لاسيما
نعمة التربية التي تلازم العبد من اول نشأته فياخذ بالثناء
عليه لذاته العلية المستحقة اسنى المحامد ولنعمه الوفية التي من
اكملها نعمة التربية بادرار الارزاق الحسية والمعنوية والامداد
بابقاء الوجود ثم يلاحظ ان كثيرا لايراعون قدر هذه النعمة ولا

يوفونها شكرها ولعل ذلك العبد من اولئك الكثير فيعود و يلتجئ
الى جانب الرحمة الالهية ويصف ربه بها اشارة الى ان هولاء
لايسعهم الا تلك الرحمة الواسعة ثم يلاحظ ان البعض منهم
لا يزيده الاحسان الا بطرًا ولا يصلحه الا المعاملة بالعدل والتاديب
فينعطف العبد الي وصف مولاه بصفة الجلال بانه مالك وملك
يوم الدين والجزاء فكما ينبغي للعبد ان يرجوه اعظم الرجاء ينبغي
ان يخافه اشد الخوف ثم ياخذ العبد في عرض عبادته وخدمته
على جناب ربه سبحانه التي هي بعض الشكر لنعمه تعالي ويلاحظ
امرين مهمين الاول انه مقصر في ايفاء تلك العبادة فيعرضها مع
عبادة اخوانه الموحدين الذين كثير منهم بلغ على قدر طاقته
البشرية ايفاء عبادته باخلاصه فيها لعل عبادة ذلك العبد تقبل
في ضمن عباداتهم لانه سبحانه نهى عن تفريق الصفقة بين المتبايعين
فالرجاء به سبحانه ان لايفعل ما نهي عنه فيرد عبادة ذلك المصلي
ويقبل عبادة سواه والثاني ان المشركين اشركوا في عبادة ذلك
الاله المستحق الافراد بالعبادة فياتي ذلك المصلي في عرض
عبادته بصيغة تفيد حصر العبادة به تعالى ثم ينظر الى حاله فيجد
انه عاجز اشد العجز عن القيام بتلك الخدمة واداء ذلك الشكر ان
لم يعنه الحق تعالى ويخلق افعاله ويسدد اعماله ويوجد في قلبه

الباعث ويدفع عنه المانع وانه لايقدر على ذلك سواه تعالى فيطلب
الاعانة منه تعالى بعبارة تشعر بانه لايستعين بسواه ثم يلاحظ ان
المقبول عند مولاه من الخدمة ما كان على منهج الاستقامة خاليا
من كل عوج فيطلب منه سبحانه الهداية الى الطريق المستقيم ليحظى
في عبادته بالقبول ويبلغ اسمى الوصول ثم ان الخلق مفترقون
ثلاث فرق منهم من هدى الصراط المستقيم اعتقادًا وعملاً ففازوا
في ذلك بنعمة الله تعالى عليهم ومنهم من زاغ في طريق العمل
فاستحقوا غضب الله تعالى ومنهم من زاغ في طريق الاعتقاد فاصبحوا
ضالين عن الصواب فبعد ان طلب المصلي الهداية الى الصراط
المستقيم يرغب ان يكون في ذلك الصراط رفيق الفرقة المنعم عليهم
بصحة الاعتقاد وحسن الاعمال ليقتبس من انوارهم ويقتطف من
اثمارهم وفيه الاشارة الى حاجة العبد الى المرشد في طريق الحق
ورغبته في التباعد عن اهل الفسق وذوي الضلال فكأن المصلي
يقول يا ربنا ندعوك انا واخواني الموحدون ان يكون ذلك الصراط
المستقيم الذي طلبنا الهداية اليه صراط القوم الذين انعمت عليهم
بصحة العقائد وحسن الاعمال لنكون في رفقتهم ونفوز ببركة صحبتهم
لاصراط المغضوب عليهم بما جنوه من الاعمال السيئة ولا الضالين
بما اعتقدوه من العقائد الباطلة فهولاء باعدنا عنهم لئلا تسري الينا

بلواهم ونصاب بما اعتراهم ثم يختم ذلك الدعاء بطلب الاجابة لما
دعا به مولاه اذ هو اكرم مسئول واقرب مجيب فيقول امين اي
استجب لنا يا ربنا كما وعدتنا على لسان رسولك ثم لما كان المريض
عند طلبه من الطبيب المعالجة يامره باخذ الدواء ويعده بالشفاء
وهو عليه ان يمتثل ويستعمل ذلك الدواء صار الحال كأن العبد
في طلبه الهداية من مولاه تعالى الى ذلك الصراط المستقيم يطلب
الدواء الكافي لشفائه من امراض الاعمال والاعتقادات السيئة
فيقول الله تعالى له خذ دواءك من كلامي واتل شيئا منه فهو الدواء
الوحيد الشافي الكافي لجميع الامراض من الفسق والشرك والرياء
والكبر والحسد والحقد وغير ذلك اذ فيه الدلائل الوافية والمواعظ
الكافية فبتلاوته تجد دواء دائك وشفاء بلوائك فياخذ المصلي
بتلاوة شيء من القرآن غير الفاتحة التي كانت كشكوى المريض
للطبيب واشارة الطبيب بالدواء المفيد ثم بعد اخذه ذلك الدواء
وهو تلاوة شيء من كلام الله تعالى ينظر الى عجزه وضعفه واحتياجه
الى مولاه في هدايته لذلك الدواء وحصول الشفاء ويتصور انه
لا قادر على ذلك سوى مولاه الذي انتهت اليه الرغائب فيخر
المصلي حينئذٍ راكعا ممثلا صورة عجزه مكبرا مولاه تعالى ثم يسبح
مولاه العظيم الذي استغنى عن كل ما سواه وافتقر اليه كل ما

عدا وهذا غاية العظمة ثم بعد تمثيله لعجزه واقراره بافتقاره وتنويهه
بعظمة مولاه الذي انتهت اليه الحوائج ينهض من صورة ذلك
التمثيل لاداء الحمد والشكر لمولاه الذي منّ عليه بالدواء الشافي من
الداء ويوطن نفسه بانه وان يكن هو في غاية الضعف ونهاية الحقارة
ومولاه في غاية العظمة والكبرياء فهو سبحانه سميع مجيب يسمع حمد
من يحمده فلذلك يقول تأنيسا لنفسه سمع الله لمن حمده ثم يعرض
حمده ويقول اللهم ربنا ولك الحمد ثم يرى ان نعم مولاه عليه
لاتحصر وهو عاجز عن اداء عشر معشار شكرها ولو قطع الابد
طاعة وخضوعا فكأن لسان حاله غدا عند ذلك يقول ياربي اني
عاجز عن اداء شكر نعمك وانت غني عن كل شيء فاي عمل
يكون مكافأة لعظيم افضالك وانت الكبير المتعالي فما عندي الا
جهد المقل وهو اني اضع اشرف اعضائي واعزها عليّ واكرمها
لدى وهو وجهي على الارض تعظيما لجلالك وتنويها برفيع كمالك
وهذا غاية اقتداري ونهاية استطاعتي على ان ذلك لا يزيد في
عظمتك وكبريائك شيئا اذ انت اكبر من كل كبير فيخر ساجدا
معظما مولاه قائلا الله اكبر ويضع جبهته على الارض وفي ذلك السجود
يرى نفسه قد بلغ غاية الخضوع وانه ما فعل ذلك الا لتعظيم مولاه
الاعلى فوق كل علي فينطلق لسانه قائلا سبحان ربي الاعلى ثم يرفع

من سجوده لاستحضاره عجزه عن استيفاء تعظيم معبوده ولو قضى
عمره ببذل مجهوده قائلا الله اكبر كانه يشير الى انه لايدرك شأو
عظمته وكبريائه تعظيم المعظمين وتكبير المكبرين ثم بعد رفعه
من السجود كأنه يجد ان تلك الحالة السجودية هي غاية شرفه واكمل
مجده وانه لم يقض اربه من ذلك المرام السامي ويتذكر ان ابليس
امتنع لشقائه عن السجود مرة واحدة فيعود فيسجد ثانيا داخلا تلك
الحضرة السجودية معظما مولاه بالقول والعمل والطوية مخالفا
الشيطان في حميته الشيطانية ثم يرفع من ذلك السجود الثاني لاداء
بقية ما امره مولاه به من انواع اخرى من العبادات ويجري في اكمال
الصلاة على المنوال المتقدم لحكم واسرار يطول شرحها حتى يتم ما
فرض عليه مولاه فيها من الاقوال والافعال المشتملة على الفوائد
التي في سواها لاتنال ثم يجلس جلوس العبد على ركبتيه متهيئا
للخروج من تلك الحضرة والرجوع الى حالته التي كان عليها قبل
دخوله في هذه الخدمة لتحصيل ضروراته التي فطر على السعي في
طلبها وللتفرغ لعبادات اخرى مدعو اليها فياخذ بتقديم التحيات
وعرض الصلوات والطيبات لدى مولاه رب الارض والسموات
مثلما يسلم المفارق لحضرة سلطانه عند خروجه من ديوانه ثم كأنه
يتذكر فضل من كان سبب هدايته لدخول تلك الحضرة وتشرفه

بتلك الخدمة وهو رسول الله (عليه السلام) فيسلم ويترحم ويبارك
عليه قائلاً السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يرغب
الى الله تعالى بالأمان له ولاخوانه المتعبدين على ما انعم به عليه
واولاه من انوار هذه العبادة وفوائد تلك الخدمة فيقول السلام
علينا ثم يتذكر اخوانه الذين كان في اول تلك العبادة عرض
عبادته مع عبادتهم رجاء القبول فصار عليه لهم حق خصوصي
معقول فيدعو لهم بالأمان على نعم مولاهم عليهم ويقول وعلى عباد
الله الصالحين ثم كأنه يتمثل لديه مشاهدة ان المنعم الحقيقي هو
الله تعالى وان الواسطة العظمى لبلوغ هذا الخير هو محمد رسول
الله (عليه السلام) فيشهد من صميم قلبه بتفرد الله بالالوهية ويشير
برفع احدى اصابعه المسماة بالمسبحة الى ذلك التفرد حتى يكون
موحداً اعتقاداً وقولاً وعملاً وفي ذلك الاشارة الى ان المتفرد
بالالوهية هو المنفرد بالانعام ثم يشهد باكمل المراتب وهي
العبودية لله تعالى وباشرف المناصب وهي الرسالة لمحمد رسول الله
عليه السلام ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله ثم ينعطف للدعاء لهذا الرسول الكريم الذي كان الواسطة
بذلك الخير العظيم فيطلب له الصلاة والمباركة عليه وعلى آله
جزاء هدايته للمؤمنين كما صلى وبارك ربه على ابراهيم وعلى آله

جزاء هدايته للامم السابقين ثم يلحظ ذلك المصلي افتقاره لمولاه
في كل ضروراته الدنوية والاخروية فيعيد الدعاء والتضرع
فيطلب لنفسه جميع ما يحتاج اليه ثم لما لم يبق الا الخروج من تلك
الحضرة لاداء ما كلف به من بقية الطاعات والسعي في احتياجاته
المعاشية التي كلفه الله تعالى بها حسبما رتب في هذا الكون من
ربط المسببات بالاسباب يفارق تلك الحضرة بتحويل وجهه مع
بقاء قلبه على توجهه كأن لسان حاله يقول لولا الضرورة لما تجرعت ألم
هذا الفراق وبارحت تلك الخدمة الشريفة والضيافة المنيفة التي
قد حوت الوان العبادات من ذكر ودعاء وتعظيم الحق تعالى
وسجود وركوع وتذلل وخشوع واشتملت على طرائف اسرار
وبواهر انوار فيطل بالتفاته على عالمه الذي كان فارقه ويتوجه الى
اخوانه من مؤمني الانس والملائكة ويقول السلام عليكم ورحمة
الله ثم ياخذ بعد ذلك في اداء تكاليفه وتحصيل احتياجاته ثم
لما كان الانسان عند قيامه من منامه يصبح كالمبعوث بعد الموت
لان النوم موت الادراك والاحساس فيجد ان الله تعالى قد احياه
من بعد تلك الحالة النومية الشبيهة بالموت وقد عوض عليه بهذا
المنام ما كان خسره من جسده وقوته بسبب حركات اعضائه في
اعماله وجولان افكاره في همومه فاصبح مرتاحا نشطا بعد ان كان

تعبا كسلانا وقد حماه مولاه في تلك الحالة النومية من اذى
الموذيات وشرور العاديات واتم هضم طعامه الذي رزقه اياه وجعله
غذاءه بدورة عجيبة وحركة غريبة وتدبير يحار فيه الفكر وهو
لايدري ما هو جارٍ هنالك ولا بما جلب له من المنافع ودفع عنه
من المضار غاية ما سعى هو فيه انه دفع ذلك الجسم الطعامي في
معدته وفاز بلذته وربما لايخطر بعد ذلك في فكرته الى غير ذلك
من النعم التي يعجز عن حصرها اللسان والقلم فكان عليه بطريق
الحتم لاداء الشكران يبادر عند يقظته الى خدمة الصلاة المذكورة
فيصلي صلاة تدعى صلاة الفجر ثم بعد ما يمضى عليه نصف النهار
وقد وجد نعم الله عليه عظيمة المقدار من انارة الكون لهدايته
لسبل معاشه وامداده بحواسه التي يميز بها النافع من الضار وبالقدرة
والاستطاعة على مقاصده وقد فتح له باب الكسب ورزقه حاجته
من الغذاء الى غير ذلك من النعم المستحيلة الاحصاء فكان عليه
ان يعود الى اداء بعض الشكر فيصلي صلاة تسمى صلاة الظهر
ثم عندما يجد النهار قد قارب الزوال وقد تواردت عليه في ضمنه
نعم عظيمة المثال وقد عزم على عوده لمسكنه بطينا بعد ما فارقه
خميصا تحتم عليه العود الى تلك الخدمة بل النعمة فيصلي صلاة تسمى
صلاة العصر ثم عند ماولى النهار واقبل الليل الصالح لسكونه وراحته

ولم يكن النهار سرمدا لا يجد فيه الى السكون والراحه سبيلا بل
انقضى مملوأً بالنعم ولطائف الكرم كان عليه الرجوع الى تلك
العبادة بل السعادة فيصلي صلاة تسمى صلاة المغرب ثم حينما
حوم الظلام ولم يبق الا المنام ووجد ان النعم التي تواردت عليه
من الصباح الى ذلك الأن يعجز عن شكرها وجميع ما اداه من
العبادة ما قام بمقابلة عشر عشرها ورأى ان ايجاد هذا الوقت الصالح
لراحته مع أمنه من المخاوف وايوائه في مسكنه على الفراش الوارف
من جملة النعم التي لا تحصي بادر الى اداء صلاة تسمى صلاة العشاء
قياما ببعض الشكر الذي يعجز عن ايفائه مدة العمر لانه لو دام
آناء الليل ولحظات النهار في خدمة مولاه لم يكن الا مقصرا
ولا يدعي الا عاجزاً ثم ان تلك الصلوات الواجبة لاداء الشكر
جعلت في الحضر عشرين ركعة عشرة نهارية وعشرة ليلية وردت
في السفر للتخفيف الى اربع عشرة ستة في النهار لانه محل حركة
السفر وثمانية في الليل لانه محل قرار المسافر وسكونه وقد ضمت
للصلوات الخمس صلوات اخرى غير واجبة تدعى سننا لتكميل
ما عسي ان يطرأ من النقص في الصلوات الواجبة ثم للعناية برمضان
شرع فيه عشرون ركعة اخرى تسمى التراويح لزيادة التكميل
لصلواته هذا واذا تاملنا في هذه الصلوات الخمس وجدنا فيها فوائد

وحكما لاتحصى من تهذيب النفوس لا سيما نفوس الجبابرة والمتكبرين الذين يأنفون من مس الارض لاذيالهم فضلا عن جباههم ومن تمرينها على الخضوع ومن تذكير الغافلين والمنهمكين في هموم الدنيا بخالقهم والرقيب عليهم اذلولا انقيادهم الى تلك الخدمة والقيام بين ايدي رب النعمة لمرت عليهم الايام بل الاعوام والرجل منهم لايخطر في بالهان له الهاً عليه حسيبا رقيبا وناهيك ما في هذه الغفلة من التأهل لارتكاب كل مخالفة وتجشم كل شر (هذا وما فكيف لو) ومن تجديد التوبة في كل وقت صلاة ومن هنا يظهر سر كون الصلاة وصلة بين العبد وربه وكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما جاء في القرآن الشريف ثم في صلاة الجماعة واتباع المصلين لامامهم في جميع اعمال الصلاة تمرين النفوس على الاطاعة والانقياد الى الرئيس كما نرى روساء الجنود يمرنونهم على اعمال يعلمون انهم لا يمكنهم مراعاتها وقت الحرب وانما القصد منها ألفة نفوس الجند للاطاعة والانقياد لامر الرئيس (وقد ادرك هذا السر رستم قائد جيش الفرس عند ما رأى الصحابة يصلون خلف امامهم ويتحركون لحركته ويسكنون لسكونه فقال في حق سيدنا عمر ما قال مما هو منقول في كتب التاريخ) وفي صلاة الجماعة ايضا اجتماع المسلمين مع بعضهم في اوقات تلك الصلوات كما في غيرها من العبادات

وذلك انه على اهل كل محلة ان يجتمعوا في اليوم والليلة في مسجد
محلتهم خمس مرات في جماعة هذه الصلوات وعلى اهل البلدة
ان يجتمعوا في الاسبوع مرة في صلاة الجمعة واهل البلدة وما
جاورها يجتمعون غالبا في العام مرتين في صلاة العيدين كما ان
على اهل الاقطار ان يجتمعوا في العمر مرة من استطاع منهم في
اداء الحج كما سياتي عند الكلام على فريضة الحج وقد شرعت
الشريعة المحمدية لاتباعها في بعض هذه الاجتماعات ان يخطبهم
امامهم بالخطب المشتملة على المواعظ والزواجر والتذكير بما جاء
به رسولهم واوجبت عليهم الاستماع لتلك الخطب والانصات
فتراهم جاثين على الركب مطرقين الرؤوس منصتين مستمعين لا
تبدو منهم حركة كأن على رؤسهم الطير لا يظهر منهم تصفيق
استحسان ولا تصفير استقباح علماً منهم ان جميع ما يتلوه عليهم
خطيبهم هو وفق شريعة رسولهم نعم لو فرض خروجه عن حدودها
(وهذا لا يكون) كان عليهم ان يردوه اليها يباح ذلك لكبيرهم
وصغيرهم ثم لكثرة فوائد هذه الصلاة في الشريعة المحمدية شددت
النكير على كل من يتركها ووصفته باشد الاثم وحكمت عليه بالنكال
الشديد في الدنيا والاخرة حتى جعلت تركها عنوان الكفر كما جعلت
المواظبة عليها عنوان الايمان ومن هنا يظهر جهل من يتساهل في

امر هذه الصلاة ممن احاط به الكسل او استولى الشيطان على قلبه وانطمست عين بصيرته فراح ينظر القشر وفاته نظر اللباب حتى ان بعض الجهلة من تاركيها يعتذرون عن تركها بخرافات واهية ويقولون ان ربنا غني عن المداهنة ولا حاجة له بهذه الصلاة فقل لهولاء الاغرار نعم ان ربنا غني عن كل شيءٍ ولكن انتم يا ضعفاء العقول لستم باغنيـاء عن الفوائد التي تشتمل عليها الصلاة وقد اوجبها الله عليكم لأتحافكم بها لا لنواله شيئاً منكم أأنتم اغنياء عن التهذيب والتذكير بربكم وتجديد التوبة والتمرين على الاطـاعة وثمرات الاجتماع مع اخوانكم الداعي ذلك الى الالفة والتعاون الى غير ذلك من فوائد الصلاة لا اخالكم تدعون الاستغناء عن ذلك وان افضى بكم الجهل والعناد الى ادعاء هذه الدعوى فلا اراكم حينئذٍ الا حمقاء تستحقون الاسقاط والاهمال من عداد الرجال فانتم بعد ذلك كالمرضى الذين يامرهم الطبيب الناصح بتناول الدواء النافع وهم يمتنعون عن تنـاوله ويقولون للطبيب انت غني عن تناولنا هذا الدواء نعم ان الطبيب غني عن ذلك ولكن هل هولاء المرضى غنيون عنه لا يكون صدور ذلك القول منهم الا من هذيـان المرض الذي تعتع عقولهم ثم قل لهولاء الظالمين لانفسهم بحرمانها فوائد الصلاة لاي داع تتركون الصلاة ان كنتم تتركونها

جحودًا اواستقباحاً لها بعقولكم الفاسدة فاعلموا ان الشريعة المحمدية
قد حكمت عليكم بالكفر وخلع ربقة الايمان فلا كلام لنا معكم
حينئذٍ في شان الصلاة اذ ليس بعد الكفر ذنب ولكن علينا ان
ننصحكم بتجديد ايمانكم وتوبتكم من الكفر وان كنتم تتركونها كسلا
فما ابرد ذلك الكسل وما اسمجه في النفوس تاملوا يا جهلاء ان
اليوم اربع وعشرون ساعة تمرحون فيها بشهواتكم وملذاتكم والسعي
على مآربكم الدنوية والاوقات التي تلزم لاداء هذه الصلوات اذا
جمعت تبلغ الساعة او الساعتين أيكون من الانصاف وسداد
الراي وحسن التدبيران تنشطوا لنوالكم تلك الشهوات الزائلة
والمآرب الفانية اثنين وعشرين ساعة وتكسلوا عن نوال تلك
الفوائد النافعة الدائمة قدر ساعة او ساعتين اقل من عشر اليوم
أهذا نصحكم لانفسكم أهذا نتيجة عقولكم التي تدعون انها عقول
سليمة تهتدون بها في مناهج الصواب من يتامل فيكم الخير بعد ما
غششتم انفسكم من ينتظر عدلكم اذا كنتم لنا حكاما من يطمئن
لامانتكم اذا كنتم بيننا تجارا من يحسبكم من عداد اخوانه المسلمين
وقد هدمتم ركناً من اعظم اركان الدين الاسلامي ما عذركم
عند ربكم في ترك هذه الصلاة وقد امركم باقامتها المرار العديدة
في كتابه العزيز اما تخجلون من رسولكم الذي كانت قرة عينه

عليه السلام في الصلاه والله اني لاعجب ممن يتركونها وهم يدعون الدين الاسلامي ويظهر من محاوراتهم ان لهم عقولاً وآراء سديدة في امر الدنيا ولكن عندما تذكر لهم الصلاة اراهم عمي البصائر عن ثمراتها تنقلب عقولهم كعقول الاطفال فلا تاويل لذلك عندي الا ان معهم الخبل المفرد في شان هذه العبادة وهو نوع من الجنون والجنون فنون وتالله اني لأخجل عند ما ارى بعض هولاء ممن ينسب للعقل والفطنة والمروءة جالسا في مجلسه معرضا عن الصلاة مع اخوانه الذين قاموا لاداء الصلاة في ذلك المجلس اعراض الثور عن كيمان الذهب الابريز فيا للعار ويا للخجل من افعال السفل اما يعلم ذلك البهيم ان كل من شاهده في هذه الحالة من اخوانه المومنين يعتقد به الفسق ان لم ينسبه للكفر وتنحط منزلته من قلبه ويتصوره ضعيف الدين واهي اليقين مرذول المقام بين اخوانه المسلمين مسلوب العدالة مردود الشهادة اما يحس ذلك الجاهل بالم الخجل في نفسه من تلك الحالة السافلة نعم انه يحس ولكن الشقاء غلب عليه والشيطان لعب به وليعلم ذلك الغر ان اخوانه المسلمين وان لم يصرحوا له بقبيح حاله لمانع من الموانع فترجمة حاله في نفوسهم هي من اقبح التراجم فاقل كلمة يذكرونها عند سنوح فرصة للتصريح

قولهم (تارك صلاة قليل الدين) فانا لله وانا اليه راجعون ثم وجد هولاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على من كان غنيا من اتباعها الزكاة وهي اداء جزء من اموالهم في كل سنة الى فقرائهم قياما بحق الشفقة والرحمة وشعائر الانسانية وتطهيرا لنفوسهم من رذيلة البخل ومع ذلك وعدتهم بالثواب الجزيل على اداء ذلك القدر القليل وقد عين مقدار ما يجب عليهم على وجه لا يظهر به نقص في اموالهم واذا اكملوا اداءه لا تجد بينهم فقيرا يعوزه امر كفايته ثم ان هذه العبادة مع حصول هاتين الفائدتين وهما سد حاجة الفقير وتطهير نفس الغني والفة نفسه للعطاء الذي هو من اكرم الاخلاق يسبر بها مقدار حب المزكي لله تعالى في اخراج محبوبه وهو المال من يده ابتغاء لمرضاته عز وجل ومن هنا ينتبه المومن الى ان التحيل في اسقاط الزكاة عنه غير مقبول عند الله تعالى لان في التحيل فقد المنفعتين المذكورتين فاي سد حاجة للفقير في التحيل ولم يصل ليده ما يغني فقره واي تطهير لنفس الغني من داء البخل ومحبوبه لم يخرج من يده

ووجد هولاء الطائفة ايضا ان الشريعة المحمدية اوجبت على المكلفين من اتباعها صيام شهر واحد من السنة اي امتناعهم نهارا فيه عن الاكل والشرب ومباشرة النساء وفي ذلك ثمرات جمة من

اجلها تهذيب نفس الصائم بكبحها عن شهواتها اطاعة لخالقه تعالى فيتسلط عقله على نفسه بعد ان كانت مسلطة عليه و يظهر لها انها صارت محكومة بعد ان كانت حاكمة فتيأس من اطاعته لها فيما حرمته الشريعة من المضار وكأنها تقول اذا عجزت عن التسلط على عقل صاحبي عند صيامه في تناوله الطعام والشراب النافعين المملوكين له وفي مباشرة زوجه الآمن ضرر يحصل بمباشرتها فكيف يمكنني التسلط عليه في تناوله طعام الغير او شرابه بغير رضاه وذلك يقبح كل القبح اوفي تناوله الشراب المسكر المذهب للعقل والمخل بالشرف او في مباشرة غير زوجته التي يحصل بمباشرتها اضرار كثيرة من معارضة الناس وخلط الانساب وضياع الذرية وادخال الحقوق على غير اهلها ثم قالوا لو تاملنا في حالة اتباع محمد (عليه السلام) عندما يجلسون في شهر صيامهم قبيل الغروب وأمامهم طعامهم وشرابهم ونفوسهم تائقة اليهما وهم ينظرون اليهما من طرف مشوق ومع ذلك لو رغب الواحد منهم سيما الاتقياء باعظم الرغائب على ان يتناول من الطعام ذرة او من الشراب قطرة لم يفعل الا ان تغرب الشمس لقلنا انهم من اقدر الناس على كبح نفوسهم في طاعه مولاهم ومن هنا يتبين ان من لم يات بهذه العبادة الصومية ممن غلب عليه شقاه واسرته شهوته لايحق له ان يعد نفسه

من الرجال اصحاب العزم والحزم بل يعلم انه ضعيف القوة العقلية ساقط الهمة عبد بطنه ورقيق فرجه وان عقل المرأة الصائمة اقوى من عقله وهمتها اعلى من همته وعندها من شهامة النفس ماليس عنده منه ذرة ومن اجل فوائد الصوم ايضا تصور الصائم حالة الفقير المحزنة عندما يحس بألم الجوع فيرق قلبه اليه ويعطف بالتصدق عليه فان الغني المترفه لولا معاناته الصوم لربما كان يمر عمره ولا يتصور ألم الجوع فاذا وقف الفقير الجائع بين يديه وطلب منه الاحسان وشكى له الم جوعه لايدري ما حقيقة هذا الالم فاي شفقة تكون عنده عليه فبالصيام يعلم ما في الجوع من الآلام فيبادر بالصدقة على الفقراء والايتام

ثم وجد هولاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على المستطيع من اتباعها عبادة الحج وهي زيارة الكعبة المشرفة واماكن تجاورها بافعال واقوال مخصوصة وفي ذلك من الاسرار والحكم ما يعجز عن حصره حكماء العرب والعجم فمنها اجتماع المسلمين الوفا مولفة في تلك الاماكن في كل سنة وذلك يدعو الي التعارف والتألف فتراهم هناك انواعا منوعة من عرب وترك وفرس وهنود وداغستان وقزاق وافغنستان ومغاربة وبربر وسودان وجاوى وغير ذلك من امم البشر كلهم على دين واحد ومقصد واحد وهو

طلب الغفران من الرحيم الرحمن ومن حكم الافعال التي يكلفون
في اجرائها في تلك الاماكن تذكار ما جرى لرسل الله المكرمين
وعباده الصالحين في تلك البقاع المشرفة كتذكار ما جرى لسيدنا
آدم ابي البشر وزوجته حواء عليهما السلام هناك بعد هبوطها من
الجنة وما الهمهما الله تعالى من الالتجاء اليه حتى تاب عليهما
وكتذكار ماجرى ايضا هناك لسيدنا ابراهيم الخليل وولده اسماعيل
عليهما السلام والسيدة هاجر عليها الرضوان مما يدل على ما لهم
من الاطاعة لمولاهم والصبر على ما به ابتلاهم فلم يحيدوا عن كل
ما يستوجب رضاه وناهيك ما ابتلى به سيدنا ابراهيم الخليل عليه
السلام من امره بذبح ولده وثمرة كبده فاطاع ذلك الوالد الشفوق
ورضخ للحكم ذلك الولد البار مسلما باذهاق روحه وسكنى ضريحه
وطرد الشيطان عنه لما حاول ان يوسوس له في وادي منى فباء
ذلك اللعين بالخسران فانعم الله على الوالد والولد بالفداء وابدل
حزنهما بالهناء الى غير ذلك من الاعمال المرضية من اولئك الكاملين
وما انعم عليهم رب العالمين فبتذكار اعمال اولئك الاخيار
وبمحاكاتها في تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية افعالهم
وعباداتهم وسجاياهم واطاعتهم لمولاهم فتشتاق للاقتداء بهم والتخلق
باخلاقهم في كل مرضي لخلاقهم وترغب في الثناء عليهم والدعاء

لهم على ما سنوا وشرعوا من الاعمال المرضية وما هدوا اليه من سبيل التوبة وطرق الانابة ومكارم الاخلاق من الصبر والرضى والتسليم والاداب مع رب الارباب ثم ان اعمال الحج فضلا عن التذكار موضوعة على وضع عجيب وترتيب غريب فيه التنزل من حضرة الحق تعالى لافكار البشر وعقولهم والمراعاة لما الفوه من العوائد مع ملوكهم وامرائهم عند ما يرفعون اليهم شكواهم ويلتجؤن الى حماهم ممن سطا عليهم وأذاهم وحينما يطلبون احساناتهم وادرار انعاماتهم وبذلك التنزل تطمئن نفوس الحجاج عندما يجرون تلك الاعمال التي وعدهم الله تعالى عليها الغفران بان الله تعالى يغيثهم من جيوش ذنوبهم وعاديات سيأتهم ويقبل شكواهم ويتفضل عليهم بنوال مناهم وبيان ذلك ان البشر اعتادوا على انه اذا دهمهم عدوهم وعجزوا عن مقاومته او جارت عليهم حوادث الزمان من قحط وجدب واعوزهم طلب معاشهم التجؤا الى منازل ملوكهم فوردوا عليها شعثا غبرا حفاة عراة على قدر ما اثرت بهم الحوادث مستغيثين ضارعين محترمين في طريقهم كل ما ينسب الى ملوكهم ومنازلهم من خدم وحشم وغير ذلك حتى الحيوانات والنباتات فعند وصولهم الى تلك المنازل ياخذون في الطواف حولها والتردد على ابوابها حتى يؤذن لهم بالدخول على الملك والتمثل بين يديه وبث الشكوى

اليه متوسلين اليه باكرم الوسائط منوهين بالثناء عليه وذكر ما له
عليهم وعلى اسلافهم من عظيم الاحسان والرحمة والشفقة يعم بذلك
قاصيهم ودانيهم واذا سمح لهم بتقبيل يده قبلوها بكل رغبة وادب
ووجدوا ان ذلك من علامة قبولهم ونوال مامولهم و بعد ذلك يعدهم
الملك باجابة دعاهم ودفع بلواهم ولاجل تمكين ولائهم لسلطانه
وتثبيت عبوديتهم لعظمته وتطمين نفوسهم بانه من عادته اغاثة
رعاياه والاحسان اليهم فيذكرهم بما اجراه مع ابائهم واسلافهم عند
ما وردوا قديما الى ابوابه واستغاثوا بجنابه واجروا هناك في حضرته
خدما وادرّ عليهم نعما فيامرهم بمباشرة تلك الخدم التي سلفت من
ابائهم في حضرته و باجرائهم تلك الخدم تنطبع نفوسهم على العبودية
له والولاء لجنابه كما هي العادة من الفة النفوس للجري على سنن
الاباء والتخلق باخلاقهم ثم بعد ادائهم تلك الخدم ينزلهم في منزلة
الضيافة و يدر عليهم انعاماته الوافرة و يزيل شعثهم و يخلع عليهم
الخلع ثم يقومون ببابه و يتوسلون اليه بنجاز وعده الكريم بالاغاثة
مما دهمهم فتصدر اوامره بذلك و يغيثهم من اعدائهم و يدفع
عنهم اسباب اذاهم و يبلغهم مطلوبهم و يمنحهم مرغوبهم و ياذن
لهم بالرجوع الى اوطانهم ومساكن خلانهم فيعودون للتشرف بمنزله
العظيم للقيام بما عليهم من الثناء والتعظيم و يقبلون يده الكريمة

و يفارقون حضرته ودموعهم من الم الفراق ديمة فالله سبحانه في تنزله لعقول البشر ومجاراتهم على ما اعتادوا عليه مع ملوكهم عند الالتجاء اليهم من مصائبهم خصص بقعة من الارض وفضلها وسماها بيته وهي الكعبه المكرمة و هو سبحانه منزه عن المكان وغني عن البيت وسمي حجرا اسود في احد اركانها بيمينه وكلتا يديه يمين و يداه ليست كايدي الخلق بل هما على ما يعلمه ووصف به نفسه وشرع سبحانه في الشريعة المحمديه لاتباعها حيث لابد ان تدهمهم جيوش الذنوب وتجور عليهم عاديات الخطايا و يفتقروا الى احسانات الحق تعالى ان يرد المستطيعون منهم الى ذلك البيت شعثا غبرا تاركين لبس المخيط هاجرين الطيب وتنعمات تطيب كاشفين رؤسهم مستغيثين بربهم من ذنوبهم وخطاياهم ضارعين اليه بنوال مناهم محترمين حمى ذلك البيت لايقطعون حشيشه ولا اشجاره ولا يقتلون وحشه ولا اطياره حتي اذا بلغوا ذلك البيت المعظم والمنزل المكرم طافوا حوله طواف المستغيث وتشبثوا باستاره تشبث المستجير ثم قبلوا ذلك الحجر المبارك المسمى يمين الله تعالى مع اعتقادهم انه حجر لاينفع ولا يضر وانما الضار النافع هو الله (كما قال عمر بن الخطاب عند ما قبله ما معناه اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم بقلبك ما قبلتك تنبيها منه رضى الله عنه للافكار على
حقيقة الاعتقاد في شريعة المختار) ثم بعد ذلك ينصرفون الى
اعمال هناك عديدة هي تذكار لاعمال اسلافهم المتقدمين من
سيدنا آدم وزوجه حواء والسيد الخليل وولده اسماعيل وامه
هاجر عليهم السلام من نحو السعي بين الصفا والمروة والوقوف في
عرفة ثم في مزدلفة ثم النزول لمنى ورمي الجمار الممثل اخزاء
الشيطان عندما تعرض لولد خليل الرحمن الى غير ذلك من
الاعمال التي من جهل اسرارها من ذلك التذكار والاقتداء في
الخدمة باولئك الابرار اضطربت افكاره لطلب حكمتها والسؤال
عن فائدتها ومن فهم ذلك باشرها مطمئن القلب منشرح الصدر
راغبا في حصول ثمراتها متشوقا الي الفوز بفوائدها في ميقاتها
فايجاب الحق تعالى على الحجاج تلك الاعمال بعد وصولهم للكعبة
المكرمة والطواف بها الطواف الاول هو بمنزلة صرف الملك رعاياه
المستغيثين به الى اداء الخدم التي باشرها اسلافهم في حضرته
لاجل تثبيت عبوديتهم وولائهم وطبع نفوسهم على التخلق باخلاق
ابائهم فالحجاج في تلك الاعمال التي يجرونها في تلك الاماكن
المكية تتمكن من نفوسهم العبودية لرب البرية جريا على سنن ابائهم
الاخيار وساداتهم الاطهار ولقد سميت تلك الاعمال تعبدية لا لانها

خالية عن الحكم والاسرار بل لانها بظواهرها يكون الاتي بها كالممتثل
امر مولاه بغير منفعة تغشاه تعبد او اطاعة على انه لو فرض خلوها
عن الحكم فالامتثال بادائها يشف عن غاية الخضوع والعبودية
لله تعالى كأن لسان حال العبد يقول عند ادائها يا ربي اني امتثل
ما تامرني به وان لم تظهر له ثمرة خضوعا لعظيم سلطانك وتعظيما
لعلو شانك وهذا شان العبد المطيع يمتثل الامر ولا يسال عن
الحكمة والسر وهذه الحالة هي المقصد الاعلى والمقام الاسنى الذي
تبتغيه الشريعة المحمدية لاتباعها في جانب مولاهم جل وعلا وهو
الحال الذي يعده صاحب هذه الشريعة عليه السلام من اشرف
اوصافه واكمل نعوته و يقول ما معناه اني عبد اجلس كما يجلس
العبد ونهي عن الاطراء في مدحه فقال ما معناه باختصار
لاتطروني ولكن قولوا عبد الله ورسوله وقد وصفه ربه بوصف
العبودية في اشرف مقام ذكره فيه فقال تعالى (سبحان الذي اسرى
بعبده) فكان له في ذلك اكمل المبرة واوفر المسرة (ومن هنا يتبين
للعاقل اللبيب سقوط ما ينسب لبعض الاغرار كالمعري من الشعر
الذي قاله في اعمال الحج المذكورة فانه لو ثبت عنه لسلبه اسم
العاقل فضلاً عن الفيلسوف الذي لا يخفى عليه حكم الشرائع
واسرارها) ثم بعد اداء الحجاج تلك الخدم ينزلون في دار ضيافة

مولاهم بوادي منى ويزيلون شعثهم فيلبسون الثياب ويتمتعون بالاطياب ويزيلون زوائد الشعور ويستبيحون جميع ما كان في تنعمهم من المحظور ويقضون ايام العيد السعيد باكل وشرب وتضحية الضحايا التي تملاء لحومها الاودية والجبال ويشبع منها الوحوش والاطيار فضلا عن الفقراء ذوي الاضطرار فهناك ضيافة الحق تعالى اذ هو الرزاق وصاحب الملك الحقيقي والاموال بايدي الخلق بطريق العارية لامالك سواه ولهذا حرم صيام يوم العيد لان صيامه اعراض عن ضيافة الله تعالى ثم بعد تمام تلك الخدم وقضاء الوطر من تلك الضيافة المباركة يرجعون للطواف بالبيت المعظم وهو كطلب اكمال التفضل بالاحسان ونوال الغفران والغوث من جيوش الذنوب وعوادي العصيان وكطلب الاستئذان بالرجوع الى الاوطان وعند ذلك يؤذن لهم بالرجوع الى اوطانهم وهذا الاذن هو عنوان الاجابه وقبول التوبة والانابة والتفضل عليهم والاحسان بالرحمة والغفران واغاثتهم من عوادي العصيان كما بشرهم بذلك رسولهم عليه السلام فيوجهون العزم الى الانصراف الى ديارهم وعندهم انهم قد نالوا المنى وزال عنهم العنا لكنهم قبيل المسير ينعطفون لوداع البيت المعظم ويطوفون به طواف الوداع واداء الشكر لما وجدوه من النعم في تلك البقاع ويفارقونه ودموعهم

منسكبة وافئدتهم للفراق مضطربة شاكرين مولاهم على ما اولاهم
داعين من هداهم بكمال مناهم راجعين القهقرى وعليهم من
اسف الفراق ما يذهب بالكرى ثم عند ورودهم بلادهم تمتلئ
قلوبهم بالفرح الابدي (الذي ذكر في المزامير) لما نالوه من نعم
الغفران والاحسان والامان من عادية العصيان ولو اردنا ان
نستقصي جميع اسرار الحج المندرجة في مفردات اعماله لاستغرق
ذلك مجلدات وضاقت عن مطالعته الاوقات فما ذكر شذرة من
عقد نحر ونقطة من ماء بحر والله الهادي الى سواء السبيل

ثم نظر اولئك الطائفة فوجدوا ان الشريعة المحمدية اوجبت على
اتباعها قتال من خالفهم في الدين عند سنوح الفرصة ليدينوا
بدينهم او يخضعوا لسلطانهم وتسمى ذلك القتال جهاداً وقد
اجرته على موجب العدل كما قيل عن محمد عليه السلام في
الكتب السالفة انه يحارب بالعدل فنهت عن قتل الصغير والمراة
والهرم والمنعزل لما يعتقده عبادة الا اذا كان احد هولاء منكيا في
الحرب او في تدبيرها والقصد من ذلك الجهاد اعلاء كلمة الله تعالى
وهداية المخالفين لذلك الدين حتى اذا دخلوا فيه ساواهم المسلمون
في جميع الشؤون والحقوق والاحوال لايميز في جميع ذلك عربي
على عجمي بل الكل اخوان متناصرون وكل فرد منهم بالنسبة

لبقية اخوانه المحمديين كالعضو الواحد من الجسد اذا تألم اشتكى
له الجسد كله وذمتهم واحدة ومقصدهم واحد وهو توحيد الله
تعالى وافراده بالعبادة وطلب رضاه واذا لم يهتد اولئك المخالفون
لا رغبة ولا رهبة قاتلهم المسلمون حتى يرضخوا لاحكامهم فيحكمون
عليهم بما يعود على الهيئة الاسلامية بالنفع ودفع المضرة و يدخلونهم
في ذمتهم بمعني انهم يحافظون على دمائهم واموالهم واعراضهم
لهم مالهم وعليهم ما عليهم و يتركونهم وما يدينون و يفوضون
حسابهم في الاخرة الى الله تعالى فهذا الجهاد لو قيس بالجهاد الذي
ينسب لبعض الشرائع السابقة لوجد انه قد احتوى على تخفيفات
كثيرة قد خلت عنها تلك الشرائع لان الشريعة المحمدية لم
تامر باستئصال جميع الاعداء حتي الاطفال الصغار كما كان في
تلك الشرائع ومن يعلم احكام الشريعتين في الجهاد يظهر له الفرق
و يحكم بان جهاد الشريعة المحمدية في غاية العدل

وهكذا تلك الطائفة استقصت عبادات شريعة محمد عليه السلام
جميعها فوجدتها على اتم ما يرام من كونها اعمالا مشتملة على تعظيم
الخالق ورحمة المخلوق ومنافعها عائدة الى المتعبد لا الى المعبود لان
الحق تعالى لا يناله نفع من خلقه اذ هو الغني المطلق عن كل
ما سواه

ثم تامل هولاء الطائفه في احكام هذه الشريعة وما سنته من الضوابط الكلية لتامين ذوي الحقوق على حقوقهم ودفع التعديات من الاشرار وذوي الاطماع على احد من الامة او اهل الذمة فوجدوا ذلك على اكمل وجه واقوم سبيل

وكذلك وجدوها قد سنت احكام الزوجية على اكمل نظام فبينت حقوق الزوجين على بعضهما عند الاجتماع وعند ارادة الافتراق واجازت لهما الافتراق لدفع ما عسى ان يحصل عليهما من الضرر ان منعا منه من نحو النفور الشديد لاسباب كثيرة مشاهدة بين كثير من الازواج ومن ارتكاب الزنا والوقوع في الدياثة اذا غلبت الشهوة على احدهما مع نفوره من الاخر ومن حرمان النسل لاحدهما اذا كان العقم من الاخر وجعلت سلطة الفراق بيد الرجل لتميزه عن المراة بالتثبت وسعة البال ووفور تحمل الاثقال يعلم ذلك من سبر اخلاق النساء والرجال ولان الرجل هو المكلف بالانفاق على المراة فلا يسمح بفراقها وضياع ما انفقه الا اذا اضطر غاية الاضطرار ولا عبرة بمن يشذ من الحمقاء الاغرار وفرضت على الزوج النفقة لانه اقدر على الكسب من المراة بحسب تركيب بنيته وقبوله لتجشم اعباء المكاسب واستحسنت لها القيام بمصالح البيت الداخلية وتربية الاولاد كما على الزوج ان

يسعى في مصالحه الخارجية وحيث اصبحت بذلك غير مضطرة
للخروج من بيتها وهي محل الشهوة ومطمح نظر الرجال فلاجل
سد باب الفتنة وكف دواعي الزنا الممقوت شرعا وعقلا امرتها
بالحجاب والستر وكان ذلك من اشرف نعوتها واكرم مفاخرها
تتباهى به كلما استكمل فيها فالحجاب صيانة ومحافظة عليها
كالشيء النفيس الذي يضن به على الانظار ويحجب بالحجب
والاستار وليس هو كما يظن بعض الجهلاء انه لظن السوء بها فان
ذلك يقال لو امرت بكف بصرها عن رؤية الرجال في كل حال
وامرت الرجال بالحجاب عن النساء وليس ايضا كما يزعم بعض
الاغبياء ان حجابها هو حبس وتضييق عليها وملاشاة لحريتها
فان المراة المسلمة تشب على الحجاب من اول نشاتها وتالفه من
بادي فطرتها فتجده كاللازم لطبيعتها وتعتاده اعتيادا محبوبا مألوفا
وتعير من يتساهل فيه من النساء وتنسبهن للطيش والوقاحة وقلة
الحياء على انها تقبله بانه حكم الشريعة الالهية فترجو به الثواب
ونوال الاجر من الملك الوهاب فكيف بعد جميع ما ذكر يقال ان
المرأة في الشريعة المحمدية مظلومة او محبوسة حاشا لله ماعليها من
الحيف ادنى شيء بمقتضى احكام هذه الشريعة والصواب ان
يقال انها في هذه الشريعة محفوظة منصانة من انظار الفسقة واميال

الفجار والسفلة السفهاء يغار عليها من مرور النسيم على انه لا يخلو الامر من وجود امرأة غير كاملة في الأداب والتدين فبالحجاب لا ترتاب النفوس بامانتها على نسب ذريتها ولا يدخل الشك على زوجها فيعلم ان من تلده هو ولده مطمئن القلب لذلك ليس للشيطان عليه سبيل في الوسوسة التي يتوصل اليها فيما لو كانت المراة تخرج غير مستترة وتخالط الاجانب ومع ذلك كله فالشريعة المحمدية قد اجازت للمراة الخروج لبعض امور ضرورية من زيارة ارحامها والتعلم لاحكام دينها اذا لم يعلمها الزوج ونحو ذلك مع التستر الذي يمنع نظر الفساق وتهيج النفوس المغتلمة للتعرض لها بما يشين العرض والدين والذي يحكم به العقل السليم الخالي عن التعصب الدني ان الحجاب للمراة من احسن الاحكام وانفع الوسائل لصالح الزوج والمراة بل لعموم الامة يقطع مادة الفساد من البلاد ومن هنا ترى البلاد التي تحتجب نساوها لايهتم رجال السياسة فيها بتخصيص اماكن للزواني يردها الفساق لان شهوات فساقها غير مهيجة برؤية النساء ولا طامحة لمنازعة اهل العرض في نسائهم واما البلاد التي لا تحتجب نساؤها فترى رجال السياسة فيها يرتكبون تخصيص اماكن للزواني ولا يمنعون الفساق عنهن حتى صار والعياذ بالله تعالى الاولاد النغول يقاربون في العدد

اولاد النكاح هناك ويحتج اولئك السياسيون لارتكاب هذا الامر الفظيع بانه حصن للحرائر فلولا خشيتهم وخشية اهل العرض على نسائهم من منازعة الفساق الذين تهيج شهواتهم برؤية النساء المتبرجات وخوفهم ان يغلبوهم عليهن لما ارتكبوا ذلك الامر القبيح فياللعار ويا للشنار على اولئك السياسيين الذين يسوسون بلادهم ويحصنون نساءهم باعمال البهائم فلو اخذوا بحجاب النساء لكان يغنيهم عن ذلك الامر الممقوت فقد ظهر ان خروج المرأة غير مستترة ضرر عظيم ولو سلم ان الحجاب ضرر عليها لكان عدمه اضر وارتكاب اخف الضررين هو الموافق للمعقول والمنقول فما بالك وقد ظهر انه لاضرر عليها في الحجاب كما يحكم به ذوو الالباب

ثم نظر اولئك الطائفة في احكام المعاملات في الشريعة المحمدية من نحو البيع والشراء والاجارة والشركة والمداينه وقسمة التركات على طريق الحكمة من ترجيح من هو اشد حاجة وامس قرابة وادخل في التناصر فظهر لهم ان جميع ذلك موضوع على اكمل نظام واتم ترتيب من كل ما يسير بهذه المعاملات في منهج العدل ويرفع المنازعات

ثم نظروا الى القصاصات والحدود والعقوبات والتعازير التي

وضعتها تلك الشريعة لحفظ الانفس والاموال والاعراض والعقول فوجدت جميع ذلك على وفق الحكمة متكفلا بالصيانة والامن وكأنها والله اعلم تشير بذلك الى ما ياتي من الحكم وبيانها ان من يعلم انه اذا قتل غيره قتل به يمتنع عن قتله فيحيا الاثنان ولذلك ورد ان في القصاص حيوة ومن يعلم انه اذا سرق تقطع يده الخائنة يمتنع عن السرقة فيامن كل ذي مال على ماله وما احسن جواب بعضهم عن قول بعض الملحدين

يد بخمس مئين عسجد وديت   ما بالها قطعت في ربع دينار

وهو

عز الامانة اغلاها وارخصها   ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

ولما كان الزنا معما فيه من القبائح هو قتل للولد الذى يتولد منه لانه يكون عديم النسب فاقد النصرة من العشيرة وكثيرا ما يموت لعدم وجود من يربيه جعلت الشريعة جزاء الزاني اذا كان محصنا بالزواج القتل بالرجم حتى ترد العقوبة على كل عضو من اعضائه التذ بقضاء تلك الشهوة التي تعم الجسد واذا لم يكن محصنا عذرته بعض العذر فاكتفت بضربه مائة جلدة تفرق على اعضائه المشتركة بلذة تلك الشهوة الا ما كان من عضو يتولد بضربه الموت او تشويه الخلقة وكانت الجلدات مائة اشارة الى ان الولد الذي كان

يمكن ان يتولد منه وقد تعرض لقتله بالزنا يجوز ان يعيش مائة
سنة وهو العمر المتاهل له الانسان بحسب تركيب بنيته و بطوء
نموه كما قاله بعض الاطباء ولكن تعرض عليه اسباب الموت من
حوادث المعيشة فيموت باجله الذي قدر له قبل بلوغ تلك المدة
وقد تكون هي اجله المقدر فيبلغها فكأنه جعل في مقابلة كل سنة
متاهل ذلك الولد ان يعيشها جلدة لذلك الزاني الذي اضاعه ثم
لما كان الانسان متاهلا ان يعيش المائة ومن المعلوم ان عقله قبل
بلوغه خمس عشرة سنة سن البلوغ غالبا في اول عمره لايكون
معتبرا في التكاليف الشرعية لعدم كماله كما انه يضعف جدا في أخر
عمره بمعدل خمس سنوات لو عاش المائة فيكون عقله المعتبر الكامل
القوي متوفرا له مدة ثمانين سنة فاذا تعرض لاخلاله بشرب الخمر
الذي يعرضه للذهاب او الضعف وهو اكبر نعمة يعطاها الانسان
بعد الايمان تحكم عليه الشريعة بضرب ثمانين جلدة فكأنها جعلت
في مقابلة كل سنة من السنين التي تتوفر فيها نعمة العقل جلدة
واحدة وتشير اليه بذلك العدد بان النعمة التي تتوفر عليك ايها
الشارب للخمر في تلك المدة قد تعرضت لزوالها فلذلك جوزيت
بهذا الجلد ثم ان الانسان قبل سن بلوغه وهو خمس عشرة سنة
لم يكن مكلفا فلا يشان في امر العرض كما يشان البالغ وفي السنين

الخمس الاخيرة من عمره فيما لو بلغ العمر المتاهل له وهو المائة نظرا لانحطاط شهوته وقواه قلما ترتاب فيه النفوس في امر الفاحشة فيستبعد ان يشان في عرضه ايضا في تلك المدة غالبا فبقيت مدة كمال المحافظة على شرف العرض هي ثمانون سنة من عمر الانسان الذي هو متاهل ان يعيشه فلذلك جعلت الشريعة حد من يقذف غيره في شان العرض ثمانين جلدة كأنها تشير بذلك العدد الى المدة التي يكمل فيها محافظة لمرء على عرضه وكأنها تقول للقاذف انك تعرضت لشين عرض المقذوف الذي تكمل محافظته عليه في تلك المدة من عمره فجوزيت بذلك الجلد بمقابلة كل سنة بجلدة ثم ان الشرائع المتقدمة على الشريعة المحمدية بعضها حكم بالقصاص في القتل وبعضها حكم بالعفو والشريعة المحمدية جمعت بين الحكمين فاجازت لولي المقتول ان يقتص من القاتل او يعفو ورغبته بالعفو بانه اقرب للتقوى (وهكذا تراها في كثير من الاحكام جمعت ما تفرق في الشرائع المتقدمة ولخصت زبدها وما ذاك الا لانها خاتمة الشرائع فجعلها الله جامعة لمحاسنها) ثم نظر هولاء الطائفة الى الأداب التي جاءت بها الشريعة المحمدية فوجدتها مكملة في كل باب فقد استوفت آداب الاكل وآداب الشرب وآداب المنام وآداب الكلام وآداب الجماع وآدب

قضاء الحاجة وآداب المجالسة وآداب الحضر وآداب السفر وآداب الزوجية وآداب ذوي الارحام مع بعضهم وآداب الجيران وآداب الاصحاب وادآب جميع المسلمين مع بعضهم وادابهم مع اهل ذمتهم الى غير ذلك مما يعرف من البحث والتمعن في تلك الشريعة ثم اخذ هولاء الطائفة في انتقاد سياسة محمد عليه السلام والبحث عما اذا كان يامر بشي يعود عليه او على ذريته بصالح خصوصي ام لا فبعد التنقير والبحث عن ذلك بكل دقة لم يجدوا منه عليه السلام امرا ولا في شريعته حكما يترتب عليه صالح خصوصي له او لذريته وما كان ظاهره ذلك تبين لهم بعد التدقيق ان باطنه مبني على حكم تعود بصالح العموم مثلاً الصفيُّ الذي كان ياخذه من الغنيمة قبل قسمتها انما يخصص به نفسه ظاهرا في اول الامر تنويها بمنصب رياسته وهذا معهود مالوف بين الاتباع والمتبوع وهو مما يمثل في النفوس عظمة المتبوع وابهته وهو مقصود من مقاصد سياسة البشر ثم آخر الامر كان عليه السلام يصرفه في حوائج الفقراء فكان اظهار اختصاصه به اولا لتحصيل تلك الابهة للرياسة ولكف ايدي الاغنياء عنه وايصاله للفقراء وتوسعهم به على وجه لا يجعل في نفوس الاغنياء ضغينة على الفقراء بترجيحهم عليهم وانفاقه ذلك بل جميع ما كان يرد عليه على الفقراء والمساكين الا قدر الكفاف

له ولعياله امر متواتر عنه (حتى خرج من الدنيا ولم يورث عياله درهما ولا دينارا بل انفق في الصدقة كل منقول ووقف في سبيل الله ما كان له من عقار) وقد ساوى بين عياله وعيال اصحابه في النفقة الضرورية من خزينة المسلمين ولم يوص بالخلافة عنه لاحد من ذريته وانما فوض ذلك لراي المسلمين ولو شاء ان ينص على ذلك لما خالفه في ذاك مخالف الى اخر الدهر واعظم من ذلك كله انه لم يزل يوصي اهله وجميع اصحابه بالتحرز من ولاية الاحكام والغرور بمناصب الدنيا وزخارفها

ثم ظهر لهولاء الطائفة انه عليه السلام ما دام رسول الله ومعصوما من الظلم والجور وقادرا على العدل بين الزوجات مهما كثرن فقد اباحت له شريعته ان يتزوج منهن ما شاء من العدد كما كانت الرسل قبله كداود وسليمان وغيرهما عليهم السلام ولكن لما كان من شان البشر غير الرسل العجز عن العدل بين الزوجات متى كثرت حجرت شريعته تزوج اتباعه فوق الاربع وكأنها والله اعلم اباحت لهم اصل تعدد الزوجات لان الذكور في معرض النقص عن عدد النساء لتعرضهم لمخاطر الاسفار والحروب ومشاق الارتزاق فلو منعوا من التعدد لبقي العدد الزائد من النساء معطلات عن النسل ثم ان الرجل مستعد لاداء النسل من سن بلوغه الى اخر

عمره ولو عاش مائة سنة والمرأة تيأس من سن الخمسين او الخمس
والخمسين بقطع مادة الحيض وفقد البزور من مبيضها لطفا من
الله تعالى بها حيث ان الحمل والولادة والارضاع تضعف قوتها
فمقدار استعدادها للنسل من سن البلوغ الى سن الاياس خمس
وثلاثون سنة غالبا فلو منع الرجل من التعدد لربما عطلت المرأة عليه
اداء نسله مقدارا عظيما من عمره فاباحة التعدد له تخاصه من
غائلة هذا التعطيل ومن هنا يظهر سر جواز الطلاق حتى لا تتعطل
عليه مدة من استعداده للتناسل فيما لو ايست زوجته او كانت
عقيما وهو لم يقدر على التعدد فيستبدل بزوجته غيرها وان كان
العقم منه لا يتعطل عليها نسلها (وقد مرت حكمة كون الطلاق
بيد الزوج فارجع اليها) وكأن حكمة حصر التعدد بالاربع لمقابلة
كل واحدة بنوع من انواع المكاسب التي يرتزق منها الانسان
وينفق على زوجته وهي التجارة والصناعة والفلاحة والامارة وقد
تكون احداها وافرة فتقوم مقام البقية وشرطت في الاربع العدل
ايضا حتى لو خاف الرجل الجور بين اثنتين تحظر عليه الجمع
بينهما وتبيح له الواحدة ولو خاف الجور على الواحدة بنحو ظلمها
او عجزه او قصور يده عن الانفاق عليها تحجر عليه ان يتزوج
الواحدة ايضا ولما كانت الرقيقات مجلوبات لبلاد ليس فيها ذكور

بمقابلتهن لعدم تمكن الارقاء من نكاحهم لشغلهم بالخدمة اباحت للمالكين لهن التسري بما فوق الاربع منهن لئلا يتعطل نسلهن ولم تبح للمملوك ان يصير زوجا لمالكته لان ملكها له يقتضي ولايتها وتسلطها عليه وصيرورته زوجا لها يقتضي ولايته وتسلطه عليها وذلك من التناقض السياسي في المعاشرة بمكان يقتضي عدم انتظام امر الراحة والوفاق بينهما وهذا خلاف مقاصد هذه الشريعة العادلة

ثم وجدوا ان شريعته عليه السلام قد حرمت نكاح ازواجه من بعده ولدي التدقيق ظهر لهم ان ذلك لحكم جليلة

اولا تعظيم شانه عليه السلام وتعظيم شان الرسل بين اتباعهم امر معهود في الشرائع المتقدمة ولزوم ادب معه وهو مستحسن ايضا فان الانفس البشرية تابى نكاح ازواجهم من بعدهم ولم تجعل لغيره هذه المراعاة من علماء الامة وكبرائها لئلا يضيق امر التناسل ثانيا سد باب التداخل في امر الخلافة من غير مستحقيها فانه لو ابيح تزوج ازواجه من بعده عليه السلام لكان من ينكح واحدة منهن ولو غير اهل للخلافة يستولى على نفوس العامة ويخدع عقولهم بان معي زوجة رسولكم ولي بذلك الحق في الخلافة والتقدم على غيري ثم يسند اليها كل ما يروج مقاصده عند العامة الهمج كما

شوهد نظير ذلك في تقلبات الدول ممن نكح نساء الملوك بعد
موتهم واستند بذلك في التداخل في امر الملك كما يعلم من التاريخ
ثالثا لو ابيح ذلك لانفتح به باب الفتنة بين اتباعه من بعده لان
كل واحد منهم يرغب ان تكون معه زوجة رسوله يتبرك بقربها
ويتيمن بذريتها و يحوز اسنى الشرف و يفاخر بذلك الاقران
و يتعلم منها ما خفى على كثير من ذوي العرفان و بهذا يقع التغاير
وتقوم الفتنة بينهم على قدم وساق فسدًا لهذا الباب حجرت
الشريعة هذا الامر على وجه الصواب رابعا لاشك انه يلحق
زوجاته عليه السلام بنكاح غيره من بعده ما يزري بمقامهن
من انحطاط الرتبة والقدر وتسقط عظمتهن من قلوب الامة
جميعا لان المرأة التي كانت مع رسول الله ثم تقترن بسواه
ولوانه اعظم رجال الامة تكون كالمنحطة من الاوج الى الحضيض
و بذلك تنفر منهن النفوس وترتاب بحديثهن لدخولهن تحت
كنف من لم تجب له العصمة فيتخيل للعقول انهن يجرين على
هواه في اقوالهن واعمالهن و يروجن افكاره بما ينقلن عن رسول
الله عليه السلام (حاشا حضراتهن من ذلك وانما هو شي تتخيله
العقول عند ذلك و ترتاب من اجله) وحينئذ تفقد الامة ثمرات
كثيرة من علومهن التي نقلنها عنه عليه السلام المفيدة لاحكام

شرعية جليلة اخذت من اقواله وافعاله بنقل تلك النساء المخالطات له في اكله وشربه ونومه وجميع شؤنه في خلوته ومباشرة نسائه الى غير ذلك وان غالب هذه الاحكام لا تعلم الا من جهتهن ولو اقترن بغيره من بعده لانحطت عظمتهن في الانفس كما قدمنا وضعفت الثقة باخبارهن كما قررنا ففاتت تلك العلوم كما اوضحنا الى غير ذلك من الحكم والاسرار المنطوية تحت الحكم بذلك التحريم فضررهن الخاص بمنعهن من النكاح بعده عليه السلام لا يقوم بمقابلة تلك الاضرار العامة فليس ذلك الحكم لغاية نفسية او لافكار منحطة دنية كما اوضحه البحث والتدقيق حاشاه عليه السلام من ذلك ما هذا الحكم الامحض تشريع من الله تعالى لاسرار عالية وحكم سامية.

فلما تم انتقاد هولاء الطائفة لشريعة محمد عليه السلام ولسياسته وظهر لهم جميع ما تقدم من حسن الانتظام وبدائع الحكم العظام قال بعضهم لبعض الحق احق ان يتبع لاشك ان ما جاء به محمد عليه السلام هو شريعة من عند الله تعالى والا فان محمدا رجل امي ناشيء بين الامة الجاهلية لم يفارق اوطانه الا اشهراً قلائل في سفر قريب لاتصلح مدته لتحصيل اقل القليل من العلوم ولم يجتمع على احد من اهل المعارف في مدة حياته في بلده ولم يعثر عليه انه

عاني تعلم شيء من الشرائع او قوانين الدول فمن اين له ان يستنبط
عقله هذا الترتيب الغريب العجيب الذي احاط بكل حكمة
باهرة واحتوى على كل خصلة حميدة فاخرة وتكفل بانتظام حال
البشر وصالح احوالهم وطهارة نفوسهم وعمار ديارهم وكف اشرارهم
وبكل شيء يعود عليهم بالخير ويدفع عنهم الضير مع تلك العقائد
في حق رب البرية السالمة من كل خرافة ودنية وفي حق الرسل
الاخيار هداة الانام عليهم الصلاة والسلام ولو كان محمد من اعقل
الخلق واحذق البشر واكبر الفلاسفة واعظم السياسيين العالمين
بوضع نظامات الامم لما صح في العقل امكان التصديق باقتداره
على الاحاطة بجميع ما جاء به الا ان يكون مرسلا من جانب الله
تعالى وهو الذي هداه الى جميع ذلك واطلعه عليه وافهمه اسراره
وامره بتبليغه فانا نرى اكبر الفلاسفة مهما بلغوا في المعرفة والاحاطة
في الفنون انما ينبغون في فن او فنين فهذا جالينوس نبغ في السياسة
البشرية وارسطو في الحكمة النظرية والالهيات وابقراط في الطب
واقليدس في الهندسة وفلان بكذا وفلان بكذا واما ان واحدا منهم
احاط بكل فن او بمعرفة كل ما هو صالح للبشر فهو شي لم يكن
البتة واما محمد (عليه السلام) فشريعته قد احاطت بجميع ما
يتكفل بخير البشر لم تغادر منه شيئا كما تقدم لنا بيانه فما كان امس

حاجة واشد لزوما فصلته وشرحته على اكمل بيان وما كان اقل في الاحتياج اليه وليس من الضروريات المعاشية او التهذيبية رمزت اليه واشارت الى طرق تعلمه من اربابه وسهلت السبيل اليه من نحو الفنون الحسابية والهندسية والصناعات ونحو ذلك يعلم هذا الامر منها من اطلع عليها اطلاع الناقد البصير لا من نظر اليها بعين البغضاء او لحظها بطرف العجلة واطل على بعض مباحثها فظن انه احاط بها احاطة الجفون بالمقل وهو لعشر معشارها ما فهم ولا عقل فصدق هولاء الطائفة محمدا عليه السلام في جميع ما جاء به وامنوا برسالته من عند الله واصبحوا من اشياعه الاخيار واصحابه الانصار

اقول ان هذه الطائفة قد فتحت بابا للاستدلال على صدق محمد عليه السلام يبقى مفتوحا الى يوم القيام فلكل من كان ياتي بعد عصره الى اخر الزمان ان يستدل كما استدلت فيتضح له الطريق كما اتضح لها فاذا غاص في بحار هذه الشريعة المحمدية ونظر فيها نظر الناقد البصير المطلق من اسر الضمير عاد وهو بها مؤمن وبصدق صاحبها مستيقن ولقد اتسع ذلك الباب لمن جاء بعد الاعصر المديدة من بعثة محمد عليه السلام سيما من جاء بعد مرور ثلاثة عشر قرنا فانه فضلا عن اتضاح الحق لديه بما في

تلك الشريعة من المزايا الدالة على انها من عند الله يجد انها لم تزل محفوظة الموارد مطردة القواعد لم تختل منها قاعدة فيحكم العقل بان هذه القاعدة لم تبق مناسبة لهذا الزمان ولم تتخلف ثمراتها ولم تطمس اياتها كما هو مسلم عند ذوي العقول السليمة من داء التعصب والاختبار اقوى دليل على ما نقول ولو كانت من وضع البشر لاختلت وفسد نظامها كما تختل نظامات البشر بمقتضى اختلاف الزمان

ولا يهولنك ما يهذي به بعض الحمقاء حتى ممن ينتسب الى هذه الشريعة وهو في الحقيقة مارق منها مروق السهم من الرمية قد طمس على بصيرته وعمى قلبه جاهل بحقيقة شانها وعلو مكانها لم يعلم منها الا الاسم فتسول له نفسه الخاملة ويخيل له عقله الفاسد ان الزمان قد صار محتاجا لبعض قواعد خلاف قواعدها وضوابط خلاف ضوابطها وانها ما بقيت كافية لحاجة هذا الزمان فيلتجئ للاخذ ببعض قواعد لبعض الامم اماهي قاصرة المنفعة واهية الاحكام ان اسندت من جهة مالت من جهات واما هي في الحقيقة من اصل قواعد تلك الشريعة الكاملة اخذها اولئك الامم والبسوه حلة غير حلتها الاسلامية فيظن ذلك الجاهل المغرور انها شي جديد اخترعته تلك الامم وضمنته بدائع الحكم ولو كان من اهل

المعرفة في الشريعة المحمدية التي انتسب اليها لظهر له ان في هذه
الشريعة قواعد فاضلة كاملة وافية باحتياج هذا الزمان وكل زمان
لا تذكر عندها تلك القواعد القاصرة ولا يعبأ بها عند مقابلتها او
لظهر له ان القواعد الكاملة عند اولئك الامم هي من جملة القواعد
التي اشتملت عليها الشريعة المحمدية غاية الامر انهم ابرزوها بصورة
غير صورتها الاسلامية واذا كانوا لم ياخذوها من الشريعة المحمدية
فقد صادف وصول عقولهم اليها لانها من مستحسنات العقول مع
ان الشريعة المحمدية تشتمل عليها ايضا فكان يحكم ذلك الجاهل
ان قواعد الشريعة المحمدية تغني الامة عن الاخذ بسواها الا انه
يحتاج في ذلك للمعرفة في الشريعة المحمدية والتبحر في ابوابها ولا
يكفي مجرد اللهج من طرف ضعيف فمن اراد ان ينشر قواعد مفصلة
مشروحة قريبة لفهم العامة لتصلح شأنا من شؤنهم فعليه ان يكلف
علماء الشريعة المحمدية المتبحرين فيها ان يجمعوا له منها ما يقوم
بمطلوبه ويفي بمرغوبه فيجيئونه بالمطلوب الكافي الوافي من تلك
الشريعة طبق المراد لصوالح العباد كما جرى ذلك عند ما طلب
السلطان الاعظم نصر الله دولته جمع كتاب مجلة الاحكام العدلية
في المعاملة الجارية بكثرة بين الناس من العلماء يكون سهل الفهم
على الحكام والاخصام فاتوا بما يفي بالمراد من ذلك

ولا يهولنك ايضا ان بعض من ينتسب الى هذه الشريعة تراهم
مختلي النظام فاقدي الاداب فاسدي السياسة عديمي التدبير فربما
يتخيل لمن لم يعلم حقيقة حالهم وما جنوه على انفسهم من مخالفة شريعتهم
ان يقول كيف ان المسلمين يدعون ان الشريعة المحمدية تقوم
بمصالح من يتبعها وتهذبهم غاية التهذيب وانا نرى هولاء القوم قد
انغمسوا في الشرور وتراكمت عليهم انواع الشقاء مع انهم منتسبون
لهذه الشريعة فاين اصلاحها وتكفلها بانتظام حال اتباعها فقل له
ياقليل الانصاف من ادعى منا ان الشريعة المحمدية تكفلت
باصلاح حال من ينسب اليها بالاسم ويخالفها بالاقتداء والعمل
فلا يجري على احكامها ولا يتحلى بادابها كلا والله لم تتكفل هذه
الشريعة الا باصلاح من تمسك باحكامها وتخلق باخلاقها وجرى
على ادابها كما صرح القرآن الكريم بذلك والاحاديث النبوية وقد
اخبرت تلك الشريعة ان من خالفها في تلك الامور تتوارد عليه
انواع الشقاء واصناف البلاء حتى انه يجد من ذلك ما لا يجده
غير اتباعها المنتسبين اليها تبديلا لانتقام الاخرة بانتقام الدنيا
للردع عن المخالفة وللتذكار بالرجوع الى التوبة ولتمحيص ذنوب
من يريد الله به اللطف لشفاعة بعد صفات حسنة ترافق تلك
المخالفة فتكون واسطة لتكفير الذنوب بورود تلك البلايا الدنوية

العاجلة وانا اضرب لك مثلاً لمن يخالف الشريعة المحمدية ممن ينسب اليها فلا يجد من ثمراتها شيئا فاقول هو كرجل عنده مكتبة عظيمة مشتملة على الكتب النفيسة المحتوية على الاداب والاخلاق الجميلة والاعمال الفاضلة وهو لايفتح منها كتابا ولا يستفيد منها فائدة ايتصور في العقل ان يصير ذلك الرجل مهذبا فاضلا سعيدا بمجرد وضع تلك الكتب في داره وتصفيفها في مكتبته وتذهيب جلودها وتوقيع اوضاعها لا والله لايكون ذلك الرجل الا كمثل الحمار يحمل اسفارا لايدري ما هو حامل ولايستحق الا اسم الجاهل

فان قال قائل انا نرى بعضا ممن يعده الناس من علماء الاسلام غير مهذب الاخلاق ولا كامل الصفات بل هو متهافت على الدنيا وادرانها اكثر من الجهلاء متكالب عليها تكالب كلاب البيداء مضر للبشر متجاهر بالضرر فاي تهذيب حصل لهذا الشرير من تلك الشريعة واي ثمرة اكتسبها بل لو لم يعد في صف العلماء لقصرت يده عن كثير من الشرور فاقول ان هذا المذكور لم يدرك من الشريعة المحمدية الا القشور وفاته اللباب وثمرات الاداب فاذا حققت امره تجده قد اتقن شيئا من علوم اللغة العربية التي جاءت هذه الشريعة فيها من نحو صرفها ونحوها وبيانها مما هو وصلة الى فهم الشريعة لاهو عينها ومر مرورا على

كتب الشريعة بمقاصد ساقطة ونية زائفة وهو مصمم على الاطلاع
على ما للشريعة من احكام ليتوصل بها الى رضى الحكام والى اكل
المال الحرام من العوام الذين لايفرقون بين الضياء والظلام وقد
حفظ من اداب الشريعة المحمدية ومواعظها ما يزين به زخارف
الكلام لالان تكون دواء لدائه وشفاء لبلوائه فلا يتخلق باخلاقها
الرفيعة ولا يتأدب بآدابها البديعة ولا ينزجر بمواعظها عن احواله
الشنيعة فغاية مقصده نوال ما رغبت فيه نفسه من تلك المقاصد
الدنية فمثله كطبيب يعلم تشخيص الامراض وادويتها ومعالجتها ولكن
لايلتفت الى تشخيص دائه العضال ولو التفت اليه لاياخذ دواءه
ولا يصبر على معالجته بل همته مصروفة الى جلب الاموال من
ذوي الامراض ولا له الى مرضه ادنى التفات فبالله عليك كيف
يشفى هذا الطبيب من دائه العضال وهو بهذا الحال من الاهمال
ايكون مجرد معرفته علم الطب كافيا لشفاء دائه لا والله ايصح عند
ذلك ان يقال ان علم الطب لاينفع في شفاء الامراض حيث ان
هذا الطبيب لم يشف من دائه مع علمه بالطب وتركه المعالجة
لا أخال ان احدا يتجرأ على ذلك القول الفاسد الا ان يكون
مختل العقل وليعلم ان من كان بتلك الحال ممن يعد في صف علماء
الاسلام وقد تهتك بمخالفة الشريعة المحمدية بين الانام هو وامثاله

تدعوهم هذه الشريعة بعلماء السوء وهم اضر على المسلمين من
اجهل الجهلاء بل من الذ الاعداء قلل الله من بين المسلمين
امثالهم ونسخ ظلالهم وابدل المؤمنين بهم علماء فضلاء اتقياء قادة
للحق هداة للصدق متصفين بالصفاة الكاملة متخلقين بالاخلاق
الفاضلة محافظين على اداب الشريعة متابعين رسولهم في كل ما
سنه لهم من المناهج البديعة فهولاء كثر الله من امثالهم واثابهم على
اعمالهم وجزاهم عن الامة المحمدية احسن الجزاء فهم علماء الاخرة
الذين خصص الله تعالى خشيته بهم واثنى عليهم في كتابه الكريم وعلى
لسان رسوله عليه من الله اسنى الصلاة والتسليم وهولاء في استقامة
احوالهم ونجاحهم في اقوالهم واعمالهم من آثار اتباعهم للشريعة
المحمدية لم يتركوا للمعارض مجالا ولا للخصم مقالا كما لا يخفى
على ذوي الالباب

ثم اقول لمن اغتر بعلماء السوء فظن انهم علماء الشريعة الذين يرجى
صلاحهم واصلاحهم اني ياصاحبي اعذرك في اغترارك بهولاء
الشياطين الذين يزينون ظواهرهم بما خفظوه من العلوم الرسمية
والفاظ الاحكام الشرعية ولكن ان كنت نبيها فلا اخالك تغتر
بفرقة اخرى اصبحوا فارغين من كل معرفه خالين من كل استقامة
انما هم جهلاء اغرار تزيوا بلباس العلماء وتحلوا بشعار الاتقياء حيلة

على الدنيا وشبكة لاصطياد حطامها فترى عليهم عمائم كالابراج وجببا كالاخراج والعلم عند الله فشأنهم (تغيير شكل لاجل الاكل) وقد يتجرؤ بعضهم على مناصب العلم من التدريس والافتاء والقضاء ويغتر بهم همج العامة الذين لا يعلمون الارض من السماء فانا لله وانا اليه راجعون فاياك ان تحتج في مناقضتك ايها الخصم بهولاء الملبسين فان آلة تلبيسهم ضعيفة جدا وينكشف حالهم بكلمة واحدة فيظهر بها انهم كالانعام بل هم اضل هذا وقد بقي من الملبسين قوم قد يضرون اهل الدين الاسلامي اشد الضرر ويروج تلبيسهم على العامة فيفسدون عقائدها وهي لا تشعر بل تظن بزخارف هولاء الدجالين انها قد وصلت الى حقائق الامور وفازت على العلماء الاعلام في المعرفة وهي في ضلال مبين وحقيقة هولاء الدجالين انهم يدعون وصولهم الى معرفة علوم واسرار في الشريعة المحمدية تخفى على العلماء الاعلام وان الله خصهم بها بسبب الوسائط الفلانية ويترجمون عن تلك المعارف والاسرار بعبارات هي محض كفر وضلال بمقتضى قواعد الشريعة المحمدية لكن تلك العبارات تشابه بعض الكلام الذي ورد عن بعض العارفين من علماء هذه الشريعة المشهود لها بصحة العقيدة واستقامة الحال على منهج الدين المحمدي وقد اطلعهم الله تعالى بواسطة

تقواهم واقتفائهم اثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على
معارف واسرار في هذه الشريعة لم يطلع عليها غيرهم ممن لم
يعمل كعملهم ولم يستقم كاستقامتهم وهي في الحقيقة لاتنافي الشريعة
المحمدية في شي بل هي من الشريعة توخذ من رموزها وتفهم من
اشاراتها غاية الامر ان بعض تعبيراتهم عنها كانت موهمة لمخالفة
الشريعة وما كان ذلك الا لضيق الالفاظ اللغوية عن الافصاح
عنها فاصبح التعبير في ادائها موهما ما يخالف الشريعة وليس الحال
كذلك ولثبوت استقامة هولاء العارفين التزم العلماء تاويل ما
يوهم من كلامهم وتطبيقه على قواعد الشريعة المحمدية بما يدفع عنهم
الريب في عقائدهم واما اولئك الملبسون الحائدون عن منهج
الاستقامة في الشريعه الساعون على تحصيل شهواتهم وبلوغ
مأربهم الفانية فقد ادعوا مناصب هولاء العارفين واصبحوا يتكلمون
بكلمات تشبه كلامهم وهم عنهم بمعزل ما عندهم من تقواهم ذرة
ولا من معارفهم قطرة فالحذر الحذر من الركون الى كلام هولاء
الملبسين الضالين المضلين وقد كثر عددهم في هذه الايام فكم
افسدوا من عقائد وكم احلوا من حرام فعلى كل مؤمن متبع
للشريعة المحمدية ان يعتقد ماجاء به صريح القرآن والسنة الصحيحة
ويعتمد في كل ذلك كلام العلماء الاعلام المسلم بمعرفتهم واستقامتهم

من الخاص والعام ويهجر ما سوى ذلك من وساوس الاوهام
والله يتولى هدانا اجمعين بحرمة سيد المرسلين اللهم امين
وطائفة من اولئك الجماهير لم تسبق افكارهم الى تلك الاستدلالات
التي وصلت اليها افكار الطوائف السابقه ولكنهم تاملوا في حال
محمد عليه السلام وفي متابعة اولئك الطوائف له بعد ما كانوا
مخالفين وفي الوجوه والدلائل التي حملتهم على تصديقه والانقياد
اليه فقالوا ان هولاء الطوائف الذين اتبعوا محمدا (عليه السلام)
لاشك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة وعندهم الاستعداد
للاستدلال على الحقائق والتوصل الى الصواب ونراهم اولاً قد
نفروا من تصديق دعوى محمد (عليه السلام) غاية النفور وكذبوه
اشد التكذيب حتى خلانه واقاربه من اعمامه واولادهم وعشيرته
اجمعين ولا سيما منهم من يعتقدون باديان الرسل المتقدمين وبين
ايديهم كتبهم المنسوبة الى اولئك الرسل واخذ جميعهم بتوبيخه
وتقريعه على هذه الدعوى التي ادعاها وحاولوه بالرجوع عنها
والكف عن تسفيه احلامهم والطعن باصنامهم واعتقاداتهم واحتالوا
عليه باطماعه بانهم يشاركونه في اموالهم ويزوجونه اكرم بناتهم
اذا هو رجع عما هو فيه ثم انهم بعد جميع ذلك النفور وكل ذلك
الامتناع اخذوا يتركون عاداتهم المالوفة لهم والموروثة عن ابائهم

ويرفضون اعتقاداتهم لاسيما منهم من يعتقدون باديان تنسب
الى الرسل المتقدمين فان هولاء بعد ما تشددوا في النفور غاية
التشدد تمسكا بما لديهم من الدين السماوي والكتب الالهية
عادوا فاقبلوا على تصديق محمد احسن الاقبال اعتمادا على ما
ظهر لهم من شهادات الكتب التي عندهم بصدقه عليه السلام
وانطباق العلامات المذكورة فيها عليه وقد تركوا كثيرا من احكام
الشرائع التي يعتمدونها عند ما اخبرهم محمد بان شريعته ناسخة
لها ولاشك ان ترك مثل تلك العادات المالوفة يصعب جداً
عليهم فلا يهجرونها الا لموجب قوي وداع قاهر وانهم يعلمون قطعا
ان تركهم لكثير من احكام شرائع رسلهم المتقدمين ان لم يكن
بامر الله تعالى ورضاه يستحقون منه اشد الانتقام فايمانهم بمحمد
وتصديقهم برسالته لابد ان يكون ناشئا عن تحرير ادلتهم التي
اعتمدوها في تصديقه ولولا انها ادلة قاطعة وبراهين ساطعة اطمانت
بها نفوسهم واذعنت لها عقولهم وتوصلوا بها للصواب لما كانوا
جروا بمقتضاها ولما هجروا مالوفاتهم وتعرضوا لانتقام الله تعالى
حسب زعمهم الاول ولكانت عقولهم السليمة تمنعهم ان يقدموا
على الباطل وان يخاطروا هذه المخاطرة ويعتمدوا على دليل ضعيف
او يميلوا لهوى نفس سيء العاقبة ولا داعي هناك من نحو الانفعالات

النفسية التي تدعو في بعض الاحيان الى ارتكاب خلاف الصواب بل الذي في انفسهم من الانفعالات النفسية والتعصبات النسبية والدينية تدعوهم الى التكذيب لا الى التصديق وتحملهم على الاصرار على ما هم عليه لا على الانتقال عنه فاتفاقهم جميعا على تصديق محمد عليه السلام مع تنوع ادلتهم انواعا مختلفة الطرائق متفقة على نتيجة واحدة لاشك انه حجة مستقبلة تثبت دعواه وتدل على صدقه اذ من المحال الذي لايصدقه العقل السليم ان يكون ذلك الاتفاق من اولئك العقلآء المتعصبين لعاداتهم واعتقاداتهم وتوفر تلك الادلة حاصلا جميع ذلك بوجه الصدفة ولا يقول بالصدفة في مثل ذلك الا معاند مكابر فنحن اعتمادًا على ماتحصل لدينا من هذا الاتفاق من اولئك الطوائف ومن توفر تلك الادلة مع ان ذلك لايكون بوجه الصدفة قد صدقنا محمد عليه السلام فيما ادعاه وامتثلنا جميع ما يامرنا به مقرين بانه رسول الله بلا اشتباه

اقول ملخص استدلال هولاء الطائفة بصورة القياس الاستثنائي المستثني فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم هكذا لولم يكن محمد صادقا لما اتفق هولاء العقلاء المخالفون المتعصبون على تصديقه ولما توفرت لهم تلك الادلة لكن قد اتفقوا على تصديقه وتوفرت لهم

تلك الادلة فيكون صادقا فايمان هذه الطائفة ليس بالتقليد لاولئك
الطوائف كما يتوهم بل هو بالاستدلال ايضا كما علمت
وطائفة منهم كانوا طبيعيين ماديين دهريين اي انهم يعتقدون ان
مادة العالم ازلية ليست مخلوقة وانه لا اله للعالم اوجده من العدم
ورتبه على هذا النظام وانما تكونه على هذه الكيفية المشاهدة التي
يحار فيها الفكر وتنوعه بهذه الانواع ليس الا من تركب عناصره
وتفاعلها بمقتضى نواميسه القائمة فيه وحيث لم يعتقدوا بوجود اله
للعالم فبالضرورة لايصدقون بالرسل المدعين انهم مرسلون من عند
الله تعالى الذي هو آله هذا العالم فعند ما سمعوا محمدا عليه السلام
يدعى ارسال الله تعالى له وشاهدوا احوال اولئك الجماهير الذين
كذبوه اولا ثم صدقوه وسمعوا بدلائلهم التي استدلوا بها على صدقه
مع اختلاف انواعها وتخالف طرقها وما نتج عن ذلك كله من
الانقلاب العجيب في العالم البشري من ترك اولئك الجماهير
لعاداتهم ومالوفاتهم ومعتقداتهم واتباع ذلك الرجل الامي الفريد
الوحيد الذي قاوم بدعواه اولئك الالوف ولاناصر له ولا معين
حادثا ليس بالقليل يستحق التفات الافكار وتمعن الانظار والبحث
عن اسبابه وكيفية تسببه عنها وانتقاد حقيقة هذا الامر هل حصل
عن تصورات يقينية او عن تخيلات وهمية تنبهت افكارهم

وتيقظت البابهم (ومن يسمع يخل ومن يشاهد يفتكر) فقال بعضهم لبعض ان هذا الحادث مهم جدا ونحن نبحث عن اقل قليل يحدث في الكون بالتفتيش عن اسبابه ومقتضياته وحقيقته وغايته والذي تقرر اعتماده عندنا ان كل حادث وانقلاب في العالم البشري لابد ان يكون ناشئا عن مقتض اقتضاه كما الحال في حوادث المادة واثارها فانه لا اثر منها الا وهو ناشئ عن سبب ومقتض يقتضيه أ بعد ذلك نغض الطرف عن هذا الحادث العظيم من نجاح محمد بهذه الدعوى التي ادعاها واتباع اولئك الجماهير الذين باتباعهم حصل انقلاب في العالم الانساني يقل نظيره في التاريخ البشري ونكتفي بقولنا ظنا وتخمينا لا علما وتحقيقا ان هذه الدعوى من محمد هي تحيل على الرأسة وذلك الاتباع من اولئك الجماهير مبني على الاوهام اما علينا ان نستعمل فلسفة التاريخ ونبحث عن الاسباب التي اوجبت هذا الانقلاب والانقياد لهذا الرجل الامي الوحيد الفريد فهب ان دعواه تحيل على الرأسة فما نقول في سبب ذلك الاتباع والانقياد من اولئك الطوائف الكثيرين المتعصبين لما هم عليه من العادات والاعتقادات فان قلنا سبب هذا الانقياد هو العصبية لم يصح ذلك فان عصبية اولئك الجماهير انما هي لما هم عليه من العادات والاعتقادات وهذه

تقتضي مخالفة محمد لا موافقته وان قلنا ان السبب عصبية عشيرته له وطمعها بنواله الرأسة اذا هو نجح في دعواه لم يصح هذا ايضا لانا نرى عشيرته اشد الناس مخالفة له عند ما قام يظهر دعواه ومن اتبعه منها فانما كان اتباعه له آخر الامر بعد ما تم نجاحه وكثرت انصاره وقليل منها من اتبعه في اول امره وعلى هذا الحال فليست عصبيتها هي السبب البتة على انه لو فرض عصبيتها له في اول امره لم تكن لتؤثر في انقياد اولئك الجماهير الكثيرة وهي دونهم في القوة والاقتدار ونفوذ الكلمة فلو انه اعتمد عليها وقاوم بها عصبيتهم لكان قد عرضها للهلاك ولأنسحقت بقوة اولئك الالوف المؤلفة كما يعلم ذلك من الاطلاع على عددها وعددهم ومنزلة اقتدارها واقتدارهم وان قلنا ان السبب هو طمع اولئك الجماهير في الثمرات التي تحصل لهم اذا هم اتبعوه ونجح في دعواه وبلغ سلطانه ما بلغ فلا يصح هذا ايضا فمن اين ايقن اولئك الجماهير ان محمدا (عليه السلام) ينجح في دعواه وتحصل له السلطنة وقد قام في اول امره وحيدا فريدا صفر اليدين من كل سبب موصل للنجاح ومعرضا نفسه لسخرية عموم العالم ونسبتهم اياه الى الحمق بانه يدعي دعوى دون نوالها خرط القتاد فاي قوم يتعقدون في رجل انه كاذب في دعواه وهو وحيد فريد خال عن

الاسباب المرجو بها نجاحه ثم يتركون ما هم عليه من عاداتهم المالوفة
واعتقاداتهم المرجو لهم بها سلامة الدنيا والاخرة ويتبعونه طمعا بانه
اذا نجح تحصل لهم ثمرات فانية وان فاتتهم ثمرات باقية لايفعل ذلك
الا المجانين واولئك الاقوام جميعهم لا يصح في العقل الحكم عليهم
بالجنون قطعا وان قلنا ان السبب هو الخوف فلا يصح ايضا لانه
لم يحصل لاولئك الجماهير ادنى خوف من محمد في ابتداء امره
لانه حنيئذٍ كان فريدًا لا رفاق ولا صحب نعم قد حصل خوف
لبعض من اتبعه ولكن بعد ما تم نجاحه وكان له من الاتباع الالوف
المؤلفة الذين اتبعوه بدون ادنى خوف فهولاء ما سبب اتباعهم وان
قلنا ان السبب فصاحة لسانه وسحر بيانه فقد خلب عقول اولئك
الجماهير بقوة نطقه وموه عليهم الحجج الكاذبة التي اقامها على صدقه
فلا يصح هذا ايضا لان اولئك الجماهير لم يتبعه جميعهم بسبب حجج
تلاها عليهم وزينها لهم بزخارف بيانه كما يعلم من الرجوع الى استقصاء
استدلالاتهم على صدقه بل بعض حججهم لاصنع له بها وليس في
قدرته اقامتها وتحصيلها أفي قدرته ان يوجد في نفسه وفي احواله
العلامات المذكورة في كتب بعض اولئك الجماهير التي يقولون
انها كتب رسل قد سبق ارسالهم اليهم واخبروهم انه سياتي رسول
توجد فيه تلك العلامات وقد شاهدوها جميعها فيه (عليه السلام)

أُفي قدرته ان يجمع جميع تلك الصفات الفاضلة في قرآنه التي
يعجزعن جمعها اكبر الفصحاء واعظم الفلاسفة وهو رجل امي
تربى بين امة جاهلية ثم يقيمها حجة على صدقه أفي قدرته ان
يرتب تلك القوانين التي يقول انها شريعة بذلك الترتيب العجيب
الغريب التي يعجز العقول بحسن انتظامه وهو على ما فيه من الامية
والخلوعن معارف الامم والاطلاع على قوانين الممالك والدول ثم
يقيم ذلك حجة على صدقه أفي قدرته ان يخرس السن فصحاء
اولئك الجماهير وبلغائهم عن معارضة اقصر سورة من قرآنه حتى
اقر بعضهم بالعجز وبعضهم التجأ الى محاربته وعرضوا انفسهم لبلاء
الحروب ولم ياتوا بالمعارضة التي هي اسهل ما يكون عليهم لو
كانت في امكانهم وما ذاك الا عن العجز عنها وان قال قائل ان
عجز اولئك الجماهير عن المعارضة ما كان الا من تسلط الوهم
عليهم فانه عند ما قال لهم انكم تعجزون عن معارضة اقصر سورة
من قرآني تسلط عليهم الوهم وتصوروا انفسهم عاجزين فعجزوا
بالفعل وافعال الوهم لاينكر تاثيرها في العقل الانساني فلا يسلم
قول هذا القائل ولا يقبله العقل السليم لان الذي نعهده من افعال
الوهم في البشر انه يتسلط على جماعة او جماعتين وفي مقام او
مقامين وفي يوم او يومين او شهر او شهرين اما تسلطه على جماهير

مجهرة وفي كل مقام ومجتمع وفي السنين العديدة التي تنوف
عن عشرين سنة وعلى الجماعة الحاضرين عند ورود سبب الوهم
وعلى الجماعة الغائبين البعيدين عن ذلك المقام وانما بمجرد بلوغهم
الخبر بما جرى مع غيرهم يحل بهم من الوهم ما حل باولئك الغير
فلم يعهد ان للوهم هذا التسلط العمومي المستمر في كل مقام وفي
سنين عديدة والعقل السليم لايسلم ان للوهم هذه الخاصة بدون
سبب خارج عنه يقوى به على ذلك على ان الامور الموهومة لابد
ان الافكار على طول الزمن تخلص من توهمها وتكشف حقيقة
الامر فيها ولو بعد حين لان الافكار لاتحاول امرا الا انكشف
لها وهولاء الجماهير لاشك انهم بمخالفة محمد ومضادتهم له
حريصون على كشف الحقيقة في شانه واثبات تكذيبه ومع هذا
لم يصلوا الى شيء من ذلك وبقي امر عجزهم عن معارضة قرآنه
امرا مستمرا ثابتا لم يظهر للوهم فيه ادنى تاثير فاذن لايكون ذلك
العجز منهم الا حقيقيا لا وهميا وان اورد على منع جواز عموم
الوهم واستمراره ان علماء الهيئة القدماء قد كان وهمهم في دوران
الفلك وثبوت الارض عموميا مستمرًا الميئات من السنين
يدفع ذلك الايراد بان عموم الوهم واستمراره فيهم كان لسبب
قوي يدعو الي ذلك وهو ما يعطيه النظر والمشاهدة من دوران

الفلك وسكون الارض وعدم وجود الالات التي اعانت المتاخرين على كشف الحقيقة (على ما زعموا) وما نحن فيه لاسبب معه يوجب الوهم على العموم والاستمرار وما سببه (على زعم الخصم) الا قول محمد لاولئك الجماهير انكم تعجزون عن المعارضة وهذا السبب ليس فيه من القوة ما يقتضي العموم والاستمرار للوهم كما هو ظاهر ومسلم عند المنصف فظهر الفرق بين ما كان مع القدماء من علماء الهيئة وبين ما نحن فيه (اقول اذا كان عموم الوهم واستمراره مقدار ما ينوف عن عشرين سنة غير مسلم عند العقل بدون سبب قوي يقتضي عمومه واستمراره فعمومه واستمراره مقدار ثلاثة عشر قرنا بلا سبب قوي يقتضيهما هما ابعد عن التسليم عند العقل السليم بمراحل فقد مرت الي الان هذه المدة والمعاندون والاخصام لدعوى محمد عليه السلام من علماء الفصاحة والبلاغة والشعراء والمنشئين وافرو العدد محاولون اطفاء نور شريعته ولا مانع يمنعهم ولم يزالوا مسربلين بسربال العجز ومرتدين برداء الضعف عن معارضة اقصر سورة من القرآن العزيز ولا يزالون ولن يزالوا بعد الان نقول هذا على رؤس الاشهاد وفي كل ناد) وهكذا بقي اولئك الطائفة يبحثون عن سبب يكون هو الذي اوقع اولئك الجماهير في الخطاء باتباع محمد عليه السلام فلم يجدوا

بل قام في انفسهم انه بعد استقرائهم في هذا الباب لا سبب هناك للغلط فقالوا حينئذٍ هل احطنا نحن بحقيقة كل ما يتصوره العقل ويقوم في الاذهان وكمل علمنا لكل شيء لا وحق الشرف الانساني لم يحط علمنا بجميع الحقائق المتصورة بل القسم الاكبر من نواميس هذا الكون المادي المشاهد لنا لم يزل محجوبا عنا علمه وكل يوم يتجدد لنا في تلك النواميس علم جديد والذي تطمئن به نفوسنا ان ما علمناه منها انما هو نقطة من بحر في جانب ما لم نعلمه منها فاذا كان الحال كذلك وكنا منحطين هذا الانحطاط في معرفة الحقائق ولم يتفق لنا الوصول الى درجة الاحاطة بمعرفة كل حقيقة تتصور من هذا الكون فضلا عن كون الاحاطة لازما من لوازم ذواتنا فما الذي يؤمننا ان تكون هناك في نفس الامر حقائق وراء هذا العالم المادي لم نطلع عليها ولم نعلم عنها شيئا اما لعدم بحثنا عنها لانصراف افكارنا وانشغالها في العالم المادي واعتيادها على ذلك حتى صار يتخيل لنا انه لا عالم وراء هذا العالم واما لعدم عثورنا على دليل يدل عليها واما لفقد الوسائط فينا التي توصل الى معرفة عالم غير هذا العالم المشاهد لنا فمن كان منا قبل اكتشاف الكهربائية يتصورها ويتصور اثارها ويصدق بذلك كله حتى ابرزتها الصدفة وحققتها التجارب مع انها من عالم الطبيعيات ومع ذلك فلا نزال

عاجزين عن مشاهدتها بالبصر غاية الامر اننا نستدل على وجودها باحساسنا بآثارها على ان ما اشتهر بيننا من القول باننا لا نصدق بوجود شيء حتى ندركه باحدى حواسنا الخمس لم يمكننا التزامه دائما بل نخرج عنه عند الحاجه فهذه مادة الاثير قد صدقنا بهـا واثبتناها ولم يكن ادراكها باحدى حواسنا قطعا وانما الذي الجأنا لاثباتها احتياجنا الى معرفة حقيقة النور و باثباتها قلنا ان النور هو حركة هذه المادة الاثيرية السارية في جميع الكون (الاثير عندهم غاز منتشر في الخلاء مالئ خلاله ساكن بذاته ما لم تفعل به بعض الاجسام كالكواكب فيهتز و يتموج بفعلها فيه كما يهتز الهواء من تاثير الجسم به للصوت و ينتقل اهتزازه الى عضو البصر فيؤثر به و يورثه الشعور بالمرئيات وقالوا ان العوامل او القوى الكيماوية وهي الحرارة والكهربائية والمغنطيسية ما هي الا انبثاق من الاثير وهو الاصل الذي يجمع المواد الاربع غير القابلة للوزن في مادة واحدة وهي النور وهذه الثلاثة) على ان هذا القول المشتهر بيننا لا يعتمد عليه فاي مانع من وجود اشياء تعجز حواسنا بنفسها عن ادراكها وقد تحقق ذلك بالموجودات المكرسكوبية التي لا تدرك الا بالالات البصرية واي مانع من وجود اشياء لا صلاحية في حواسنا لادراكها ولو بالواسطة بل يحتاج ادراكها الى حاسة اخرى

لم توجد فينا كما في الاثير المذكور واذا كانت حواسنا في هذا
العجز في العالم المادي فكيف يستبعد عجزها عن ادراك اشياء في
عالم وراء هذا العالم المشاهد لنا فالانصاف الانصاف اننا قاصرون
في سبيل المعرفة اعظم القصور وان وسائط العلم فينا لحقائق الاشياء
التي يتصورها العقل غير كاملة البتة فيجوز في العقل ان هناك
حقائق كثيرة في نفس الامر لم نزل جاهلين بها وغافلين عنها
ووسائطنا الى معرفتها مفقودة او عديمة الشروط واذا نصرنا
الانصاف وخذلنا الاعتساف نرى ان رفضنا لوجود عالم وراء عالم
الطبيعيات ما هو الا ضرب من المجازفة وحكم بغير دليل لان
غاية ما اوصلنا اليه البحث اننا لم نجد دليلا على وجود عالم وراء
هذا العالم ولا دليلاً على ارتباط هذا العالم بعالم وراءه واما انه قام
دليل معنا على عدم وجود عالم وراء هذا العالم المادي او على عدم
ارتباط هذا العالم به فلا وحق شرفنا الانساني ومن المعلوم المسلم
عند كل ذي بصيرة انه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود في
نفس الامر ولا يلزم من عدم وجود الدليل عدم وجود المدلول فلا
يلزم من عدم وجود الدليل على ذلك العالم او من عدم وجدانه
عدم وجوده في نفس الامر هولاء القدماء منا مضت عليهم الالوف
من السنين وهم يبحثون عن الشي الذي يصدر عنه الرعد والبرق

ولم يصلوا الى دليله الصحيح ولم يعلموا حقيقته وما لزم من عدم وجدانهم اياه ولا من عدم وجدانهم دليله عدم وجوده في نفس الامر وقد وجد المتاخرون دليله وعرفوا حقيقته (وهي الكهربائيه على زعمهم) وهي من لوازم الكون الفعالة فيه العجائب فعلى جميع ما تقدم من قصور معارفنا لحقائق الاشياء وان لم يقم معنا دليل على عدم وجود حقائق وعوالم وراء هذا العالم المادي فقد بقي ذلك في نفس الامر في حيز الامكان فما الذي يؤمننا ان دعوى محمد من جملة تلك الحقائق الممكنة الوجود وانها موجودة في نفس الامر ونحن نجهل حقيقتها وحقيتها ونظنها تحيلا على الرأسة ونظن ان انقياد اولئك الجماهير لمحمد مبني على الوهم لا مستند لهم يقيني فما المانع بعدئذٍ ان محمدا صادق في دعواه واولئك الجماهير انكشفت لهم الادلة التي اوصلتهم الى تصديقه ونحن ما لنا بصحتها ادنى المام واذا كان الحال كذلك وكان محمد عليه السلام مرسلا من جانب آله لهذا العالم وسوف يتحقق جميع ما يخبر به ومن جملة ذلك انه لا بد من البعث والنشور للعالم الانساني ويجازي ذلك الاله من اتبع محمدا بالثواب الدائم ومن كذبه بالعذاب الابدي فاي صواب نكون حصلناه واي ثمرة نستحوذ عليها من اتعابنا وابحاثنا في علومنا الطويلة العريضة من فلكيات وجويات وجولوجيات

ونباتيات وحيوانيات وكيما ويات وغير ذلك افلا يكون حينئذٍ قد اشتغلنا بالدنى الزائل وتركنا العظيم الدائم وحق علينا ان يقال كما في المثل الجاري (لقد خسرت صفقتنا) والذي يهيج افئدتنا ويبعث بنا الى الخوف من الوقوع في سوء الاختيار انه اذا صح قول محمد واتباعه في البعث كان الخسار علينا وحق لنا ان نجري الدموع دما وان صح قولنا في عدم البعث وذهاب البشر بلا اعادة لم يكن عليهم من الخسران ادنى شيء كما قال احدهم في الطبيب والمنجم اللذين على اعتقادنا في انكار البعث شعر

قال المنجم والطبيب كلاهما لن يبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

فالصواب في حقنا ان نحترز وناخذ بالحزم ونترك الجمود على تكذيب كل ما سمعناه مما يغاير معارفنا وناخذ في البحث عن دعوى محمد التي ادعاها وعما اوجب تصديق اتباعه له والنظر في دلائلهم ولا ضرر علينا في ذلك ولا مانع يمنعنا منه بل الجائز ان يكون عاقبة هذا البحث دفع الضرر عنا فعند ذلك صادق جميعهم على هذا الحكم الذي قررأيهم عليه لوضوح دلائله التي تقدمت وانبعثوا بهمة ونشاط للنظر في دعوى محمد عليه السلام والبحث عنها أهي صادقة ام كاذبة وعما اوجب تصديق اتباعه له من الدلائل التي

اعتمدوها ليظهر لهم أهي صحيحة موصلة لهم كما اوصلت تلك
الجماهير الى تصديقه ام فاسدة فترتفع بظهور فسادها الشبهة
فاول ما نظروا فيما جاء به محمد عليه السلام وادعى انه من عند
الله تعالى اله هذا العالم وسماه شريعة فوجدوا فيه كثيرا مما ينافي
علومهم الطبيعية التي يعتقدونها وعندهم انها من اليقينيات فمن
ذلك ماورد في تلك الشريعة ان مادة العالم حدثت بعد ان كانت
معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع الكائنات
على هذا النظام هو الاله وانه قادر على ملاشاتها واعدامها من
الوجود كما اوجدها بعد العدم وان هذا الآله خلق الانسان نوعا
مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق انثاه واسكنهما في دار تسمى
الجنة ثم اهبطهما الى الارض لمخالفتهما ما نهاهما عنه وان للانسان
نفسا تسمى روحا هي غير جسده وان لها تعلقا بجسده ينشأ عنه
حصول حياته وعند ما تنفصل عنه يحله الموت وان تلك الروح
باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتتألم وان الانسان بعد
حلول الموت فيه وفنائه يعيده ذلك الآله ويعيد تعلق الروح
به ويثيبه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض
ويعذبه على اعماله الشرية هناك وانه يجري نعيمه في دار خلقها تسمى
الجنة وعذابه في دار خلقها تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب

عالم الارض والسموات وبعثهم بعد الموت ويخلدون فيهما وان
الذي يقوم به اللذة والالم عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة
فيه هو مجموع الروح والجسد وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل
الانسان وعندها من الادراك ما يكفي لتعيشها وليس عندها من
الادراك والعقل مثل ما عند الانسان فلذلك كلف بعبادة ذلك
الآله دونها وان ذلك الآله خلق اجساما نورانية تسمى الملائكة
قادرة على التشكل وانها تمر امامنا ولا نراها وهي خيرية وتفعل
افعالا تعجز عنها القوى البشرية وهي الواسطة بين ذلك الآله وبين
اخيار البشر المسمين بالرسل في تبليغهم اوامره كما انه اوجد
اجساما اخري تشابه الملايكة المذكورين في بعض خواصهم من
نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على
افعال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم ولا خيرية
صرفة ولا هي واسطة بين ذلك الاله وبين الرسل وتسمى جنا
وانه خلق سبع سموات فوقنا مملؤة بالملائكة وانه ينزل المطر من السماء
وانه خلق جسما كبيرا يسمى كرسيا فوق تلك السموات وجسما اخر
اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافة
عظيمة وان الملك يقطعها بمدة قصيرة جدا وان جميع ما يحدث
في هذا العالم في ارض او سماء او في داري الجزاء فهو بقضائه

وتقديره اي بان يعلمه ويريده ويبرزه الى الوجود بقدرته وقد
خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلما لاثبات ما
يكون وتسطيره لا عن حاجة الى ذلك ثم جميع ما يقضيه فهو
بخلقه يوجد ويكون لا خالق سواه وانه وان يكن قد ربط المسببات
بالاسباب وجعل الاولى تنشأ عن الثانية فهو الخالق للثنتين يخلق
السبب ويعقبه بخلق المسبب وجميع الاشياء انما يوجد تاثيرها
المشاهد لنا بخلقه وايجاده ولا شي يوثر بطبعه او بقوة اودعت فيه
وانه موجود قديم دائم يستحيل عليه العدم واحد احد في ذاته
وصفاته غني عن كل ما سواه مفتقر اليه جميع ما عداه لا يشبه
شيئا من جميع الموجودات ولا يشبهه شيء منها مريد اتم الارادة
عالم اكمل العلم يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن لا يعزب عن علمه شي
قادر على كل شي من الجائز العقلي مهما كان عظيما جسيما حي
متصف بصفات الكمال التي تليق به منزه عن صفات النقصان
الى غير ذلك مما وجدوه في تلك الشريعة المحمدية مما يخالف
معتقداتهم التي اوصلتهم اليها علومهم او مما لا تدل عليه تلك العلوم
بحسب ما وصلت اليه عقولهم فكادوا عند ذلك ينفرون عن عزمهم
الذي عزموا عليه من البحث عن دعوى محمد عليه السلام وتبين
امرها ويرجعون الى الجمود على التكذيب لولا حكمهم السابق

الذي اجمعوا عليه من ان الصواب في حقهم البحث عنها وتبين امرها
تحرزا من الوقوع في الخطا واخذا بالحزم لما الجأهم الى ذلك من
ظهور القصور في معارفهم وعدم احاطتهم بكل حقيقة يتصورها
العقل فبقوا ثابتين على العمل بموجب ذلك الحكم وقالوا لنبحث
اولاً عن هذه المسائل التي وجدناها في شريعة محمد مخالفة
لاعتقاداتنا الماخوذة من علومنا اولا دليل في علومنا عليها قبل ان
ننظر في الادلة التي اعتمدها اتباعه في تصديقه فلعله يظهر لنا
فساد ما جاء في شريعته من تلك المسائل بسبب بحثنا فيها
ويتبرهن لدي اتباعه ذلك فيكون دحضا لدعواه من اول الامر
ونكفي مؤنة البحث في ادلة اتباعه او سواها لكن خطر لهم عند
ذلك اننا اذا اخذنا في البحث عن هذه المسائل فيما بيننا ربما
يصعب علينا ظهور الصواب لاحتمال ان المراد بها غير ما يتبادر
الى الفهم اويكون له وجه صحيح يطابق علومنا ونحن لاندركه
فالاولى ان نجتمع مع عالم من علماء اتباع محمد ونذاكره في هذه
المسائل ونظلب منه بيانها فاما ان يظهر لنا فسادها واما ان يظهر
لنا صحتها وبالمذاكرة مع ذلك العالم لايصعب علينا فهم المراد منها
فاجتمعوا مع عالم من علماء اتباع محمد عليه السلام من اضعفهم
فهما واقلهم علما فشرحوا له قصتهم وما اعتمدوا عليه من المفاوضة

معه في تلك المسائل فقال لهم ان شئتم فاشرحوا لي اولا ملخص
مذهبكم واعتقاداتكم في هذا العالم واصل وجود هذه الكائنات فلعلي
اجد بين ذلك وبين المسائل التي تنكرونها في شريعة محمد عليه
السلام توفيقا او اظهر لكم فساد بعض ما تعتقدونه اوغير ذلك مما
يرفع الخلاف من البين او انفصل عنكم صفر اليدين فاستصوبوا
هذا الراي منه وقالوا له اسمع خلاصة مذهبنا وما اوصلتنا اليه
علومنا [اعلم ان لقدمائنا في اصل هذا العالم وتكون تنوعاته من
سماويات وارضيات مذاهب شتى ولكن الذي قر عليه الامر الان
وكشفه لنا الاختبار والدليل ان اصل هذا العالم من سماويات
وارضيات امران المادة وقوتها (حركتها) وهما قديمتان متلازمتان
من الازل لايتصور انفكاك احداهما عن الاخرى اما المادة فهي
الاثير المالئ الخلاء وهو الهيولى في ابسط ما يمكن تصورها واما
القوة فهي حركات اجزائها الفردة المتماثلة في الذات المتخالفة في
الصفات المتغيرة في الاشكال ونقول انه ليس لتلك الحركة سبب
الا نفسها ثم ان الاجرام السماوية وهي الكواكب والكائنات
الارضية من جمادية وحيوانية ونباتية تكونت من المادة بواسطة
حركتها وحدثت بعد ان لم تكن حدوث المعلول عن علته بمقتضى
الضرورة وليس للمادة ولا لحركتها ادراك وقصد في تكوين شيء

منها فبتجمع تلك الاجزاء على كيفيات مخصوصة حصل مادة سديمية اي اجسام صغيرة وتجمعت على بعضها بناموس الجاذبية وتكونت كرة ودارت على محورها والتهبت بمقتضى نواميس اخرى فكانت تلك الكرة هي الشمس ثم اخذت بقية الكواكب تنفصل عنها بمقتضى دورتها وتتكون كرات وتدور على محاورها ومن جملتها ارضنا التي نحن عليها ثم بعد انفصالها ودورانها على محورها مدة من الزمان اخذت تبرد قشرتها وتتكون طبقاتها وتتولد المعادن والحيوانات والنباتات بسبب حركة اجزاء المادة وتجمعها على بعضها على نسب وكيفيات مخصوصة وقد ثبت لدينا حدوث الحيوان والنبات بعد ان لم يكونا باكتشافات علم طبقات الارض وذلك ان تلك الاكتشافات اظهرت لنا ان اخر طبقة وصلنا اليها من طبقات الارض خالية من الحيوانات والنباتات واثارها وانه مر على الارض زمن ليس فيها من الاجسام الحيوية شي و بعد ذلك اوصلنا البحث والاكتشاف ومشاهدة اعمال الكيمياء الى انه بتجمع اجزاء المادة بواسطة حركتها تكونت العناصر التي تزيد على الستين و بتجمع بعضها وامتزاجه على نسب مخصوصة تكونت المعادن والاجسام الحيوية واول مكون لهذه هو مادة زلالية مكونة من عدة عناصر بين الجامد والسائل لها قوة الاغتذاء والانقسام والتوالد

سميناها برتو بلاسما (اي المكون الاول) و بانقسامها تكونت الخليات التي تتركب منها الاجسام العضوية وحدث بتجمعها ابسط الحيوانات وابسط النباتات وما الحياة الا ظاهر من ظواهر تفاعل تلك العناصر وامتزاجها الكيماوي وليست شيئا اخر تحل في الجسم كما يقول به الحيويون مناوليس للحيوان روح غير حياته هذه ثم اخذت تتوالد وتتكاثر تلك الحيوانات والنباتات البسيطة بما لازمها من اربعة نواميس الاول تباين الافراد فكل فرد لايشابه اصله تماما ومن جملة التباينات الذكورة والانوثة الثانى انتقال التباينات من الاصول الى فروعها مع الاخذ بتباينات اخرى فحدث عن ذلك بين الافراد القوي والضعيف والمتحمل للكوارث الخارجية وغير المتحمل والذي تناسبه الظروف والذي لاتناسبه الثالث تنازع البقاء بين الافراد فيهلك الضعيف وغير المتحمل والذي لا تناسبه الظروف ويبقى ما هو بخلاف ذلك والرابع الانتخاب الطبيعي وهو اختيار الطبيعة وحفظها للاحسن والاكمل فبكرور الملايين من السنين وصلت الحيوانات والنباتات الى ما وصلت اليه بحركة اجزاء المادة الاضطرارية والجري على هذه النواميس الاربعة حتى ان الانسان نفسه ماهو الاحيوان من جملة الحيوانات ترقي في التحسين بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما هو عليه الان و بمقتضى مشابهته

للقرد لايمتنع ان يكون قد اشتق هو واياه من اصل واحد واخذ
هو في الترقي عنه حتى فاق عليه وهو من احدث الانواع الحيوانية
فوجوده من زمن محدود بملايين من السنين معدودة وان كان
انوع كثيرة وجدت قبله بملايين كثيرة وما عقله وادراكه
الانساني الا فعل من افعال مادته بتفاعل اجزائها المتحركة
وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة والحركة خاليا عن العقل
والادراك ثم ان عقله لايخالف عقول بقية الحيوانات الا بالكم ولا
يخالفها في الذات والحقيقة ثم بقية المسائل التي وجدناها في شريعة
محمد (عليه السلام) من بعث الانسان بعد الموت ووجود دار
للنعيم ودار للعذاب ووجود الملائكة والجن والسموات والعرش
والكرسي واللوح والقلم وافعال الملائكة العظيمة وامثال ذلك
(اي من المسائل التي تقدم ذكرها) فانه لادليل في علومنا عليها
فلا نعتقدها بل البعض منها ترفضها علومنا وتدل على استحالتها
لانها خارقة للنواميس الطبيعية التي وجدناها في الكائنات فعدم
اعتقادنا بها ضربة لازب هذا مذهبنا بالاجمال وهو اخر ما قر عليه
راي الجمهور منا معشر الطبيعيين فهات ماعندك ايها العالم المحمدي
ونحن لكلامك من السامعين فعند ذلك قال لهم ذلك العالم
المحمدي اعلموا يا اخواني في الانسانية ان ديني المحمدي واختياركم

اياي في المفاوضة لاظهار الحق هما امران يوجبان على تمحيض النصح لكم والتدقيق في اظهار الحق ولكن عليكم ان تصغوا الى كلامي وتعوا ما اقول بدون تعصب و بغير جمود فان ذلك يعمي عين البصيرة و يستر عنها شمس الحقيقة كما يستر الغمام عن البصر شمس النهار فاذا تركتم التعصب لمذهبكم والجمود على اعتقاداتكم واخلصتم ضمائركم من اسر هذين الامرين المسترقين للضمائر فاني اشرح لكم ما يظهر الحق ظهور الشمس في رابعة النهار (ان شاء الآله الذي لا اعتقد فاعلا في الوجود سواه) فاقول انى بعد التامل الصادق في مذهبكم هذا الذي شرحتموه لي وجدت ان اساسه هو اعتقادكم بقدم المادة فحيث اعتقدتم قدمها لم يلجئكم ظاهر الامر الى الاعتقاد بوجود آله احدثها وحيث وجدتم تنوعاتها السماوية والارضية وثبت عندكم انها حادثة ولم تسلم عقولكم بحدوثها عن نفس المادة فقط اذ لا يظهر للعقل صلاحيتها لذلك احتجتم الى اثبات حركة اجزائها الفردة و بنيتم على المادة وتلك الحركة تكون تلك التنوعات ولو انكم اعتقدتم بحدوث المادة لألجاكم الامر الى الاعتقاد بوجود آله احدثها ورجح وجودها على عدمها ثم متى نظرتم بعد ذلك الى تنوعاتها كنتم تقولون حينئذ ان ذلك الآله الذي احدث المادة هو الذي احدث تنوعاتها اذ لا موجب لاثبات

منشأ لها سواه ولم تحتاجوا الى اثبات حركة اجزاء المادة وتجشموا القول بان تلك التنوعات نشأت عن المادة والحركة بوجه الضرورة بدون قصد ولا روية ولا ادراك ولا تدبير حتى بلغت ما بلغته من النظام العجيب الغريب الذي يحكم صريح العقل بانه محتاج الى اتم القدرة واكمل العلم واسمى الحكمة والتدبير فالذي اراه في هذا المقام اني اذا اقمت لكم البرهان على ابطال قدم المادة واثبات حدوثها واحوجكم الحال حينئذٍ الى الاعتقاد بوجود آله احدثها من العدم واوصلكم ذلك الى ان تنوعاتها هي بفعل ذلك الآله وانها تدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتدبيره لايصعب عليكم بعد ذلك التصديق بشي من بقية المسائل التي وجدتموها في الشريعة المحمدية مخالفة لاعتقاداتكم ومرفوضة بمقتضى علومكم فاعلموا انى وجدت في مذهبكم المتقدم ثلاث قضايا اعتقدتموها اعتقادا جازما وبالتامل في شانها بالنظر السديد يظهر انها لايمكن التصديق بثبوتها جميعا في نفس الامر اذ بعضها الذي ثبوته قطعي بالمشاهدة يقتضي التصديق بثبوته ان لايصح التصديق بثبوت البعض الاخر (فالقضية الاولى) من تلك القضايا انكم قلتم بقدم المادة وقدم حركة اجزائها الفردة وانهما متلازمتان من الازل لاتنفكان عن بعضهما (القضية الثانية) انكم قلتم بحدوث تنوعات المادة من

سماويات وارضيات لاسيما الانواع الحيوية منها فان اكتشافاتكم لطبقات الارض الزمتكم بالحكم ان انواع الحيوانات والنباتات قد حدثت في الارض بعد ان لم تكن وقدرتم حدوثها بالملايين من السنين وحكمتم بمقتضى ذلك ان الانسان من احدثها حيث ان اثاره لم توجد الافي الطبقات العليا من الارض ولم يوجد له اثار في الطبقات السفلى وذلك يدل على تاخره في الحدوث وقد اختلفتم في تقدير مدة حدوثه كما وجدته في كتبكم (القضية الثالثة) انكم قلتم ان جميع التنوعات للمادة قد حدثت عنها بواسطة حركة اجزائها الملازمة لها من الازل على وجه الضرورة وبمقتضى النواميس التي اكتنفتها ولم يكن للمادة ولا لحركتها اختيار في ذلك ولا ارادة والمعنى في ذلك كما هو مصرح به في كلامكم السابق ان التنوعات حدثت عن المادة وحركتها حدوث المعلول عن علته فالتنوعات معلول وهما علة لها (العلة في الحقيقة عندهم هي الحركة ولكن لما كانت لا تنفك عن المادة ولا تنفك المادة عنها حتى قالوا لا تتصور احداهما بدون الاخرى اعتبرتا كشيء واحد هو العلة وانما جاز هذا للتلازم الحاصل بينهما) اذا تقرر جميع ذلك فاعلموا ان كل عقل سليم يحكم صريحا بان الشي لا يتخلف عن علته المستلزمة له البتة فان كانت علته حادثة كان هو حادثا عقبها

بدون تاخر وان كانت قديمة كان هو قديما تابعا لها في القدم لايتاخر عنها ايضا والالزم وجود العلة بدون المعلول وهو محال اذا ثبت هذا فاقول ان قولكم بقدم المادة وحركتها اللتين هما علة التنوعات الكونية من جماد ونبات وحيوان يلزم منه قدم هذه التنوعات المعلولة لهما وانتم لا تقولون بقدمها حسب ما ثبت في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم لطبقات الارض وان قلتم ان لزوم هذه المعلولات لهذه العلة لايلزم منها استكمال الوجود دفعة واحدة لارتباط العلل والمعلولات بعضها ببعض وتحول بعضها الى بعض فالحياة مثلاً يستحيل ان تظهر قبل ان يكون الماء والماء قبل تكوّن عنصريه وهما الهدروجين والاكسجين وهما قبل اجتماع اجزاء المادة على كون يتألف منه ذلك فوجود الحياة يتوقف على وجود الماء ولو لحظة قبلها ففي قياس اي عقل يصح وجودها ووجود سائر المركبات معا قلنا اذا كانت العلة الاولى من هذه العلل وهي المادة وحركة اجزائها حادثة يلزم لها مدة بحسب نواميس النشوء الذي تقولون به لاجل استعدادها واجتماع الاجزاء على كون تتألف منه العناصر ثم الماء ثم الحياة ولايصح في قياس العقل حسب تلك النواميس ان توجد الحياة قبل الماء والماء قبل العناصر والعناصر قبل تجمع

اجزاء المادة (هذا على سبيل المجاراة لعقولهم واما في عقول اتباع محمد عليه الصلاة السلام فيصح ذلك حيث يحال فعله على قدرة الآله القادر على ذاك) واما اذا كانت العلة الاولى قديمة كما زعمتم فكيف يصح الحكم بان تلك المعلولات لها حادثة مع ان علتها موجودة من الازل فما دامت علتها توجب حصولها بالاضطرار فما الذي اخر حدوثها الى مدة كذا مليونا من السنين ولاي شيء لم توجد قبل ذلك وان قلتم حتى استعدت العلة لحدوث المعلولات فاقتضى الحال مدة كذا مليونا للاستعداد قلنا لكم ولِمَ لم يحصل الاستعداد قبل تلك المدة التي عينتموها له مع ان العلة الاولى القديمة هي مقتضية له ايضا وما الذي اخره واي شيء احدثه بعد ذلك وكلما ترقيتم في تطويل مدة حدوث المعلولات ومدة الاستعداد لحدوثها نقول لكم ولِمَ لم يكن الحدوث والاستعداد قبل ذلك وهلم جرا والملخص انه لاشك ان الاستعداد ناشي عن العلة الاولى بالاضطرار فيكون كمعلول لها وتلك العلة قديمة فيلزم ان يكون قديما ويتبعه قدم التنوعات المعاولة والا يلزم وجود العلة في الازل بدون المعلول وهو محال فاما ان تقولوا بقدم تلك التنوعات المعلولة وتكذبوا ما ثبت في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم لطبقات الارض وانتم لا تقولون بذلك واما ان تقولوا ان المادة

وحركتها فاعلتان بالاختيار فخصصتا زمانا لحدوث التنوعات وانتم
ايضا لا تقولون بذلك وتنكرونه اشد الانكار كما رايته في كتبكم
ولو فرض ان بعضكم يقول به يلزم عليه القول بان لكل جزء من
اجزاء المادة علما وادراكا يؤهله ان يتخابر به مع بقية الاجزاء على
كيفية اجتماعها معه ليحصل النوع الفلاني او النوع الفلاني مخابرة
تقصر عنها مخابرة مجلس الاعيان ومجلس الشيوخ في العالم السياسي
واشكالات اخر ترد على ذلك يطول بنا الشرح ان اوردناها الان
واما ان تبينوا سببا لتاخر تلك التنوعات عن علتها وتكونها من
كذا مليونا ولا ارى عندكم من بيان ذلك عينا ولا اثرا ودونه
خرط القتاد واما ان تقولوا بحدوث المادة وحركتها التي تزعمونها
وهو المطلوب ونظم الدليل بوجه الاختصار هكذا لو كانت علة
التنوعات وهي المادة وحركتها قديمة لكان الاستعداد لها قديما ولو
كان الاستعداد قديما لكانت التنوعات قديمة لكن التنوعات غير
قديمة فلم يكن الاستعداد قديما ولما لم يكن الاستعداد قديما لم تكن
العلة المذكورة قديمة وهو المطلوب ثم اذا قلتم (ولا اخالكم تجترؤن
على ذلك) ان الاستعداد حادث والتنوعات حادثة ولكن المادة
وحركتها قديمتان اقول لكم وقبل الاستعداد ماذا كانت المادة
وحركتها تفعلان في الازل وكيف يمر على المادة الازل وهي

متحركة حركة عقيمة غير منتجة وما الذي هيأ لها بعد ذلك العقم الممتد الازلي الغير المحدود ان ينتج عنها ذلك الاستعداد من زمن محدود ثم تلك التنوعات كذلك ولا اخال ان عندكم جوابا غير السكوت فالحق بعد ذلك كله ان المادة وحركة اجزائها التي تزعمونها وتثبتونها لتفهموا كيف تنوعت الانواع حادثتان وجدتا بعد ان لم تكونا ثم ههنا ادلة اخرى برهانية تدل على حدوث المادة ولكنها ليست مبنية على اكتشافاتكم كالدليل المتقدم ولا بأس بايراد واحد منها حسن ظن بكم ان عقولكم لا تقصر عن فهمه والاذعان له لاسيما اذا وفيتم بوعدكم برفض التعصب الذى تاملته منكم وذلك انه لايخفى ان المادة لا تخلو عن صورة تقوم بها ولا يمكن ان يتصور وجود المادة خالية عن كل صورة (كما انه لايمكن ان يتصور وجودها خالية عن التحيز واخذ قدر من الفراغ) فلا بد انها تكون ذات صورة اما اثيرية او سديمية او عنصرية او معدنية او نباتية او حيوانية ولذلك قلتم انها في وجودها الاول الذي هو قبل تنوع الانواع منها كانت في ابسط ما يمكن تصوره وان الصور التي تلبسها المادة انما هي ناشئة عن الحركة التي تحركها وان الحركة والمادة غير منفصلتين فهذا صريح بانكم لم تعتبروها في ذلك الحين خالية عن جميع الصور لان عقولكم لا تقبل ذلك

ثم ان كل صورة تقوم في المادة لاشك انها حادثة لانها تزول ويطرأ عليها العدم ولو كانت ابسط صورة كالصورة التي فهم من كلامكم انها كانت للمادة قبل تنوع انواعها لانه شوهد عدمها وخلفها الصور النوعية بعدها وكل ما يطرأ عليه العدم ويقبله يستحيل عليه القدم لان القديم لا يزول كما سياتي لان قدمه اما لأن ذاته تقتضي وجوده اي انه ليس له سبب الا نفسه وهو القدم الذاتي واما لان علة قديمة غير ذاته تقتضي وجوده وهو القدم غير الذاتي وغير ذلك لايتصور ان يكون قديما وما دام المقتضى لوجود الشي سواء ذاته اوشي اخر قائما وحاصلا فكيف يمكن طرؤ العدم والزوال على ذلك الشي فالقديم بنوعيه لايمكن طرؤ العدم عليه ولا يقبله البتة اذا تقرر هذا فنقول ما دامت الصور اللازمة للمادة حادثة فلايمكن ان تكون المادة قديمة لانا اذا ترقينا الى ابسط صورة كانت في المادة لايمكن في العقل ان تكون قبلها صورة ابسط منها نقول هذه الصورة حادثة بدليل قبولها العدم فقبل حدوثها ماذا كان حال المادة فاما ان تقولوا انها كانت بدون صورة وهو محال لما تقدم من استحالة وجود المادة بدون صورة واما ان تقولوا انه قبل هذه الصورة كانت صورة ابسط منها وهو خلاف المفروض من ان هذه الصورة هي ابسط ما يمكن من الصور وليس فوقها ابسط منها

واما ان تقولوا ان المادة قد حدثت مع هذه الصورة فتكون حادثة لا قديمة وهو المطلوب و بعبارة اخرى نقول ان المادة ملزومة لتلك الصورة او لما خلفها من الصور النوعية التي اتت بعدها وتلك الصور وما خلفها لازمة لا تنفك عن المادة كما بين العلة والمعلول وحينئذٍ يقال لو كانت المادة الملزومة قديمة لكانت هذه الصور اللازمة قديمة لعدم جواز انفكاك اللازم عن الملزوم لكن هذه الصورة ليست بقديمة بدليل قبولها العدم فالمادة ليست بقديمة ايضا اذ ان رفع التالي يقتضي رفع المقدم كما هو مبرهن عليه في المنطق و يدركه كل ذي عقل سليم

ثم بعد تمام ما تقدم نقول ان الحادث لا بد له من امر يحدث عنه و يترجح به وجوده على عدمه ويخرج به من ظلمة العدم الى نور الوجود والا فيلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المحالات البديهية وان افضى بكم الحال الى القول بجواز الترجيح بلا مرجح فاقول لكم اذا سمعتم رجلا يقول اني رايت ميزانا من ادق الموازين الثي اخترعها البشر وهو متساوي الكفتين في الثقل و بينما كفتاه متوازيتان او اليسرى مائلة و بالغة بميلها الى الارض بسبب ما اذ رجحت اليمنى على اليسرى حتى صدمت الارض وارتفعت اليسرى الى غاية ما يمكن من ارتفاعها وقد حصل ذلك بدون مرجح للكفة

الراجحة لا قوة حيوان ولا مصادمة هواء ولا جسم اخر سقط فيها
ولا شي من جميع ما يصلح لترجيحها فان صدقتم قول هذا القائل
فاني اعلم حينئذٍ انكم بلغتم درجة من العناد لا يسوغ عندها المحاورة
معكم وان لم تصدقوه وقلتم ان ذلك من المحال قلت لكم هذا هو
الترجيح بلا مرجح الذي قدمت لكم انه من المحالات البديهية ولا
فرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت
حسية او عقلية في ان الترجيح بلا مرجح محال في الجميع كما هو
ظاهر للمتأمل واذا تنبهتم لكثير من محاوراتكم في علومكم تجدون
انفسكم كثيرًا ما تلتجؤن الى هذا الاصل وهو استحالة الترجيح بلا
مرجح عند محاججة اخصامكم فاذا ادعى شخص ان الحادث الفلاني
الطبيعي قد وجد بدون سبب نتج عنه ووجود فلتة من فلتات
الطبيعة تقولون له هذا غير ممكن والتحقيق عندنا ان ما يسمى فلتة انما
هو بحسب الظاهر حيث لم يعلم سببه وفي الحقيقة لا بد ان يكون
وجوده عن سبب وناموس من النواميس الطبيعية قد خفي
علينا فكلامكم هذا هو عين الاعتماد على استحالة الترجيح بلا مرجح
وبهذا ظهر انكم تقولون بهذا الاصل ولا تنكرونه وانما اطلت لكم
في تقريره مع بداهته ووضوحه لاني رايت بعض ضعفائكم ينكرونه
ويقولون لا مانع من الترجيح بلا مرجح وقاحة ناشئة عن الجهل

لايرتكبها الاكل بليد قاصر القوى العقلية اشبه الناس بالسوفسطائيه المنكرين حقائق الاشياء حتى المشاهدات زاعمين انها خيالات

هذا فاتباع محمد عليه السلام بعد ما ثبت عندهم ان المادة حادثة بادلة كثيرة منها ما قدمته لكم هنا وخصصتكم به حيث يناسب اكتشافاتكم واصول علومكم اوانه واضح لايتوقف على مقدمات يصعب فهمها على عقولكم وثبت عندهم ان الترجيح بلا مرجح محال قالوا لابد من شي حدثت عنه تلك المادة وترجح به وجودها على عدمها وهذا الشي لابد ان يكون موجودا لان المعدوم لايوجد عنه شي مالا اضطرارًا ولا اختيارًا كما هو بديهي عند العقل فاعتقدوا بوجوب وجود هذا الشيء الذي نشأت عنه المادة التي هي اصل العالم و باستحالة عدمه لامتناع حدوث الموجودات عن المعدوم ولامتناع اجتماع الوجود والعدم وسموه اله العالم ثم قالوا ان هذا الاله لابد ان يكون قديما والا فلو كان حادثا لاحتاج الى ما يحدث هو عنه لامتناع الترجيح بلا مرجح وهكذا يقال فيما حدث عنه وهلم جرا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما ادي اليهما وهو حدوث ذلك الاله يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما

اما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الاخر فيلزم ان كلاًّ منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الا له الذي توقف عليه وجود المادة توقف وجوده عليها اما بلا واسطة واما بواسطة بان توقف وجوده على شيء اخر وذلك الشيء الاخر توقف وجوده على وجود المادة فيلزم ان المادة وجدت قبل وجود الشيء الذي كان سبب وجودها فيلزم انها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان ولا يقول به عاقل وهذا هو الدور الحقيقي الذي لاشك في بطلانه واما الدور المعي الذي هو عبارة عن توقف شيئين على بعضهما لانهما معلولان لعلة واحدة كوجود النهار وضياء الكون المعلولين لطلوع الشمس فهو غير محال وليس كلامنا فيه واما التسلسل فهو ترتب امور وتعاقبها في جانب الازل لانهاية لها وانما حكم العقل باستحالته لاستلزامه عدة محالات وما يستلزم المحال يكون محالاً وقد ذكر اتباع محمد عليه السلام في كتبهم جملة ادلة على بطلانه مفصلة مشروحة ولكن نحن نقتصر هنا على ما يقرب لافهامكم منها ونذكر مما يناسب ذلك دليلين فنقول لاشك ان كل عقل سليم يحكم انه من اجلى البديهيات ان العدد الناقص لايساوي في عدة افراده العدد الزائد عليه وهو ظاهر الاستحالة و يحكم بان المقدار



اما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الاخر فيلزم
ان كلاً منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود
ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الاله الذي توقف عليه وجود
المادة توقف وجوده عليها اما بلا واسطة واما بواسطة بان توقف
وجوده على شيء اخر وذلك الشيء الاخر توقف وجوده على وجود
المادة فيلزم ان المادة وجدت قبل وجود الشيء الذي كان سبب
وجودها فيلزم انها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان
ولا يقول به عاقل وهذا هو الدور الحقيقي الذي لاشك في بطلانه
واما الدور المعي الذي هو عبارة عن توقف شيئين على بعضهما
لانهما معلولان لعلة واحدة كوجود النهار وضياء الكون المعلولين
لطلوع الشمس فهو غير محال وليس كلامنا فيه واما التسلسل فهو
ترتب امور وتعاقبها في جانب الازل لانهاية لها وانما حكم العقل
باستحالته لاستلزامه عدة محالات وما يستلزم المحال يكون محالاً
وقد ذكر اتباع محمد عليه السلام في كتبهم جملة ادلة على بطلانه
مفصلة مشروحة ولكن نحن نقتصر هنا على ما يقرب لافهامكم منها
ونذكر مما يناسب ذلك دليلين فنقول لاشك ان كل عقل سليم
يحكم انه من اجلى البديهيات ان العدد الناقص لايساوي في عدة
افراده العدد الزائد عليه وهو ظاهر الاستحالة و يحكم بان المقدار

الذي يكون محصورا بين حاصرين لابد ان يكون متناهيا واجتماع
كونه محصوراً بين حاصرين وكونه غير متناه محال فاذا سلمتم
هذين الحكمين ولا شك في تسليمكم اياهما لبداهتهما فاقول اولاً
لو جاز وقوع التسلسل وهو تعاقب امور لانهاية لها في جانب
الازل لساغ لنا ان نفرض سلسلتين من تلك الامور احداهما
مبتداة من هذا الزمان والاخرى من قبله بالف سنة مثلا ولاشك
ان الاولى تكون زائدة على الثانية في عدد مخصوص ثم ناخذ
باسقاط امر امر من كل منهما اعني ان نسقط من الاولى واحدا ومن
الثانيه واحدا وهلم جرا فاما ان تفنى واحدة من السلسلتين دون
الاخرى وهو خلاف المفروض واما ان تفنيا معا فقد بطل عدم
التناهي في جانب الازل الذي هو التسلسل وهو المطلوب واما
ان لا تفنى واحدة منهما فيلزم مساواة الناقصة للزائدة عليها وقد
قلنا ان مساواة العدد الناقص للزائد عليه محال فقد ظهر ان عدم
تناهي الامور في جانب الازل الذي هو التسلسل يستلزم المحال
فيكون محالا وثانيا لو كان التسلسل جائزاً لساغ لنا ان نفرض
خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقي مثلث ذاهبين الى
غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة امور متعاقبة في جانب الازل غير متناهية
ثم نفرض المسافات التي بينهما خطوطا تمتد كلما امتد الخطان

المذكوران هكذا فاذا قلنا بعدم تناهي الخطين يلزم منه عدم
تناهي امتداد المسافات بينهما التي اعتبرناها خطوطا فلا بد ان
نقول بوجود خط من تلك الخطوط غير متناه وهو محصور بين
حاصرين اذ لاشك ان تلك المسافات محصورة بين حاصرين وهما
الخطان وقد قدمنا ان المقدار الذي يكون محصورا بين حاصرين
لا بد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا كذلك مع كونه غير
متناه محال فما ادى اليه وهو عدم تناهي الخطين المفروضين الذي
هو التسلسل محال فاذا تاملتم فيما حررته لكم في ابطال الدور
والتسلسل واستحالتهما وانعمتم النظر ظهر لكم ان ذلك الاله الذي
هو مصدر المادة لايمكن ان يكون حادثا عن شي اخر والا يلزم
اما الدور فيما لو رجعنا وقلنا ان وجوده متوقف على وجود المادة
واما التسلسل فيما اذا قلنا ان وجوده متوقف على وجود شي اخر
والشيء الاخر متوقف على آخر وهلم جرا الى غير النهاية وكل من
الدور والتسلسل محال كما تقدم فما ادى اليهما وهو كون ذلك
الاله حادثا يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما
اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم وقدمه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم ذلك الآله يقول اتباع محمد عليه السلام ان
قدمه ما هو الا لامر يقتضي وجوده في الازل اما ذاته فهو قديم

لذاته واما امر آخر غير ذاته فهو قديم لغيره ولا دليل على انه قديم لغيره ولا داعي اليه ولو قيل به لانتقل الكلام الى ذلك الغير هل هو قديم لذاته او لغيره وهكذا فيلزم اما التسلسل وهو محال واما الانتهاء الى قديم لذاته فعلام الهرب منه فالحق ان يقال ان ذلك الآله قديم لذاته اي ان ذاته تقتضي وجوده من الازل (نظير ذلك قولكم ان مقتضي الحركة لاجزاء المادة هو نفس الحركة لامقتضي لها سواه كما رايته في كتبكم فلا تستغربوا هذا القول بان الآله قديم لذاته بمعنى ان ذاته تقتضي وجوده) وحينئذٍ فيقال ما دامت الذات التي تقتضي وجود الآله قائمة فلا يجوز ان تقبل العدم والزوال والا يلزم قيام المقتضي لوجود الشيء مع عدم وجود ذلك الشيء وفنائه وهو محال فثبت بهذا ان ذلك الآله يستحيل عليه العدم والفناء ويجب له البقاء فهو باق الى غير نهاية

ثم يقولون ان هذا الآله الذي هو مصدر المادة اما ان يكون حدوث المادة عنه بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما ان يكون حدوثها عنه بطريق الارادة والاختيار اي انه هو الذي اراد وجودها واختاره وعين له الوقت الذي وجدت فيه لا جائز ان يكون حدوثها عنه بطريق العلية لانه لو كان ذلك وهو قديم للزم ان تكون المادة قديمة ويتبعها قدم التنوعات اذ حيث

لا اختيار ولا ارادة هناك فلم تكن التنوعات الا بطريق المعلولية فلا يجوز ان تكون حادثة متاخرة عن علتها وقد ثبت حدوث كل من المادة وتنوعاتها فلم يكن حدوث المادة عن ذلك الآله بطريق المعلولية فلم يبق الا انها حدثت بارادته واختياره وتخصيصه لها الوقت الذي اوجدت فيه فقد ثبت بهذا ان ذلك الاله مريد مختار وجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية والاضطرار

ثم ان ذلك الآله بارادته لوجود تلك المادة قد رجح وجودها على عدمها وخصص زمانه واما احداث نفس الوجود وابرازها من العدم فهو لايكون بالارادة وقد قلنا انه لايكون بطريق العلية فلا بد ان يكون بطريق الصنع والفعل فتلك المادة ما حدثت الا بفعل ذلك الاله وصنعه قابلة لتلك التنوعات المحيرة للافكار وحينئذٍ يقول اتباع محمد عليه السلام ان ذلك الاله الذي اوجد تلك المادة (الغامضة الحقيقة على عقول فلاسفة البشر كما يظهر من الاطلاع على الاختباط الواقع في كتبهم في تحديدها وكشف حقيقتها) التي تنوعت الي تلك الانواع العجيبة الغريبة من سماويات وارضيات جمادية ونباتية وحيوانية قابلة التطور من طور الى طور والاستحالة من صورة الى صورة لاشك انه قادر اكمل

القدرة وعالم اتم العلم سواء كان هو الذي نوع تنوعات المادة الى
انواعها وطورها الى اطوارها واوجد منها تلك الكائنات الغريبة
مع ذلك الاحكام العجيب كما هو اعتقاد اتباع محمد عليه السلام
او انه اوجد المادة الصالحة لتلك التنوعات والتطورات بموجب
النواميس القائمة بها وحركة اجزائها الفردة كما تقولون انتم من ان
تلك التنوعات حصلت عن حركة اجزائها جارية على نواميس
مخصوصة فعلى كل من الامرين تحصل الدلالة القاطعة على كمال
قدرته وعلمه لان الذي يوجد شيئاً بسيطا ثم يقلبه الى انواع لا تعد
ولا تحصى ويستخرج منه الغرائب والعجائب مع غاية الاتقان والاحكام
او الذي يوجد شيئا بسيطا قابلا بمقتضى نواميس قائمة فيه ان
يؤل الى انقلابه الى انواع تفوق الحد غرابة متقنة محكمة لا يشك
عاقل بوجوب قدرته وعلمه واستحالة عجزه وجهله مثلا اذا راينا
ساعة من الساعات التي يستعلم بها الوقت وكل منا يعرف ماتحتوي
عليه من التركيب العجيب المبني على قواعد هندسية وقياسات
نظامية ونواميس ميكانيكية في غاية الضبط ونهاية الاحكام فكما
نعلم ان لها صانعا صنعها واتقنها نعلم قطعا ان ذلك الصانع ما صنعها
الا وهو ذو قدرة كافية لصنعها وذو علم كاف لاتقانها واحكامها
سواء كان هو الذي صنع اجزاءها وركبها حتى تم عملها او هو صنع

اجزاءها على طريقة تتركب هي بها و يتم عملها ولو قيل لنا ان الذي صنع هذه الساعة رجل اعمى اصم مقطوع اليدين والرجلين جاهل ابتر لايدري شيئا من علم الهندسة ولا شيئا من فن الميكانيكيات لكذبنا ذلك القائل اشد التكذيب ولم تذعن له عقولنا باقل التصديق وقلنا ان من يصدق هذا القول هو احمق الحمقاء هذا ثم اقول لكم انكم لما لم تهتدوا الى العلم بوجود من اوجد المادة واعتقدتم قدمها ثم رايتم تنوعاتها وتطوراتها التي حدثت فيها بعد ان لم تكن ولم تهتدوا ايضا الى العلم بوجود من احدث تلك التنوعات والتطورات احتجتم الى البحث عن موجب نشأت عنه تلك التنوعات اذ العقل لايقنع انها حدثت عن المادة بمجردها لان كل حادث لابد له من سبب صالح لحدوثه ومجرد المادة ليس كذلك فبعد هيامكم في كل واد قلتم ان اجزاء المادة الفردة المختلفة الاشكال متحركة حركة ازلية و بسبب تلك الحركة اخذت تجتمع تلك الاجزاء على كيفيات واوضاع شتى فنتجت تلك التنوعات فاقنعتم عقولكم بان تلك الحركة هي سبب تلك التنوعات مع انكم لم تروا تلك الاجزاء لا بالعين المجردة ولا باكبر المعظمات للمرئيات (ولن تروها) ولم يحصل لكم ادني احساس بحركتها (ولن تحسوا) وانما الذي الجأكم الى القول بها وبحركتها هو مجرد

احتياجكم الى فهم كيف تنوعت تلك الانواع وما اكتفيتم بذلك
حتى قلتم ان لتلك الاجزاء اشكالامتغايرة حتى يصح لكم ان تقولوا
انه باجتماعها مع تغاير اشكالها تظهر الانواع والصور وانتم مع ذلك
كله لم تروا نفس الاجزاء فضلا عن رؤية اشكالها بل كل ذلك
فرض وتقدير حملكم عليه الاحتياج الى فهم كيف حصلت الانواع
فانتم هاهنا قد تركتم قاعدتكم التي طالما نسمعكم تطنطنون بها وهي
انكم لاتسلمون الا بالذي يؤديكم اليه الاحساس والمشاهدة
فنراكم هنا قد التجأتم الى الاستدلال بالدليل النظري العقلي بدون
احساس ولا مشاهدة ونحن لا ننكر عليكم هذا الطريق من
الاستدلال العقلي فانه طريق لنا ولجميع الحكماء الاساطين ولكن
نذكركم ان قولكم انا لا نعتمد الا على الاحساس والمشاهدة قول لم
يتم لكم الجري عليه (ولن يتم) وان قلتم ان الحال الجانا هنا حيث
قد شاهدنا اثار تلك الاجزاء وحركتها وهي التنوعات واستدللنا
بتلك الاثار على موثرها نقول لكم وهكذا نحن وسائر اهل الملل
نستدل على وجود آله للعالم بمشاهدة اثاره وهي هذه الكائنات فلم
نراكم تستصعبون فهم استدلالنا ويسهل عليكم استدلالكم مع
ان استدلالنا هو المقبول عند العقل كما سيأتي بيانه
هذا ثم نرجع الى صدد ما كنا فيه ونقول واما اتباع محمد عليه السلام

فلما ثبت عندهم حدوث المادة وثبت ان لها محدثا احدثها واوجدها
من العدم على ما هي عليه من قبول التنوعات والتطورات وثبت
عندهم بذلك ارادة ذلك الموجد وقدرته وعلمه لم يحتاجوا بعد ذلك
الى ان يلتمسوا اثبات شيء اخر غير ذلك الموجد لاجل فهم كيف
تنوعت تلك الانواع فقالوا ان ذلك الاله الموجد للمادة على ما
هي عليه من قبول التنوعات المتصف بالارادة والقدرة والعلم هو
الذي نوع من المادة بعد ايجادها تلك الانواع وابتدع هاتيك
الصور التي تحتار فيها الفكر اذ حيث لا بد من موجب لحدوث
تلك الانواع فاحالة احداثها على ذلك الاله المريد القادر العليم
هو المقبول عند العقل دون احالته على حركة اجزاء المادة التي
لا توصف بارادة ولا قدرة ولا علم بل بمجرد الاتفاق في تجمع الاجزاء
على الكيفيات المخصوصة ثم جريها على نواميس لا يدري العقل
كيف لازمتها وبعض تلك النواميس وان كان في امكان العقل
ان يلتمس لملازمته موجبا وذلك كوراثة الفروع للتباينات التي
في الاصول كما تقدم في تقرير مذهبكم ولكن ليس في امكانه ان
يلتمس موجبا لملازمة بعض اخر منها وذلك كالتباينات التي لابد
ان توجد في كل فرع يخالف فيها اصله اذ لكل عاقل ان يقول
اي داع للزوم تباينات الفروع للاصول وان لا يتفق موافقة

فرع لاصله بدون تباين عنه في شي ما مع ان المامول في العقل ان الفروع توافق الاصول ولا تخالفها فلولا ان هناك شيئا يوجب تلك التباينات دائما لما كانت ناموسا ملازما واما مجرد حركة الاجزا فلا مقنع فيه للعقل انه يوجب تلك التباينات على الدوام اذ لايظهر فيها ادنى صلاحية لذلك الاستمرار كما هو ظاهر لكل فكر سليم

وفي هذا المقام مثال لايخلو عن توضيحه وهو انا اذا علمنا ان رجلا صنع اجزاء آلة بخارية ثم وجدناها بعد ذلك مركبة وآخذة في الدوران وفي عملها الخاص بها فاي الامرين يقبله العقل أقولنا ان الذي صنع اجزاء تلك الآلة هو الذي ركبها وادارها ام قولنا ان تلك الاجزاء بواسطة حركة قائمة بها اخذت تتركب مع بعضها على طول الزمان حتى تم تركبها لاشك ان العقل يقبل الاول ويرفض الثاني من دون شك ولا ريب وها هنا انما يقبل العقل ان الذي اوجد المادة قابلة لتنوعاتها هو الذي نوعها منها لا انها هي بحركة اجزائها وناموس الوراثة وناموس التباين بدون ان يكون لموجد المادة صنع تنوعت تلك التنوعات المحتاجة لاتم القدرة واسمى الغلم والحكمة فانصفوا يا اولي الالباب

وبعد جميع ما تقدم في اثبات ارادة آله العالم وقدرته وعلمه قال

اتباع محمد عليه السلام بامر يجب التنبيه عليه هنا وهو انهم قالوا
ارادة ذلك الآله وقدرته انما يتعلقان بالجائز عقلا اي بالامر الذي
يصدق العقل بان يكون موجودا و بان يكون معدوما مهما كان
عظيما جسيما فالاله بارادته يخصصه بوجود او بعدم و بغير ذلك
من الشؤن والاحوال و بقدرته يبرزه على طبق ما خصصه بارادته
واما الامر الواجب عقلا اي الذي لايصدق العقل بعدمه كملازمة
الحيز للجرم والامر المستحيل عقلا اي الذي لايصدق العقل بوجوده
كالجمع بين النقيضين فارادة ذلك الآله وقدرته لايتعلقان بهما
البتة لا ايجادا ولا اعداما لان الواجب عقلا حاصل حتما ولايمكن
خروجه عن الوجود فلا يتعلقان به ايجاداً لانه تحصيل حاصل
ولا اعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود والامر المستحيل
معدوم حتما ولايمكن دخوله في الوجود فلا يتعلقان به لا اعداما
لانه تحصيل حاصل ولا ايجاد الاستحالة وجوده ودخوله في الوجود
واما علم ذلك الاله فيتعلق بكل امر تعلق انكشاف سواء كان
ذلك الامر جائزا عقلا او واجبا او مستحيلا فذلك الاله يعلم بعلمه
كل شيء ايما كان وسواء كان حاضرا او ماضيا او مستقبلا اما
الحاضر فتعلق علمه به ظاهر سواء كان واجبا او جائزا او مستحيلا
فان المستحيل حاضر في التصور فيعلمه ويعلم استحالته واما الماضي

المنقطع الوجود فهو من الحوادث التي حدثت بايجاده وعدمت باعدامه ولا غرابة بان من صنع شيئا ثم اعدمه يبقى تعلق علمه به واما المستقبل الذي لم يوجد بعد فتعلق علمه به ايضا ظاهر فانه ما دام ذلك الشي سيحدث ولا يحدث الا بتعلق ارادته بتخصيصه وقدرته بابرازه لان كل الحوادث آثار افعاله فلا بد انه يعلمه قبل ان يوجد حيث انه اراده ولا غرابة في ان انسانا عزم على عمارة دار بكيفية مخصوصة بعد شهر مثلا انه يعلم ما سوف يصنعه في تلك الدار لكن الفرق بين علم ذلك الانسان وعلم الآله ان ذلك الانسان ربما لا يتيسر له صنع تلك الدار لمانع ما فيصير علمه السابق غير مطابق للواقع واما الآله فلا مانع يمنعه من افعاله التي يريدان يفعلها فلا بد ان يفعلها فلا يزال علمه مطابقا للواقع ولا يمكن تخلفه البتة ومن هذا المقام تفهمون ما ورد في الشريعة المحمدية ان كل شي من الحوادث بقضاء وقدر لانه ما دام ان كل حادث في الكون هو بصنع آله العالم على وفق ما سبق به علمه فلا بد ان تتعلق به قدرته ايجادًا على وفق ما سبق به علمه وهو القضاء ولابد ان يتعلق به علمه ازلا ويحدده بحده الذي يوجد عليه وهو القدر (تفسير القضاء والقدر بما هنا هو احد تفاسير ثلاثه ذكرها الباجوري في حاشية الجوهرة وهذا تفسيرا لما تريديه) ومن هنا ايضا تفهمون

ما ورد في تلك الشريعة من ان الرسل والاولياء يخبرون بالغيب ومستقبل الامور لانه اذا كان آله العالم يعلم الغيب والمستقبل من الحوادث حيث ان كل حادث بصنعه وبتعلق ارادته وعلمه فلا مانع من انه يُعلم بذلك الغيب اوالمستقبل احدا من اولئك الرسل والاولياء وان قلنا ليس من طبيعة علم الانسان ان يعلم شيئا منها لذاته لكن لا مانع من اعلام الآله له به فما كان ذلك من اولئك المذكورين الا باعلام الآله لهم وهم يخبرون بذلك وليس احد منهم يدعي علم الغيب بذاته لانه فضلا عن كون علمهم لايقتضي ذلك فالشريعة المحمدية تعد ادعاء علم الغيب بالذات من اكبر المحظورات وتوجب تكفير من يدعيه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام قالوا ان آله العالم الذي ثبت لدينا وجوده وقدمه وبقاؤه وقدرته وارادته وعلمه يجب ان يكون حيا اذ الميت لايعقل وصفه بارادة ولاقدرة ولا علم كما هو ظاهر فقد ثبت له صفة الحياة واستحال ان يوصف بالموت ثم قالوا ان هذا الآله لايمكن ان يشابه المادة في خاصة من خواصها التي من طبيعة نفس المادة ان تكون لازمة لها لاتنفك عنها وهي الصفات العامة اللازمة لجميع انواع المادة اومن طبيعة نفس المادة ان تقبلها سواء وجدت في جميع انواع المادة او في بعض مركباتها وهي الصفات

العامة غير اللازمة او غير العامة وذلك كالجوهرية والجسمية
والعرضية والتحيز والتركب والتجزئ والتولد عن الغير وولادة
الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية والجمادية والانتقال
من حيز الى حيز والانفعالات النفسية وامثال ذلك لانه لو شابهها
في شيء من تلك الخواص لكان مادة مثلها لان الشي الذي يشابه
شيئا آخر في خاصة من خواصه ومقتضيات ذاته وطبيعته يكون
مثله البتة ولو كان ذلك الآله مادة لجاز عليه ما جاز عليها من
الحدوث لانه ما جاز على احد المثلين يجوز على اخر وقد قام
الدليل على وجوب قدمه واستحالة حدوثه فقد ثبت بهذا ان
ذلك الآله لا يجوز ان يشابهها فوجب ان يخالفها وهذا معني ما يعتقده
اتباع محمد عليه السلام من ان آله العالم يجب له المخالفة للحوادث
ويستحيل عليه المشابهة لها فلا هو مادة ولا يجوز اتصافه بشي من
خواص المادة كما تقدم

ثم حيث تبين انه ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج لمكان يقوم فيه
ولا عرضا فلا يحتاج لمحل يحل فيه ويتقوم به وايضا لو كان عرضا
واحتاج الى محل يتقوم به لكان صفة ولو كان صفة لما صح اتصافه
بالصفات التي تقدمت وهي القدرة والارادة والعلم والحياة وقد قام
الدليل على اتصافه بها فلا يصح ان يكون صفة فليس هو عرضا

محتاجا الى محل يحل فيه ويتقوم به وهو المطلوب ثم حيث ثبت انه قديم فلا يحتاج الى موجد يوجده وهذه المعاني وهي عدم احتياجه الى المكان والمحل والموجد هي معنى ما يعتقده اتباع محمد عليه السلام من ان آله العالم يجب له القيام بنفسه ويستحيل عليه القيام بغيره وعلى هذه الصفة دليل آخر وهو انه لو احتاج الى مكان او محل يحل فيه او موجد يوجده لكان من الواجب ان يكون كل مما ذكر موجودا قبله ولا يكون مصنوعا له وقد قام الدليل على انه هو القديم قبل كل شي من الاكوان وكل شيء منها مصنوع له فكيف بعد ذلك يفتقر الى شئ منها ولا يشكل ما مر من انه لا يشابه المادة في شيء من خواصها بانه يشابهها في انه موجود ومريد وعالم وقادر وحي وامثال ذلك مما ثبت له من الصفات فان انواع المادة توصف بذلك لان اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان صفاته المذكورة لا تشارك صفات انواع المادة الا بالاسم لمشابهة الا ثار وتخالفها في الحقيقة غاية المخالفة لان صفاته المذكورة عندهم هي صفات قديمة ليست اعراضا واما صفات انواع المادة التي تشاركها في الاسم فهي اعراض واحوال للمادة حادثة زائلة ولا يخفى ان المشابهة في الآثار لا تقتضي المشابهة في الحقيقة ولا تستلزمها على انه شتان مابين آثار صفاته وآثار صفات تلك الانواع من عظمة آثار

صفاته وشمولها وكمالها وحقارة آثار تلك الصفات وقصورها ونقصها كما يعلم ذلك بالمقابلة بين آثار الطرفين

ثم ان اتباع محمد عليه السلام بعد استدلالهم على وجود آله للعالم والزامهم اياكم بالتصديق بوجوده بمقتضى ما تقدم من الدليل لاحاجة لهم ان يقيموا دليلا في مقابلتكم بان هذا الآله واحد لاشريك له في الالوهية وفي تخصيص العالم وايجاده لانكم كنتم لاتصدقون بوجود آله واحد فالزموكم بالتصديق بوجوده فهم في مأمن منكم ان تدعو بوجود آله اخر سواه اذ من الواضح لديكم ان تقولوا انه بعد اثبات وجود آله للعالم بدلالة آثاره عليه اي داع يدعو الى اثبات وجود غيره مع انه يكفي لايجاد هذا الكون آله واحد متصف بتلك الصفات التامة الكافية للايجاد والاحكام لكنهم حيث يعتقدون ان ذلك الآله واحد ويستحيل ان يكون له شريك في الالوهية وعقائدهم لايبنونها الا على الدليل القاطع سواء كان دليلا عقليا اودليلا نقليا يلزمهم ان يقيموا الدليل عقليا او نقليا على وحدانية ذلك الآله وانفراده بايجاد العالم واستحالة وجود آله سواه وكذلك اذا انتصبوا لمخاصمة الفرق الذين يقولون بتعدد الآلهة و يعتقدون بوجود الهين للعالم او ثلاثة او اكثر فيلتزمون حينئذ ايضا لالزام هولاء الفرق بالاقرار بوحدانية آله العالم ان يقيموا الدليل

على وحدانيته واستحالة آله سواه لكن دليلهم في مقابلة هولاء الفرق لايكون الا عقليا لان هولاء لايؤمنون بالدليل النقلي فلا تجدي نفعا اقامته في مقابلتهم

اما الدليل النقلي على وحدانية آله العالم الذي يعتمده اتباع محمد عليه السلام فهو كثير في القرآن الذي جاء به محمد عليه السلام واخبرانه من عند آله العالم فا كثرسوره محتوية على التصريح بتوحيد الآله وانفراده بالايجاد بل على دلائل على توحيده عقلية برهانية اواقناعية توافق عقول العامة الذين تقصر عقولهم عن ادراك البرهان وانما جاز لا تباع محمد عليه السلام ان يعتمدوا في اعتقادهم توحيد الآله على الدليل النقلي لان التصديق برسالة محمد عليه السلام و بصدق جميع ما جاء به لايتوقف على اعتقاد وحدانية الآله اذلهم ان يصدقوا برسالته من جانب من اوجد العالم لقيام الدلائل الدالة على صدق دعواه سواء كان ذلك الموجد واحدا منفردًا بالايجاد ام لا ثم بعد تمام تصديقهم له برسالته يخبرهم بان الذي ارسله هو واحد منفرد بالايجاد لاشريك له في ذلك

واما الدليل العقلي الذي يقيمه اتباع محمد عليه السلام على وحدانية آله العالم في مقابلة الفرق الذين يقولون بتعدد الالهة ويعتمدونه في اعتقادهم وحدانيته ايضا فله صور كثيرة وطرق شتى

وانا اذ كر هنا دليلا واحدا من ذلك في هذا المقام حبا بالاختصار فاقول ان اتباع محمد عليه السلام يقولون في هذا المقام لو تعدد آله العالم كأن يكون هناك آلهان (او اكثر اذ لا فرق في هذا الاستدلال) لما وجد شي من العالم لكن عدم وجود شي من العالم باطل لانه موجود بالمشاهدة فما ادى اليه وهو التعدد باطل واذا بطل التعدد ثبت الوحدانية وهو المطلوب وانما لزم من التعدد كأن وجد هناك آلهان عدم وجود شيء من العالم لانهما اما ان يتفقا واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجداه لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وهو محال لاستلزامه انه ان حصل بايجاد كل منهما وجود للعالم مستقل فيلزم انه وجد بوجودين وهو انما وجد بوجود واحد فقط كما هو ظاهر وان لم يحصل بايجاد كل منهما الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الاخر كما لو سلطت قوتان على دحرجة حجر لا تكفي كل منهما بانفرادها لدحرجته بل يلزم لها اجتماعهما فكل من هاتين القوتين محتاجة للاخرى فهي مركبة معها وقد صارتا قوة واحدة تنسب اليهما الدحرجة ولا تنسب لواحدة منهما على الاستقلال فعلى هذا يكون هذان الآلهان قد ركبا وجعلا آلها واحدا ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لكل منهما على الاستقلال لانه جزوء

الموجد لا موجد مستقل والٓه العالم انما هو موجده واذا قيل ان الالٓه حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد مر ان التركيب محال على الالٓه الموجد للعالم لوجوب مخالفته للمادة وانواعها في صفاتها التي تختص بها ومنها التركيب ولا جائز ان يوجداه مرتبا بان يوجده احدهما ثم يوجده الآخر لئلا يحصل تحصيل الحاصل وهو محال كما تقدم ولا جائز ان يوجد احدهما البعض والآخر البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذٍ لانه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الاخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته وهذا عجز والعجز على الالٓه محال وان اختلفا بان اراد احدهما ايجاد العالم والاخر اعدامه فلا جائز ان ينفذ مرادهما لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما دون الاخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والاخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما وايضا اذا نفذ مراد احدهما دون الاخر كان الذي نفذ مراده هو الالٓه دون الاخر وتم دليل الوحدانية وقد ذكر في القرآن الكريم هذا الدليل مجملا مختصرا فقال (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) اي لو كان يقوم في خلق السموات والارض الهة غير الله اي وان كان الله معهم لفسدتا يعني لم توجدا اي لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجودهما فبطل ما ادى اليه وهو وجود جنس الالهة غير الله فثبت

انه ليس فيهما آله غير الله بل هو المتفرد بالآلوهية وهو المطلوب
وليس المحال وجود جمع من الآلهة بل مجرد التعدد كما اشرنا اليه
بقولنا جنس الآلهة ثم ان ما تقدم من فرض تجويز الاتفاق بين
الالهين انما هو ببادئ الراي وعند التأمل لايصح صلح بين الهين
اذ مرتبة الالوهية تقتضي الغلبة المطلقة والاستبداد التام كما اشار
اليه في القرآن المجيد بقوله (اذن لذهب كل آله بما خلق ولعلى
بعضهم على بعض) (هذا واني اكرر التنبيه بان هذا الدليل وامثاله
انما تقام في مقابلة من يعتقد بوجود آله للعالم و يعرف عظم مرتبة
الالوهية ولكنه يدعي التعدد فيردع عن دعوى التعدد بهذا
الدليل وامثاله واما من لم يغتقد بوجود آله للعالم فانما يصح اقامة
هذا الدليل في مقابلته بعد الزامه انه لابد للعالم من آله اوجده
ثم تعريفه مرتبة الالوهية وما تقتضيه من العظمة والاستقلال والا
فلا تراه مباليا بعجز الآله ولا بما يلزم من بقية المحالات التي تقدمت
في الدليل المتقدم فليتنبه)
ثم ان اتباع محمد عليه السلام وجدوا ان هذه الصفات التي
ثبتت للاله الموجد للعالم وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة
للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والعلم والارادة والقدرة والحياة
هي التي عليها مدار الالوهية ووجود آله متصف بها يكفي لتعليل

وجود هذه الاكوان ويقتنع بذلك كل عاقل ولكنهم تاملوا بعد
ذلك في شان ذلك الآله سبحانه وفي بديع مصنوعاته وما احتوت
عليه من كمال الاتقان فقالوا اذا كانت مصنوعاته في هذا الكمال
ايكون هو سبحانه ناقصا في صفة من الصفات الكمالية كلاَّ اننا في
جميع ما نتصوره لانجد الشي يوجد مثله فضلا عن ان الناقص
يوجد ويبتدع الكامل اوان الكامل يوجد اكمل منه هذه الحيوانات
مهما صنعت وابتدعت نراها عاجزة عن صنع مثلها في الحيوانية
بل ما يقرب من مثلها هذا الانسان وهو اعلمها واقدرها في الصناعة
مهما صنع وابتدع فانه لا يقرب في مصنوعاته من الكمال الذي
هو قائم فيه فضلا عن ان يصنع مثله او اكمل منه فلا يقدر على
صنع نبات فضلا عن صنع حيوان او انسان غاية ما يصنعه انه
ينحت صورة جمادية خالية عن كل حياة او يركب تركيبا كيماويا
يجمع فيه العناصر مع بعضها ولايبلغ من الحياة ادنى مبلغ او يركب
آلة ميكانيكية تتحرك بسبب نواميس الميكانيكيات حركة غير
دائمة ولا حياة هناك ولا احساس واذا اراد التصرف بشي من
الحيوان او النبات بتغيير صورته فلا قدرة له على ذلك الا باستعمال
النواميس الموضوعة للتغير في ذلك الشيء من جانب الآله سبحانه
وفي الحقيقة ليس التغيير الحادث هناك صنعا له وماله فيه الا انه

اكتشف على الناموس الذي ينشأ التغير عنه وسلطه على الامر
الذي يريد تغييره ولو كان ذلك بصنعه وخلقه لكان يعلم شؤونه
قبل بروزه فيعلم قدره وكيفيته بكل تدقيق والحال ليس كذلك
بيان ذلك ان الانسان اذا اراد ان يجعل فرخ الطائر مشوها في
خلقته يسلط الحرارة على جانب من البيضة بقوة ويضعفها عن
جانب آخر فيظهر الفرخ منها بتشويه مخصوص فذلك التشويه
ليس صنعا لذلك الانسان والالكان يعلم قدره وكيفيته وتحديده
وموضعه من الفرخ بكل تدقيق قبل ان يخرج من البيضة
والحال ليس كذلك غاية الامر انه بالتجربة او الصدفة اطلع على
ناموس تغيير الفرخ في البيضة وتشويهه فصار يستعمله في سبيله
كالذي يعلم ان الماء يروى الظمأ فعند ما يظمأ يرسل الماء في
معدته فيرتوي ويذهب ظموءه أيقال ان هذا المرسل للماء هو الذي
اوجد الارواء واذهب الظمأ ويعد ذلك من مصنوعاته كلا غاية
ما فعل انه ارسل الماء في المعدة والماء عند ما وصل اليها نشأ عنه
تبريد حرارتها وذهاب العطش وما لذلك المرسل فيما حدث من
ذلك ادنى تاثير ومن هنا يظهر بالطريق الاولى ان زارع الزرع
مهما سعي في بروزه وبدوّ ثمرته للوجود باستعمال النواميس المعروفة
لذلك لايقال عنه انه اوجد هذا الزرع وابدى ثمرته وكونهما على

ما فيهما من التركيب العجيب والخواص البديعة فليس شي من
ذلك مصنوعا له على سبيل الحقيقة نعم طريق المجاز لا حجر فيه
وهكذا يقال في جميع ما يتسبب الانسان في وجوده باستعمال
نواميس الاكوان لاصنع له فيها الا تسيير النواميس في سبلها ثم
الاثار تنشأ عنها (وسياتي ان اتباع محمد عليه السلام يقولون ان
الاثار تنشأ عن نواميسها بخلق الله تعالى لابتاثيرها كما سياتي
تحقيقه) فاتباع محمد صلى الله عليه وسلم لما تبين لهم ما تقدم من ان
الشي لايصنع مثله فضلا عن انه يصنع اكمل منه قالوا لابد ان
الاله الموجد للمادة على نواميسها العجيبة التي تهيؤها للتطورات التي
لاتحصى والمبدع منها تلك الانواع البديعة التي لا تستقصى يجب
ان يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت له بالدليل وفي كل
صفة كمالية تليق به تعالى والا لكان مثل مصنوعاته او دونها وذلك
خلاف ما علمه العقل وصدق به فاعتقدوا حينئذ ان ذلك الاله
سميع بصير متكلم متصف بكل صفة كمالية تليق به تعالى اذ لايقبل
العقل ان يكون اصم اعمى ابكم وهو الذي ابدع السمع وانار البصر
واطلق اللسان بالكلام ولا ان يكون ناقصا في صفة كمالية وقد
اوجد نظيرها في مصنوعاته على اكمل وجه لكن جميع ما اعتقدوه
له من الصفات يعتقدون انها ليست كصفات الحوادث ولا تشبهها

في الحقيقة وان شاركتها في الاسم لمشابهة الاثار وقد تقدم ان مشابهة الاثار لا توجب مشابهة ما نشأت عنه فسمعه سبحانه ليس بصماخ بل هو صفة قديمة قائمة بذاته تنكشف بها مسموعاته وبصره ليس بمقلة بل هو صفة قديمة قائمة بذاته تنكشف بها مبصراته وكلامه ليس بحرف ولا صوت بل هو صفة قديمة قائمة بذاته يفهم عنه بها ما يريد افهامه لاحد مصنوعاته وهكذا القول في بقية صفاته التي تقدمت من العلم والارادة والقدرة والحياة فهي صفات قديمة قائمة بذاته تعالى يتعلق منها ما كان له تعلق بالاشياء حسب اقتضائه تعلق انكشاف او تخصيص او احداث والا فلو كانت صفاته تعالى كصفات الحوادث لكان حادثا مثلها وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى واستحالة حدوثه وقد تقدم شرحه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند ما امنوا برسالته من عند ذلك الاله سبحانه بسبب الدلائل التي قامت معهم على صدقه وجدوا في شريعته اثبات ما يوصلهم اليه الدليل العقلي من تلك الصفات التي مر ذكرها لآله العالم مما يتوقف عليه امر الالوهية ومما يقتضيه عظمة شانها من الصفات الكمالية وغير ذلك من صفات العدل والرحمة والكرم والهداية والاحسان الى امثال ذلك مما طفحت به نصوص تلك الشريعة وقد يوجد فيها اثبات صفات له تعالى لا يوجد

عند العقل دليل على اثباتها ولا على نفيها فاعتقدوها لورود النص بها في الشريعة المحمدية لان المخبر بها وهو محمد عليه السلام صادق مجزوم بصدقه لما قام لديهم من الدلائل القاطعة على صدقه والعقل لا يحيلها وكذلك ورد في هذه الشريعة اثبات اشياء للاله سبحانه مما يوهم الجسمية وذلك كالوجه والعين واليد والاصبع والقدم فاعتقد اتباع محمد عليه السلام اثباتها له تعالى ولكن حيث قام الدليل العقلي والنقلي على تنزيهه تعالى عن الجسمية لم يعتقدوا معانيها المتبادرة واعتقدوا ان لها معاني تليق به تعالى ليست كالمعاني التي في الحوادث وفوضوا علم حقيقتها اليه سبحانه فيقولون مثلا له تعالى يد ليست كايدينا وعين ليست كاعيننا وهلم جرًّا هو سبحانه اعلم بحقيقة المعنى من ذلك فهم بذلك منزهون له تعالى ومفوضون اليه سبحانه واجمال الامر انهم اعتقدوا اتصاف اله العالم سبحانه بكل كمال يليق بشانه وتنزيهه عن كل نقص لا يليق به سبحانه حسبما دلهم عليه العقل وافادهم اياه الشرع المحمدي ثم ان هذا الشرع كما جاءهم باثبات صفات الاله سبحانه جاءهم ايضا باثبات اسمائه تعالى التي سمي بها نفسه ومنها لفظ (الله) الذي هو الاسم الخاص به الذي لا يطلق على سواه وهذا اللفظ وان كانت اللغة العربية تطلقه على موجد العالم سبحانه قبل بعثة محمد عليه السلام ولكن جاءت

شريعته باطلاقه عليه تعالى فصار تسميته به سبحانه عند اتباع محمد
عليه السلام تسمية شرعيه اعتمدوا بها على نص الشرع المحمدي
لا على مجرد اللغة العربية وهكذا بقية اسمائه تبارك وتعالى ثم ان
الشريعة المحمدية كما عرفت اتباعها بوجود الله تعالى واتصافه بتلك
الصفات الكاملة مما يدل العقل على اثباته ايضا او على جوازه و باسمائه
الكريمة فقد هدتهم الى طرق الاستدلال على وجوده واتصافه
بتلك الصفات وعظمتها بدلائل عقلية برهانية ودلائل اقناعية
تنشرح لها الصدور وتطمئن عندها القلوب فانفتح لهم بذلك باب
واسع ومهيع رحب وانا اريد ان اذكر لكم شيئا من ذلك مما يدل
على وجود آله العالم سبحانه واتصافه بتلك الصفات الكاملة وعظمته
وعظمتها واتساع اثارها مما يربي في القلوب تعظيم شانه جل جلاله
والتصديق بقدرته على اعظم المصنوعات واكبر المبتدعات وقبل
ذلك اقدم لهذا الامر مقدمة لها ارتباط به ونفع فيه فاقول لا يخفى ان
للمادة وانواعها صفات عامة وذلك كالتحيز الشامل جميع الاجسام
وصفات خاصة وذلك كقبول الانطراق للحديد والانقصاف للزجاج
فانهما خاصان بنوع دون نوع من الاجسام والذي يظهر من كلامكم
في كتب علومكم ان الصفات العامة لا تنفك عن شيء من انواع المادة
اصلا ويستحيل انفكاكها عن شي منها واما الصفات الخاصة فالذي

يظهر من كلامكم ان كل صفة منها قد تنفك عن صاحبها بسبب من الاسباب الطبيعية فتقولون ان الحديد مثلا تفارقه صفة قبول الانطراق وتخلفها صفة قبول الانقصاف اذا نقع في المحلول الفلاني والمغناطيس تفارقه صفة جاذبية الحديد عند حصول الزلزلة وعلى ذلك صنعت الآلة المنبهة على قرب الزلزلة ليحترس منها فهذا تصريح منكم بانفكاك الصفة الخاصة عن صاحبها بسبب من الاسباب الطبيعية كما قدمنا واما اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون في الصفات العامة التي يتبرهن عندهم ثبوتها في جميع انواع المادة اننا بالتامل فيها نجدها تنقسم الى قسمين قسم منها لاينفك عن جميع انواع المادة ويستحيل انفكاكه عنها وهذا لا تتعلق قدرة الله تعالى باعدامه منها مع تحققها في الوجود لان قدرته تعالى لاتتعلق باعدام الواجب اي الامر الذي يجب وجوده ويستحيل عدمه وذلك كالتحيز للجسم اي اخذه قدرا من الفراغ فلا يمكن ان يوجد جسم غير متحيز وقسم منها يجوز عقلا ان ينفك عن جميع الانواع فلا مانع من ان قدرة الله تعالى تتعلق باعدامه من جميع الانواع او من اي نوع منها لانه من الجائز العقلي الذي هو تحت تصرف قدرته تعالى وذلك كالجاذبية العامة للاجسام وكجاذبية الملاصقة اي القوة الجاذبة لاجزاء الجسم الفردة من جنس واحد كالحديد حتى

تتلاصق ويتكون الجسم وامثال ذلك فانهم يقولون ان هذا القسم
ان ثبت حصوله في الاجسام فهو ليس واجبا لها بل حصوله فيها على
سبيل الجواز العقلي يمكن للعقل ان يتصور وجوده فيها وان يتصور
عدمه منها فاي مانع يمنع من تصورنا الجسم خاليا عن الجاذبية
العامة فلا يجذب غيره ولا غيره يجذبه واي مانع يمنع من تصورنا
الجسم خاليا عن جاذبية الملاصقة ويكون تلاصق اجزائه بسبب
اخر غيرها على ان قولكم بها مع مصاحبة قوة الدفع لها اي القوة
التي تتدافع بها الاجزاء حتى تبقى بينها مسام وتمانع القوة الخارجية
اذا ضغطت الجسم كما هو مشروح في كتبكم يشبه ان يكون
قولا باجتماع الضدين وان قلتم لايمكن ان يتصور تكون الاجسام
الا بها قلنا يمكن عندنا بقدرة الله تعالى وان قلنا ان هناك سببا
نقول يمكن ان يكون ذلك السبب غيرها فما المانع من ان الاجزاء
الفردة التي قلتم بها في الاجسام وانها ذات اشكال متغيرة
هي ذات نتوات وذات تجاويف فعند اجتماعها تتداخل النتوات
في التجاويف وتتماسك فان كانت تلك التجاويف غير ضاغطة
على النتوات او ضعف ضغطها بسبب مثل الحرارة يوجب
اتساعها كان الجسم سائلا او غازيا وان كانت ضاغطة عليها
او اشتد ضغطها بسبب مثل البرودة تصالب الجسم على قدر

الضغط وصار جامدا ويعلل عن تدافع الاجزاء حينئذٍ بانه متي
كان تجاويفها ضيقة لاتدخل فيها النتوات بتمامها فتبقي خلايا بين
الاجزاء وهي المسام الموجودة في كل جسم وهذا التعليل لتماسك
اجزاء الاجسام المتحدة الجنس وهو ان ذلك لوجود نتوات وخلايا
في الاجزاء الفردة يظهر هو ايضا للعقل في تلاصق الاجسام المختلفة
الجنس كما بين الورق والصمغ فان التعليل به اقرب للعقل من
تعليلكم ذلك التلاصق بقوة تسمى قوة الالتصاق تكون بين الاجسام
المختلفة الجنس كما قدمنا ولما كانت الاجزاء الفردة عندكم ذات
اشكال متغيرة وان لم تقبل القسمة فعلا فهي تقبلها عقلاً كما في
كتبكم صح لنا الزامكم بفرض النتوات والخلايا بخلاف الاجزاء
الفردة عند اتباع محمد عليه السلام فانها لايصح فيها ذلك ولاتظنوا
اني اقول بوجود النتوات والخلايا في هذه الاجزاء الفردة وابني
عليه ذلك التعليل لاني لاآمن من ورود اشكالات عليه ولكني
ذكرته على سبيل الاحتمال لاريكم تعليلكم في اي منزلة من الثبوت
وان غيره اقرب منه والملخص ان اتباع محمد عليه السلام لايقولون
ان ما تقدم من الصفات العامة وامثاله مفقودة من الاجسام
وينكرون وجودها فيها ويحوجونكم الى حشد البراهين عليها ليس
الامر كذلك وانما يقولون انها بعد ثبوتها ليست واجبة عقلا بل

هي جائزة الوجود لها وجائزة العدم منها اذ العقل لا يحيل وجودها ولا عدمها وما دامت كذلك فهي تحت تصرف قدرة الله تعالى القادر على جميع الجائزات العقلية كما تقدم فكما اوجدها يقدر على اعدامها مع وجود الاجسام حتى جاذبية الملاصقة فانها ليست بضرورية لتكون الاجسام كما يلوح من كلامكم بل يقدر سبحانه وتعالى على جمع اجزائها الفردة بدونها بسبب او بدون سبب وان كانوا يقولون بالاول قياسا على عادته سبحانه في هذا العالم من ربط كل شي بسبب عادي اي جرت عادته بايجاده عنده

واما الصفات الخاصة فاتباع محمد عليه السلام يقولون مثل قولكم انها ليست واجبة لموصوفاتها بل جائزة الانفكاك عنها لكن انتم تقولون ان تلك الصفات تفارق موصوفاتها لتغير وضع اجزائها الفردة بسبب طبيعي موجب لذلك ومفارقتها لها تحتاج الى زمن كاف لها قد يكون قصيرا وقد يكون ممتدا بالسنين او بالوفها واما اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون ان تلك المفارقة يحتمل ان تكون لتغير وضع الاجزاء الفردة للجسم ويحتمل ان تكون لامر آخر ما دام الواقع لم يتبرهن عندهم حقيقته واذا قام عندهم برهان على شي قالوا به وايا كان فهو بخلق الله تعالى والاسباب التي قلتم انها موجبة لذلك يقولون انها اسباب عادية اي انه جرت عادة

الله تعالى بايجاد مسببها عندها وليست موجبة له ولامؤثرة فيه
وان سمعتموهم ينسبون الامر الى سببه فليس اعتقادهم انه يوثر في
وجوده بطبعه بل مرادهم بتلك النسبة ان الله تعالى يخلق ذلك
المسبب عند وجود ذلك السبب على طريق عادته في هذا العالم
ولو اراد ان يخلق السبب ولايخلق المسبب او يخلق المسبب بدون
السبب لفعل ومادامت تلك الاسباب غير موثرة ووجود المسببات
بخلقه تعالى فهم يقولون في الزمان الذي قلتم انه يلزم لمفارقة
الصفات لموصوفاتها ما هو الا بطريق العادة له تعالى ولو اراد ان
يحدث المفارقة بلحظة لفعل ولايحتاج الى زمن ممتد مثلا اذا قلتم
ان الحديد اذا نقع في السائل الفلاني تفارقه صفة الانطراق وتخلفها
صفة الانقصاف لتغير وضع اجزائه الفردة بسبب النقع ويحتاج ذلك
لزمن كاف وذلك السائل مؤثر بطبعه في ذلك التبدل موجب
له وذلك الزمان لازم لايتم الامر بدونه قال اتباع محمد عليه السلام
ان ذلك التبدل حصل بفعل الله تعالى بان اعدم صفة الانطراق
واوجد صفة الانقصاف سواء كان ذلك لتغير وضع الاجزاء ام
لامر اخر لم نعلمه وذلك المحلول ليس موثرا بطبعه في ذلك التبدل
ولا موجبا له وانما جرت عادة الله تعالى باحداث التبدل عند النقع
فيه والزمان الذي يتم فيه التبدل ليس شرطا واجبا بل الله تعالى

يقدر على احداث التبدل بلحظة كما يقدر على احداثه بدون نقع الحديد في ذلك السائل وهكذا القول بان النار تحرق الجسم الفلاني والماء يروي الغطش وامثال ذلك يقول اتباع محمد عليه السلام لاشي من ذلك مؤثر بطبعه بل الله تعالى يخلق الاثار التي تنشأ عن هذه الاشياء عندها بشروط واحوال عادية وهو قادر على خلق تلك الاثار بدون وجود شي مما تنشأ عنه كما هو قادر على اعدامها مع وجود ما تنشأ عنه ومع توفر الشروط ودفع الموانع والذي حمل اتباع محمد عليه السلام على القول بما تقدم من عدم تاثير الاشياء بطبعها بل بخلق الله تعالى هو اولا ما قام عندهم من الادلة على تفرد الله تعالى بخلق جميع ما يحدث في هذا الكون فلو كانت الاشياء مؤثرة بطبعها في وجود الاثار التي تنشأ عنها لكانت خالقة لها وقد قام الدليل على استحالة الخلق لغير آله العالم وهو الله تعالى ولاسيما ان بعض تلك الاثار تكون متقنة محكمة يحكم العقل بان حصولها على هذا الاحكام لابد ان يكون عن روية وعلم وادراك تام للذي احدثها واثبات هذه الصفات لتلك الاشياء الجمادية مما لايقول به عاقل مثال هذا النبات المحتوي على التكونات العجيبة من جزور وساق واغصان واوراق وازهار واثمار واعضاء تناسل وبزور باشكال والوان وطعوم وخواص تحتار عندها الافكار

وينشأ جميع ذلك عن التراب والماء والهواء فعقول اتباع محمد عليه السلام بل سائر العقول السليمة لا تقبل ان هذه التكونات المحتاجة للعلم والقدرة والتدبير قد احدثها التراب والماء والهواء الخالية عن هذه الصفات فلذلك يحيلون احداثها وخلقها على القادر العليم سبحانه الذي قام الدليل عندهم على انه هو الذي اوجد اصل المادة من العدم قابلة تلك التطورات وثانيا على فرض غض النظر عما تقدم من تفرد الله تعالى بالخلق قد نظروا الى هذه الاشياء التي تنشأ عنها الاثار وتاملوا في حقيقتها فوجدوا انها ليست مقتضية لتلك الا ثار اذ لا شي فيها يلزم العقل باعتقاد انها مقتضية لها مثلا الحرارة تذيب الثلج والبرودة تجمد الماء واذا نظر الى حقيقتهما لم يظهر للعقل وجه اقتضائهما لذينك الاثرين كما يظهر وجه اقتضاء الجسم للتحيز ووجه اقتضاء الجسمين ان لا يتداخلا ويحلا في حيز واحد مثلا فاذا قالوا لكم وَلِمَ لم يكن الحال في الحرارة والبرودة بالعكس ماذا يكون جوابكم أ تقولون هذا طبع كل منهما فيقولون لكم ولِمَ لم يكن طبع كل منهما بالعكس اتقولون لان الحرارة تضعف قوة الملاصقة والبرودة تقويها فيقولون لكم ولِمَ لم يكن الامر بالعكس وهلم جرا فما يسعكم بعد ذلك الان تقولوا ما كان اختصاص كل منهما بخاصته الا بتخصيص مخصص فيقولون لكم ان ذلك المخصص

هو الله تعالى الذي اوجد المادة وهو الفاعل المختار الذي خص ما شاء بما شاء وبعد ذلك كله يقولون ما دام ان الاشياء ليست موثرة بطبعها والتاثير بخلق الله تعالى فالزمان المفروض لحصول الاثار ليس شرطا ضروريا بل هو شرط عادي فالله قادر على خلق الاثر بلحظة كلمح البصر او اقرب لانه قد ثبت بالدليل ان قدرته تامة ولا تشابه قوى الحوادث فلا يحتاج الى الزمان في اعماله كما تحتاج قوي الحوادث التي كلما اشتدت قصر زمن عملها و كلما ضعفت طال زمنه وايضا لو كانت قدرته تحتاج الى الزمان في اعماله كما تحتاج سائر القوى لكنا نرى المصنوع الذي يشتمل على العظم ودقة الصنعة وكثرة الاشكال والتراكيب والخواص لا يحصل دائما تكونه الا في زمان اطول من زمان تكون المصنوع الذي لا يشتمل على شي من ذلك والحال ان الامر ليس كذلك لانا نرى النبات الفلاني من النوع الاول يبرز للوجود في مدة قصيرة والنبات الفلاني من النوع الثاني قد يبرز للوجود في مدة طويلة اضعاف مدة بروز الاول فهذا يدل على ان امتداد الزمان ليس شرطا في ايجاد الله تعالى للمخلوقات والا لكان الامر بالعكس فيما مثلنا ثم لا تظنوا من قول اتباع محمد عليه السلام ان هذه الاشياء ذات الاثار لم يكن تسبب تلك الاثار عنها الا عاديا وان

الزمان لتكون تلك الآثار هو شرط عادي ايضا انهم يقولون بكثرة انخراق العادة في ذلك حتى تطالبوهم بذكر الشواهد الكثيرة على انخراقها فانهم لايقولون بهذا اصلاً انما يقولون التسبب عادي والزمان شرط عادي والله قادر على خرق العادة فيهما وليس ذلك بمحال ولكن خرق العادة في ذلك لم يعهد منه تعالى الا لنحو معجزة لنبي او كرامة لولي على حسب ما نقل لهم متواترا او شاهدوه من رسولهم محمد عليه السلام عندما ادعى الرسالة وظهرت على يده المعجزات بخرق العادات فاذا تقرر ما تقدم من هذه المقدمة ووعيتموه بافئدتكم فاقول تعالوا حتى ننظر في مادة هذا العالم وانواعها وما اشتملت عليه من الصور الغريبة وما تنطور به من الاطوار العجيبة لنعلم ان قيام ذلك فيها من صنع المادة وحركة اجزائها ام من تاثيرات بعضها ببعض ام من صنع آله عليم مريد قادر حكيم يخصصها بما يشاء ويطورها كيف اراد اعمالا بغاية العظمة ونهاية الاحكام والتدبير مما يدل على ان عظمته وعظمة صفاته لاتحد ولا تدركها العقول ولا تحيط بها الافكار وكل عمل بعدها من جائزات العقل مهما بلغ في العظمة وتسامى في الدقة وتعالى في الاحكام فهو في جانب عظمة ذات هذا الآله وكمال صفاته حقير هين واضح بين سبحانه ما اعظم شانه وما اكمل سلطانه بيده الخلق والتدبير وهو على كل

شي قدير

لننظر الى عالم الكواكب فنجد على ما نصت عليه كتب الهيئة عند كم ان كلا منها اختص بخاصية لم توجد في سواه فالبعض منها صغير جدا والبعض منها كبير جدا حتى ان ارضنا بالنسبة اليه كحبة رمل بالنسبة الى كرة قطرها ذراع او اكثر فان كان قطر ارضنا سبعة الاف وتسعماية واثني عشر ميلا ومحيطها الاستوائي اربعة وعشرين الفا وثمانماية وتسعة وتسعين ميلا فقطر الشمس ثمانماية واثنان وخمسون الفا وخمسماية وثمانون ميلا ومحيطها مليونان وستماية وثمانية وسبعون الفا وخمسماية ميل وجرمها مثل جرم ارضنا بمليون ومايتين وتسع وخمسين الفا وسبعماية مرة ومنها القريب الينا والبعيد عنا بملايين من الاميال ومنها ما يومه وسنته دون يومنا وسنتنا ومنها ما هو اكثر من ذلك بكثير حتى ان سنة زحل تسع وعشرون سنة من سنينا وسنة اورانوس اربع وثمانون وسنة نبتون ماية واربعة وستون وكسور ومنها ما هو بطيء السير في فلكه ومنه ما هو سريع السير حتى ان المشتري يجري ثلاثين الف ميل في الساعة فيجري تسعة اميال كلما تنفس الانسان مرة وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه علي محوره اربعماية وسبعة وستون ميلا ومنهاما نوره احمر ومنها ما نوره اصفر ومنهاما نوره ابيض ومنهاغير ذلك ومنهاما نوره اصلي كالشمس

والثوابت ومنها مانوره مكتسب من نور غيره كالقمر و بقية السيارات
ومنها ما يخلو عن الحرارة ومنها ما فيه حرارة تبلغ قدرا عظيما فشمسنا
على قول بعضكم لو جمعت حرارتها لكانت كافية لان تذيب في
يوم واحد مقدارا من الجليد يغطي كل وجه الارض وسمكه احد
عشر ميلا والذي يصل من حرها الى الارض هو جزء من الفي
مليون وثلثماية وواحد وثمانين مليونا ومنها الثوابت وهي شموس
اضواؤها ذاتية كشمسنا تضيء على عوالم تتعلق بها وهي ليست ثابتة
كما يتوهم من اسمها بل هي متحركة لكن لفرط بعدها عنا لا تظهر لنا
حركاتها الا بعد قرون كثيرة فتبقى على نسبة بعضها الى بعض
وضعا ومنها ما هو ناء عن الشمس يبعد عنها على توالي الايام ومنها
ماهو دان اليها كذلك ومنها المتغير يزيد ضوءه تارة و ينقص اخرى
ومنها الوقتي اي الذي يظهر زمانا قد يكون ممتدا ثم يختفي ولا يعود
اصلا ومنها ما نوره لا يصل الينا الا بعد سنين او ميئات من السنين
مع ان نور شمسنا يصل الينا بمدة ثماني دقائق و بعض ثوان مع ان
الشمس تبعد عنا ما ينوف عن تسعين مليون ميل ومنها ما تظنون
ان فيه سكانا ومنها ما لا تظنون فيه ذلك ومنها الشمالي ومنها الجنوبي
ومنها المتوسط ومنها الليلي ومنها النهاري ومنها ما يتسع وجهه المنير
تارة و يضيق اخرى ومنها ما ليس كذلك ومنها الكاسف ومنها

المكسوف ومنها ومنها وهي قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية العامة كما تقولون ولعلها بناموس اخر من نواميس الكون التي اجراها خالقه فيه سائرة في ابراجها ومنازلها على غاية الضبط والاحكام بحركات مختلفة ودورات متنوعة تضبط بها الاوقات و يعلم منها السنون والاشهر والايام والساعات وتمتاز الفصول بترتيب تحتار فيه العقول والمرجع في الجميع الى الفاعل القادر معما فيه من منافع المخلوقات من نبات وحيوان ومعدن تربو بحرارة انوارها وتتهيأ لها الاغذية على قدر حاجاتها الى غير ذلك مما يعجز عن احصائه اللسان وتكل لديه الفكر ويخسأ البصر فاذا كانت متساوية في اصل المادة وليست مادتها تقتضي تخصيص كل منها بما اختص به عن سواه فيقال بعد ذلك ان الذي خص كل منها بما اختص به ورتبها على نظامها العجيب مشتملة على المنافع حسب مصلحة المخلوقات مع ذلك الاتقان هو حركة اجزائها الفردة الخالية عن كل معرفة وارادة وتدبير ام يقال ان الذي ابدعها كذلك هو العليم المريد القادر الحكيم

لننظر الى الجو وما يحتوي عليه من الكائنات فنرى فيه الهواء الجوي الذي فيه حياة النبات بما يمتص منه وحياة الحيوان بتطهير دمه بالاستنشاق ودخوله الى رئته ولما كان الاحتياج اليه اشد

من جميع ما سواه كان كثيرا وافرا سهل المأخذ مهيئة الآت تناوله
على اكمل ما يكون لقبول سرعة العمل وهكذا نرى الحكمة جارية
في ان الشي كلما اشتدت الحاجة اليه كان اوفر واسهل يظهر ذلك
بالتامل في هذا الهواء ثم الماء ثم الغذاء ثم عقاقير الدواء ثم احجار
الزينة والبهاء ثم وثم ونجد فيه الرياح وتصريفها ومنافعها واختلافها
وما اختص به كل منها من الخصائص فمنها الشرقي والغربي
والشمالي والجنوبي وما بين ذلك ومنها الرطب واليابس والحار
والبارد والشديد والضعيف والليلي والنهاري والمنتظم في اوقات
مخصوصة وغير المنتظم والبطئ في سيره والسريع فيه من سبعة
اميال في الساعة الى واحد وتسعين وقد تبلغ سرعته في الساعة مائة
وعشرين ميلا او اكثر لكنه نادر ومنها الزوبعة والاعصار قائمة
بمنافع سكان الارض فتسوق السحاب الى مواقع مطره وتلقح الاثمار
بنقل مادة التلقيح من اعضاء التذكير الى اعضاء التأنيث وتروح
الارواح وتلطف الحرارة وتسوق السفن في البحار وتنشر بزور
النباتات على سطح الارض الى غير ذلك مما يعجز الحاسب ويوهن
الكاتب ونجد فيه السحاب وما اشتملت عليه من الصنع العجيب
والتكون الغريب حتى استطاع الهواء حملها ونقلتها الرياح الى
الامكنة المحتاجة الى وبلها ويصحبها البرق والرعد اللذان يظن ان

من حكمتها تحليل مياهها بسبب حرارة النور وحركاته التموجيه
وحركات الرعد الارتجاجية معما فيهما من دلالة سكان البوادي
على مواقع سقوط المطر ونرى الثلج ينعقد بسبب البرد ويقع اكثره
على الجبال ليقيم مدة يتحلب ماؤه الى بواطنها ومخازنها التي في
جوفها فتخزنه لمنافع المخلوقات وتخرجه من منافذها فيجري ينابيع
وانهارا ترتوي بمائها الارض والحيوان في مدة الصيف وتنشأ عنه
الرياض والجنان اذ لوكان السحاب لايلقي على الارض الا المطر
لانحدر بسرعة من رؤس الجبال (والسيل حرب للمكان العالي)
قبل ان تمتلي مخازنها بمقدار ما يكفي لجري الينابيع والانهار الى
غير ذلك من كائنات الجوء التي الف في علمها مجلدات ولنذكر
هنا النور لانه لما كان امتداده انما هو في الفضاء جاز لنا ان نذكره
في كائنات الجو فنرى ما اشتمل عليه من النواميس العجيبة التي
احتملت علما مستقلا وذلك كانعكاسه وانحلاله الى سبعة الوان
وغير ذلك معما فيه من منافع الحيوان والنبات من النمو والصحة
وقتل الجراثيم السامة وكشف المرئيات وثمرات اخرى لاتحصى ثم
انه مع ظهوره بنفسه للبصر واظهاره لغيره فقد خفيت حقيقته عليكم
واضطربتم في تفسيره قال اكبر مشاهيركم انه ذرات صغيرة جدا
تنتشر عن الجسم المنير ورد عليه متاخروكم بادلة واضحة وقالوا انه

اهتزاز اجزاء المادة الاثيرية السارية في الكون فهو عبارة عندهم
عن حركة الاجزاء المذكورة واعتمد جمهوركم الان على هذا التفسير
وبنيتم عليه الصروح ولقائل ان يقول ما بال تلك الاجزاء الاثيرية
تخرق حركتها لوح بلور بسماكة كثير من الاذرع واذا طلي احد
وجهيه بطبقة رقيقة من الحبر الاسود مثلا عجزت تلك الحركة
عن خرقها كانها صدت باسوار خانية او جبال حملايا هلا خرقت
تلك الطبقة الرقيقة غير الصلبة كما خرقت اللوح السميك الصلب
وان قلتم ان اللون قد ابطل تلك الحركة بطبعه قلنا لامانع ان يكون
ذلك بخلق الله تعالى ولكن بينوا لنا على تفسيركم هذا كيف قويت
تلك الحركة على خرق اللوح السميك الصلب وعجزت عن تلك الطبقة
الرقيقة غير الصلبة وان قلتم ان اللون يتشرب النور قلنا لكم بينوا
لنا ما معنى تشرب اللون للنور الذي هو حركة اجزاء بعبارة واضحة
يقبلها العقل وايضا ان صناعكم قد اخترعوا دهانا اذا عرض لنور
الشمس بعض دقائق اضاء في الظلام طول الليل فعلى تفسيركم
للنور ان قلتم ان تلك الحركة المنبعثة عن الدهان في الظلام من
انعكاس النور قلنا بينوا كيف دامت تلك الحركة ناشئة عن الدهان
مع ان الحركة الاصلية المنبعثة عن الشمس قد انقطعت عنه
وفارقته من ساعات وهذا خلاف ما يعهد من ناموس الانعكاس

وان كان خلاف ذلك فبينوه و بعد ذلك كله لسنا جازمين ببطلان تفسيركم هذا بل هو جائز الصحة ويكون من جملة مخلوقات الله تعالى وتحت تصرفه ولكن القصد تنبيهكم على ان من اعظم ما تجزمون به ما ليس قطعيا وبعد جميع ماتقدم نقول ما الذي خصص كلا من كائنات الجو بما خصصه واحكم فيها المنافع على اكمل صنع واتم ابداع فاحيا بها الارض بعد موتها وانمى سكانها واظهر لابصارهم مرئياتها ايقال هي حركة اجزاء المادة ام الصدفة ام الضرورة ام غير ذلك من الكلمات المبهمة المعنى الغامضة التفسير ام العليم الخبير المريد القدير

ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه جغرافيتها الطبيعية وكائناتها الجمادية والنباتية والحيوانية فنرى البحر الذي تبلغ مساحته ثلاثة ارباع سطح الارض اي مائة واربعة واربعين مليونا وسبعماية واثني عشر الف ميل مربع وهو مسكن الامم المائية ومصدر الجواهر البحرية من كل ما يكون غذاء ودواء وزينة وقد اشتمل على ما تشتمل عليه اليابسة من جبال واودية ووعور وسهول واكام وتلال وهضاب و بطاح واجام وحدائق مختلفة الاشجار وحيوانات صغار وكبار تنمو وتسكن في اماكن مخصوصة حسب اجناسها وانواعها وصنوفها وللبحر اعماق تفوق التصديق ولم تعلموا تحقيقا اعمق

مكان فيه غاية ما وصلتم اليه قياس عمق منه بلغ نحو تسعة اميال ولم تعرفوا له قرارا ومن عجائبه المد والجزر والتيارات السطحية والتيارات السفلية والامواج التي كالجبال والجبال التي تعوم على وجهه من الجليد عند القطب الشمالي وملوحته التي هي من احكم التدبير اذ لولاها لانتن ماوه فاهلك الحرث والنسل وقد سخر للبشر يركبون متنه ويخوضون لجته ويتواصلون في طرائقه ورياحه المختلفة

ونرى اليابسة وما تكونت هي منها فاولها الجبال التي هي مخازن المياه التي تروي النبات والحيوان وهي مأوى الطيور والوحوش ومنبت الاشجار الصلبة الشامخة التي هي مادة الاخشاب والوقود وهي الحواجز للبقاع المسكونة تحفظها من الرياح الباردة والحارة ثم منها ذو المناظر البهجة والنباتات المزهرة ومنها الاجرد الوعر الذي سلبت الامطار اتربته وبقيت صخوره تشبه هيكل عظام جرد عنها اللحم فكانت تلك الصخور مادة العمران من الدور والحصون ومنها الجبل الناري الذي يقذف الحمم وينير الافاق في الظلم ومنها ومنها مما يقضي على الانسان بالعجب

وثانيها الاودية وهي منبت احسن الاشجار ومجنى الازهار والاثمار ومنشأ السرور وانشراح الصدور ومع ان منها ما يعد جنة نعيم

لاترى فيه الاظلا ظليلا وماء سلسبيلا ولا تسمع الا صفير بلبل وهديل حمام وبغام ظباء وسجع يمام حول تلك الرياض المزهرة والاشجار المثمرة والجداول المنحدرة من كل ما يجلب المسرة ويهدي للعين قرة فمنها ما هو كدرا الجحيم ليس فيه الاالموت الزؤام وباليات العظام وذلك كوادي الموت الذى هو قرب جاوا فهو واد بطنه رمضاء محرقة وقفر بلقع لانبات فيه ولاحيوان فلا يحله طائرولا تدب فيه دابة ولا يكمن فيه وحش الا ويعالجه الموت الاحمرولا يرى فيه الا الرمم البالية من عظام الحيوانات وهوالك الحشرات وقد نسب ذلك فيه الى شجرة سامة لايوجد فيه سواها من النبات والذي صح عندكم ان ذلك لانه في جوار جبل ناري فيصعد من منافسه هواء سام بكمية زائدة تقتل الحيوان وتفتك بالنبات فمن جعل بعض وديان الارض دار النعيم وجعل بعضها دار الجحيم احركة اجزاء المادة ام المريد العليم الذي يخص ما شاء بما يشاء انه خبير حكيم

وثالثها الكهوف التي هي مأوى الحيوانات ومتنفس الجبال من البخارات التي في بواطنها ومن غرائبها الكهوف التي تبرد في الصيف حتى تجمد المياه التي داخلها وتسخن في الشتاء فياوى اليها كثير من الحيوانات التي لاتقوى على برد الشتاء فسبحان اللطيف الخبير

ومن غرائبها كهوف الموت التي لايدخلها حيوان الا مات في الحال لانها متنفس جبل ناري قد جمد و بقي من متنفسه هواء سام يقتل من يستنشقه فمن الكهوف حصون ومنها منون فسبحان الفاعل المختار

ورابعها السهول التي هي جامعة غالب المادة التي تقوم بها النباتات لغذاء الحيوان ثم هي متنوعة التربة يناسب كل منها لتنمية نبات لايناسب سواه فلو كانت نوعا واحدا لنقصنا نباتات كثيرة ونراها بين الصلابة والرخاوة فلو كانت صلبة كالصخر لماصلحت لذلك ولو كانت رخوة جدا لغاصت فيها اقدام الحيوانات وماصلحت لمسعاها ولا لسكناها فمن خصص الصخور بالصلابة فكانت مادة العمران وخصص غيرها بالتوسط بين الصلابة والرخاوة فصلحت لزرع غذاء الحيوان اليس هو الحكيم الخبير والمدبر العليم

ونرى من كائنات الارض المعادن التي تولدت في احشائها مختلفة الخواص متباينة الانواع والاصناف صالحة مع اختلافها وتباينها لمنافع سكان الارض فمنها الجامد والسائل والصلب وغير الصلب وقابل الانطراق وغير قابله وقابل الذوبان وغير قابله والثقيل والخفيف والاصفر والابيض والاحمر والاسود وغير ذلك وكم فيها من مصالح للبشر باتخاذها الات لطعامهم وشرابهم واسلحتهم وبيوتهم

وفلاحتهم و زراعتهم وادويتهم (ولما كان الحديد من انفعها وهو اشدها خفاء في الارض لايشابهه معدن في الخفاء كما في كتب المعادن خصصه الله تعالى في القران بذكر المنة به والاشارة الى نعمة الهداية اليه فقال تعالى وانزلنا الحديد فيه باش شديد ومنافع للناس ولم يذكر معدنا سواه بذلك) ونرى من خواصها غرائب تعجز عقولنا عن تعليلها تعليلا يقينيا بل غاية ما يوصلنا اليه البحث فيها ان نقول هكذا خاصيتها وان قلتم نحن لانقول ذلك بل لابد ان نقف على التعليل اليقيني قلنا لكم هذا المغناطيس المعدن الغريب صاحب خاصية الجذب لمثله وللحديد والفولاذ انتم تقولون ان سبب جذبه لما ذكر هو من حركة اجزائه الفردة وترتيب اوضاعها واقول ان هذا التعليل وان جاز ان يكون هو الواقع بخلق الله تعالى ولكنكم اتيتم به مبهما غير مقنع للعقل اذا وردت عليكم السوالات الاتية وهي اولا لما نتج عن تلك الحركة والوضع جذب ما ذكر ولم ينتج عن ذلك جذب بقية المعادن من نحو الذهب والنحاس او ضحوا لنا توجيه ذلك وثانيا كيف ان المغناطيس اذا التصق بقضيب من حديد وجذبه اكسبه خاصية ذلك الجذب من دون ان يخسر من قوته شيئا فيصير ذلك القضيب يجذب كجذب المغناطيس ما دام ملتصقا به واذا انفصل عنه بطلت منه

تلك الخاصية وتقولون لتلك الحالة التي طرأت على الحديد تمغنط
موقت واما اذا التصق المغناطيس بقضيب من الفولاذ اكتسب
ذلك القضيب خاصية ذلك الجذب ودامت فيه ولو انفصل عن
المغناطيس وكذلك اذا دلك قضيب الفولاذ بالمغناطيس اكتسب
تلك الخاصية دائمة ويقال لذلك تمغنط صناعي فاوضحوا لنا كيف
حصل ذلك الاكتساب بمجرد ملامسة المغناطيس لقضيب الحديد
والفولاذ اتغيرت اوضاع اجزائهما ولو كانا بطول ممتد واذا كان
الامر كذلك فهل رجع الوضع لاصله في قضيب الحديد ولو في
لحظة من الزمان وبقي في قضيب الفولاذ ام الحال غير ذلك
واوضحوا لنا هذا الفرق بين الحديد والفولاذ بل والحديد الصلب
فانه بحكم الفولاذ يكتسب خاصية الجذب وتدوم معه بعد الانفصال
ثالثا انكم تقولون ان قوة الجذب في المغناطيس في طرفي القطعة
منه وكلما اقتربنا لوسطها نجد ان القوة قد ضعفت حتى تكاد
تغيب عند الوسط تماما واذا قسمت تلك القطعة من عند وسطها
رجع الطرف الذي عند القطع ذا قوة قوية كما في الطرف الاصلي
فاوضحوا لنا كيف ضعفت القوة عند الوسط وقويت في الطرفين وكيف
قويت في الطرف المفصول بعد القطع أبالقطع تغير وضع الاجزاء
مع ان وضعها لا يتغير باقوى العوامل الخارجية ام الامر كان لغير

ذلك وايضا اذا لمس المغناطيس قضيب الحديد او الفولاذ من
طرفه وتمغنط القضيب فلا بد ان تكون القوة في الطرف الاخر
من ذلك القضيب تامة واما القوة في وسطه فهي قريبة التلاشي
فماذا تقولون ان الحركة وتغير وضع الاجزاء قد وصلا الى ذلك
الطرف عن طريق غير الوسط ام مرا على الوسط فضعفا عنده
ثم قويا بعد مجاوزته وما الذي اعاد لهما تلك القوة بعد الضعف
ورابعا تقولون ان المغناطيس يفقد قوة الجذب عند حصول الزلزلة
ثم تعود اليه بعد مضيها وعلى ذلك عملت الآلة التي تنبه على قرب
حصول الزلزلة فيحترس منها فاوضحوا السبب لتغير وضع الاجزاء
وتبدل الحركة عند الزلزلة وكيف كان ذلك ولِمَ كان ذلك
والذي اراه انكم لاتقدرون على اجوبة شافية عن تلك الاسئلة
التي تقدمت بل غاية ما تنتهون اليه ان تقولوا هكذا خاصة
المغناطيس لها تلك الاعمال واقول لكم ان اتباع محمد عليه السلام
يقولون ايضا هكذا خاصة المغناطيس لها تلك الاعمال اذا شاهدوها
وتبرهنت عندهم ولكن يسالونكم من الذي خصصها بذلك أحركة
الاجزاء بما ينشا عنها من ترتيب وضعها تعمل تلك الاعمال الباهرة
التي عجزت عقولكم عن تعليلها بما يقنع العقل ام الذي خصص
ذلك التخصيص واتقن تلك الاعمال هو القادر العليم والمريد الحكيم

اي الامرين احق ان يعتقد (انصفوا) و بالحق ان المغناطيس من
اعجب الاشياء وفوائده من احسن الفوائد واكمل العوائد اذ
بالابرة المغنيطيسية سلكت البحار والقفار وامن السفار من الاخطار
اذ هي المرشد الامين والهادي المبين فسبحان من هدى الانسان
سبل الرشاد بقطعة معدن من دواني الجماد

ونرى من كائنات الارض النبات ذلك العالم الذي اشتمل على
العجائب والغرائب وحير الالباب بما اودع فيه من النظام المحكم
والاسرار والحكم واغرب شانه وكل شؤنه غريبة كيفية تمثيله لاجزاء
الارض والماء والهواء لبنيته وتطويرها باطواره بينما هذه الاشياء
عديمة النمو والحياة اذ نراها قد دخلت في تركيب النبات فانقلبت
جسما ناميا متغذيا ذا حياة نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من
قبل ثم ننظر الى ذلك الجسم النباتي فنراه من وجه عديم الارادة
فاقد الادراك اشبه شي بالجماد وننظر اليه من وجه اخر فنراه
قد ضرب بعروقه في بطن الارض لتناول الغذاء فهو وان لم يسع
على اقدامه كالحيوان في طلب رزقه ولكن يبلغ في باطن الارض
ما لا يبلغه الحيوان وترى اغصانه تتعالى او يتعرش بشوكه ولبالبه
على المرتفعات لينتفع بنور الشمس كالحيوان المتسلق على الاشجار
لطلب الاثمار وبينما نقول انه لايتغذى الا باجزاء الارض والماء

والهواء نرى منه النباتات المفترسة وهي التي تنبت في غيرها من النباتات وتتغذى بعصارتها كما يعيش بعض الحيوان على بعضه ومنها ما احتوت اوراقه على عصار يغري الذباب ان يسقط عليها فاذا سقط على ورقة منها احست به وانطبقت عليه ولا تتركه حتى تمتص رطوبته ثم تتركه ميتا لم يبق منه سوى القشر فهذا نبات يتغذى بحيوان اخذا بثار العالم النباتي الذي يتغذى به العالم الحيواني وبينما نرى ان النبات لابد ان تعلق جزوره اما في الارض واما في بنية غيره من النباتات التي يفترسها نرى النباتات الهوائية وهي اعشاب لا اصول لها في التربة تتعلق على غيرها وتتناول غذاءها من الهواء ومن عجيب امرها ان زهرها قد يشاكل الفراش والنحل وغيرها من انواع الذباب واذا حركها الهواء يظنها الرآئي فراشا يحوم على الاشجار اونحلا يسعى في جنى العسل من الازهار ومن ازهارها ما يشاكل الرتيلاء ومنها ما يشاكل الانسان الى غير ذلك من الصور المختلفة ومما نظرته بعيني وان كان ليس من النباتات الهوائية بل ينبت من بصيلات في الارض نبات يحمل زهرة هي صورة طير اصفر براس وعينين ومنقار وعنق وصدر وجناحين منتشرين بعض الانتشار منتصب القامة كما ينتصب الديك وعند اسفل بطنه صورة نحلة بلون سنجابي واضعة فمها ببطنه

كانها تمتص منه شيئا وهي ذات راس وعينين وظهر منقوش وجناحين ممتدين من اصل فخذي الطير فهما مشتركان بين ان يكونا فخذين له وجناحين لها وكل تلك الاعضاء التي فيها واضحة بينة لا انها تقارب الاعضاء مجرد مقاربة منظر يستوقف الطرف و يشهد بوحدانية خالقه وقدرته واحكامه وتوجد هذه الزهرة في برية بيروت في محل يقال له ظهور الاشرفية و يسميها بعض اهل تلك الجوار بزهرة الطير و بعضهم بزهرة النحلة وقد وجدت بعضكم يعلل لتكون تلك الازهار على صورة الحيوانات بتعاليل واهية فاطلب منهم تعليل تكون هذه الزهرة بما يقنع العقل ولا اراكم تقدرون على ذلك ولا ارى مقنعا للعقل الا احالة تكوينها على صنع القادر المريد الحكيم العليم لا على حركة اجزاء المادة ولا على ناموس التباينات ولا على امثال ذلك من الامور العمياء الصماء البكماء و بينما نرى ان بعض النبات لا يحس باشد الملامسات ونحكم بان من جملة الفوارق بينه و بين الحيوان الاحساس في الحيوان دونه اذ نرى النباتات الحساسة ومنها السنط الحساس الذي اذا لمس اوحرك احس وانضمت وريقاته وتشنج سائر اوراقه ومنه النبات المفترس للحيوان الذي تقدم ذكره فانه يحس بوقع الذباب عليه فيمسكه و يمتصه و بينما نرى ان النبات لا يتحرك الا بفاعل خارجي

كالهواء والحيوان اذ نرى النبات المتحرك بنفسه لغير قاسر ظاهر فهذا النبات يتحرك بنفسه حركات يرسم بها في الهواء مخاريط هندسية فورقته مؤلفة من ثلاث وريقات اكبرها العلياء في الوسط والصغريان تحتها على الجانبين تتحركان مدة حياتها ليلا ونهارا في الحر والبرد والشمس والظل والصحو والمطر لاتنقطع حركتهما ترتفع الواحدة منهما وتنخفض الاخرى على التوالي بحركة مستديرة ومنه ما لاتتحرك ورقته الوسطى الاصباحا ومساء بخلاف الجانبيتين فان احداهما ترتفع والاخرى تنخفض طول النهار وقلتم انهم وجدوا على جانب نهر الكنج في الهند نبتا تتحرك وريقاته كذلك ستين حركة في الدقيقة فهو ساعة حية نامية لاتقف ولا تكلف صاحبها شيئا من النفقة ومشركو الهند يقدسون هذا النبات وينسبون اليه قوة آلهية وما هو الاشاهد على انفراد خالقه بالربوبية ومنه ما يتحرك زهره مع حركة الشمس في قبة الفلك وهو كثير في بلادنا ويسمونه بالفلك وبعابد الشمس لان زهرته المستديرة المؤلفة من دوائر بديعة الاصباغ محكمة الصنع محاطة باهداب كخيوط الحرير وفي وسط نوع منه شي كعقرب الساعة تستقبل تلك الزهرة الشمس في اول شروقها ولا تزال تتحرك لاستقبالها كلما ارتفعت الشمس لقبة الفلك حتي تبلغ الهاجرة فتكون تلك الزهرة حينئذٍ

سطحية الوضع ثم كلما مالت الشمس الى المغرب مالت معها حتى
تفارقها في المغيب فسبحان المبدع الخبير ثم في تباينات النبات ما
يحير الافكار ويشهد بان مبدعه فاعل مختار لايحكم عليه ناموس
ولا تدخل قدرته تحت تحديد ينبئ عن الاضطرار وعدم الاختيار
وذلك انا نرى منه ما يبلغ من الكبر والارتفاع مبلغا يفوق الحد كما
في ارز لبنان وام الاجمة التي توجد في اميركا طولها ثلاثماية قدم
اواربعماية قدم وقطر بعضها عند الارض ثلاثة عشر قدما وسمك
قشرها ثمانية عشر قيراطا ومن اشجارها ما جوف ساقها وطرحت
فكان الفارس يدخل جوفها منتصبا على صهوة حصانه فلا يمسها
وبعض الاشجار في اسكتلندا بلغ محيطها تسعين قدما وحسب
عمرها بمقابلتها باصغر اشجار نوعها فكان خمسة الاف سنة وفي
كاليفورنيا شجرة صنوبر طولها ثلاثماية قدم ومحيطها ثلاثون قدما
وعمرها ستة الاف سنة واغرب من ذلك كله شجرة عندم في احدى
جزائر كناريا في الاقيانوس الاتلنتيك لايحيط بساقها عشرة رجال
يمدون ايديهم حولها يمس كل منهم انامل مجاوره بانامله وقد مر
على اكتشاف تلك الجزيرة ما يقرب من اربعماية سنة ولم يتغير
منظر تلك الشجرة فان نمو هذا النبت بطئ كما يشاهد من نمو
صغاره فكم مر عليها من القرون قال بعضهم اني اقول انها كانت

تنمو منذ قرون كثيرة قبل خلق الانسان ونرى من النبات عالما على غاية الصغر قد اظهره المكرسكوب وذلك كالطحلب الذي يعلو وجه الماء والعفونة التي تلتصق بالجدران وغيرها فكل ذلك يظهر تحت المكرسكوب كانه بستان او مرج او غابة كثيفة تحمل مع صغرها ودناءتها زهرا وبزرا ينتشر مع الهواء من جملة الهباء ويقع على الجدران وغيرها فاذا وافقته الاحوال استفرخ ونما وازهر وبزر والعين المجردة لاتراه الا كالغبار الاخضر ونرى من النبات ما يتقابل فيه الاضداد ففي اختلاف اشكاله واشكال اوراقه وازهاره واثماره وبزوره وروائحه وطعومه والوانه ومنافعه ومضاره ما يفوق الاحصاء فمنه الشجر والنجم والعشب والصيفي والشتوي والربيعي والخريفي والسهلي والجبلي والمكتفي بماء المطر والمحتاج الى سواه والمختص باقليم والذي يعيش بكل الاقاليم ومن اوراقه المستدير والمستطيل والمسنن والعريض والرفيع ومع اشتراكها في لون الخضرة فخضرتها مختلفة لانجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع اخر وازهاره اكثر اختلافا واوفر تبيانا في الاشكال والالوان فمنها المستدير والمستطيل والمفرد والمضاعف واشكال شتى لاتحصى ومنها الابيض والاحمر والاصفر والازرق والاخضر والمنقش بابدع النقوش والمجتمع فيه الضدان او الاضداد من الالوان وروائحه

من ابدع الخواص فمنها المستطابة التى تنعش القلوب والمستكرهة التي تميت النفوس ويكفي بالتنبيه على اختلافها انا لانجد رائحة زهرة من نوع تشبه رائحة زهرة من نوع اخر تمام الشبه واختلاف اثماره باشكالها والوانها وروائحها وطعومها واقدارها مما يتيه العقل في تيهائه فمنها الكبير والصغير والعريض والطويل والمستدير والكروي والمحدب والمسنن وغير ذلك ومنها الاحمر والاصفر والابيض والاسود والازرق والمنتقش وغير ذلك ومنها ذو الرائحة التي لم توجد في زهره ولا ورقه من كل رائحة زكية واخرى على الانوف يليه ومنها الحلو والحامض والمز والمر ونحو ذلك من الطعوم التي لاتستقصى ومن غريب امر الاثمار انك ترى قشرها بطعم ولون ورائحة لاتوجد في اللب وفي اللب من ذلك ما لايوجد في البزر وفي البزر من ذلك ما لايوجد في كامل اجزاء الشجرة ومن الاثمار ما يحتوي على البزور المختلفة الاشكال والروائح والطعوم والالوان ومنها ما يخلو عن البزور ومنها ما هو مغلف بغلاف او اكثر ومنها ما ليس كذلك ومنها صغير واصله شجر كبير كالجميز ومنها ما هو كبير واصله من الاعشاب كالبطيخ ومن النبات ما يعطي ثمرته بشهر او اقل ومنه ما لايعطي ثمرته الا بعد سنين ومنه ما ينتفع بعروقه او اصوله او ورقه او زهره او ثمره او بزره او قشره او عصاره وماينتفع منه بشيئين

او اكثر من ذلك وما ينتفع منه بجميع ذلك ومنه ما اصله نافع وثمره ضار اوورقه او زهره ومنه بالعكس فيجتمع في النبات الواحد الداء والدواء وبالاختصار نرى الشجرة الواحدة قد تخالف خواص عروقها وساقها وقشرها وورقها وزهرها وثمرها وبزورها فلا تجد خاصة من تلك الخواص تنطبق تماما على خاصة اخرى منه وكل انواع النبات تسقي بماء واحد وقد تتغذى بتربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد واعضاؤها انما هي قسمان اعضاء النمو وهي الجزور والسوق والورق واعضاء التناسل وهي الزهر والثمر والبزر ثم انه من هذه الاعضاء البسيطة القليلة العدد تتالف الالوف من النباتات البالغة بحسب ما وصل اليه احصاء النباتيين ما ينوف عن ثمانين الف نوع وهي التي تكسو جبالنا وتلولنا واوديتنا وحدائقنا خضرة وتزينها بازهارها وتملاء مخازننا فواكه وحبوبا وتلبس اجسادنا وتعمر بيوتنا وسفننا وتعالج امراضنا وتشعل نيراننا وتحفظ امتعتنا وتفعل وتفعل الى ما يكبو في مضمار احصائه القلم ويرتمي اللسان بالبكم افكل تلك الصور وجميع تلك الاطوار وترتب تلك المنافع وظهور هاتيك الاسرار مع اتحاد اصل المادة واتفاق جميع الاسباب الجوهرية يكون مصدرها حركة اجزاء المادة مع الضرورة العمياء او الصدفة الصماء او النواميس

التي لا تعلم ولا تشاء ام ذلك كله من ابداع مبدع قادر وحكيم قاهر وعليم يعلم بما صار وبما هو صائر نعم ان جميع تلك الغرائب وعموم هاتيك العجائب ترفع اعلام الشهادة بان للعالم آلها عليما وصانعا حكيما يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ثم ان النبات وان كان كل نوع منه نعمة انعم بها الخالق سبحانه على خلقه ولكن بعضه تعظم فيه النعمة وتسمو فيه المنة وان يكن كل فرد منه غريبا ولكن قد يكون بعضه اعرق في الغرابة فلنذكر من ذلك طرفا بالتفصيل فنقول من النعم المستغربة في عالم النبات شجرة الخبز في جزائر الباسفيك تحمل ثمرات كروية قطر اصغرها اربعة قراريط وقطر اكبرها سبعة وثقلها اربعماية وعشرون درهما وهي تجنى مدة ثمانية اشهر متوالية من كل سنة وهي خبز لاهل تلك الجزائر يقتاتون به كما نقتات بالخبز الصناعي وهو جل طعامهم اعده لهم الباري تعالى من دون عناء ما نكابده في تدبير خبزنا وفي هذه الشجرة منافع اخرى فموائدهم من اخشابها وثيابهم من قشورها وقواربهم من سوقها ومن ذلك شجرة الحليب وهي شجرة يوجد منها في الهند ما يسمى هياهيا يخرق ساقها فيخرج منه حليب جيد اختر من حليب البقر وفي برازيل شجرة منها تسمى (ما ساراندوبا) تزهر في شباط وتثمر ثمرا طعمه كشراب الليمون ويستخرج من ساقها لبن ابيض

شهي الخثر من حليب الماشية يتغذى منه السكان و يتخذونه جل قوام حياتهم ومن ذلك شجرة القشدة وهي شجرة هندية وافريقية تحمل ثمرا لبه كالقشدة قواما وطعما يبقى شهورا في البلاد الحارة في الانية ولا يتغير لونه ولا طعمه ومن ذلك شجرة النارنجيل اي الجوز الهندي فان منافعها قل ان تحويها شجرة فقد قيل انه يتخذ من جوزها قبل نضجه شراب و بعد نضجه ما يحكى الحليب وتطبخ اوراقها كالخضر و يتخذ من عصارة ازهارها سكر ومن اخشابها وقشر جوزها اوانٍ وصحون وجفان وتشاد من اخشابها ايضا البيوت وتنسج من اوراقها حصر ومظلات و يتخذ من خيوط اليافها ثياب ومناخل وقلوع وحبال ومن دهن جوزها زيت ومن نشارة اخشابها حبر للكتابة ومن اوراقها قراطيس للكتابة ايضا وشجره النخل لاتقصر كثيرا عنها في وفرة المنافع فنرى ثمرها يؤكل زهرا وبسرا ومذنبا ورطبا وتمرا وهو فاكهة وقوت وذخيرة وينتفع باخشابها وجريدها وعراجينها واليافها حتى بنواها فيطحن و يجعل قوتا للجمال فسبحان المنعم المتفضل على عباده بغرائب نعمه وعجائب مننه القادر على تنويع الانواع وتطوير الاطوار وخاتمة الكلام في عالم النبات ان نقول ان احق الناس بالاستدلال بشؤن النبات على وجود الصانع القادر العليم الحكيم هم العلماء النباتيون الذين

ملؤوا المجلدات في شرح احواله وشؤونه فتراهم قد خاضوا في
البحث عن كيفية استفراخه ونموه والتغيرات التي تطرأ عليه
من اول زرعه الى ان يبلغ غايته وعن كيفية تناسله وتلقيحه جنينه
بمادة اللقاح التي هي كمنى الحيوان وعن تشريح ابنية جذوره وسوقه
واغصانه واوراقه وبراعمه وازهاره واثماره وبزوره وعن اعضاء
كل منها ونظامات قيامها فيه وخواصها ووظائفها ومنافعها وتقلباتها
وعن مدد حياته واختلاف انواعها وعن انقسامه الى صفوف
وعيال واسباط واجناس وانواع وتباينات وافراد الى غير ذلك مما
يحير العقول ويدل على عظمة قدرة خالقه وحكمة مصوره جل وعلا
فتبارك الله رب العالمين فهولاء العلماء يكاد العقل لايصدق بوجود
طبعيين منهم منكرين للخالق سبحانه كيف وقد اطلعوا على
تفاصيل هذا العالم ودقائق صنعه المحتاجة الى صانع قادر ومدبر
حكيم عليم

ثم نرى العالم الحيواني من سكان هذه الارض ذلك المصنوع الذي
بلغ اعلى منازل الغرابة واسمى درجات الاحكام والاتقان بينما
نرى النبات الذي مثّل بالغذاء والنمو المواد الجمادية الى بنيته
النباتية ناجما على وجه الارض اذ نرى الحيوان قد التقمه وسلمه
لآلة فمه فسحقته وهضمته بالسحق ومزجه باللعاب ليحصل به بعض

الهضم ثم ازدرده الى معدته وامعائه فهضمته اتم الهضم بسبب الحرارة
والعصارات المفرزة هناك واستخلصت منه المادة المغذية وجرت
هناك اعمال تحتار عندها العقول ثم انتقلت تلك المادة المغذية
الى اعضاءٍ سوى المعدة والامعاء واخذت تتطور باطوار بسبب اعمال
تلك الاعضاء فلبست صورة الدم ثم بعد تنظيفها بالدورة الدموية
اخذت تتوزع على جسد الحيوان فدخلت اقسامها في بنية كل
عضو منه عوضا عما يتحلل من ذلك العضو ولبست حصة منها صورة
منى الحيوان و بزوره ثم بعد التلقيح لبست صورة علقية ثم مضغية
ثم اخذت تتصور وتتشكل وتنمو لها اعضاء يقوم كل منها بوظيفة
الى ان يكمل تكوينها كالحيوان الذي تطورت تلك الاطوار داخل
بنيته وحلت فيها الحياة الحيوانية الحساسة فكانت حيوانا طبق
اصله سميعا بصيرا شاما ذائقا لامسا ثم ينفصل عن اصله و ياخذ في
السعي على رزقه حسب نوعه وقد تنمو فيه قوة الادراك على قدر
ما يحتاج اليه في تدبير معيشته وقد تزيد عن ذلك بمراتب حتى
يصير ذلك الحيوان عاقلا عالما وحكيما مدققا يجول فكره في كل
شي و يتصرف في كثير من الكائنات في هذا العالم فتبارك الخلاق
العظيم الذي ينشي هذا المصنوع من الماء والطين وهذا المخلوق العجيب
مع اشتراكه مع النبات في بعض الخواص كالنمو والاغتذاء والتوالد

قد فارقه في ان له ادراكا واحساسا بحواس ظاهرة و باطنة ليست في النبات وفيما هو اعظم من ذلك كله وهو القوة العاقلة التي يستدل بها و يستنبط ثم هو ينقسم الى اجناس وانواع واصناف متفاوتة اشد التفاوت في صفاته فمنه ما بلغ غاية عظيمة في الكبر كالفيل الذي علو الكبير منه اثنتاعشرة قدماومنه الصغير جداحتى لايرى الا بالمكرسكوب الذي اظهر عوالمه المتوغلة في الصغر فتلك المخلوقات الخفية تسمى النقاعيات لانها اكتشفت اولا في نقاعة الاعشاب ومع ان الوفا ور بوات منها تسبح في قطرة من الماء دون ان تزدحم او تتصادم فلها الحياة وكل آلاتها وهي اجناس وانواع وصنوف وصور مختلفة فمنها النقاعيات الفصفورية التي يجتمع منها خلق كثير لايحصى على وجه البحر فتلمع وتتوقد كسيل من نار وكلها لاتنام ليلا ولا نهارا ولم ترقط في حال السكون الاقبل خروجها من جراثيمها وقد تبين من بحث علماء الحيوان ان مائة وستين مليونا من صغارها لم تبلغ ثقل قمحة واحدة وان في قطرة واحدة من الماء ما يزيد عن كل اهل الارض من البشر وراقبوا بعضها فروا الواحدة منها قد تلد الوف الالوف في زمن قصير ثم ان لتلك النقاعيات اعضاء كثيرة مختلفة وعندها معرفة في طلب معاشها وميل الى ما يلائم ونفور عما يضر ونباهة تنقي بها الاخطار

ولا يصدم واحدها صاحبه او يزاحمه مع ان الوفاوملايين وربوات
تسبح في قطرة واحدة من الماء كما قدمنا وهي سريعة الحركة جدا
والغاية في صغرها ما ذكره بعضهم ان نوعا منها لايزيد الواحدة منه
على جزء من الفي جزء من الشعرة ولكل منها اعضاء خادمة
لحياتها فتبارك الخلاق القدير ومن الحيوان ما يعيش عمرا طويلا
وما يعيش عمرا قصيرا وقد تخالف في مدد اعماره تخالفا غريبا
واختص كل منه بمدة لايصل العقل الى علة ثبوتها له على وجه
قطعي فنرى الحيوانات الجماء تعمر اكثر من القرناء والجرئية اكثر
من الجبانة والمائية والبرية اكثر من الهوائية لكن الرخمة والنسر
والببغاء والغراب تعيش قدر ما يعيش الانسان ومما اشتهر ان
النسر الذهبي يعيش مئتي سنة والسلحفاة مايتين وعشرين والفيل
اكثر من ماية سنة والضفادع البرية والمائية اطول حياة من سائر
الحيوانات التي تعدلها في الحجم وقد راقب بعضهم ضفدعا ستا
وثلاثين سنة ولم يظهر شيء من علامات الكبر فيه والفرس يعيش
غالبا ثلاثين سنة ولم يعلم ان فرسا بلغ الستين وان معدل عمر الغنم
خمس عشرة سنة ومعدل عمر الكلب عشرون وهكذا لكل
حيوان من كبير وصغير عمر يخصه ولم يتوقف طول اعمارها وقصرها
على المسكن والمعيشة او كبر الجسم او صغره ولا على غير ذلك كما

رايت فاذن لابد لها من مخصص خصص كل منها بعمره الذي
جعله له وهو الخالق الذي ابرزها من العدم وخصصها من القدم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن الحيوان ما يعيش في الهواء وما
يعيش في الماء وما يعيش على سطح الغبراء وما يعيش في اثنين من
ذلك ومنه ما يمشي على قدميه ويداه آلتان لاعماله وتناوله غذاءه
او هما جناحان يركب بهما متن الهواء ومنه ما يمشي على اربع ومنه ما
يمشي على اكثر من ذلك حتى يبلغ عدد العشرات كالحشرة المسماة
ام اربع واربعين ومنه ما يمشي على بطنه بواسطة الفلوس التي
عليها ويتسلق الاشجار والجدران وذلك كالحية ومنه ما يتناول
غذاءه بيديه وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه
كالفيل وما يتناوله بلسانه كالحرباء التي تمد لسانها الطويل المبتل
بمادة لزجة تخطف به الذباب وامثاله من الهواء ومنه ما تنقف بيوضه
في داخل جسده عن جنينه ويتم خلقه فيه ثم يلده كاكثر
الحيوانات اللبونية ومنه ما تخرج بيوضه منه ثم يتخلق جنينه فيها
مهيأ له داخلها جميع ما يلزم له من الغذاء وذلك كالطير وبعض
الحيات والحرذون ومنه ما لايتم تلقيح بيوضه بمني ذكره الا اذا
وصل المني اليها داخله محفوظا من الهواء وان لحقه الهواء فسد
ومنه ما يلقي ذكره منيه على بيوضه بعد ان تلقيها انثاه خارج

جسدها وذلك كبعض الاسماك فلا يفسد منيه بالهواء ولا بالماء
ومنه مايرضع اولاده بما يعده الخالق من الحليب في ثدييه او اثديته
التي تكون على عدد اولاده غالبا ومنه ما يزق اولاده زقا كالحمام
ومنه ما يسعى باولاده ويدلهم على اقواتهم كالدجاج ومنه مايشترك
في تربيتهم الذكر والانثى منه وذلك عندما تكون اولاده غير قادرة
على السعي في اول ولادتها وذلك كالعصافير والحمام والانسان لان
انفراد الواحد بالتربية مع سعيه لرزقه ايضا يكلفه فوق طاقته ومنه ما
تنفرد اناثه بالتربية وذلك عندما تكون اولاده قادرة على السعي
مع امها كالدجاج والحجل ومنه ما يبني الاعشاش لاولاده بكيفيات
غريبة اما نقرا في الاشجار واما عمارة بالطين واما غير ذلك ومنه ما
يحملهم على ظهره كالحيوان الآكل النمل في اميركا او يحملهم في
جراب عند بطنه يخرجهم منه وقت حاجة السعي على القوت
ويدخلهم فيه عند المنام وهو حيوان في اوستراليا ومنه ذو المخرج
الواحد تشترك فيه فضلاته وبيوضه ومنه ما ليس كذلك ومنه ما
سفاده في وقت معين لايعدوه ومنه ما سفاده لايعين في وقت
ومنه ما يعلو اناثه عند السفاد ومنه ما يدابرها ومنه ما يلصق جنبه
بجنبها ويحاككها حتى تلقي بيوضها وهو يلقي منيه على تلك
البيوض فيلقحها وذلك كبعض الاسماك ومنه ما بيوضه تحاكي

بنقوشها الوانه كالحجل وبعض الدجاج الهندي المسمى بين
الناس بدجاج فرعون فان بيوضه مخططة بالوان تحاكي ريشه ومنه
ما بيوضه بيضاء او بلون اخر غير مشوب بغيره لا تحاكي ريشه في
شيء ثم ان بيوضه مختلفة الاشكال والهيئات والمقادير فمنها الكروي
والمستطيل والكبير والصغير وغير ذلك ومنه ما يلد الواحد ومنه
ما يلد الكثير حتى يبلغ عددا عظيما ومنه ما يكسى جسده بالريش
الذي يحفظه من الحر والقر ويناسبه في طيرانه بتكوينه المحكم لننظر
الى ريش الجناحين للطائر حيث لابد من امتداده مقدارا كافيا
لحمل جسده في الطيران فقد جعلت اوائله الثخينة مفرغة لتخف
عليه في الطيران ولكن مع تفرغها قد جعلت مادتها صلبة لدنة
تحمل الفواعل ولا تنقصف بسهولة وجعلت اواخر هذا الريش
مملوءة بمادة لبية خفيفة لا يثقل حملها ذلك تدبير عجيب تجزم عند
مشاهدته العقول بحكمة صانعه سبحانه ومع ذلك فقد اعطى الطيران
غير ذي الريش وهو حيوان مكسو بالوبر ويطير بجناحين مكونين
من جلد رقيق ويخالف بقية الطيور ايضا بانه ذو فم باسنان واكف
صغيرة نابتة على جناحيه وذلك هو الخفاش الذي له خواص
الحيوانات اللبونية فيشابهها في هيكله ومنيه وتوالده وارضاعه
ويخالفها بانه يطير في الهواء كسائر الطيور فسبحان من لا يحكم عليه

في مصنوعاته ناموس ولم تقصر قدرته على طريقه واحدة من طرق العمل فيلزمها ولا يتجاوزها الى غيرها بل يفعل ما يشاء وينوع مخلوقاته على ما يريد ومنه ما هو مكسو بالصوف او بالشعر او بالوبر او بالعظم كالسلحفاة او بالقشور الغضروفيه ومنه ما ليس عليه الا الجلد والبشرة ثم في اختلاف هيآته واشكاله ما يدهش العقول فمنه الطويل والمستدير ونصف الكره ومنه طويل اليدين قصير الرجلين كالظرافة ومنه بالعكس كالارنب ومنه قصير العنق ومنه طويله حتى ان بعضه يلف عنقه كما يطوق الحبل وذلك كطائر اكبر من العصفور يوجد في بلادنا ومنه ذو العينين ومنه ذو العيون كبعض العناكب ومنه ذو الذنب ومنه ذو الالية ومنه مستطيل الاذنين ومنه مستديرهما ومنه ذو الحافر وذو الظلف وذو الخف وذو القدم وذو البراثن ومنه ذو الكرش لخزن كمية من الطعام النباتي الذي يحتاج الى كمية كثيرة منه لكفاية الغذاء وذلك في اكلة النبات ومنه ما ليس له الا المعدة لان غذاءه الحيواني يكفي منه لتغذيته كمية قليلة ومنه ذو الاسنان الصالحة لتمزيق اللحم الذي يكون غذاءه ومنه ذو الاسنان التي تصلح لقضم النبات الذي هو غذاؤه وان في تكوين الاسنان لاسيما في الانسان وترتيب وضعها لعبرة لاولى الابصار فقد وضعت القواطع منها

في مقدم الفم محددة صالحة لقطع ما يحتاج لقطعه ويكتنفها الانياب مرأسة تصلح للكسر والتفتيت بحسب شكلها الذي يحكي شكل المعاول وقد اكتنفتها الاضراس مستورة عن النظر مكونة على شكل تصلح به للسحق والطحن وانظر لو خولف هذا الترتيب فوضعت الاضراس في مقدم الفم واخرت القواطع ماذا كان ينشأ من عسر تناول الغذاء وماذا كان في منظر الفم من البشاعة فسبحان الحكيم الخبير ثم في اختلاف سلاح الحيوان ما يبهر الالباب فمنه المخالب والانياب والقرون والخرطوم والذبان والسم الناقع والفساء الكريه كما في الظربان وفي اختلاف تحصيله رزقه واحتياله عليه لاسيما الحيوان الاعجم عبرة لمن يعتبر فمنه ما يخرج من جسده مادة ويحيكها شبكة ينصبها لمثل الذباب ليعلق بها فيفترسه وذلك كالعنكبوت ومنه ما يحفر قليبا في الرمل ويستتر في اسفله فاذا وقع فيه حيوان من نوع صيده افترسه واذا وقع فيه ما لا يصلح لغذائه دفعه بحركة عجيبة تخرجه الى خارج القليب وذلك لحيوان صغير يوجد في الرمول يسميه البعض باسد النمل ومنه ما يخطف الحيوانات الصغيرة الطائرة في الهواء مثل الذباب وذلك كالخطاف ومنه ما يحفر الارض للوصول الى رزقه ومنه ما يتسلق الاشجار ومنه مايغوص في البحار ومنه مايطوف في القفار ومنه ما يقف في باب وكر

صيده ويفسو فساء كريها حتى يميته بذلك ثم يا كله وذلك كالظربان
مع الضب واختلاف اقواته وكيفية تناوله لها وادخاره اياها امر
في الغرابة عريق فمنه ما يقتات بالحبوب ومنه بالاوراق ومنه
بالاثمار ومنه باللحوم ومنه بالحشرات ومنه بانفس القوت ومنه باخبثه
واقذره وانجسه وذلك كالخنزير الاهلي ومنه ما يبلع قوته بلعا ومنه
ما يمضغه مضغا ومنه ما لايدخر قوتا ومنه ما يدخر قوته في الصيف
لاوقات الشتاء وله تدبير عجيب في ادخاره وذلك كالنحل والنمل
وهذا الاخير اذا لحق ذخيرته رطوبة الارض اخرجها في الصحو
الى نور الشمس حتى تنشف ثم يخرق الحبة التي يدخرها حتى
لاتنبت من الرطوبة وقد يخرق بعض الحبوب اكثر من خرق
لادراكه ان الخرق الواحد لايمنع نباتها وذلك كحبة الكزبرة فسبحان
الهادي المبين ثم في اختلاف الوانه ما يبهج النظر ويحير الفكر فمنه
الابيض والاحمر والاصفر والازرق والاسود والمنقش بالالوان المختلفة
ثم نرى النوع الواحد منه متساوي الافراد في لون واحد او متساويها
في نقش واحد وذلك كالغراب والحجل وانواع من العصافير
ونرى نوعا اخر مختلف الافراد في الالوان كالخيل او في النقوش
كالدجاج ومنه ما نقوشه منتظمة بكيفية واحدة كالنمر والطاووس
ومنه ما ليس كذلك كالدجاج والحمام والقطط والشيء بالشيء

يذكر قد سمعت عن بعضكم ايها الماديون يعلل انتقاش جلد النمر
بانه في القرون الغابرة كان يجلس تحت الاشجار المظلة قليلا فتصل
اليه اشعة الشمس من بين خلال اغصانها فانتقش جلده بذلك
النقش فارجو هذا المعلل ان يعلل لنا عن انتقاش ريش الطاووس
باللون الذهبي والاخضر والازرق والعسلي والاسود والكحلي وغير
ذلك باشكال منتظمة وتخاطيط محكمة وعن انتقاش ريش الديكة
التي لايرى واحد منها الا بانتقاش غريب عن كثير من افراد
نوعه وعن انتقاش ريش الورور والحسون وامثال ذلك كثير
ولست اجزم ببطلان تعليل هذا المعلل لانتقاش جلد النمر اذ
ربما يكون السبب هو ما قاله بخلق الله تعالى كما جرت عادته سبحانه
بترتيب المسببات على الاسباب ولكني اريد منه ان لا يجعل الامر
طبيعيا محضا بل يرد كل تعليل الى فعل الخالق سبحانه وتعالى والا
فاني استعجزه بطلب تلك التعليلات ثم اقول ومما يقضي منه العجب
في الحيوان اختلاف اصواته ومناظره فمنه المطرب الذي يهيج
بصوته القلوب ومنه ذو الصوت المنكر الذي يصم الاذان ومنه
الجميل الذي يستوقف الطرف كالطاووس والظرافة وبعض الديكة
وابدع الجميع جمالا واظرفها مثالا الحسان من نوع الانسان
فهناك دهشة النظر وحيرة الفكر والاخذ بمجامع القلوب والسطوة

على ألباب ذوي الاحلام والسلطة على ابهة الجبابرة والحكام فهل
عند القرود من ذلك عين او اثر لا وحق من زين العيون بالحور
والجباه بالطرر ومنه ما تقشعر منه الجلود وترجف القلوب كالرتيلاء
والثعبان والخنزير والسعدان ثم منه ما يختص بانثى ومنه ما ليس
كذلك ومنه الذي يسعى لرزقه منفردا ومنه ما يسعى اليه
متجمعا اسرابا وهذا منه ما يكون اجتماعه على نظام الجمهورية ومنه ما
يكون على نظام الملكية ويقيم الحرس و يقدم الدليل والرائد للماء
والكلأ واختلاف اخلاقه امر عجيب قد الفت فيه الكتب فمنه
الجريء والجبان وقريب الالفة للانسان و بعيدها وغير ذلك
وكذلك اختلافه في القوة والضعف والصبر على عدم القوت وضد
ذلك ومقاومة الفواعل الخارجية وعدم مقاومتها فمنه ما لو نخس
بابرة في نخاعه الشوكي لمات في الحال و بطلت حياته كما قيل في
الانسان ومنه ما لو قطعته ثلاث قطع راسه ووسطه وذنبه وتركته
بعض ايام لرايت الراس قد نبت له بدن وذنب والوسط قد نبت
له راس وذنب والذنب قد نبت له راس ووسط وكل منها قد رجع
حيوانا والراس يصير كذلك قبل سواه وذلك كحيوان يسمى الهيدرا
من الحيوانات الصغيرة جدا فكل هاتيك الاختلافات دلائل
شاهدة بان صانع هذا العالم الحيواني لا يحكم عليه في صنعه ناموس

ولا تلجئه ضرورة الى التزام طريقة واحدة في ابداعه بل هو واسع القدرة والعلم والتدبير ينشئ نوعا على كيفية تكون كافية له في معاشه وقيام نظام حياته كاملة في زينة مرآه وينشئ نوعا اخر منه بكيفية هي بالضد من الكيفية الاولى وتكون كافية تلك الكفاية وكاملة ذلك الكمال تنبيها للعقول وايقاظا للافهام انه فاعل مختار لا يعجزه شي ولا يعزب عن علمه غيب سبحانه وتعالى عما يقوله الجاهلون ثم ما في الحيوان من التركيب العجيب وتكون الاعضاء والحواس الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلافات ابنيتها ودقائق صنعها وانطوائها على الفوائد الجمة والمصالح التي بنيت على الحكمة امور تدهش الالباب وتحير الافهام وترشد كل لبيب على ان لهذا العالم صانعا عليما ومدبرا حكيما قادرا على ما يشاء مبدعا ما يريد ولنذكر بالاجمال بعضا مما اطلع عليه علماء التشريح والفاسلوجيا الباحثين عن حقائق اعضاء الحيوانات وابنيتها ووظائفها ومنافعها والمقصود منها فنقول اذا نظرنا الى الحواس الخمس في الحيوان لاسيما الانسان نجد انها في اعلى طبقات الاتقان واسمى درجات الاحكام ما وضعت الا لحكم باهرة وفوائد ظاهرة ولم يكن حصولها بالصدفة ولا على وجه الضرورة شاهدة بان واهبها واسع الاحسان على مخلوقاته

فالبصر هو القوة المودعة في العصبة المجوفة في العين المتصلة بالدماغ لتودي اليه صور المرئيات فتدركها النفس ثم العين هي آلة رسم الصور بواسطة النور وهي اكمل الآلات البصرية اتقانا لانه قلما يعتريها الخطأ الذي يعتري سواها من الآلات البصرية وتحكم نفسها بنفسها لتحصيل الابصار جليا وهي موضوعة في تجويف من العظم يسمى الحجاج ومولفة من ثلاث طبقات وثلاث رطوبات معما يلزم لها من الرباطات والاوردة والشرايين والاغشية والعضلات فالطبقات اولاها الصلبة وهي غشاء لدن متين ظليل اي لاينفذه النور ولا يرى ما وراءه يحيط بباقي الصبقات وجميع الرطوبات لوقايتها وحفظ نظام ترتيبها واوضاعها الاان في مقدمه قطعة شفافة كزجاجة الساعة في شكلها في التحدب من الخارج والتقعر من الداخل ونازلة فيه كما تنزل زجاجة الساعة في حلقتها النحاسية وهذه القطعة تسمى القرنية وثانيتها المشيمية وهي ناعمة كالمخمل سوداء اللون ومتوسطة بين الصلبة والشبكية وثالثتها الشبكية وهي مكونة من انبساط العصبة البصرية التي تنشأ من الدماغ وتدخل العين من مؤخرها والرطوبات اولاها المائية وهي سائل صاف شفاف موضوع في غرفة وراء القرنية ويحد هذه الغرفة من ورائها حجاب مثقوب من وسطه يسمى القزحية ولونها اسود او ازرق او اشهل او

غير ذلك ويسمى الثقب الذي في وسطها البؤبوء وثانيتها البلورية
وهي جسم لدن املس شفاف كالعدسة المحدبة من وجهيها وهي
اكثف في الوسط منها في الجوانب وموضوعة وراء القزحية وثالثتها
الرطوبة الزجاجية وهي جسم شفاف لزج كبياض البيض النيء
وتشغل ما بقي من الخلاء وراء البلورية داخل العين حتى تصل
الى الشبكية ثم ان العامل برسم صور المرئيات في العين هو النور
الواقع على المرئيات والمنعكس عنها الى داخل العين والنور له
نواميس قد فطر عليها بها ينقل الصور ويرسمها ولكن من مقتضى
بعضها انه لو لم تدبر له الحكمة الالهية تدابير في تركيب العين لما
تم الابصار ولكانت تتشوش على العين صور المرئيات وبيان ذلك
ان النور اذا وقع على جسم كثيف خشن انعكس عنه ورسم صورته
على ما يقابله خصوصا اذا كان المقابل صقيلا ولكن اذا وصل النور
الى المقابل على خطوط مستقيمة يرسم عليه الصورة غير واضحة
لان اشعته كلما امتدت انتشرت وتباعدت خطوطها فيحتاج في
رسمه الصورة واضحة على الجسم الصقيل المقابل ان تكون الخطوط
عند وصولها اليه متجمعة ثم ان خطوط النور انما تتجمع اذا مرت
في جسم شفاف عدسي الشكل اي محدب الوجهين كالعدسة او
محدب الوجه الواحد ومستوي الوجه الآخر او محدب الوجه

الواحد ومقعر الاخر ثم الخطوط المتجمعة بسبب مرورها في هذه
الاشكال انما يكون معظم تجمعها في الوسط ولا تساويه اطراف هذه
الاشكال في الجمع لاسيما اذا كان الوسط اكثف منها وكذلك
تتجمع خطوط النور اذا مرت على جسم شفاف كثيف بعد مرورها
في جسم الطف منه بخلاف ما اذا مرت في جسم كثيف ثم مرت
في جسم اقل منه كثافة فانها تتباعد وتاخذ بالانتشار ثم ان النور
ينعكس عن كل الالوان الا اللون الاسود فانه يتشربه فلا ينعكس
عنه كما انه لاينفذ الجسم الملون بالاسود وما يقاربه وكل هذه
الالوان تمتصه وتخففه واكملها في امتصاصه اللون الاسود ثم انما يرسم
النور الصورة واضحة بعد تجمع خطوطه اذا كان الجسم المرسوم عليه
على بعد مخصوص من الجسم الذي انعكس عنه النور او من الجسم
الذي نفذ منه النور اذا تقرر جميع ذلك وعلمت ما ذكر من نواميس
النور فلنشرح كيفية الابصار فنقول اذا وقع النور على المرئيات
انعكس عنها ودخلت خطوطه العين ورسمت على الشبكية صور
المرئيات وهي توديها باحساسها الى الدماغ لكن بانعكاسه عن
المرئ تكون خطوطه مستقيمة ولو بقيت سائرة بدون تجمع حتى
وصلت للشبكية لكانت وصلت اليها منتشرة متباعدة فترسم
الصورة غير واضحة فدبرت الحكمة الالهية انه في اول ما يدخل

ايضا بواسطة الالوان فقد كان تعدد تلك الاوساط لحكمة اخرى
باهرة كما قال بعضهم وهي ان النور اذا نفذ من جسم شفاف محدب
انحل لالوانه المعروفة في فن الطبيعيات وهي الوان قوس السماء
فتظهر الصورة التي ينقلها بنفوذه من الجسم المحدب ملونة بتلك
الالوان وهذا يسمى الخطأ اللوني وصناع الالات البصرية
يرفعون هذا الخطأ بضم جسم شفاف محدب الى الجسم الاول يحل
النور عكس حل الاول فيعود الى لونه الابيض ويوصل
الصورة غير ملونة ويرتفع الخطأ اللوني فعلى ما يقول ذلك البعض
ان من جملة حكمة الباري تعالى في تعدد تلك الاوساط المذكورة
وعدم الاكتفاء بامر واحد منها يجمع الاشعة دفعة واحدة دفع
ذلك الخطأ اللوني فاذا نفذ النور من القرنية مثلا وانحل لالوانه
تحله بقية الاوساط الجامعة لخطوطه من المائية والبلورية والزجاجية
عكس ما حلته القرنية فيعود الى لونه الابيض ويرفع ذلك الخطأ
هكذا يظن البعض وهو قريب من الصحة اقول انهم قالوا ان مقتضى
التجمعات التي تجمعها خطوط النور بواسطة ما مرت فيه من
القرنية والمائية والبلورية والزجاجية ان لاتصل الى الشبكية الا
وقد تقاطعت وصارت الاشعة المنعكسة من اعلى المرئ واقعة على
الطرف الاسفل من الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المرئ

الوسط لان وسط البلورية اكثف من اطرافها وقد جعل الحكيم الخبير تلك البلورية تحت ارادة الناظر ايضا بان يزيد تحدبها او ينقصه لان الخطوط النورية يزداد تجمعها كلما زاد تحدب الجسم النافذة هي منه وينقص كلما قل تحدبه فالناظر يتصرف بها بحسب احتياجه فيزيد تحدبها او يقلله ثم تنفذ الخطوط في الرطوبة الزجاجية فتتجمع ايضا زيادة تجمع على ما قالوا حتى يكون التجمع كافيا للرسم الواضح وحجم هذه الرطوبة هو بمقدار كاف لمسافة امتداد النور من اول دخوله القزحية ونفوذه منها ومما بعدها حتى يصل الى الشبكية ثم لما تصل الخطوط الى الشبكية بعد تلك التجمعات وترسم عليها الصورة تنفذ منها لشفافتها كمية من الخطوط وتقع على الصلبة ولئلا تنعكس عنها وتصادم الاشعة الواردة من الخارج فتتشوش الصورة جعل الحكيم جلت قدرته لون باطن الصلبة اسود حتى يتشرب تلك الكمية من الخطوط النافذة اليه من الشبكية ولا تنعكس ثم ان هذه الاوساط التي جمعت الخطوط النورية جمعا بعد جمع ولخصتها ذلك التلخيص الكافي لرسم الصورة واضحة بسبب الكثافة والشكل المحدب وتعيين المسافة بين الجسم النافذ منه النور والشبكية وتسلط الارادة على توسيع طريق مرور الاشعة وتضييقه وعلى زيادة التحدب وتقليله مع منع التشويش

ايضا بواسطة الالوان فقد كان تعدد تلك الاوساط لحكمة اخرى باهرة كما قال بعضهم وهي ان النور اذا نفذ من جسم شفاف محدب انحل لالوانه المعروفة في فن الطبيعيات وهي الوان قوس السماء فتظهر الصورة التي ينقلها بنفوذه من الجسم المحدب ملونة بتلك الالوان وهذا يسمى الخطأ اللوني وصناع الالات البصرية يرفعون هذا الخطأ بضم جسم شفاف محدب الى الجسم الاول يحل النور عكس حل الاول فيعود الى لونه الابيض ويوصل الصورة غير ملونة ويرتفع الخطأ اللوني فعلى ما يقول ذلك البعض ان من جملة حكمة الباري تعالى في تعدد تلك الاوساط المذكورة وعدم الاكتفاء بامر واحد منها يجمع الاشعة دفعة واحدة دفع ذلك الخطأ اللوني فاذا نفذ النور من القرنية مثلا وانحل لالوانه تحله بقية الاوساط الجامعة لخطوطه من المائية والبلورية والزجاجية عكس ما حلته القرنية فيعود الى لونه الابيض ويرفع ذلك الخطأ هكذا يظن البعض وهو قريب من الصحة اقول انهم قالوا ان مقتضى التجمعات التي تجمعها خطوط النور بواسطة ما مرت فيه من القرنية والمائية والبلورية والزجاجية ان لاتصل الى الشبكية الا وقد تقاطعت وصارت الاشعة المنعكسة من اعلى المرئ واقعة على الطرف الاسفل من الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المرئ

تقع على الطرف الاعلى من الشبكية وحينئذٍ تكون صورة المريُ مقلوبة وقد احتاروا في التعليل عن كون العقل يدرك صورة المريء قائمة وهي قد رسمت في الشبكية مقلوبة واشهر ما عللوا فيه ان العقل اعتاد على رؤية الاشياء المرئية قائمة حيث انها قد استوى جميعها في هذا الانقلاب وشرحوا ذلك التعليل بكلام ركيك فالذي يخطر لي ان اشعة النور بعد نفوذها من الهواء في القرنية والمائية والبلورية التي هي شديدة الكثافة في الوسط تتجمع تجمعا كافيا لرسم الصورة واضحة قبل ان تتقاطع ثم اذا نفذت في الزجاجية فلعل الزجاجية هي اقل كثافة من البلورية فتاخذ تلك الاشعة في الافتراق في مسافة سيرها في الزجاجية كما تقدم ان النور تنتشر اشعته اذا مر في جسم الطف مما مر فيه قبله حتى تصل الى الشبكية فترسم عليها الصورة قائمة لانها وصلت اليها على الكيفية التي كانت عليها في اول ما نفذت في القرنية اي ان الاشعة المنعكسة من اعلى المريء وقعت على الطرف الاعلى من الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المريء وقعت على الطرف الاسفل منها وحيث لم تتقاطع الاشعة فيلزم ان ترسم حينئذٍ الصورة على الشبكية قائمة هذا ما اراه على وجه الاحتمال وبه يرتفع الاشكال ويظهر للزجاجية فائدة لم تخطر قبل هذا في بال وما قيل

ان البعض قد شاهد من فتحة في مؤخر العين الصورة على الشبكية مقلوبة فهو كلام لم اتحقق صحته وان ثبت عندي فيكون لي عند ذلك مقال

هذا والى هنا وصل الباحثون في كيفية الابصار فغاية ماعندهم انهم اوصلوا رسم صور المرئيات الى الشبكية وقالوا انها تؤدي الصور الى الدماغ ولكن في كيفية ادراك النفس او العقل او الدماغ على راي من ينكر النفس لتلك الصور فلم نجد لهم كلاما شافيا بل نجد الكثيرين منهم واقفين حيارى عند محاولة الكشف عن حقيقة ذلك فاذا تاملنا في جميع ما تقدم من تراكيب العين والتدبيرات التي وضعت لها لاتمام ابصارها افيكون لادنى العقول مجال ان يصدق بان ذلك الصنع العجيب الغريب في العين قد حدث عن غير قصد وبدون حكمة بل الضرورة اقتضته والصدفة اوجدته والانتخاب الطبيعي ابقاه كلا ثم كلا لايصدق بهذا الا كل ذي عقل سخيف وما من صاحب روية الا ويعتقد عند الاطلاع على ذلك الصنع البديع ان له صانعا مريدا حكيما عليما مدبر الامر وفق الاحكام والاتقان سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون علوا كبيرا ولو نظرنا الى ان قطر العين اقصر من قيراط ومع ذلك يرسم على شبكيتها صورة ارض واسعة بكل ما فيها من السهول والجبال

والاودية والصخور والمياه والاشجار والا بنية والحيوانات مستوفية
التفاصيل فكأن الشبكية شاطئ بحر وامواج النور تجري اليه
من كل النواحي وتتفقش عنده الوف الوف على الوف الوف
لحارت افكارنا في دقة تلك الصورة التي رسمت على الشبكية وفي
صغر حجمها محاكية لتلك الارض الواسعة وجميع ما اشتملت عليه
لم تغادر منه شيئا فما اسمى قدرة من ابدع ذلك ودبره بحكمته
سبحانه ما اعظم شانه واذا راجعنا تشريح العين واطلعنا على ما
احتوت عليه من العضلات والاعصاب القائمة بوظيفة حركتها
والشرايين والاوردة الخادمة في تغذيتها وغير ذلك من الرباطات
والرطوبات لزاد بنا العجب والحيرة ثم اذا انتقلنا الى خارج العين
نجد من تدابير الباري تعالى في محافظتها وتسهيل طرق اداء وظيفتها
احكم صنع واتقن وضع وذلك ان العين لما كانت لطيفة يخشى عليها من
مصادمات الاجسام ولو صغيرة جدا وضعها خالقها داخل الحجاج
محفوظة به من كل جانب الا الجهة التي يدخلها النور لرسم الصور
وجعل الطبقة الاولى منها وهي الصلبة مع القرنية لدنة حتى تقوى
على المصادمة بعض القوة وسترها ايضا بالاجفان لوقايتها لاسيما عند
المنام وللزينة ايضا ثم انبت على اطراف الاجفان الاهداب شعراً
اسود ثخينا لدنا منتصبا مع ميل الاعلى منها الى فوق قليلا والاسفل

الى تحت كذلك اما سواده فليتشرب بعض النور الوارد على العين لاسيما اذا كان قويا كما ان الحاجبين فوق العينين بلون السواد اونحوه لاجل الزينة ولهذه الحكمة وهو تشرب بعض النور الوارد على العين ولذلك نرى من كان لون حاجبيه واهدابه ابيض يجهر بصره و يتخازر وانما لم يحصل الاكتفاء بتقليل كمية النور وتخفيفها بتضييق بؤبوء القزحية لان ادامة تضيقه يلزم منه دوام تخازر العينين و بشاعة المنظر واما ثخن شعر الاهداب وانتصابه مع لدونته فلمقاومة الاجسام الصغيرة الواردة على العين فانها اذا ورد عليها حبة تراب مثلا وقعت غالبا على الهدب فصادفت شعراته كالحراب المشرعة تمنعها من الوصول الى الداخل وتدفعها بلدونتها الى بعيد واما كون شعر الهدب الاعلى مائلا الى فوق قليلا والاسفل الى تحت كذلك فلتسهيل افتراقهما عند ارادة فتح الاجفان لانها لو كانا متوازيين في الانتصاب لانطبقا على بعضهما عند انطباق الاجفان و بسبب رطوبة الدمع يتلاصقان فيعسر افتراقهما ولو كانا متقابلين في الانتصاب بحيث تنداخل شعراتهما عند الانطباق لكان عسر افتراقهما مع الرطوبة الدمعية اشد وايضا هذه الكيفية تجعلهما في طريق النور فينقل صورتهما الى الشبكية فتتشوش صور المرئيات فوضعهما في تلك الكيفية من الميل القليل الى فوق

وتحت هو عين الاتقان والاحكام لايليق سواه وفضلا عن هذه
الفوائد في الاهداب فالزينة بها لاينكرها الا كل معدوم الذوق
السليم ثم لما كان الغبار لايندفع عن العين لا بالحجاج ولا بالاجفان
للاحتياج الى فتحها عند النظر ولا بالاهداب وهو يذهب بصقالة
القرنية ويعطل وظيفة شفافتها اذا وقع عليها ومع ذلك فتراكمه
على العين يجلب عليها الضرر دبر الحكيم سبحانه وتعالى لجلائه عنها
افراز الدمع من الغدد الدمعية حول المقلة داخل الاجفان وجعل
الاجفان متابعة الحركة بالانطباق والانفتاح على غاية من السرعة
التي يضرب بها المثل حتى لايتعطل الابصار ويتشوش فالدمع
يغسل الغبار الذي يقع على المقلة والاجفان بحركتها تصقلها وتزيح
الدمع الممتزج بالغبار عنها ثم ذلك الدمع الذي صار قذرا بالغبار
لابد من خروجه عن المقلة على وجه مناسب فلو انه كان يخرج
دائما الى ظاهر الاجفان ويسيل على الخدين لراينا هناك منظراً
بشيعا ومسيلين من اقذر المسيلات فدبر الحكيم سبحانه لتسهيل
انفصال ذلك الدمع عن المقلة تكوين اطراف الاجفان من الداخل
بشكل يصلح لجريانه الى الموق اي الطرف الذي يجاور الانف ثم
جعل هناك ثقبا رفيعا نافذا الى داخل الانف يسمى القناة الدمعية
يخرج الدمع منه ويصل الى داخل الانف ويختلط برطوبته

ويتجمد هناك معها فيخرجه الحيوان بالاستنثار ونحوه اقول ان هذه القناة الدمعية لايصدق عقلي انها حصلت للحيوان بوجه الصدفة او الضرورة فضلاً عن جميع تلك التدابير واي ضرورة اقتضتها فسبحان الحكيم الخبير

ولو نظرنا الى منافع البصر للحيوان وفوائده باهتدائه به الى طرق معاشه ونجاته من مخاوفه ورؤيته مباهجه وكشفه به ما يبعد عنه ملايين من الاميال كما يكشف به ما يقرب منه لجزمنا بان واهبه جزيل الاحسان واسع العطاء متفضل على مخلوقاته باتم النعم واكمل المنن تعالى شانه وتقدس سلطانه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند اطلاعهم على تدبير كيفية الابصار بتلك الاوضاع وهاتيك النواميس يقولون و يعتقدون بان الابصار ماهو الا بمحض خلق الله تعالى وتلك الاوضاع وهاتيك النواميس المشروطة لحصوله ماهي الا شروط عادية اي ان الله سبحانه اجرى عادته بان يخلق عندها الابصار ولو اراد ان يخلقه بدونها لفعل كما انه لو لم يرد خلقه مع توفر حصولها ورفع الموانع لما كان ولا حصل ولهم على ذلك ادلة قاطعة مذكورة في كتبهم يطول الكلام بسردها هنا وقد تقدم لكم في اثبات صفات آله العالم ما يفيد انه لا اثر في العالم الا بخلقه سبحانه وايجاده والابصار من جملة الاثار

ومما يناسب مشربكم ايها الماديون في طرق الاستدلال ويدل على ان تلك الامور شروط عادية للابصار وانه يوجد مع انعدام اقوى اركان شروط وجوده وهو النور قصة مشهورة محققة ذكرها كثيرون من كبار علماء الفلاسفة كما نقله بعض المؤلفين الباحثين في هذا العصر وهي ان فتاة في اميركا اصابها مرض كانت تقوم به ليلا وهي نائمة وتتكلم وتعمل اعمال المستيقظ ثم اشتد بها الامر الى ان صار يعتريها نهارا وليلا وكان بصرها يتغير عند حدوث هذا الحال تغيرا لم يعهد اغرب منه فتقرأ ادق الحروف في الظلام الحالك وعيناها مغمضتان وهذه القصة وفق ما يعتقده اتباع محمد عليه السلام من ان الابصار بمحض خلق الله تعالى كما ان بقية الاحساسات كذلك وان الشروط التي للابصار وغيره انما هي شروط عادية كما ذكرنا هذا واذا اردنا ايراد جميع شروح الباحثين لاعضاء السمع والشم والذوق واللمس وما اشتملت عليه من التراكيب الغريبة وكيفية الاحساس بها وتدبيرات اتمامه على نواميس طبيعية ومنافع هذه الحواس للحيوان وهبتها له على قدر احتياجه والقيام بحفظه وهدايته لوجدنا ما هو عظيم المنزلة في المصنوعات ولشهدنا من صميم الفؤاد بان الواهب لتلك الحواس تام القدرة واسع العلم سامي الحكمة جزيل العطاء سبحانه وتعالى عما يصف الضالون ولكن

ايراد تلك المباحث يطيل الكلام وربما يوقع في الملال ولو تاملنا
في بقية اعضاء الجسد وابنيتها ووظائفها وما اشتمل عليه الجسد
الحيواني من السوائل والجوامد ومنافع كل منها لراينا هناك ما
يشهد بان لجميع ذلك خالقا حكيما ومدبرا عليما ولنشر لبعض ذلك
فنقول الا يكون للناظرين عبرة وللباحثين تدبر وامعان واذعان
بوجود خالق للاكوان اذا نظروا لما احتوى عليه الجسم الحيواني
من مخ ومخيخ ومجموع عصبي وقلب ورائتين وكبد وطحال وكليتين
ومعدة وامعاء واوردة وشرايين واوتار وعضلات وغدد وغضاريف
وعظام وانسجة وسوائل من دم وصفراء ولعاب وعصار
المعدة والامعاء والبنكرياس وغازات وعرفوا ابنية هذه المذكورات
ووظائفها وحركاتها واعمالها في الجسد من الهضم والتغذية والتنفس
والافراز ونظروا الى اعضاء التناسل واعمالها واتقانها وكيفية التوالد
والتدابير التي هيئت لحصوله ولحفظ الولد ونموه وتغذيته وغير
ذلك مما يحتمل شرحه مجلدات نعم ان العلماء الذين يطلعون على
تفاصيل هذه المباحث وتظهر لهم اسرارها ودقائقها وحكمها هم
الجديرون بان يكونوا من اقوى الناس ايمانا بوجود آله العالم الخالق
الحكيم المدبر العليم ولو قيل انهم جديرون بذلك اكثر من بعض
علماء الكلام الذين يقيمون الادلة الاجمالية على ذلك لما بعد عن

التصديق فان اولئك القوم هم المطلعون على تفاصيل اعجب العجائب في مصنوعات الباري تعالى وهل لنا دليل عقلي عليه سبحانه الا بمصنوعاته وغرائبها فاذا تاملها المتامل واطلع على تفاصيلها وظهر له اتقانها والقصد والحكمة في تكوينها وسقطت من البين الضرورة والصدفة تجد الايمان قد رسخ في قلبه رسوخ الجبال وتسامى فوق الافلاك عن ان تطاوله يد الضلال

ولو قال قائل انا نرى بعض اناس ممن يدخلون في المدارس التي تدرس فيها علوم الكائنات لاسيما علم النبات والحيوان للتوصل الى علم الطب ونحوه يخرجون بعد درسها ومعرفة اسها مارقين من الدين الاسلامي مروق السهم من الرمية فنراهم قد رفضوا الاعتقاد بموجد العالم واحالوا وجود الكائنات واثار هذه الموجودات على المادة وحركة اجزائها والطبيعة والنواميس وامثال هذه المسميات ومتى هدم عندهم هذا الركن فاي اعتقاد لهم في الدين الاسلامي يبقى واي عبادة لهم فيه تقصد واي ادب من ادابهم يحمد ولا سيما اذا درسوا فن الطبيعيات واطلعوا على نواميس الكائنات وكيفية تاثيرها في المتفاعلات فاين القول حينئذٍ بان الذين يطلعون على تفاصيل تلك العلوم هم الجديرون بقوة الايمان والاعتقاد بوجود خالق الاكوان فاقول اني اجيب ان شاء الله تعالى عن هذا

الاشكال الجواب الكافي الشافي وارغب الى اهل ملتنا المحمدية ان ينتبهوا من جوابي لما حل في بعض ابنائهم من البلاء العظيم والمصاب في الدين الجسيم وليتداركوا هذا الامر قبل ان يعظم الخطب فليعلم ان هذه العلوم التي تقدم ذكرها من علم النبات والحيوان ومثلها علم الفلكيات والجويات وباقي العلوم الطبيعية التي تبحث عن نواميس الكائنات من نحو نواميس النور والماء والهواء والكهربائية وغير ذلك لاشك ولا ريب ان مباحثها تدل باقوى الادلة على وجود الخالق لهذه الكائنات المبحوث عنها في تلك العلوم وانه تام القدرة وسامي الحكمة اذ هي اثاره وانما يستدل على المؤثر بالاثار لانه في مباحثها تنكشف للعقول اسرارها وحكمها وتظهر انها مصنوعة لقصد وموضوعة بتدبير ولكن طريق الاستدلال على المؤثر يوجد فيها عقبة كؤود هي مزلقة اقدام ومزلة افهام وذلك ان العقل البشري عندما يرى الاثار ويشرع في البحث عن مصدرها تراه اذ لم يدقق النظر فقد يصل الى مصدر لها ظاهري فيظنه هو المصدر الحقيقي فيقف عنده فبعض من خاضوا في تلك العلوم واطلعوا على تلك الاثار التي يبحث عنها فيها اخذوا يبحثون عن مصدرها بغير دقة نظر ولا تعمق في البحث ولم يكن عندهم ما يوقظ افكارهم ويرشدهم الى المصدر الحقيقي من نحو الاعتقاد بشرع

صحيح فوصلوا الى مصادر لهاظاهرة من نحو المادة ونواميسها وقدروا
ايضا ان حركة اجزائها الفردة هي المصدر الفعال فاعتقدوا بوجودها
ولقصور تدقيق نظرهم لم تتنبه عقولهم الى ان تلك الحركة والنواميس
هل تصلح ان تكون مصدرًا لتلك الغرائب والعجائب ام لا ولا
الى ان المادة هل تصلح ان تكون مصدرا غير صادر عن شيء اخر
ام لابد من صدورها عن غيرها لوجوب حدوثها فوقفوا عند ذلك
الحد واصبحوا معتقدين ان مصدر هذه الكائنات هو المادة
ونواميسها وحركة اجزائها ومنكرين لوجود آله لهذا العالم ومرنوا
على هذا الانكار وصاروا ينسبون كل اثر يظهر لهم الى المادة
وحركتها والنواميس التي اكتنفتها ويعبرون عن ذلك بعبارات
شتى تقتنع بها عقولهم القاصرة فتارة يقولون هذا الاثر فعل الطبيعة
وتارة يقولون هذا الاثر فعل النواميس وامثال ذلك فبلغوا الغاية
في جمود الاعتقاد ثم ان منهم من اهلتهم زخرفة تلك العلوم بان
يقاموا معلمين في المدارس التي تدرس فيها وجلبت بين ايديهم
تلامذة احداث اغرار لم يعلموا من الدين الاسلامي عقائده الحقة
ولا ما يجب ان يعتقده المؤمن في كيفية حدوث هذه الاثار
وتكون هذه الكائنات وانها بخلق موجد الارض والسموات فاخذ
اولئك المعلمون يبثون لاولئك التلامذة في غضون تعليمهم ما

انطوت عليه ضمائرهم من المعتقدات الباطلة وكلما اطلعوا على غريبة
من غرائب الكائنات وسر من اسرار الموجودات وحكمة من حكم
المصنوعات في اثناء درس تلك العلوم فعوضا عن ان يقولوا لهم
انظروا ايها التلامذة الى عجيب صنع الله وسامي حكمته في ايجاد
هذا الاثر الغريب يقولون انظروا الى فعل الطبيعة واعجبوا من اثر
الناموس الفلاني وهلم جرا ولا يزالون معهم على هذا النمط حتى
ترسخ تلك الحالة في قلوبهم وتنطبع تلك التخيلات على صحيفة
افكارهم فلا تنقضي مدة اقامتهم في المدارس الا وقد اشربت
قلوبهم ان لافاعل في الاكوان الا الطبيعة وحركة اجزاء المادة
والنواميس وينحل عقد اعتقادهم بان للعالم الها خالقا فيخرجون من
تلك المدارس وقد فارقوا دين ابائهم وملة اسلافهم وقد كان في
رجاء اهل الملة الاسلامية ان يكتسبوا بهم رجالا عارفين ينفعون
اهل دينهم ويحمون حوزة شريعتهم ويسعون في نجاح اوطانهم فيخيب
رجاهم ويخفق مسعاهم ويخسرون من عدادهم جما غفيرا يحسبون
منهم وهم الاعداء الالداء للدين والدولة والوطن يخالفون اهليهم
في الاعتقاد ويفارقونهم في سلوك مناهجهم وعزائم مقاصدهم فانا لله
وانا اليه راجعون فعلى اهل الحل والعقد من حماة الدين الاسلامي
ان يتداركوا هذا المصاب الآتي بالاوصاب فلا ينتخبون معلمين

لتلك المدارس الا كل من صحت عقيدته على المنهج الاسلامي
وسلمت طويته من الزيغ والضلال وكان مؤمنا حقا وموقنا صدقا
بل متحليا باداب الشريعة قائما بتكاليفها على قدر الامكان فان التلميذ
مرآة شيخه تنطبع فيه صورته كيفما كانت وعليهم ان لايدخلوا
التلامذة في تلك المدارس حتي يقيموهم اولا مدة كافية في مدارس
دينية يصححون بها عقائدهم الاسلامية على اكمل الوجوه
بحيث لا تزعزعهم الشبه ولا تهولهم الاغاليط وتصلح نفوسهم بالاداب
وتالف القيام بالعبادات وان عسر ذلك لخوف فوت الوقت
الذي يصلح لتعليم تلك العلوم الدنوية فمن اللازم الضروري ان
يقام في مدارسها معلمون للعقائد الاسلامية وبقية احكام الدين
المحمدي يكونون كفأ لذلك يلازمون تعليمهم العقائد والاحكام
الدينية مدة اقامتهم من اول دخولهم في تلك المدارس الى حين
الخروج ولو في كل يوم ساعة من الزمان ويكونون محافظين على
عقائدهم وادابهم وعباداتهم في تلك المدة ويوفقون لهم بين احكام
الدين وما ظاهره مخالف له من تلك العلوم العقلية ففي هذين
الشرطين وهما انتخاب معلمين لتلك المدارس من اهل الدين
والاعتقاد الصحيح وتعليم التلامذة لعقائدهم الاسلامية وبقية
احكام ملتهم قبل الدخول في تلك المدارس او في مدة اقامتهم

فيها تحفظ عقائد اولئك التلامذة من الزيغ وتسلم ادابهم الدينية من الفساد وتصان عباداتهم من الاهمال بل تكون عقائدهم من القوة والمتانة في مكان لما يكتنفها من مشاهدة تفاصيل مصنوعات الله تعالى وغرائب اعماله عند درسهم تلك العلوم اذ كلما شاهدوا صنعا عجيبا وسرا غريبا سمعوا معلمهم المؤمن يقول انظروا الى صنع الله وسامي حكمته في اتقان هذا المصنوع البديع فيسبحون الخالق جل وعلا ويمجدونه وتربو في قلوبهم عظمته وتعظم في انفسهم قدرته فما تمضي مدة اقامتهم في تلك المدارس الا وقد اصبحوا من خيار المؤمنين وافاضل الموحدين ترى منهم رجالا يحمون حوزة الدين الاسلامي ويقيمون بناصر الدولة والوطن نساله سبحانه وتعالى ان يوفق اولياء امورنا لما فيه الخير لهذه الامة المحمدية ويجعل مكافأتهم على فضل الله تعالى وشفاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام

هذا ثم اني اقول لكم ايها الماديون بعد جميع ما تقدم من النظر في احوال المحسوسات لو خضنا في مبحث الحياة والروح والعقل وقوى النفس من الحافظة والذاكرة وغيرها لتهنا في تيهاء هذا البر الشاسع وغرقنا في اعماق هذا البحر الواسع ولم نصل الى تصور ماهية هذه الحقائق حق التصور ومعرفة كيف تحفظ صور الاشياء عند

الا نسان وتذكر بعد ان تنسى وتزول عن صفحات الفكر وكيف
تتصور المعقولات وتقوم كليات الاحكام وجزئياتها في الاذهان
وكيف وكيف من كل مسئلة في هذا الباب لم تزل غامضة على
افكار العلماء واذهان الحكماء لم يفتح معماها ولم تكشف خباياها وغاية
المدعين لكشفها ان ياتوا بكلام غامض مجمل لايشفي الغليل ولا
ياسو الطرف الكليل فكأن ستر هذه الحقائق عن العقول البشرية
اعجاز لهم من الله تعالى لينبهم بذلك الاعجاز على انه اذا قصرت
افكارهم عن ادراك حقيقة انفسهم وعقولهم وقواها فاني لهم القدرة
على ادراك حقيقة الذي خلق تلك الحقائق وابدعها والغرابة في
ذلك ان الا نسان الذي خاض في عقله بحار المعارف وعرف
الا فلاك والسيارات واطلع على عوالم الجمادات والنباتات
والحيوانات هو عاجز عن معرفة نفسه وما هو القائم بادراكاته
فسبحان من علم الا نسان ما لم يعلم وحجب عنه معرفة نفسه وقواها
فاصبح لدى ذلك اعمى اصم ابكم فيا ايها الماديون ابعد جميع ما
شرحته لكم من الدلائل على حدوث الكائنات و وجوب وجود
خالق الارض والسموات تصرون على قدم المادة وان حركة اجزائها
هي المكونة للاكوان وتنكرون اله العالم الذي نصب لكم الشواهد
على وجوده مما هو كالعيان اني اعيذ عقولكم من الاختلاط وافكاركم

من الاختباط امعنوا النظر وحرروا الفكر ولا تغتروا بالشبه الواهية والاغاليط التي ترميكم بالداهية فمدة الحياة قصيرة سريعة الزوال وفي صحة ما يقول اتباع محمد عليه الصلاة والسلام تلاقون بعد هذه الحياة عظائم الاهوال وهناك لاينفعكم الندم ولا تقال عثرات القدم والعاقل يتحرى الطريق الاحوط ويحترس من الموهوم البعيد الحصول فضلا عن القريب المامول تاملوا في حالكم وحال اتباع محمد عليه السلام تجدوا مثالكم معهم مثال رجلين دخلا قصرا مشيدا متقن البناء يشتمل على مخادع محكمة ومقاعد مزخرفة بابواب وشبابيك ومدارج ومداخل على غاية الاحكام وقد زينت تلك المخادع بالفرش الفاخر والسرر الرفيعة واقيمت في ارجائه الاواني الثمينة وزينت جدرانه بالساعات وموازين الحرارة وموازين ثقل الهواء واحتوى على المرتفقات اللازمة لسكناه واحيط باجمل المنتزهات وابهج المناظر الزاهيات التي قامت فيها الاشجار ورتبت فيها منابت الازهار وقد اجريت مياهه في اقنيتها المتقنة وملأت منها حياضه المحكمة وكمل كل شي فيه من لوازم المعيشة من كل ما يقول ناظره انه وضع لحكمة وقصد وروية واحكام فقال احد الرجلين الداخلين عند ما شاهد هذا القصر وما احتوى عليه ان هذا الصنع لم يكن من نفسه البتة فلا بد ان

صانعا صنعه واتقن جميع ما فيه وهذا الصانع لاشك انه قادر على صنعه وعليم بطرق تاليفه ووضعه وقد انشاه على غاية الحكمة واتم الاتقان موفيا لوازمه ومكملا ادواته ليكون صالحا للاقامة وقضاء حق المعيشة في نواديه وهذا الصانع وان كان غائبا عن نظري ولم اره ولم اتصور في فكري حقيقته فاني لا اشك في وجوده ولا ارتاب في صفاته التي تقتضيها صناعة هذا القصر من قدرته وعلمه وحكمته واتقانه ورؤية شخصه ليست شرطا في اعتقادي بوجوده واتصافه بتلك الصفات لان اثره وهو هذا القصر وما اشتمل عليه يقنع عقلي في اعتقادي ذلك البتة ثم قال وان كان يشاهد في مشتملات هذا القصر بعض اشياء لم تظهر لي حكمة وضعها فلا بد ان يكون وضعها لحكمة وان خفيت علي لاني اقتنعت بما ظهر لي من الحكم في هذه المشتملات ان واضعها حكيم فلا يضع شيئا بدون حكمة وقال الرجل الاخر اني لم اشاهد بنظري الصانع الذي تعتقد انه صنع هذا القصر فانا لا اعتقد بوجوده ولا باتصافه بتلك الصفات ولكن وجود هذا القصر في هذا الاتقان لابد له من مصدر صدر عنه فاخذ يتامل يمينا وشمالا واماما وخلفا فنظر جبلا مطلا على هذا القصر وفي اصله نبع ماء منه تستمد المياه التي في القصر فقال قد ظهر لفكري المصدر الحقيقي لهذا القصر ولجميع ما

فيه وذلك ان الريح تحدر من راس هذا الجبل من قديم الزمان الى البقعة التي فيها هذا القصر فمن الوف من السنين لم تزل الريح تنقل الاتربة والاحجار وتجمعها في هذه البقعة على اشكال وتضعها على اوضاع تتخالف وتتواقف ومياه الامطار تتصرف باشكالها وتجمعها وتفرقها كذلك واستمر تبدل تلك الاوضاع والاشكال تارة بغير انتظام وتارة بانتظام باعمال الريح والمطر حتى بلغت مع كرور الدهور الى هذا الشكل المنتظم بمخادعه ومقاعده وابوابه وشبابيكه ومدارجه وطرقه وحياضه واقنيتها والتصقت اجزاؤه بخاصية الطين المبتل بماء المطر فاصبح قصرا مشيدا محكما بجميع ما فيه من الصنع واما مياهه فانها انحدرت اليه من هذا النبع الذي هو في اصل الجبل ولم تزل تجري في ساحته على طرق مختلفة تارة بغير انتظام وتارة بانتظام بسبب تحليلها لاتربة ارضه و بسبب فعل الريح والمطر في طرقها حتى بلغت على كرور الزمان الحالة المنتظمة التي هي عليها الان من سيرها في الاقنية وانصبابها في الحياض التي صنعتها الريح والمطر واما اوانيه وفرشه وساعاته وموازينه فهذه ربما وقعت من بعض المسافرين الذين ينزلون بقوافلهم في هذا الجبل او في هذه البرية فلم تزل الريح تلعب بها وتنقلها من حيز الى حيز وتخالف بين اوضاعها فتقارب بينها وتباعد و تدخلها في

مخادعه وتخرجها حتى آل الامر على كرور الزمان الى ان الفرش فرشت
بانتظام والاواني صفت باحكام والساعات والموازين علقت
بالجدران و كذلك الاشجار والزهور التي في منتزهات ذلك القصر
وهي على اوضاع متقنة قد نقلت بزورها الرياح الى بقاعه فنمت
و بزرت هناك ولم تزل تنقل بزورها وتخالف بين اوضاعها حتى
انتظم وضعها وترتبت حدائقها على الحالة التي عليها الان والحاصل
ان كثرة حركات الريح وتصرفات المطر وكون كل حركة او
تصرف قد يوافق ما سبقه وقد يخالفه فينشأ عنه وضع غير الوضع
السابق قد اوصلت هذا الصنع الى ما هو عليه وحيث وصل الى
درجة متقنة محكمة فقد قوي على الثبات امام فعل الريح والمطر
ولم تتغير اوضاعه واوضاع مشتملاته بعد بلوغ هذه الدرجة كما
تغيرت الاوضاع السابقة وزال اثرها لان تلك الاوضاع لم تكن متقنة
قوية على الثبات وانا لا استغرب صدور هذا القصر ومشتملاته
عما ذكرته لان الريح والمطر وان كانا غير عاقلين ولا عالمين ولا
يفعلان عن ارادة وقصد لكن كثرة حركاتهما وتصرفاتهما والتباين
فيها على مرور الزمان اوصلت هذا القصر ومشتملاته الى هذا
الاتقان ودليلي على ان صنع هذا القصر لم يصدر عن قصد ومراعاة
حكمة انه يوجد في بعض مشتملاته ما لم يظهر فيه اثر للقصد والحكمة

فيا ايها الماديون ان اول هذين الرجلين هو مثال اتباع محمد عليه السلام القائلين بان الذي اوجد هذه الكائنات هو آله مريد قادر عليم حكيم وان لم يصلوا الى رؤية ذاته فقد استدلوا بمصنوعاته على وجوده ووجود صفاته وان لم يظهر لهم حكمة بعض الكائنات فقد سلموا بان لها حكمة خفيت عليهم لما شاهدوه من الحكم التي لا تحصى في بقية الكائنات وثانيهما هو مثالكم ايها القائلون بان حركة المادة هي التي كونت هذه الاكوان على مرور الزمان بكثرة ما احدثته من تباين اوضاع اجزائها على صور شتى حتى افضى الامر الى ما هي عليه الكائنات الان و بالانتخاب الطبيعي تم بلوغها الى درجة تقوى فيها على الثبات وهو الذي حفظ نظامها وابقى احنسها وتستدلون على أعدم وجود الحكمة والقصد في هذا العالم بان بعض الاشياء منه لم يظهر فيها من القصد والحكمة اثر وغفلتم عن الالوف المؤلفة من الحكم التي تشهد بان مصدر هذه الكائنات حكيم فتاملوا اي القولين من هذين الرجلين احق بان تقبله العقول السليمة وتذعن له الافكار الحرة الخالية عن التعصبات النفسانية والاهواء الشيطانية وعار ثم وعار على ذوي العقول ان يتركوا الحق بعد وضوحه ويكابروا في المحسوس بعد ظهوره والله يتولى هدانا اجمعين

هذا و بعد جميع ما اوردته لكم من الدلائل على وجود صانع العالم سبحانه واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه هو الموجد للمادة والماديات وجميع الكائنات مما يقنع عقولكم ان شاء الله تعالى ويسلك بكم في سبيل الهداية فاني قد رايت في كتبكم شبها لربما تكون عقبة في سبيل ايمانكم ان لم تعالجوا ازاحتها من امامكم بقواطع البراهين واما اذا تحريتم الوصول الى الصواب ومكنتم تلك الادلة التي اقمتها لكم في قلوبكم وتصورتم عظمة ذلك الآله وسلمتم بعجزكم في سبيل المعرفة وقصور عقولكم عن الاحاطة به سبحانه وبجميع اعماله فتلك الشبه تسقط من البين ويكون اعتقادكم بوجود ذلك الآله و باحداثه الكائنات امرا سهلا عليكم لايكلفكم ادنى مشقة وانا اذكر هنا اشهر تلك الشبه المذكورة في كتبكم وادحضها عنكم ان شاء الله تعالى باوفى بيان فاقول الشبهة الاولى انكم تقولون لايمكن ان تتصور عقولنا وجود شي ليس بجسم ولا مادة جسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة في صورة معقولة ولا له قسمة في الكم ولا في الكيف فعله منه وليس متصلا به تعنون بذلك الآله سبحانه وتعالى الشبهة الثانية انكم تقولون لايمكن ان تتصور عقولنا وجود شيء من لا شيء تعنون بذلك انكم لاتعقلون حصول المادة من العدم الشبهة الثالثة انكم تقولون لو كان نظام

الكائنات بقصد وحكمة لكانت علامة القصد والحكمة تامة في
كل شي مع اننا نرى اشياء لاتنطبق على القصد والحكمة بل هي
بخلافهما فلا تنطبق الا على الضرورة فاقول قد علمتم من جميع ما تقدم
ان اتباع محمد عليه السلام يستدلون على وجود اله العالم وصفاته
بهذه الكائنات لان وجودها بنفسها غير ممكن مع قيام الدليل على
حدوثها وهذه الكائنات قد بلغت من العظمة والصنع الغريب
والاتقان والاحكام درجة رفيعة جدا تعجز عن الاحاطة بجميعها
العقول البشرية فهي اذن تدل على عظمة مبدعها وعظمة صفاته
وسمو حكمته جدا جدا الى درجة لاتدخل تحت الحصر ولا تحيط
بها الافكار وهكذا شان العقل البشري ان يستدل على مقدار
عظمة المؤثر بمقدار عظمة الاثار ها انتم ونحن نستدل على عظم
الامم السالفة وسمو مداركها بعظمة اثارها ثم اذا نظرتم الي منزلتكم
في العلم وهي انكم في غاية القصور فيه ولو انكم قابلتم كلما علمتموه
من الحقائق بما هو باق تحت حجاب جهلكم لكان نقطة من بحر وذرة
من رمال بر هذا الشي لاتنكرونه البتة لناخذ كتب الطب
والكيمياء والتشريح والفاثلوجيا والباثلوجيا والجولوجيا والفلكيات
والجويات وبقية العلوم التي برعتم فيها والفتم المجلدات الضخمة
وطولتم الشروح فما نفتح صفحة او صفحات الا ونجدكم تقولون الامر

الفلاني لم تزل حقيقته مجهولة او لم تصل العلماء الى شرح حقيقته
شرحا كافيا واختلفوا فيه ولم يقر قرارهم على شي قطعي في شانه
او ان الشي الفلاني لم تزل وظيفته مجهولة او منفعته خفية الى غير
ذلك من العبارات التي تدل على كثرة ما تجهلونه من حقائق
هذه الاكوان ولا تزالون مجتهدين في كشف حقائق الكائنات
وابداء افكاركم فيها لدى المجامع العلمية وكثير منكم من يظهر له
خطؤه فيما اجتهد في كشفه وصرف مقدارا من الزمان لاجله هذا
امر مشاهد معلوم بينكم و بين جميع علماء هذا الزمان من غيركم
الصارفين اوقاتهم للاكتشافات العلمية وامثلته لاتدخل تحت
الحصر وان كابرتم في ذلك ولم تقروا بكثرة جهلكم وقلة علمكم فجهلكم
لحقيقة المادة التي ترونها وتلمسونها وعدم اجماعكم على بيان ماهيتها
وهي ام الكائنات عندكم هو اكبر شاهد على ذلك ومثله عدم
كشفكم لحقيقة ادراك الدماغ للمرئيات والمسموعات والمذوقات
والملموسات والمشمومات فغاية ما تقولون في ذلك ان العصب ينقل
صور الاشياء للدماغ وهو يدركها اما بيان حقيقة ذلك الادراك
بيانا كافيا فلم يتم لكم (ولن يتم) ومثل ذلك حقيقة الحياة فانكم
تقولون على مذهبكم فيها انها ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة
والعقل ظاهر من جملة تلك الظواهر واما بيان حقيقة ذلك الظاهر

بياناشافيا كافيا فلم تظهروا عليه ومن ذلك مسئلة جزئية وهي انكم تحققتم ان النور بمقتضى سيراشعته ونفوذها في طبقات العين يرسم صور المرئيات على الشبكية مقلوبة ولم تحققوا كيف ان العقل يدركها منتصبة وقد قدمت لكم احتمالا في هذه المسئلة لعله يرتفع به الاشكال وهذا باب واسع يطول فيه الشرح ان اخذت بتعداد كل ما تجهلونه في مباحث علومكم ولكن الاختصار فيه البلاغ والقول الشافي ان جهلكم هو القسم الكبير وعلى هذا اذا تصورتم عظمة ذلك الآله بالاستدلال باثاره ونظرتم الى منزلتكم في جهل الحقائق كان من الانصاف والصواب ان لا تتطاولوا الى معرفة حقيقة ذلك الآله فان الذي بان عجزه عن ادراك حقيقة جميع اجزاء الساعة المصنوعة لايليق به ان يتطاول بمجرد رؤيتها التي تدل على ان لها صانعا الى معرفة حقيقة ذلك الصانع وصورته وشكله من انه ابيض او اسود او طويل او قصير او سمين او ضئيل الى غير ذلك فان من يراه يتطاول الى هذه المعرفة يقول له ان هذا الامر منك سخافة عقل ان رؤية هذه الساعة انما تدلك على ان لها صانعا قادرا على صنعها عالما به واما انها تدلك على حقيقته وشكله وصورته فليس من طبيعة رؤيتها الدلالة على ذلك كيف وانت لم تعلم جميع اجزائها على الوجه التام وهي بين يديك مشاهدة حاضرة

تكلف نفسك معرفة حقيقة صانعها الغائب عن نظرك فتكليفك
نفسك بذلك تكليف شطط وسلوك سبيل غلط وان قلتم اننا
لانروم فهم حقيقة ذلك الآله من مجرد النظر في هذه الكائنات
بل نعلم ان مجرد رؤيتنا اياها لايدلنا على حقيقته ولايشرحها لنا ولكن
نقول لايمكن لعقولنا ان تتصوره بتلك الخواص التي ذكرتموها له
بل تجزم عقولنا بانه لايمكن وجود شيء متصف بهذه الخواص من
انه ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخر ما مر اذ لانعلم شيئا موجودا
من كل ما اطلعنا عليه متصفا بتلك الاوصاف المذكورة قلت
عدم تمكن عقولكم من تصوره لايلزم منه عدم وجوده في نفسه اذ كثير
من الحقائق لم تتمكنوا من تصورها حق التصور ومع ذلك فهي موجودة
في نفس الامر لقيام الدليل على وجودها وهذا الجزم منكم بانه
لايمكن وجود شي متصف بتلك الخواص قد نشأ معكم من قياس
التمثيل كما يظهر من قولكم (اذ لانعلم شيئا موجودا من كل ما اطلعنا
عليه متصفا بتلك الخواص) فزعمتم ان كل موجود تلزمه اضداد
تلك الخواص قياسا على ما شاهدتم وهذا القياس ليس دليلا قاطعا
بل سماه اكبر روسائكم دليلا خادعا وهو كذلك لانه كثيرا ما يخدع
الانسان ويوقعه في الغلط حتى يحكم على الشي باحكام غيره مع
انه لم تكن له تلك الاحكام لفارق بينه وبين ذلك الغير لم يطلع

عليه المستدل وحينئذٍ يقال لكم ما المانع من وجود ذلك الآله الذي ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخرما تقدم وعدم اقتداركم على تصور حقيقته لايفيد استحالة وجوده وقياسكم اياه على ما شاهدتموه في العالم المادي حتى جزمتم بانه لايمكن وجوده هو قياس مغلوط لوجود فارق بينهما وان قلتم ما الذي يدعو الى اعتقاد وجوده قلنا هي اثاره التي دلت عليه وان قلتم ما الذي يدعو الى تنزيهه عن كونه جسما او مادة جسم الى اخره قلنا هو ما قام معنا من الدلائل على ان المادة وما يتبعها من الماديات وخواصها حادثة ولا يمكن ان تكون قديمة وهو سبحانه يجب ان يكون قديما ولو كان مادة او ماديا اوله خواص المادة لكان حادثا مثلها وهو محال وقد تقدم لكم شرح هذا في صدر المذاكرة معكم وان قلتم اننا نروم دليلا يوصلنا الى تصور حقيقة ذلك الآله قلنا لكم ان اتباع محمد عليه السلام قد ظهر لهم بالبحث والتدقيق ان الوصول الى معرفة حقيقته وتصورها ليست بطاقة العقل البشري وكذلك جاء في ظاهر نصوص الشريعة المحمدية وذلك لانه سبحانه عظيم جدا ومدارك العقول البشرية حقيرة جدا بالنسبة الى عظمته وحقير الادراك لايصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية وقد افهمتهم شريعتهم ان الذي يكلفون به من جانب ذلك الآله هو معرفتهم به المعرفة

التي توصلهم اليها اثاره وهي الاذعان بانه موجود حي قادر مريد الى آخر ما مر من صفاته التي تقدمت في صدر المذاكرة معكم وكلفتهم ايضا باعتقاد بعض صفات له تعالى ليس لاثباتها ولا لنفيها دليل عقلي فعرفتهم اياها فاعتقدوها وقد نهتهم عن الخوض والبحث في حقيقة ذاته لاجل عجزهم عن ادراكها ولخشية ان يتصوروها في عقولهم بخلاف ما هي عليه فيقعوا في الجهل المذموم وقد حذر بعضهم من ذلك البحث فقال (كلما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك)

ثم كما ان ذلك الاله عظيم جدا فاعماله في غاية العظمة يظهر ذلك من التامل في هذه الاكوان وما اشتملت عيه من الغرائب التي مر لنا ذكر شيء قليل منها وانكم قد عجزتم عن ادراك كثير من مصنوعاته واكتشاف حقائقها واز يدكم على ذلك هنا انكم تقولون في اكتشافاتكم الجديدة ان الحركة تتحول الى قوة كهربائية والقوة الكهربائية تتحول الى حرارة والحرارة تتحول الى نور فاسالكم هل في وسعكم ان تتصوروا كيف تتحول بعض هذه المذكورات الى البعض الاخر ثم تعبروا عن تصوركم بعبارة تشرح لنا حقيقة هذه التحولات لا اخال ان في وسعكم شيئا من ذلك غاية ما تقولون ان تلك التحولات ناشئة عن تغير حركات اجزاء المادة واوضاعها واما

ايضاح ذلك التغير وكشف حقيقته للاذهان وبيان الفرق بين
التحول الاول والثاني وبين التحول الثاني والثالث وهكذا فدون
ذلك خرط القتاد وكثير من امثال هذا تعجزون عن تصوره وايضاحه
فاذا كان عجزكم فاشيا في كثير من اعمال هذا الآله في مصنوعاته
فما هو استغرابكم لعدم تصوركم انه كيف احدث العالم من لا شيء
مع ان عدم تصوركم لحقيقة الامر لا يكون دليلا على عدمه في نفسه
كما تقدم وان قلتم ان عقولنا تحيل حصول شيء من لا شيء
لان في جميع ما شاهدناه ما راينا شيئا حدث من لا شيء ولا استطاع
احد منا ان يحدث شيئا من لا شيء فلذلك حكمنا باستحالة ذلك
قلت ان عدم مشاهدتكم حدوث شيء من لا شيء لا يلزم منه ان
ذلك محال وعدم استطاعة احد منكم لذلك لا يلزم منه ايضا عدم
قدرة ذلك الآله فحكمكم هذا ايضا بامتناع هذا الامر قد جاءكم
من قياس التمثيل الذي لا يكون قطعي الدلالة بل كثيرا ما يوقع
في الغلط كما تقدم وقد قستم قدرة ذلك الآله على قدرتكم وعلمه
على علمكم واعماله على اعمالكم وهذا مع سخافته هو ظاهر الفرق بين
المقيس والمقيس عليه فشتان ما بينكم وبين ذلك الآله الذي اوجد
هذه الاكوان على هذا الاتقان انتم الى الان مع طنطنتكم ببراعتكم
في صناعة الكيميا لا تقدرون على تحليل العناصر ولا تركيب جسم

حيوي يشتمل على خواص الحياة والصورة الحيوية وعجزكم عن عمل هذين الامرين البسيطين وعن اعمال كثيرة من اعماله تعالى لايحتاج الى تطويل في تحرير البرهان عليه والدليل افلا تخجلون بعد ذلك ان تقيسوا انفسكم بذلك الآله سبحانه واعمالكم باعماله على انكم لو تاملتم في اعمالكم لا تجدون لانفسكم صنعا حقيقيا فيها انظروا الى تحليلكم المعدن الفلاني مثلا الى عناصره او تركيبكم المركب الفلاني من عنصرين او اكثر يظهر لكم انكم ما اجريتم الا الاسباب في التحليل او التركيب التي اطلعتم على انها تكون سببا في ذلك من نحو خلط كذا بكذا واحماء كذا وتغطيسه بكذا حتى يحدث التحليل او التركيب اما حقيقة تميز العناصر وكيفية انفصالها عن بعضها او حقيقة امتزاجها على اوضاع اجزائها التي ينشأ عنها المطلوب فانتم في الحقيقة تعجزون عن تصور جميع ذلك حق التصور وعن شرحه بالشرح الواضح فضلا عن انكم انتم الذين عملتم ذلك كله وخلصتم الاجزاء الفردة لكل عنصر من بين الاجزاء الفردة للاخر في صورة التحليل وخلطتم الاجزاء لكل عنصر مع الاجزاء الفردة للاخر على الاوضاع اللازمة في صورة التركيب وبهذا ظهر عجزكم في الصناعة ايضا كما ظهر عجزكم في الادراك والمعرفة أبعد ذلك تتطاولون الى قياس اعمال ذلك الآله على

اعمالكم وقدرته على قدرتكم وتحكمون بانكم اذا عجزتم عن احداث شيء من لاشيء انه سبحانه يكون عاجزا عن ذلك اعوذ بالله من الغرور فمن الواجب عليكم ايها المغرورون العاجزون في العلم والعمل ان تسلكوا الطريق التي سلكها اتباع محمد عليه السلام فانها المنهج العدل المستقيم الخالي عن كل عسف وهم قد امتطوا فيه متن الاحتراس والحذر والاخذ بالاحوط وذلك انهم قد قام عندهم الدليل القاطع على وجود آله العالم بمشاهدة اثاره الغريبة العظيمة الدالة على عظمة ذاته سبحانه وظهر لهم عجزهم عن تصور حقيقته لقصور مداركهم بالنسبة الى عظمة ذاته سبحانه وهذا العجز لاينفي وجوده الثابت عندهم بدلالة الآثار ولا ينافي ايمانهم بوجوده الثابت عن دليل قطعي ثم قام عندهم الدليل القاطع على ان العالم حادث بعد ان لم يكن ولا بد من محدث احدثه من العدم وهو الآله سبحانه ولكن عجزوا عن كيفية تصور ذلك الاحداث وهذا العجز لا يوجب استحالته ولا ينافي الايمان به الحاصل عن دليل قاطع فقد ظهر هنا سقوط قول بعضكم عند ما يذكر اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بوجود ذلك الآله الذي ليس بجسم ولاله صفات الاجسام واعتقادهم بانه احدث العالم من لاشيء (ان هذا الاعتقاد يحتاج الى ايمان

قوي ولا دخل له في سبيل العلم) كأن ذلك البعض يظن ان الايمان هو التصديق بالشيء تسليما ساذجا وانقيادًا اعمى بدون دليل جازم ولم يدرك ذلك الغرانه لايكمل الايمان في الشريعة المحمدية الا اذا كان عن دليل قاطع وان الايمان الكامل في هذه الشريعة هو العلم الجازم عن دليل قاطع بجميع ما جاء به محمد عليه السلام مما ثبت مجيئه به قطعيا مع اذعان النفس وخضوعها لذلك فهكذا ايمانهم بوجود آله العالم سبحانه وبايجاده العالم من لاشي ما كان الا عن دليل قاطع كما مر شرحه ولكنهم يقرون بالعجز عن ادراك حقيقة ذاته وعن كيفية احداثه للعالم من لا شيء والعجز عن تصور حقيقة الشي الذي قام الدليل على وجوده في نفس الامر لاينافي الاعتقاد الجازم بوجوده عن دليل فما اسخف ظن هذا البعض وما اجهله في تقرير الحق وما اسمج غلطه في فصله الايمان عن العلم والحال ان الايمان اكمل انواع العلم فقاتل الله الجهل الفاضح

هذا ثم ان اتباع محمد عليه السلام قد شاهدوا من اسرار ذلك الآله في مصنوعاته الحكم الباهرة التي تفوق الاحصاء ولم تزل تظهر لهم حكمة بعد حكمة يوما بعد يوم بعد ما تخفي عليهم الاعوام فثبت عندهم انه سبحانه حكيم حكمة بالغة لا تحيط بحكمه العقول

فاذا شاهدوا شيئا من الكائنات لم تظهر لهم فيه حكمة لم يعتقدوا
انه وجد عبثا بدون حكمة بل يقولون ان الخالق سبحانه حكيم
بدليل ما شاهدناه من حكمه التي لاتحد وكثير منها كان خفيا علينا
ثم ظهر لنا فهذا الشي الذي لم تظهر لنا حكمته نقول ان الحكمة فيه
قد خفيت علينا لا انه وجد عبثا ومما يقنع عقولنا بذلك ان
هذا الخالق عظيم جدا وانا نرى عظمة صفاته واسراره وحكمه في
خلقه والعقول البشرية مهما بلغت من السعة فهي بالنسبة لذلك
حقيرة جدا وادراكها لا يعد شيئا بالقياس الى ذلك فكان من
الصواب في شانكم ايها الماديون ان تسلكوا ايضا هذه الطريقة
العادلة التي سلكها اتباع محمد فتذعن عقولكم فيما ظهر لديكم من
حكم الكائنات التي تفوق الاحصاء والتي لاتزال تظهر لكم حينا
بعد حين بعد ما تخفى عليكم سنين بان الكون مبني على الحكمة
وانه لاشيء بدون حكمة ومن هنا تتوصلون الى انه لا بد للكون
من صانع حكيم ولا شيء فيه حاصل بالضرورة العمياء وبدون
قصد واذا رايتم شيئا لم تظهر لكم حكمته فعوضا عن ان تجعلوه دليلا
على انه لاحكمة ولا قصد في حصول الكائنات وتتوصلوا بذلك
الى انكار الخالق تعالى ان تقولوا ان هذا الشيء له حكمة خفيت
علينا قياسا على جميع ما ظهر لنا من الحكم التي لاتحصى والذي

يقنع عقولكم في ذلك ان تتصوروا عظمة ذلك الاله وعظمة اعماله في الكائنات وسمو حكمه التي اطلعتم عليها ثم تتصوروا ان العقول البشرية بالنسبة اليه تعالى والى اعماله وحكمه قاصرة جدا وادراكها لايعد شيئا بالنسبة الى ذلك

هذا واني بعد ما قدمته لكم في دحض شبهكم الثلاث اريد ان اضرب لكم مثالا يظهر لكم فيه خطؤكم في الالتفات اليها فاقول تاملوا ايها الماديون في الحيوانات المكرسكوبية التي يوجد منها في نقطة الماء الصغيرة الوف وملايين فهل تقدر بما لها من الادراك الذي معها على قدر احتياجها في معيشتها ان تتصور حقيقة الانسان وتتصور تفاصيل اعضائه ووظائفها وكيفية سمعه وابصاره وشمه وذوقه ولمسه وكيفية تغذيه واعمال اعضاء التغذية والدورة الدموية فيه واعمال دماغه في تصوراته وافكاره وان تعلم اعمال الانسان ومصنوعاته من الآلات البخارية والمنسوجات والمطعومات والادوية والتآليف والمطبوعات والآلات التلغرافية والفونغورافية والتليفونيـة والفوطغرافية وكذا وكذا وان تعلم كيف اخترعها ومن اي انشاها وكيف استخلص الحديد وبقية المعادن من بطون الارض واصطنع تلك الادوات الغريبة وان تعلم حكمة كل جزء من الآلات المصنوعة له ولاي شيء صنعه هكذا مثلا اذا نظرت الى عمد التلغراف

منصوبا عليها اسلاكها فهل تقدر ان تعلم حكمة ذلك ولاي غاية
فعل هذا وما وراءه من المكينات التلغرافية وهي لم تشاهد الا العمد
وعليها الاسلاك فاذا فرض اطلاعها على اعمال الانسان العظيمة
واستدلت بها على وجوده وعظمته وخفي عليها كثير من اعماله
وكيفية عملها وفرض اطلاعها على حكم كثيرة في مصنوعاته
واستدلت بذلك على انه حكيم تام الحكمة فهلا يكون من الواجب
عليها ان تقول اني بهذا المقدار الذي معي من الادراك الذي
لايذكر بالنسبة لعظمة ذلك الانسان وعظمة اعماله وواسع حكمه
اقر بالعجز عن معرفة حقيقة ذاته العظيمة بل غاية ما عندي ان
اذعن بوجوده وقدرته وحكمته لما شاهدت من اعماله واقر بالعجز
عن ادراك الكثير من كيفية عمله لمصنوعاته ولا انكرها لعدم ادراك
فكري العاجز لها واذا شاهدت شيئا من مصنوعاته لم تظهر لي حكمته
فعليّ ان اقر بعجزي عن ادراك حكمته حيث ان كثير حكمه في
اعماله دلت على انه حكيم واقول ان حكمة ذلك قد خفيت على
فهمي القاصر فهي حينئذٍ اذا شاهدت عمد التلغراف مثلا وعليها
اسلاكها لاتقول انها وضعت في الطرقات تحت الامطار وحر
الشمس للتلف وبدون حكمة وفائدة بل تقول لابد لها من حكمة
وان خفيت عليّ فكذلك انتم ايها الماديون ما علومكم وادراكاتكم

بالنسبة الى عظمة ذلك الآله وعظمة اعماله وسعة علمه وسمو
حكمته الا كادراك تلك الحيوانات بالنسبة الى عظمة الانسان
وقدرته وعلمه وحكمته في اعماله بل بفرق اكثر بكثير من ذلك
فبعد ذلك ما هو استعظامكم لانفسكم واستكثاركم لمعارفكم لا ارى
لكم شبيها الا طائفة من مبتدعي الامة الاسلامية قد استعظموا
انفسهم بالنسبة لله تعالى فاخذوا يشرطون عليه الشروط في معاملة
الخلق و يوجبون عليه الاحكام فقالوا انه يجب عليه تعالى ان لا يفعل
الا الصالح في حق الانسان وقد غفلوا عن انهم بالنسبة اليه سبحانه
كتلك الحيوانات المكرسكوبية بالنسبة الى الانسان بل احقر
بكثير بما لا يحد وغفلوا عن انه سبحانه هو الذي اوجدهم من العدم
وهو المالك المطلق لهم ولارواحهم وهو الفاعل المختار المتصرف في
ملكه بما يشاء لا ينسب اليه الظلم كيفما تصرف فيه الا يرى لو ان
ملكا عظيما اخذ نقطة من الماء الذي هو ملكه وهي محتوية على
الالوف من تلك الحيوانات المكرسكوبية والقاها في النار حتى
تلاشت وتلاشى جميع ما اشتملت عليه من تلك الحيوانات التي
ربما تبلغ عدد البشر على وجه الارض هل يخطر في البال ان ذلك
الملك فعل محظورا عليه وظلم بفعله تلك الحيوانات الحقيرة وهل
لاحد منازعته في ذلك وهو المالك المطلق لتلك النقطة ولجميع ما

حوته لاينازعه الا كل موسوس متعرض لما لايساعده عليه مساعد
نعم ان ذلك الآله سبحانه قد تفضل برحمته وفضله على جميع الخلق
بالنعم التي لاتحصى ولكن لم يعطها لهم بطريق الوجوب عليه تعالى
بل بطريق التفضل والاحسان ولو لم يعطها لهم وسلط عليهم جميع
البلايا لما كان ذلك منه الا حسنا لانه متصرف في ملكه لاحق
لاحد في منازعته يفعل ما يشا ويحكم بما يريد فبعد ظهور الحق
لديكم ايها الماديون وسقوط شبهكم الواهية فعليكم اذا نازعتكم انفسكم
وطلبت منكم التعرض لمعرفة حقيقة ذلك الآله سبحانه ان تقولوا
لها ان عقولنا البشرية تقصر عن ذلك ويكفينا من معرفته مادلتنا
عليه اثاره من انه موجود ومتصف بالصفات التي تدل عليها تلك
الآثار واذا طلبت منكم معرفة كيف اوجد العالم من لاشي فقولوا
لها انا لم ندر جميع اعماله وكيف بعملها فليكن هذا من جملة ما
لاندركه وعدم تصورنا له لايقتضي ان ننكره واذا عرض لكم شيء
ولم تعرفوا حكمته ان تقولوا ان صانع العالم حكيم بدليل ما ظهر
من كثير حكمه في مصنوعاته وعدم ادراك حكمة هذا الامر
لايقتضي عدم وجود حكمة له ولا يلزمنا انكار الحكم في الكائنات
ونلتجيء الى الضرورة العمياء هدانا الله واياكم لما فيه النجاة في
العقبى اللهم امين

والى هنا انتهى الكلام معكم ايها الماديون في اثبات حدوث العالم وتنوعاته واقامة البرهان على وجود الآله الذي اوجده من العدم واتصافه سبحانه بصفاته اللائقة به تعالى ودفع اشهر شبهكم في ذلك وبقي الكلام في بقية ما ذكرتموه لي من مذهبكم وهو يشتمل على اربع مسائل مهمة الاولى ان طريق حدوث تنوعات العالم من سماويات وارضيات هو النشوء اي ان اجزاء الاثير تكون منها السديم ثم الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا ثم تكونت فيها العناصر ثم المعادن والمكون الاول البورتوبلاسم واخذ هذا بالترقي والتوالد حتى بلغ ادنى نبات او حيوان ولم يزل هذان بما اكتنفهما من ناموس التباينات ووراثتها وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي يترقيان و يتنوعان و يشتق من الانواع انواع حتى بلغا ما هما عليه الان من الانواع كل ذلك بحركة اجزاء المادة الاضطرارية والجري على هذه النواميس

الثانية ان الانسان ما هو الا حيوان من جملة الحيوانات حادث بطريق النشو ترقى في التحسين بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما هو عليه الان و بمقتضى مشابهته للقرد لايمتنع ان يكون قد اشتق هو واياه من اصل واحد واخذ هو بالترقي عنه حتى فاق عليه

الثالثة ان الحياة وعقل الانسان ما هما الا ظاهر من ظواهر تفاعل

اجزاء المادة المتحركة وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة خاليا عن الحياة والادراك وان عقل الانسان لايخالف عقول بقية الحيوانات الابالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة

الرابعة انكاركم لبقية المسائل التي وجدتموها في الشريعة المحمدية من نحو البعث بعد الموت والسموات الى اخر ما مر وزعمتم ان ذلك لادليل عليه في علومكم بل البعض منه ترفضه وتدل على استحالته فاقول وبالله التوفيق اعلموا ان الكلام معكم في هذه المسائل يحتاج الى تقديم مقدمتين

المقدمة الاولى ان النصوص التي ترد في الشريعة المحمدية و يعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في الاعمال والاحكام تنقسم الى قسمين متواتر ومشهور فالمتواتر ما ثبت قطعيا وروده في هذه الشريعة لما توفر فيه من الاسباب الموجبة للعلم اليقيني بوروده فيها والمشهور هو ما ثبت وروده فيها ثبوتا قريبا من القطعي لما توفر فيه من الاسباب الموجبة لطمأنينة القلب بوروده وهي فوق الظن ودون اليقين ثم ان كلا من المتواتر والمشهور اما ان يدل على معنى لا يحتمل الدلالة على سواه فلا يقبل الصرف والتاويل الى معنى اخر وهذا لا يوجد في جميع ما ورد منه في الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الدليل

العقلي القاطع ولنسم هذا القسم بمتعين المعنى واما ان يدل كل
من المتواتر والمشهور على معنى ظاهر متبادر منه ويحتمل الدلالة
على معنى اخر وان كان بعيدا وهذا قد يوجد فيما ورد منه في
الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الظاهر الدليل العقلي القاطع
ولنسم هذا القسم بظاهر المعني ثم ان حكم النص المتعين المعنى في
الشريعة المحمدية انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده
وبمعناه المتعين وانكار وروده او تكذيب معناه يوجب الكفر اي
الخروج عن الدين الاسلامي ولا يجوز تاويله وصرفه الى معني اخر
اذ هو لا يحتمل التاويل ولا يناقض شي منه الدليل العقلي القاطع
حتى يحتاج لتاويله وان كان مشهورا فيجب ايضا التصديق بوروده
وبمعناه وانكار وروده او تكذيب معناه يعد ضلالا وفسقا ولا يجوز
تاويله وصرفه الى معنى اخر لما مر في المتواتر وحكم النص الظاهر
المعنى انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتبادر
وانكار وروده او تكذيب معناه بدون تأويل يكون كفرا ايضا
ولا يجوز تاويله الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل على ما يناقض
معناه المتبادر منه فحينئذٍ يؤل ويصرف الى معنى غير معناه
المتبادر على سبيل الاحتمال بحيث يصح التوفيق بينه وبين ما دل
عليه الدليل العقلي القاطع وان كان مشهورا فحكمه حكم المتواتر

الظاهر المعنى الا ان انكار وروده او تكذيب معناه لايوجب الكفر
بل الضلال والفسق والمخص ان النص المتعين المعنى من المتواتر
والمشهور لايوجد في العقل ما يناقضه ولا يسوغ تاويله والنص
الظاهر المعنى منهما لا يجوز تاويله وصرفه عن معناه المتبادر منه الا
اذا قام في العقل دليل قاطع على ما يناقض معناه الظاهر وانما
جاز حينئذٍ تاويله لان الجمود على اعتقاد المعنى المتبادر منه ورفض
ما يدل عليه الدليل العقلي القاطع يقتضي هدم الاصل وهو العقل
الذي ثبت به رسالة الرسول المتكلم بتلك النصوص الشرعية اذ لولا
العقل لما وصلنا الى الاستدلال على صدقه في دعواه الرسالة فاذا
هدم الاصل هدم الفرع لامحالة فرفض الدلائل العقلية رجوع
على الدلائل النقلية بالنقض وهو خلاف المطلوب هكذا الحكم في
كل نص ظاهر المعنى ناقضه الدليل العقلي القاطع يرجع فيه الى
التاويل وذلك قاعدة كلية عند اتباع محمد عليه السلام (كذا في
كثير من الكتب كتفسير الرازي في قوله تعالى لايكلف الله نفسا
ومثله في المقاصد والمواقف) مثلا قد ورد في القرآن الكريم في
قصة ذي القرنين قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة فالمعنى الظاهر من هذا النص المتواتر ان
الشمس تغرب في عين من عيون الارض فلو لم يقم الدليل العقلي

القاطع على ما يخالف هذا المعنى الظاهر ويناقضه لكان من الواجب
في الشريعة المحمدية اعتقاد هذا المعنى المتبادر ولا يجوز تاويله
ويقال حينئذٍ ان خبر الصادق دل بمعناه الظاهر على ان الشمس
تغرب في عين من عيون الارض فيجب الاعتقاد بذلك لكن قد
قام الدليل العقلي القاطع على ان الشمس اكبر من الارض بكثير
ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارهما من المحال
وقام الدليل العقلي القاطع ايضا على ان الشمس لا تغرب في نفس
الارض فحينئذٍ وجب تاويل هذا النص احتمالا وصرفه الى معنى
غير ما يتبادر منه فيقال مثلا والله اعلم بمراده يحتمل انه تعالى اراد
ان ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس
بحسب رؤية الرآي تغرب في عين حمئة لان الناظر الى الشمس
في سواحل البلاد الغربية يتخيل اليه ان الشمس تغيب في بحرها
الغربي المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو
سخونة وذلك اشارة الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط
به البحر سواء قلنا ذلك الجانب هو ساحل افريقيا الغربي او ساحل
اميركا الغربي وليس المراد ان الشمس تغرب في عين من عيون
الارض في نفس الامر (يؤخذ هذا التاويل من الرازي والجلالين
وتفسير الكواشي كما نقله الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب عجائب

المخلوقات وما قاله اهل الاخبار من ان الشمس حقيقة تغرب في العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الان يصار الى التاويل كذا في الرازي) وهكذا يقول الواحد منا اني من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب في البحر ومن المكان الفلاني وجدتها غربت خلف الجبل او في الوادي الفلاني والحال ان اعتقاده أنها لم تغرب في واحد من تلك المذكورات وانما حكي صورة رؤيته هذا واما اذا قام الدليل العقلي غير القطعي بل الظني مناقضا للمعنى المتبادر من نص الشريعة فلا يسوغ تاويل ذلك النص وصرفه الى معنى اخر غير متبادر منه بل يجب البقاء على الاعتقاد بمعناه الظاهر ومن المعلوم ان الدليل العقلي القاطع هو الذي يدل على مدلوله دلالة يقينية لا تحتمل النقيض واما الدليل العقلي الظني فهو الذي يدل على مدلوله دلالة راجحة تحتمل النقيض ولو احتمالا بعيدا فبذلك الاحتمال ينزل عن درجة اليقين ولا يعتمد عليه في المعتقدات الاسلامية فلا يكون معارضا للمعنى الذي يظهر من نص الشريعة المتواتر او او المشهور ولا يسوغ عنده تاويل ذلك الظاهر البتة ثم قد يوجد في الشريعة المحمدية نص لا تتوفر له الشروط التي يبلغ بها درجة المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت وروده يقينيا ويسمى بالاحاد

وهو ينقسم ايضا الى متعين المعنى وظاهر المعنى وحكمه في الشريعة الاسلامية ان يعتمد عليه في الاعمال الشرعية اذ يكفي في حقها الظن ولا يعتمد عليه استقلالا في المعتقدات الاسلامية حيث ان ثبوت وروده ظني لا يقيني فلا يكفر منكر وروده او معناه (كما هو منصوص في كتب الاصول ولكن الاحاد اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء في الفروع فلا يجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلي قاطع لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور والعياذ بالله تعالى) نعم اذا اكتنف الاحاد ما يقويه ويجعله مفيدا لليقين فيعتمد عليه حينئذٍ في المعتقدات ايضا كما يعتمد على المتواتر والمشهور فيها

المقدمة الثانية ان الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته واداء شكره والى الاحكام التي توصلهم الى انتظام المعاش وحسن المعاد واما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم وماهي النواميس القائمة في السماويات او في الارضيات وامثال ذلك فليس شيء من نحو ذلك من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هي معارف تتوصل الناس اليها بعقولهم فربما ينتفعون بها في دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد

الاطلاع والشرائع لاتلتف اليها اولا و بالذات ولا تعتني بتفاصيلها
نعم قد تذكر شيئا منها مجملا على قدر ما يكون له دخل في مقاصدها
فتذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف
انواع المخلوقات في التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها
نظامه على سبيل الاجمال لاجل ان يكون ذلك دليلا عقليا للناس
على وجود اله للعالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الى غير ذلك
وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه
الى مقاصدها اذا فهمتم هاتين المقدمتين فاعلموا ان الذي ورد في
الشريعة المحمدية من النصوص المتواترة او المشهورة التي يعتمد عليها
في الاعتقاد في خصوص خلق الاكوان و تنوع الانواع انما هي
نصوص لم يبين فيها تفاصيل الخلق وكيفياته لما قلنا ان ذلك ليس
من مقاصد الشرائع لكن ورد منها ان الله تعالى خالق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وانه تعالى استوى الى السماء وهي
دخان فسواهن سبع سموات (اي قصد اليها وهي بخار ماء كما في
الجلالين) وقد اختلف اتباع محمد عليه السلام في تفسير هذه
الايام الستة مستندا كل قائل الى دليل من دلائل الشريعة
فاكثرهم قال انها كايامنا اي مقدرة بها لانه حينئذٍ لم تكن شمس
ولا فلك وقال بعضهم انها ايام من ايام الاخرة لانه قد ورد في

اصطلاح شريعتهم ان يوم الاخرة الف سنة من سنينا (تفسير اليوم بالف سنة مروي عن ابن عباس كما في مباهج الفكر للوراق) وقال بعضهم انه يطلق على خمسين الف سنة ومع ذلك فهم متفقون على ان الله تعالى قادر على خلق السموات والارض وما بينهما في اقل من لحظة لما قام لديهم من دلائل عظمة قدرته سبحانه وانما خلق ذلك في ستة ايام لحكمة هو يعلمها وقد قيل ان من حكمة ذلك تعليم عباده بعد ابلاغهم كيفية ما اجراه في خلقه ذلك على لسان الرسل ان طريق التأني خير من طريق العجلة ولو علم العالم من نفسه العصمة عن الخطاء في العجلة و ورد ايضا من تلك النصوص ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقهما الله تعالى وفسر هذا النص بعض اتباع محمد عليه السلام بانهما كانتا شيئا واحدا ملتزقا احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء حيث هي واقر الارض كما هي (رواه عكرمة عن ابن عباس ومثله عن عطاء والضحاك والحسن وهو قول سعيد بن جبير وقتادة كما يوخذ من الجمل على الجلالين والرازي وجعله الرازي اولي وجوه التاويل كما في سورة الانبياء) وفسره بعضهم بتفسير اخر وقد فهم بعض اتباع محمد عليه السلام من نصوص الشريعة ان الارض خلقت قبل السموات لكنها غير مدحوة اي مبسوطة صالحة للسكنى ثم استوى

الله تعالى اي قصد الى السماء وهي دخان (اي كان خلقه قبل ذلك) فسواها سبع سموات ثم دحا الارض اي بسطها وجعلها تصلح للسكنى ومن قال بهذا تاول النص الذي ظاهره يخالفه وفهم بعضهم ان السموات خلقت قبل الارض وتاول ما ظاهره يخالفه (نقل هذا الجمل عن الخطيب عن الرازي في فصلت ثم رايته فيه) ولكل وجه يستند اليه موافق لاصول الشريعة المحمدية وورد من نصوصها المذكورة ان الله تعالى خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدينا اي القربى من الارض فقال بعضهم هي مركوزة في نفس السماء (هوقول جمهور المفسرين كما نقله في مباهج الفكر للوراق) وقال بعضهم هي دون السماء بينها و بين الارض (نقله في كنز الاسرار للقاضي الصنهاجي عن مكي في تفسير سورة التكوير وان صاحب بهجة النفس نقله عن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني عن كثير من المفسرين وغيرهم وذكر مثله الشيخ مرعي الحنبلي المقدسي في عجائب المخلوقات ونقل حديثا آحاديا يدل عليه وكذلك نقل هذا الحديث ابو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي في كتاب الملكوت ونقل الرازي اثرا عن كعب في تفسير سورة القدر صريحا في ان الشمس دون السماء الدنيا) اي وكونها زينة السماء الدنيا لايلزم ان تكون مركوزة فيها لجواز ان يراد زينتها بحسب مرأ نا

وان كانت تحتها اقول ولعلهم يتاولون قوله وجعل القمر فيهن نورا اي
في السموات نظير هذا التاويل ثم الفلك الذي ورد ان الكواكب تسبح
فيه قيل هو جسم يحملها وقيل هو مدارها اي الحيز الذي تسير فيه من
الفراغ (وهذا قول الضحاك كما في الرازي) والنصوص تدل على وجود
السموات وانها غير الكواكب كما يفهم مما مر وسياتي بيان ذلك عند
الكلام معكم على ما استنكرتموه مما ورد في الشريعة المحمدية والذي
عليه جمهور اتباع محمد عليه السلام ان السماء مرئية لنا وقال بعضهم
انها غير مرئية وانما المرئي الهواء (نقله في عجائب المخلوقات عن
القاضي ابى بكر بن العربي ولعله يؤول النص الذي يدل ظاهره
انها ترى بتأويل مناسب) فهذا ملخص ما ورد من نصوص الشريعة
المحمدية التي تعتمد في الاعتقاد في خلق السموات والارض والكواكب
مع بيان ما ورد لعلماء تلك الشريعة من الاقوال في فهم تلك
النصوص واما تفصيل خلقها وكيفيات تكونها او تكون الشمس
والكواكب والارض كما تزعمون من ان اصلها السديم ثم تكونت
منه الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا على النواميس
التي تذكرونها في كتبكم او على طريقة اخرى فلم تنص الشريعة
المحمدية على شيء من ذلك ولم يرد من نصوصها ما يثبته او ينفيه
لكن قد ورد في القرآن الشريف ما يشير الى ذم التعرض للبحث

عن ذلك اذ قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم واذا نظرنا الى هذه التفاصيل التى تذكرونها في تكون الشمس والكواكب والارض بعين الانصاف ظهر انها فروض وتخمينات كما يظهر من التامل في شرحكم لها في كتبكم فيجوز ان يكون الله تعالى قد كونها على تلك الطريقة التي تقولون بها ويجوز ان يكون الحال بخلاف ذلك فما دامت تلك الفروض في درجة الظن فاتباع محمد عليه السلام لايجزمون بها في اعتقادهم ويكفيهم فيه ما قد ورد في شريعتهم على احد الاوجه التي فهمها وقال بها علماؤهم نعم اذا ثبتت تلك الفروض بالدلائل القاطعة التي لاتحتمل النقيض ولا مجال للعقل في رفضها (وهيهات ذلك) واقتنعت عقولهم بها فهم حينئذٍ يقولون بها اي مع اعتقاد ان الله تعالى اوجد الشمس وكونها وفصل منها الكواكب والارض على الكيفية التي تذكرونها والنواميس التي قلتم بها في ذلك التكوين تكون عندهم اسبابا عادية لا تاثير لها في نفسها كالنواميس التي وضعها الله تعالى في تكون بقية العوالم فالنبات مثلا يتكون بواسطة الماء والنور والتراب وليس لذلك تاثير في ايجاد النبات وانما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى لكن جرت عادته في وضع تلك الاسباب وايجاد مسبباتها عندها. ومن الواضح حينئذٍ ان لاشيء من النصوص المتقدمة ينافي

القول بهذا التكون الذي تقولون به كما لايخفى على المتأمل وعلى كل فالمقصود وهو الاستدلال بالآثار على مؤثرها حاصل ويمكنكم ايها الماديون اذا اعتنقتم الدين الاسلامي واعتقدتم حدوث مادة العالم بخلق الله تعالى كما اقمت لكم الدليل عليه فيما تقدم واعتقدتم بوجود سبع سموات كما سياتي لكم بيانه وثبت لديكم بالادلة القاطعة تكون الشمس وانفصال الكواكب والارض عنها على الطريقة التي تقولون بها ان تقرروا اعتقادكم على وفق ما ورد من نصوص الشريعة المحمدية التي يعتمد عليها في الاعتقاد وعلى وفق ما فهمه بعض علمائها منها فتقولون حينئذٍ هكذا ان الله تعالى خلق اولا مادة العالم شيئا واحدا وقد سماه الله تعالى عند ذكر مادة السماء دخانا وفسروه ببخار الماء وهو السديم المنتشر في الخلاء ثم فتق الله السموات والارض اي انه ميز مادة السماء عن المادة التي يريد ان يكون منها الشمس والكواكب والارض (ويجري هذا على ماروي عن ابن عباس ومن معه في تفسير الرتق والفتق كما تقدم قريبا) ثم رفع مادة السماء فوق مادة المذكورات ثم كون الشمس وفصل عنها الكواكب والارض (وهذا يجري على قول من يقول ان الفلك هو مدار الكواكب اي حيزها من الفراغ كما تقدم) ولكن الارض كانت بعد فصلها غير مدحوة اي بصورة لاتصلح للسكنى ثم قصد سبحانه الى

السماء وهي دخان اي بخار ماء وهو السديم فسواها سبع سموات
والسماء لاترى وانما المرئي هو الجلد (ويجري هذا على قول ابى
بكر بن العربي كما تقدم) ثم دحا الارض بعد ذلك وكل ذلك
اجراه الله تعالى على نواميس مخصوصة وهي اسباب عادية وفي
ازمنة مستطيلة هي التي سماها ستة ايام وهو قادر سبحانه على تكوين
جميع ذلك بدون تلك النواميس وفي اقل من لحظة وعلى هذا
فالشمس والكواكب والارض تكون قائمة تحت السماء بناموس
الجاذبية الذي وضعه الله تعالى فيها وهو سبب عادي والفاعل
الحقيقي هو الله تعالى ففي هذا التقرير يكون مذهبكم قد انطبق
على ما ورد في نصوص الشريعة المحمدية المتقدمة وعلى ما قال به
بعض علمائها في تكون السماء والكواكب والارض وفي مواقعها وعليه
فلا مخالفة بين مذهبكم وبين الدين الاسلامي توجب اخراجكم
من عداد اهله ولكن اتباع محمد عليه السلام لايلتزمون القول
بهذا التفصيل الذي مر حتى تقوم عندهم الادلة القاطعة على ثبوت
الكيفية التي قلتم بها في تكون الشمس وانفصال الكواكب والارض
عنها والا فهم يقتصرون في الاعتقاد على ما تقدم ذكره من النصوص
التي وردت في شريعتهم ويتبعون راي جمهور علمائهم على ما في
ذلك من الاجمال ويفوضون علم تفصيل ذلك الى الله تعالى لانهم

لم يكلفوا بالبحث عن تفصيل ذلك واذا سئلوا عنه او عن امثاله من كل ما لم يرد في شريعتهم تصريح فيه ولم تقم الادلة القاطعة عليه بل كانت ادلته ظنية فان كان ينافي نصوص شريعتهم رفضوه وامتنعوا عن القول به وان لم يناف تلك النصوص قالوا يحتمل الصحة ويحتمل خلافها اذ هو امر مظنون

هذا ثم المدار في اعتقاد اتباع محمد عليه السلام في شان عوالم الكون ان يعلموا علما جازما انها حادثة فلابد لها من محدث وهو الله تعالى احدثها واوجدها من العدم ونوعها الى انواعها التي تشاهد الان وان جميع ذلك لم يكن بتاثير طبيعة او ناموس والنواميس التي تشاهد في تكوين بعض الكائنات انما هي اسباب عادية وضعها الله تعالى لذلك وهو غني عنها قادر على احداث تلك الكائنات بدونها وهذا القدر من العلم الجازم يكفيهم في الاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه بالقدرة والعلم وسائر الصفات التي تدل عليها تلك الا ثار فعلى موجب هذا الاعتقاد عند ما يكون التفاتهم الى خصوص تكوّن عوالم الارض من معدن ونبات وحيوان كان من الواضح انه لافرق عندهم بين ان يعتقدوا ان الله تعالى اوجد انواع هذه العوالم الثلاثة بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها ابتداء مستقلا عن غيره ليس مشتقا من سواه سواء اوجده دفعة واحدة او اوجده بتكوين

متهمل بان رقاه من ابسط مادة على تطورات عديدة حتى بلغ
به ما هو عليه وكل من التكوين الدفعي والمتهمل من الجائزات
العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو سبحانه فاعل
مختار لا حجر عليه في سلوك اي طريق اراد و بين ان يعتقدوا ان
الله تعالى اوجد انواع هذه العوالم بطريق النشو اي انه اوجد
المادة البسيطة ثم رقاها الى عناصر ثم الى معادن او الى ابسط جسم
حي (البرتوبلاسم) ثم الى ادنى النبات او الحيوان ثم فرع من
ذلك بقية الانواع واشتق بعضها من بعض و يختار ابقاء البعض
و يبيد البعض واجرى جميع ذلك على نواميس وضعها في المادة
يتسبب عنها ذلك الارتقاء والتنوع الى ان بلغت تلك العوالم
انواعها التي عليها الان فكل من هذين الاعتقادين اي اعتقاد
طريق الخلق واعتقاد طريق النشو في ايجاد العوالم المذكورة ما
دام مستندا الى خلق الله تعالى وانه ليس لسواه تاثير كان من
حقه ان يكفي اتباع محمد عليه السلام لاستدلالهم على وجود الله
تعالى واتصافه بالصفات التي تدل عليها تلك الاثار وبعبارة
اخرى ان كلا من اعتقاد ان الله تعالى اوجد كل نوع من انواع
هذه العوالم مستقلا عن غيره ابتداء اما بدفعة واحدة واما بتمهل
وتكون الاجناس بعد ذلك منتزعة في العقول ومتصورة من تلك

الانواع وليس لها وجود الا في الصور الذهنية ومن اعتقاد انه سبحانه اوجد في الخارج مادة الاجناس اولا ولم يزل يرقيها وينوع منها الانواع ويشتق الانواع من بعضها حتى بلغت ما هي عليه الان هو كاف للاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه بالصفات المذكورة لكن النصوص المعتمدة في الاعتقاد التي وردت في الشريعة المحمدية في شان خلق عوالم الارض هذه خلاصتها ورد ان الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي وانه خلق كل دابة من ماء وانه بث اي فرق في الارض الدواب وانه خلق من كل زوجين اثنين وانه خلق من الانعام ازواجا (اي ذكورا واناثا كما في التفسير) وانه خلق الازواج كلها (اي الاصناف كلها كما في التفسير ايضا) وانه خلق الزوجين (اي الصنفين كما في التفسير ايضا) الذكر والانثى وانه جعل في الارض من كل الثمرات زوجين اثنين (اي من كل نوع كما في التفسير ايضا) فالنصوص الثلاثة الاولى يحتمل ان يجري في تفسيرها بحد ذاتها على مذهب الخلق او مذهب النشو والنصان الاولان يوافقهما القول الحديث لكم ايها الماديون ان تكون المادة الحيوية من الماء واما بقية النصوص المذكورة فالمعنى الظاهر المتبادر منها هو ان الله تعالى اوجد انواع العوالم بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها مستقلا عن غيره ليس

مشتقا من سواه اعم من ان يكون بايجاد دفعي او متمهل كما لايخفى
على من يدري اساليب الكلام العربي لان من يقول مثلاقدمت
لضيفاني من الاطعمة انواعا يتبادر من كلامه انه اصطنع
كل نوع مستقلا عن البقية وقدمه اليهم واما كونه اصطنع جملة
الطعام جنسا واحدا ثم فرع منه الانواع بترقيه في صناعة الطبخ
واشتقاق نوع من نوع فهو معنى بعيد عن الارادة لايخطر في البال
وان كان جائز الوقوع وربما يوجد في النصوص الاحادية التي
هي ليست مدار الاعتقاد ما يؤيد هذا المعنى الظاهر الذي تفيده
تلك النصوص التي عليها المدار ولكن مع ذلك كله لم يرد نص
يفيد ان كل نوع اوجده الله تعالى مستقلا قد اوجده دفعة واحدة
او بتمهل نعم قد ورد في بعض النصوص الاحادية (في حديث
مسلم) ان الله تعالى خلق الشجر في يوم كذا من الايام الستة التي
اوجد الله تعالى فيها السموات والارض ثم خلق بعده الحيوانات في
يوم كذا منها لكن هذا لايفيد الا ان الحيوان تاخر عن الشجر في
الخلق واما ان كل نوع منهما كان ايجاده دفعيا او بتمهل فلا يفيد
شيئا من ذلك فعلى ما تقدم من ظاهر تلك النصوص وبحسب
القاعدة المتقدمة من ان الواجب في الشريعة المحمدية ان يعتقد اتباعها
المعاني المتعينة او المعاني الظاهرة من نصوصها المتواترة او المشهورة

ما لم يعارض المعاني الظاهرة دليل عقلي قاطع يلجئ الى تاويلها يجب ان يكون اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان الله خلق كل نوع من عوالم الارض مستقلا ابتداء عن البقية ولم يخلقها بطريق النشوء ويشتق نوعا من نوع وان كان قادرا على كلتا الصورتين واما ان كل نوع خلقه دفعة واحدة او بتمهل وترق بسبب نواميس وضعها الله له فهذا سبيله عندهم التوقف حيث لم يرد في شريعتهم ما يفيد القطع باحد الامرين ولا يسوغ لهم بمقتضى حكم شريعتهم كما تقدم ان يعدلوا عن اعتقاد هذا الظاهر الى الاعتقاد بخلافه من نحو النشوء واشتقاق بعض الانواع من بعض كما تقولون ايها الماديون لان هذا خلاف ظاهر النصوص المتقدمة ولم يقم عليه دليل قاطع يضطرهم الى تاويلها والادلة التي تذكرونها في كتبكم على النشو ما هي الا ظنون وفروض لم تخرج عن دائرة الاحتمال الذي يسقط به الاستدلال كما يظهر من الاطلاع عليها مع خلو الغرض وما دام الحال كذلك فاتباع محمد لايصرفون تلك النصوص عن ظواهرها ولو مع اعتقادهم بان ذلك النشو بخلق الله تعالى بل لايسوغ لهم الصرف ما دام الحال كذلك نعم لو قام الدليل العقلي القاطع على خلاف ظاهر تلك النصوص كان عليهم حينئذٍ ان يؤلوها للتوفيق بينها وبين ما قام عليه ذلك الدليل جريا على القاعدة

المتقدمة (واخال ان دون ذلك خرط القتاد) فانتم ايها الماديون
لو فرض ان ادلتكم على النشو بلغت درجة اليقين وهديتم الى
اعتقاد دين محمد عليه السلام الذي اساسه ان لاخالق لشيء الا
الله تعالى فلا حجر عليكم في تاويل تلك النصوص وصرفها عن
ظاهرها وتطبيقها على ما قامت عليه الادلة القاطعة من النشوء مع
اعتقاد انه بخلق الله تعالى ولا ينافي ذلك والحالة هذه ان تحسبوا
من اهل الدين الاسلامي ولا يفوتكم شي من الاستدلال بهذه
الكائنات على وجود الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ولكن
احذركم من الغلط وتوهم الدليل الظني الذي يقوم عندكم انه
دليل يقيني فعليكم بالتدقيق والله الهادي هذا جميع ما حررت
هنا هو في شان تكون عوالم الارض بقطع النظر عن الانسان واما
هذا فالكلام في تكونه اذكر بيانه مستقلا

فاقول قد ورد من نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار
الاعتقاد في خلق الانسان ان الله تعالى بدأ خلقه من طين وانه
خلقه من تراب ومن طين لازب ومن سلالة من طين ومن حمأ
مسنون ومن صلصال كالفخار وورد انه خلقه من ماء قال بعض
اتباع محمد عليه السلام (هو الامام الرازي) ان التراب والماء
اصلان للانسان اي انه خلق منهما فتارة تذكر النصوص هذا وتارة

تذكر ذاك وورد ان الله تعالى خلقه بيديه وهذه العبارة تدل على ان خلقه كان بصورة ممتازة عن بقية العوالم وورد انه سبحانه خلق البشر من نفس واحدة (ادم) وخلق منها زوجها (حوا) وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فهذه النصوص تفيد ظواهرها ان الله تعالى خلق الانسان نوعا مستقلا لا بطريق النشو ولم يشتقه من نوع اخر كما تقولون لاسيما النص الذي يقول بدأ خلق الانسان من طين وقد جاء في بعض النصوص الاحادية ما هو بين الصراحة جدا بان خلق الانسان كان مستقلا وليس هو مشتقا من غيره ولا شك ان هذه النصوص وان لم يكن عليها مدار الاعتقاد بانفرادها فلا اقل من انها تقوى ظواهر تلك التي عليها المدار وتعضدها وايضا يبعد كل البعد ان يكون اصل الانسان المادة البسيطة ثم ترقى الى العناصر ثم الى المادة الحيوية وهي البرتوبلاسم ثم الى ادنى حيوان ثم ترقى حتى بلغ القرد ثم الى القرد الانسان ثم الى الانسان كما تقولون ومع ذلك يهمل الله تعالى بيان جميع ذلك ويقتصر على قوله بدا خلق الانسان من طين بل كان من حكمته ان يشرح تلك التطورات والترقيات ويفصلها حسبما جرى عليه في تفصيل خلق ذرية الانسان فانه فصله في نصوص الشريعة بانه خلقهم من تراب (اي لان غذاء ابائهم الذي يستحيل منيا

كان اصله التراب كذا يوخذ من الرازي وفي تفسير آخران
معني خلقهم من تراب خلق ابيهم ادم) ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة ثم اخرجهم طفلا فان ذلك التفصيل له وقع في النفس
في الدلالة على قدرة الخالق سبحانه لما فيه من نقل المادة من طور
الى طور فسكوت النصوص المذكورة عن بيان النشو واشتقاق
الانسان من نوع سواه واقتصارها على ما تقدم من البيان هو
ظاهر في ان الانسان خلق نوعا مستقلا ليس مشتقا كما تقولون
وان كان كلا الامرين من الجائز العقلي الداخل تحت تصرف
قدرة الله تعالى نعم ليس في تلك النصوص صراحة بان الله خلق
الانسان الاول من تراب دفعة واحدة او بتكوين متمهل على انفراده
فسبيل هذا التوقف وعدم الجزم باحد الامرين حسب النصوص
التي عليها مدار الاعتقاد وان كان قد يظهر من بعض النصوص
الاحادية ان تكون ذلك الانسان (وهو آدم) كان بتمهل ومرت
عليه مدة من الزمان والله قادر على كلا الطريقين وقد صرح
بعض علماء اتباع محمد عليه السلام (هو الامام الرازي) في تفسير
قوله تعالى خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون بان خلق
الانسان كان مبتدا مستقلا ليس مترقيا من الادني حتى بلغ ما
هو عليه وهذا ما قال ان اذا للمفاجأة يقال خرجت فاذا الاسد بالباب

وهو اشارة الى ان الله تعالى خلقه يعني الانسان من تراب بكن
فكان لا انه صار معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا وهذا اشارة الى
مسئلة حكمية وهي ان الله تعالى يخلق اولا انسانا فينبهه انه يحيى
انسانا وناميا وغير ذلك لا انه خلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق
الانواع هو المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك
الارادة فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشيء البعيد عنها غاية
من غير انتقال من مرتبة الى مرتبة من المراتب التي ذكرها انتهى
فهذا تصريح بان ذلك النص يفيد ان الانسان كان تكوينه بطريق
الخلق مستقلا ابتداء لا بطريق النشو كما تزعمون وطريق الخلق
هو الذي تعطيه ظواهر بقية النصوص فاعتماد اتباع محمد عليه
السلام في الاعتقاد عليه لا على النشو ولا يجوز لهم تاويل تلك
الظواهر وصرفها عن معناها الظاهر الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل
على ان الله تعالى خلق الانسان بطريق النشو كما تزعمون (هيهات
هيهات) فعند ذلك يضطرون الى تاويل ظواهر تلك النصوص
كما هو القاعدة عندهم في التوفيق بين الدليل النقلي والدليل
العقلي المتعارضين وبعد ذلك لا يخفى ان النشو عندهم لو ثبت
هو غير النشو عندكم لانه لو ثبت عندهم كانوا يقولون هو بخلق
الله تعالى لما قام عندهم من الدليل على انه لا خالق ولا مؤثر سواه

والنواميس التي ترافقه ما هي الا اسباب عادية لا تأثير لها البتة
واما النشو عندكم فهو على زعمكم بتاثير تلك النواميس فشتان
ما بين المعنيين ثم لتعلموا ان الادلة التي تذكرونها في كتبكم على
النشو يظهر للناظر بعين الانصاف انها لا تضطر اتباع محمد عليه
السلام الى تاويل ظواهر تلك النصوص والقول بالنشو لانها ادلة
ظنية مبناها الفروض وهم لا يضطرون الى التاويل الا بمعارضة
اليقين كما علمتم فانتم لو فرض وصولكم الى ادلة يقينية قاطعة على
وجود الانسان بطريق النشو واعتقدتم بالدين الاسلامي الذي
اساسه ان الله تعالى هو الخالق للاكوان ولا تاثير لسواه فيها فلا مانع
يمنعكم من تاويل تلك النصوص وصرفها عن ظاهرها للتوفيق بينها
وبين ما قام لديكم حنيئذٍ من الادلة اليقينية ولا تخرجون بهذه
الطريقة عن الدين الاسلامي واعيد تحذيركم من الوقوع في الغلط
بظن الادلة الظنية انها يقينية فحرروا الدليل واستوضحوا السبيل
وربما يعارضكم حنيئذٍ ما قاله جمهور اتباع محمد عليه السلام من ان
الانسان الاول (آدم) قد خلق في جنة عدن التي هي غير ارضنا
او ما قاله بعضهم (هو السدى كما في كنز الاسرار) انه خلق في السما
الدنيا فان هذين القولين لا يوافقان النشو الذي مبناه انه حصل في
الارض فلكم مناص عن ذلك بالجري على ما قاله بعضهم (هو منذر بن

سعيد البلاطي وجماعة كما في كنز الاسرار ايضا) انه خلق في
جنة من جنان الدنيا وبذلك تكونون قد وافقتم قولا لاتباع محمد
عليه السلام يدفع عنكم مضادة الدين الاسلامي وربما يعارضكم
ايضا ان الله تعالي بعد ما خلق الا نسان الاول (آدم) خلق
زوجته منه واسكنهما الجنة وتلك الجنة هي دار الثواب التي وعدها
الله تعالى عباده المؤمنين بعد الموت والبعث وهي غير ارضنا وهو
قول جمهور اتباع محمد عليه السلام فلكم مناص عن ذلك ايضا
بالجري على قول بعضهم (هو ابو قاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني
مفسر كبير كما نقله عنهما الرازي) ان تلك الجنة كانت في الارض
ويحمل اهباطهما منها على الا نتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله
اهبطوا مصر وان اشكل عليكم ايضا ما يقوله الاكثرون من
اتباع محمد عليه السلام (وهو غير مشكل اذ هو من الجائز العقلي
الداخل تحت تصرف القدرة الالهية هذا الحيوان الهيذرا يقسم
ثلاثة اقسام ثم يعود كل قسم حيوانا مستقلا كما تقدم ولكن جارينا
الخصم لتسهيل الامر عليه) من ان الله تعالى بعد ما خلق الا نسان
الاول (آدم) خلق منه زوجته (حواء) اي من ضلع من اضلاعه
اليسرى لما ورد في شريعتهم من النصوص الاحادية ان المرأة
خلقت من ضلع اعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها

عوج استمتعت بها والتصريح بعض اجلاء اتباعه بذلك (هم ابن مسعود وابن عباس وبعض الصحابة كما في تفسير ابي السعود) فلكم مخلص عن ذلك ايضا بالجري على ما اختاره بعضهم (هو ابو مسلم الاصفهاني كما في الرازي) مؤلا النص الذي ورد في الشريعة من ان الله تعالى خلق من الانسان الاول زوجته بان المراد بخلقها منه انها من جنسه كما قال في نص اخر جعل لكم من انفسكم ازواجا وبهذه الطريقة ايضا تكونون قد وافقتم بعضا من علماء اتباع محمد عليه السلام بنوع من التاويل وبهذا لا تصادمون الدين الاسلامي مصادمة تخرجكم من عداد اتباعه اذ لم تكذبوا نصا معتمدا في الاعتقاد ولم تخالفوا اجماع اتباع محمد عليه السلام على امر معلوم من الدين بالضرورة غاية ما اجريتم انكم خالفتم الاكثر ووافقتم البعض وتاولتم النصوص بتاويل يوفق بين الادلة النقلية والعقلية والله الهادي الى سواء السبيل

ثم بما تلخص مما قررناه من ان اتباع محمد عليه السلام يعتمدون في الاعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم التي عليها مدار الاعتقاد لثبوت ورودها قطعيا ولا يؤلونها ويصرفونها الى غير الظاهر اذا عارضتها ادلة عقلية ظنية بل اذا عارضتها ادلة عقلية يقينية قد يخطر في البال ان لكم ايها الماديون مجالا ان تقولوا سلمنا ان اتباع محمد عليه

السلام لايسوغ لهم ترك اعتقاد معنى النصوص المتعينة المعنى ولكن النصوص التي هي ظاهرة المعنى ما دامت تحتمل معنى غير ظاهر وان كان بعيدا فهي ظنية الدلالة على المعنى الظاهر وان كانت يقينية الورود فقد تساوت في الدلالة مع ما يقوم عندنا من الادلة الظنية فما الحامل لهم على ترجيح تلك الظواهر على ادلتنا فاقول في الجواب ان النصوص الظاهرة المعني وان كانت ظنية الدلالة على المعنى الظاهر منها في حدذاتها اذ يحتمل ان يراد منها المعنى البعيد غير الظاهر ولكن الاصل في التخاطب ارادة المعنى الظاهر دون خلافه الا لداع يدعو اليه فارادة المعنى البعيد من غير داع يكون خللا في الافادة والاستفادة وخروجا عن الاصل وفي ذلك من المفاسد ما لايخفى فلذلك اجمع اتباع محمد عليه السلام على اعتماد المعنى الظاهر وعدم الالتفات الى المعنى غير المتبادر الا لداع يدعو اليه وهو معارضة الدليل العقلي القاطع ويكون ذلك الداعي كالقرنية على ارادة المعنى غير المتبادر من اللفظ ويصير هذا المعنى بسبب ذلك الداعي هو الظاهر وهكذا كلفوا من جانب شريعتهم ان يعتمدوا المعنى الظاهر ولا يلتفتوا الى خلافه الا عند الداعي فلو فرض انهم اعتقدوا الظاهر من اللفظ قبل ظهور الداعي الذي يدعوهم للانصراف عنه يكونون قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في

ذلك ولو فرض انه ظهر لهم الداعي الى الانصراف عن الظاهر بعد
ذلك وانصرفوا به يكونون ايضا قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في
ذلك اذ هو حكم شريعتهم وانما انحصر الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة
الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذي
ثبت به صدق الرسول وهو العقل كما تقدم ورفض العقل يوجب
رفض الشرع واما معارضة الدليل الظني فلا يكون داعيا لترك
الظاهر لان رفض الدليل الظني لايوجب رفض العقل كما هو
ظاهر لاحتمال انه فاسد فلو تركوا الظاهر واعتقدوا ما يدل عليه
الدليل الظني لكانوا في معرض ان يكون اعتقادهم خطأ وحينئذٍ
لا تعذرهم الشريعة في ذلك اذ لاضرورة تدعوهم اليه كما تدعوهم
الضرورة عند معارضة الدليل القاطع على ان اتباع الادلة الظنية
وترك الظواهر يوجب اختباطا واختلاطا في الاعتقاد لا يحد فان
الظنون كثيرة كل يظن ظنا ويخمن تخمينا والاعتقاد يعتمد فيه
اليقين فكان من الصواب ان يتمسك اتباع محمد عليه السلام
بظواهر نصوص شريعتهم اليقينية الورود ولا يتحولون عنها الى
خلافها لمجرد الظنون والله الهادي

وقد آن ان ابين لكم ان ادلتكم التي ذكرتموها في كتبكم على النشو
وتوجيهاتكم له كل ذلك ظني لايضطر اتباع محمد عليه السلام الى

تاويل نصوص شريعتهم الظاهرة المعنى بان وجود العوالم بطريق الخلق ولا اريد ان اتصدى لمناظرتكم في ابطال ذلك والرد عليكم في كل ما قررتموه في اثبات تلك الدعوى، لان ذلك يحتمل كلاما كثيرا نخرج به عن موضوع بحثنا الذي نحن بصدده ومن حقه افراد كتاب لذلك اعانني الله على جمعه ولكن اريد أن ابين لكم ان معتمد ادلتكم على النشو وتوجيهكم له لم يتجاوز الظن والتخمين وبذلك كفاية لما هو غرضنا فاقول ان معظم ما استندتم عليه في الاستدلال على نشو الانواع من اصل واحد انكم شاهدتم الاعضاء الاثرية في بعض الحيوانات لا في كلها ولا في غالبها وهي اثار اعضاء توجد في الحيوان كاثار ارجل مثلا غير كاملة بل الذي يظهر منها مبدا تكونها فقلتم انه لو كان كل نوع مخلوقا مستقلا كما هو مذهب الخلق لما كان لهذه الاثار فائدة لان مذهب الخلق يقتضي ان يكون في كل نوع اعضاوه اللازمة له ذات الفائدة لا اقل ولا اكثر وهذه الاعضاء الاثرية لا فائدة لها الآن فيظهر انها اثار اعضاء في نوع قديم وقد كانت لازمة له ثم لما طرأ على هذا النوع تغيرات تقتضي استغناءه عنها اخذت تتلاشي حتى لم يبق الآن الا اثرها او ان هذا النوع كان خاليا عن تلك الاعضاء فطرأت عليه تغيرات تؤهله لان ينقلب الى

نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء التي ظهرت اثارها فابتدأت
تظهر فيه الآثار والخلاصة ان تلك الآثار اما آثار اعضاء كانت
قديمة واخذت تتلاشى واما مبادي اعضاء سوف تكمل وعلى
كل فقد ثبت صحة التغير للانواع وانتقال نوع الى نوع آخر
وذلك يدلنا على صحة النشو والارتقاء والا فما هذه الآثار ومما استندتم
عليه بالاستدلال على النشو والارتقا انكم وجدتم في اكتشافاتكم
الجيلوجية ان الاسبق في طبقات الارض هو ادنى النبات وادنى
الحيوان ثم بعده الارقى فالارقى حتى كان ارقى الجميع هو المتأخر
في زمن وجوده ومكانه من طبقات الارض العليا والادنى قد
تلاشى بعد ما وجد الذي هو ارقى منه فلو كان مذهب الخلق هو
الصحيح لكان يوجد من كل نوع من الارقى والادنى في الازمنة
الجيلوجية المتقدمة والمتوسطة والمتاخرة وكان يشاهد ذلك في
الطبقات السفلى والوسطى والعليا من الارض ولكن ذلك لم يكن
فلولا ان الانواع مترقية عن بعضها البعض فاصل الموجودات هي
الدنيا ثم اخذت تترقى حتى بلغت ما هي عليه الان وكان الارقى
يلاشي الادنى بتنازع البقاء لما كان الحال كما اكتشفنا ثم احلتم
ذلك الارتقاء وتحول الانواع لبعضها وملاشاة الادنى بالارقى على
اربعة نواميس الاول ناموس الوراثة اي ان الفرع يرث صفات

الاصل الثاني ناموس التباينات اي ان كل فرع مع ارثه لصفات كانت في اصله لا بد ان يباينه في صفات اخرى الثالث ناموس تنازع البقاء اي ان الانواع تنازع بعضها في التسابق الى اسباب المعيشة ويطرأ عليها كوارث خارجية كالحر والقر ويهلك الضعيف بتغلب القوي او بالكوارث ويبقى القوي المتحمل لها الرابع ناموس الانتخاب الطبيعي اي ان القوي والانسب هو الباقي والضعيف وغير الانسب هو المتلاشي فنتج عن ذلك انتخاب الطبيعة للانواع الحاضرة وتقررون النشو والارتقاء على وجود هذه النواميس هكذا تقولون ان اول موجود من الاجسام الحيوية هو المكون الاول البرتوبلاسم تكون من اجتماع بعض العناصر بسبب حركة اجزاء المادة ثم اخذ ذلك المكون في التوالد فصارت فروعه ترث صفات منه وتباينه في صفات اخرى وهكذا جرت الفروع مع الاصول ويحدث الترقي بسبب ذلك الى ان بلغت رتبة ادني الحيوان والنبات ودام الحال على ذلك فنشأ من ارث الفروع لصفات الاصول ومباينتها لها في صفات اخرى على كرور السنين وكثرة التباينات الموروثة ان صار الحال الى تنوع الانواع واشتقاق بعضها من بعض ونشأ من تنازع البقاء هلاك الضعيف وبقاء القوي ونتيجة ذلك على طول الزمان حصول الانتخاب الطبيعي ومن

ذلك كله وصلت الانواع الى ما هي عليه الآن واصلها واحد ولما
رايتم الانسان يشبه القرد ويقاربه في صورته وبعض اعماله قلتم
لامانع ان يكونا اشتقا من اصل واحد وبتلك النواميس ترقى
الانسان عنه حتى وصل الى ما وصل اليه هذا واني رايت بعض
اخصامكم في مذهبكم هذا قد حاولوا ابطال مستنداتكم بتطويلات
تورث السآمة بلا نتيجة كافية وانتم تروغون منهم وتحشدون الادلة
لاثبات مذهبكم وطالت في ذلك بينكم المناظرة والفت فيها كتب
ورسائل بتطويل من دون طائل ولست متصديا الان لما تصدى
اليه اولئك الاخصام ولكن اريد ان ابين لكم ان ما تعتمدون عليه
في الاستدلال على الارتقاء والنشو امور ظنية لا يعتمد عليها في
الاعتقاد عند اتباع محمد عليه السلام ولا تعارض ظواهر نصوص
شريعتهم فتضطرهم الى تاويلها اذ لايضطرهم الى ذلك الا معارضة
اليقين كما قدمنا

فاقول اعلموا ان الدليل متى طرأ عليه الاحتمال ولو كان احتمالا
بعيدا سقط به الاستدلال اعني الاستدلال على اليقين وهذا
حكم لاينكر عند كل العقلاء ولا اخال انكم تنكرونه اذا تقرر ذلك
فاعلموا أن استدلالكم بالاعضاء الاثرية على النشو بانها تدل على
تغير الانواع فتوافق مذهب النشو ولا توافق مذهب الخلق هو

استدلال لا نتيجة له الا الظن وليس من اليقين في شي لتطروء الاحتمال فيه اذ لقائل ان يقول ما المانع ان تلك الاعضاء الاثرية لها فائدة وفيها حكمة قد خفيت عليكم كما خفي عليكم فوائد اشيا كثيرة توجد في اجسام النباتات والحيوانات كما يظهر من مراجعة كتب الفاثولوجية مثلا هذه المادة الملونة في جسد الحيوان مجهولة الفائدة في اكثر اجزاء الجسد الا في المقلة فالحكمة منها في المقلة امتصاص اشعة النور الزائدة وامثال ذلك كثير فانتم لم تحيطوا علما بفائدة كل كائن حتى تجزموا بان تلك الاعضاء الاثرية لا فائدة لها البتة سلمنا انها لا فائدة لها وانها تدل على تغير النوع الذي هي فيه لكن نقول انها لم توجد الا في بعض الا نواع ولم توجد في كلها بل ولا في غالبها وعلى ذلك فما المانع من ان التغير قد يوجد في بعض الا نواع وهي التي وجدت فيها تلك الاعضاء فيتحول نوع الى نوع آخر باسباب وضعها الله لذلك واما باقي الانواع التي لم توجد فيها تلك الاعضاء فقد خلقت مستقلة ولم يطرأ عليها ذلك التغير فلم يثبت مذهب النشو الذي قلتم بعمومه في كل الانواع مثلا يمكن ان يكون قد حصل تغير في نوع من الحيات التي وجدتم فيها الاعضاء الاثرية فكانت اولا مثل الحرذون ذات ارجل ثم لما استشعر الانسان او غيره من الحيوان باذيتها تسلط عليها بالقتل

فصارت تحذره وتسلك في اوكار الارض وتنسل في التراب وتهمل
استعمال ارجلها لاستغنائها عنها فعلى طول الزمان غير الله خلقها
بذلك السبب العادي واخذت تتلاشى ارجلها بخلق الله تعالى
وينتقل ذلك التغير الى فروعها ويورث ذلك التلاشي حتى
بلغت الى ماهي عليه الآن ولم يبق الا اثار تلك الارجل (هنا مجال
لما ورد في بعض الآثار الاحادية عن ابن عباس وابن وهب
وغيرهما من المفسرين ان الحية كانت من حيوانات الجنة فتوسطت
لابليس بدخولها ليوسوس لآدم عليه السلام فاهبطها الله تعالى
الي الارض ومسخ صورتها وقد كانت حسنة الصورة ذات قوائم
اربع نقله في كنز الاسرار) وهكذا يقال في بقية ما شوهد فيه
الاعضاء الاثرية واما بقية الانواع وهي الاكثر فنقول انها لم يحصل
لها ادنى تغير بل هي كما خلقت فعلى هذا التقرير يكون حكمكم
على جميع الانواع بالتغير وباستنتاج النشو منه حكما مبنيا على
على الظن الذي نتج معكم من الاستقراء الناقص الذي لايفيد اليقين
الاترون انه لو فرض ان اناسا كانوا يسكنون البراري البعيدة
عن البحار والانهار ولم يشاهدوا الاحيوانات البر التي لا تعيش في
الماء وحكموا بما استقروه من تلك الحيوانات بان الحيوان لايعيش
في الماء يكون استقراؤهم ناقصا وحكمهم خطأ واذا وردوا شطوط

البحار والانهار وشاهدوا حيواناتها ظهر لهم خطؤهم في حكمهم السابق
هذا ثم ان مشاهدتكم في اكتشافاتكم الجيلوجيه ان الاسبق في
طبقات الارض هو ادنى النبات وادنى الحيوان ثم بعده الارقى
فالارقى حتى كان ارقى الجميع هو المتاخر في زمن وجوده ومكانه
من طبقات الارض وانه قد تلاشي الادنى فالادنى الى آخر ما
تقدم من تقريركم واستدلالكم بذلك على الترقي والنشو وان ذلك
لايوافق مذهب الخلق فاقول دلالة هذا الحال في الاكتشافات
بعد تسليمه على الترقي والنشو مظنونة ايضا اذ يقال ما المانع من
ان اول ما وجد في طبقات الارض ادنى النبات وادنى الحيوان
ثم اوجد الله تعالى ما هو ارقى منهما مستقلا كل نوع منه ليس ناشئا
عن نوع من انواع ذلك الادنى ثم اباد الادنى لاسباب كونية من
نحو ان الدور الزماني لم يبق مناسبا له وانما يناسب ما وجد بعده
او ان الارقى تغلب عليه او غير ذلك من الاسباب ثم بعد دور
آخر اوجد ما هو ارقى من الثاني مستقلا كل نوع منه ايضا غير
ناشيء عما قبله ثم اباد الثاني لاسباب آخرى كونية كما تقدم ثم بعد
دور آخر اوجد ما هو ارقى من الثالث مستقلا كل نوع منه ايضا
ثم اباد الثالث وهكذا الحال حتى وصل الدور الى انواع النبات
والحيوان الموجودة الآن مستقلة انواعها غير ناشئة عما قبلها وقد اباد

ما قبلها بمثل تلك الاسباب فبقيت احافيرها واثارها في طبقات
الارض واذا كان هذا الاحتمال قائما فاين اليقين في استدلالكم على
الترقي والنشو فيما اظهرته اكتشافاتكم الجيلوجية وبهذا الاحتمال
لاتخالف تلك الاكتشافات مذهب الخلق ونظير وجود نباتات
وحيوانات تلك الادوار الجيلوجية مستقلة غير ناشئة عن بعضها بل
كان وجود كل رتبة منها لمناسبة دورها الزماني ما نشاهده كل
عام في توالد كثير من النباتات والحيوانات عند انقضاء فصل
الشتاء وقدوم الربيع والصيف فان اول ماينبت عند ذلك
النبات الدني مثل الطحالب والاعشاب ثم يتدرج الامر الى الارقى
فالارقى من النبات كلما تزايد الحر وهلم جرا واول مايتولد او تنفرج
عنه بيوضه الحيوان الدني مثل البكتوريا والحيوانات المتولدة في
العفونة والبراغيث والذباب ثم يتدرج الامر كذلك الى الارقى
فالارقى حتى يصل الدور الى بروز النباتات والحيوانات العلياء
وليس شي من تلك الانواع ناشئا عن نوع اخر ومتحولا عنه ونرى
الانواع التي تنشأ اولا في اول تلك المدة كلما تقدم زمن الحر
يهلك كثير منها لاسباب كونية من نحو تاثير الحر بها او سطوة
الانواع التي توجد بعدها ارقى منها ونحو ذلك وعند انتهاء مدة
الصيف لايبقى غالبا الا الانواع العليا التي هي منتخبات جميع ما

تولد في تلك المدة والتي هلكت تبقى لها بقايا في الارض كبقايا
الاحافير فهذا الحال السنوي يكون حا كيا وممثلا للحالة الجيلوجية
التي اطلعتكم عليها اكتشافاتكم من ان اول ما وجد الادنى ثم الارقى
فالارقى حتي وصل الحال الى الانواع الحاضرة وهلك ما قبلهافقد
سقط استدلالكم با كتشافاتكم على النشو كما هو ظاهر للمنصف ثم
النواميس الاربعة التي احلتم الارتقاء والنشو عليها ليست هي
ادلة نقوم عليها بل هي لكم بمنزلة واسطة توجيه كيفية جريان
الترقي والنشو في عالم النبات والحيوان فانا لا اسلك معكم مسلك
اخصامكم الذين اخذوا في محاولة ابطال تلك النواميس واخذتم في
محاولة اثباتها ولكني ابين لكم منزلتها من الثبوت ومقدار ما ينتج
عنها متى ثبتت فاقول اما ارث الفروع لصفات الاصول فهذا امر
مشاهد لاينكره اتباع محمد عليه السلام و يقولون انه جائز الحصول
بخلق الله تعالى سواء كان لاسباب عادية ام لا وكذلك تنازع
البقاء لامانع من حصوله وانه ينتج عنه ان بعض الانواع تبقى
و بعضها تهلك والمرجع في ذلك الى الله تعالى ونحن الي الان لم
نزل نشاهد هذا الناموس بين الخلق حتى في اصناف البشر ولكن
هذان الناموسان يصح ان يحصلا مع النشو او مع الخلق فاي مانع
من كون الانواع وجدت مستقلة ومع ذلك ترث الفروع صفات

الاصول وتتنازع الانواع البقاء فيبقى القوي ويهلك الضعيف مع ان كل نوع منها مستقل ليس ناشئا عن سواه من الانواع واما ناموس التباينات وهو ان كل فرع مع ارثه صفات اصله لابد ان يباينه في صفات اخرى فهذا الناموس قد نازعكم فيه اخصامكم بان التباينات التي تحدث في الفروع هي عرضية ليست جوهرية حتى توجب تغير النوع وانتقاله الى نوع آخر وانتم قلتم انها على مرور الملايين من الزمان وتكرر تلك التباينات وتتابعها تصير جوهرية وتوجب تغير النوع وتحوله الى نوع آخر وخضتم معهم بهذا المبحث وبنيتم المباني الشاهقة تطويل بدون طائل واقول ان ناموس التباينات اي ان الفرع يباين اصله في صفات ليست فيه هو مشاهد في النبات والحيوان واقول ان الله تعالى قد جعله في المخلوقات لاجل التمايز اذ لو كانت افراد الانواع على صورة واحدة في كل نوع لحصل من ذلك اشتباه بينها ونشا عنه اختلال في نظام العالم لاتدري نهايته فكان الرجل لايعلم ابنه ولا زوجته ولا هما يعلمانه ولا يعلم فرسه وفي ذلك من فساد المعاملات وضياع الحقوق ما لا يخفى وليس هذا الناموس خاصا في النبات والحيوان ولا في الفروع مع الاصول بل هو عام في كل الموجودات فلاترى شيئا يشابه شيئا آخر تمام المشابهة سواء كان فرعه ام لا حتى في صنائع

البشر فلا ترى كتابا يشابه كتابا آخر تمام المشابهة ولو حصل كامل التحري من صانعهما في اكمال المشابهة باختيار اوراقهما وطبعهما بمطبعة واحدة ولا ترى قدحا يشبه قدحا ولا حبة خردق تشابه حبة آخرى تمام المشابهة ولو تحرى الصانع كامل الاسباب المفضية الى تمام المشابهة بل لا بد من تباين هناك ولو كان خفيا جدا يظهر عند تدقيق النظر وما ذلك الا لطف من الله تعالى لاجل التمايز كما قلنا فالتباين في الموجودات هو ناموس وهبي من الخالق سبحانه وليس بطبيعي كما تقولون والا فان نظر فيه طبيعيا بين الفروع والاصول فقد كان من حق الفرع ان ياتي طبق اصله ويرث جميع صفاته ولا يباينه في شيء الا عند عروض سبب موجب ولكن مهما اتفق من توحد الاسباب للمشابهة لا تتم بين شيئين اصلا لا بين الفرع واصله ولا بين الفرعين المتحدين فى جميع اسباب التكون كمثل التوأمين اللذين يولدان في كيس واحد ومشيمة واحدة ثم يتحرى في تربيتهما توحيد الاسباب التكوينية على غاية الدقة فلا بد من التباين بينهما والتماس اسباب وهمية للتباين حينئذٍ كما نسمعه عن بعضكم ما هو الا تعسف بارد وخارج عن دائرة الانصاف اذا علمتم ذلك فنقول ما المانع من ان تباين الفروع للاصول الذي اعتمدتم عليه في تغير النوع وتحوله الى غيره على طول الزمان يكون

محدوداً بمقدار لايخرج النوع الى نوع آخر وبذلك المقدار تتم
فائدة التمايز بين الافراد فيمكن ان الله تعالى قد جعل فروع الفرد
الاول من النوع تباينه في صفات وفروع الفروع تباين اصولها ايضا
وهكذا الى حد محدود من سلسلة النسب يجري في ملايين من
الافراد والصور الى درجة لايخرج بها النوع الى نوع اخر ثم يكر
سبحانه على الفروع فيعطيها صور اجدادها السابقة وهكذا حتى
يتم الدور الثاني لاستيفاء الفروع صور الجدود ثم يعيد ذلك العمل
في الفروع التي تجيء بعد ذلك وهكذا حتى ينقضي هذا النوع
او ينقضي هذا العالم وربما يتبرهن هذا الحال للاجيال الآتية بعدنا
اذ وصلت لايديهم صور من الصور الشمسية لاهل هذا الزمان ثم
قابلوا بينها وبين فروعها التي تكون في ايامهم فيظهر لهم تكرار صور
الاجداد الظاهرة للنظر في فروعهم ثم نقول اذا تصورنا ما يحدث
من تكاثر الصور والاشكال بسبب ادنى تغير بين الفروع واصولها
نجد ان الصور تتكاثر كثيرا في تلك الكيفية التي قررناها ولا تخرج
النوع ولا تحيله الى نوع آخر لانها محدودة كما فرضنا انظروا للنوع
الانساني وما يوجد منه على وجه الارض من الملايين وما بين
افراده من التباين الواسع كما بين الزنجي والرومي هل اخرج ذلك
التباين صنفا منه عن النوع وادخله في نوع آخر كلا ولا تستغربوا

رجعة الفروع الى صور الاجداد القديمة فـانكم قد قلتم بمثل هذا الناموس وهو ناموس (الا تافيسم) اي الرجوع الى الجد ويسميه بعضكم بالدور الوراثي او الرجعة فقلتم ان الصفات قد تكمن في اجيال ثم تظهر في الاولاد بعد ذلك كمثل ما اذا تزوج زنجي برومية فقد تاتي اولادها بيضا مثلها ثم بعد اجيال ربما يظهر في بعض نسلها بعض اولادلهم ما كان في جدهم الزنجي من الصفات والتكوين وكذلك يجري هذا الناموس في العوائد والاخلاق والامراض والمخص ان ما فرضناه من تحدد التباينات بين الفروع والاصول وتكرارها هو امر جائز الوقوع لاترفضه العقول وقد ورد في الشريعة المحمدية مايشير الى رجوع صور الاجداد في الفروع اذ قد نقل عن صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى في القرآن في خطاب الانسان (في اي صورة ما شاء ربك) ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم وصورها في اي شبيه شاء (كذا في تفسير روح البيان) فما دام الاحتمال قائما في ناموس التباينات في ان يكون محدوداً في كل نوع الى درجة لاتخرج النوع الى نوع اخر وتعاد تباينات الاصول في الفروع وهلم جرا فبلوغه الى درجة يصير بها التغير جوهريا حتى يحيل النوع الى نوع اخر هو امرٌ مظنون فلا يعتمد عليه فقد سقطت

ابهتكم في تقرير هذا الناموس واحالة تغير الانواع به على الملايين
من السنين والملخص ان هذا الناموس وهو التباين غير المحدود
على زعمكم وان كان جائزا عقلا والتغير به جائز ايضا وكل داخل
تحت تصرف القدرة الالهية ولكن وقوع ذلك الناموس مظنون
غير يقيني فحصول نتيجته وهو تغير الانواع الى بعضها يكون مظنونا
فاتباع محمد عليه السلام لايعبؤن بهذا الناموس ولا يعتبرونه
منتجا للنشو فلا يضطرون الى تاويل ظواهر نصوص شريعتهم الدالة
على الخلق ووجود الانواع مستقلة بل يدومون على اعتقادهم بانها
وجدت بالخلق الا اذا فرض قيام دليل يقيني قاطع يدل على
خلافه (وهيهات هيهات) فحينئذٍ يجرون على القاعدة المتقدمة في
التاويل للتوفيق بين الدليل العقلي والنقلي واما ناموس الانتخاب
الطبيعي فهو عندكم بمنزلة نتيجة للنواميس الثلاثة المتقدمة فنتاجه
عنها يكون مظنونا وبعد تسليم حصوله يقال يمكن ان يكون هذا
مع وجود الانواع بطريق الخلق بان يكون قد وجد اولا الادنى
منها ثم وجد الارقى مستقلا غير ناشي عن الادنى فتنازع البقاء
مع الادنى واباده ثم وجد ارقى من الثاني مستقلا ونازعه واباده
وهلم جرا الى ان وصل الحال الى الانواع الموجودة الآن بدون ان
يكون نوع ناشئاً عن نوع فقد ظهر ان وجود الاحسن والانسب

الآن ليس لازما خاصا للنشو بل يمكن ان يكون مع الخلق واستقلال الانواع فحصوله لايدل على النشو والملخص انه يمكن تقرير هذه النواميس الاربعة مع القول بالخلق واستقلال الانواع بان يقال يمكن ان الله تعالى خلق اولا الانواع الدنيا ثم خلق انواعا ارقى منها مستقلة ليست ناشئة عنها ثم اباد الاولى باسباب كونية وتنازع البقاء مع الثانية ثم وثم حتى بلغ الحال الى هذه الانواع الموجودة الآن وهي احسن وانسب من جميع ما مر من الانواع فهذه الحال تضمنت ناموس التنازع و بقاء الاحسن والانسب ومع ذلك ايضا قد اجرى سبحانه ارث الفروع لصفات الاصول ومباينة الفروع للاصول في صفات اخرى ولكن ذلك التباين الى حد محدود بحيث لايحول النوع الى نوع اخر وحكمته التمايز كما قلنا وهذه الحال قد تضمنت الناموسين الباقيين وهما الارث والتباين المشاهدان مع ان الانواع قد وجدت بالخلق والاستقلال عن بعضها واكتشافاتكم الجيلوجية لا تنافي شيئا من هذا التوجيه فهل عندكم دليل على امتناعه كلا ثم كلا وبعد جميع ما تقدم لايكون النشو راجحا على الخلق في نظر العقل بل هما على حد سواء فكل منهما محتمل جائز داخل تحت تصرف القدرة الآلهية وبهذا تبين ان النشو ليس مظنونا ايضا في نظر العقل بل هو مشكوك ولكن

اتباع محمد عليه السلام يرجحون عليه القول بالخلق واستقلال
الانواع ويجزمون به لظواهر نصوص شريعتهم وانتم لاداعي لكم الى
ترجيح النشو والجزم به بعد ما اظهرت لكم منزلته من الثبوت هذا
وبعد ما تقدم اذا لم يثبت النشو فلا يبني عليه اشتقاق الانسان
والقرد من اصل واحد كما تزعمون وقولكم انه بمقتضى مشابهته للقرد
لايمتنع ان يكون قد اشتق هو واياه من اصل واحد شبهة في غاية
السقوط لان المشابهة الصورية لاتوجب هذا الامر ولا تقتضيه كما
هو ظاهر وان قلتم نعم هي لاتوجبه ولكن لااقل من انها تحدث
الظن به قلت ان اتباع محمد عليه السلام لايعتمدون الظن في
باب الاعتقاد ولا يعتبرونه معارضا لظواهر نصوص شريعتهم على
ان تلك المشابهة يعارضها امر يدفع ما احدثته من الظن وهو اننا نرى
الانسان في اول ولادته في غايه من الضعف عقلا وجسدا لايقدر
على مشي ولا جلوس بنفسه ولا ادنى حركة جسدية تكون منتظمة
وهو في غاية البلادة والبله لايدري ماهو محيط به ولايعرف الارض
من السماء ولا النار من الماء فلا يتجنب مؤذيا ولا يختار نافعا حتى
لايدري كيف ياخذ ثدي امه فتعالجه الايام حتى يهتدي اليه ثم
بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه قد اخذ يترقى في
القوة والادراك حتى يبلغ درجة فيها لم تكن منتظرة منه فيما

لو قيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها اقوى منه حالا جسدا وادراكا وهذه الحالة فيه من اعجب اعمال الخالق سبحانه وتعالى ودليل ساطع على عظمة قدرته في ترقية اضعف حيوان وابلده الى درجة لم يلحقه فيها لاحق فيغدو قويا جبارا يقتلع الصخور ويشيد المباني الهائلة بعد ان كان في غاية الضعف والعجز ويصبح عالما مدققا وفيلسوفا محققا بعد ما كان مغموسا في تلك البلادة الصماء ويتسلط بقوته وادراكه ويقهر حيوانات البحار ووحوش القفار ومحلقات الاطيار ويضبط نظامات الشموس والاقمار وهو اما مقر بخالقه الواحد القهار واما منكر له اشد الانكار واما القرد فهو مثل غالب الحيوانات يولد على نوع من القوة تؤهله للحركة الكافية حينئذٍ في مساعدة امه البهيمة على تربيته وعنده من الادراك مقدار ليس عند طفل الانسان منه اثر فيهتدي الى غذائه المعد له فيلتقم ثدي امه بدون تلك المعالجة التي تعالجها ام الانسان ويجتنب المؤذي ويختار النافع وفي اقرب مدة لا يتاهل فيها طفل الانسان للجلوس على اليتيه يقوى هو على السعي في جلب رزقه ويتم ادراكه لاعمال حياته بمقدار يجعله بمنزلة الكبير من بني نوعه وهو لم يزل (قشة) اي جروا صغيرا فشتان ما بينه وبين الانسان فلو كان الانسان مشتقا هو والقرد من اصل واحد ومترقياً عنه لكان من

حقه ان لايكون في تلك الحالة التي ذكرناها فيه فلا يكون عند ولادته دون القرد الذي ترقى هو عنه اذيقال ما السبب في ذلك الانحطاط في القوة والادراك في طفل الانسان مع ان شريكه في الاشتقاق من اصل واحد الذي ترقى هو عنه نراه اكمل منه فيهما ولو قيل انه ترقى عن شريكه في حسن الصورة وانحط عنه في القوة والادراك لاسباب اوجبت ذلك قلنا فما الذي اكملهما له عند الكبر ورقاه فيهما على القرد بكثير فالحق ان هذا مما يوهن كل الوهن قولكم باشتقاق الانسان والقرد من اصل واحد اذا لم نقل انه يبطله فاذا تاملتم ايها الماديون بعين الانصاف ظهر لكم ان المشابهة الصورية بين الانسان والقرد لا تقاوم هذا الفرق العظيم الذي شرحناه لكم بينهما هدانا الله تعالى واياكم لما فيه الصواب فهذا ما اردت الان ايراده عليكم وهو كاف في بيان ان دلائلكم ومعتمداتكم في النشوظنية لا تعارض نصوص الشريعة المحمدية وقد رايت اخصامكم قد خاضوا معكم في ابحاث لاحاجة لنا فيها فانكروا عليكم تغير الانواع وقمتم تبرهنونه حتى بتغيرها الصناعي وانكروا وجود الحلقات بين نوع ونوع آخر تزعمون انه نشأ عنه فقلتم ان الحلقات قد وجدت في البعض ومنيتم انفسكم بانها سوف توجد بالاكتشافات الجيلوجية في الباقي وكل ذلك خبر يحتمل الصدق والكذب فمن

منارافق الجيلوجيين في اكتشافاتهم وشاهد تلك الحلقات فسبحان
العليم بحقيقة الامر على انه لو ثبت فلا يزال الاحتمال حاصلا في
انها انواع مستقلة كما قدمنا فبقيت ادلتكم مظنونة فبالاختصار
لاداعي لنا الى الخوض معكم فيما خاضت فيه اخصامكم ويكفينا ما
قررناه لاعتماد ظواهر النصوص الشرعية ولو اردنا الخوض معكم
في ذلك لاريناكم قيمة تلك الادلة التي اعتمدتموها واظهرنا لكم ان
اساسها الوهم واركانها الفروض وان وفق الله تعالى كتبت في
ذلك الموضوع ما يشفي الغليل

هذا ثم قولكم ان الحياة وعقل الانسان ماهما الاظاهر من ظواهر تفاعل
اجزاء المادة المتحركة وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة خاليا عن
الحياة والادراك وان عقل الانسان لايخالف عقول بقية الحيوانات
الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة فجميع ذلك يمكن انطباقه على ما
في الشريعة الاسلامية اما الحياة فقدعرفها اتباع محمد عليه السلام
بانها صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة
مصححة لاتصاف الذات بهما (كذا في روح البيان ومثله في
الرازي) فهم اذا عرض عليهم كلامكم هذا في الحياة من انها ظاهر
من ظواهر تفاعل اجزاء المادة الى اخره يقولون ان الحياة عندنا
صفة عرضية لا مادة فهذا الظاهر الذي تقولون بانه الحياة

صفة عرضية فلامانع من ان تكون الحياة هي هذا الظاهر ولكن اتباع محمد عليه السلام يقولون حدوثها في الحيوان بخلق الله تعالى لا كما تقولون بانها حدثت بحركة اجزاء المادة التي تزعمونها بلا دليل كما تقدم وان كان من الجائز ان تكون تلك الحركة موجودة ايضا بمحض خلق الله تعالى وتسبب عنها ذلك الظاهر الذي هو الحياة كعادته تعالى في انتاج المسببات عن الاسباب

واما العقل فقد اختلف فيه اتباع محمد عليه السلام فبعضهم اختار الوقف عن شرح حقيقته لانه قال هو من المغيبات التي لم يشرحها لنا الشرع فالاولى والادب الكف عن الخوض فيه وعلى هذا فمهما قلتم في تفسيره مما لاينافي شيئا من نصوص الشريعة المحمدية فاتباع محمد عليه السلام يقولون لكم ان تفسيركم محتمل الصحة لامانع ان يكون هو الصواب فقولكم انه ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة يمكن ان يكون صوابا ولكن ذلك الظاهر حدث بخلق الله تعالى لا كما تقولون من انه حدث بمحض تلك الحركة وبعضهم خاض في تفسير العقل واقوال جلهم متطابقة على كونه عرضا وجلها انه من قبيل العلوم اي ملكة تدرك بها العلوم النظرية وقول بعضهم انه نور وكذا ورد في بعض الاثار الاحادية (كما في ادب الدين للماوردي) يريد انه نور معنوي فلا يخالف انه من جنس العلوم

ومنهم من قال انه جوهر وقد رُدَّ هذا القول (كذا يوخذ من عبد السلام وحاشية الاميرعليه) هذا كله في العقل الغريزي اما العقل المكتسب الذي هو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة (كذا في ادب الدين للماوردي) فعلى هذا فمن الواضح انه لا منافاة بين قول جل من خاضوا في تفسير العقل الغريزي وبين قولكم اذ ان القولين متفقان على انه عرض فاذا قيل لاتباع محمد عليه السلام عند جريهم على هذا القول ان ذلك العرض هو ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة فلا مانع يمنعهم ان يقولوا يمكن ان يكون هو هو وذلك الظاهر هو الذي يحصل به الادراك للعلوم لكن وجوده ووجود الادراك به بمحض خلق الله تعالى فلا ينافي ذلك عقائدنا وانتم حينئذٍ ما بينكم وبينهم الا ان تقولون ان ذلك الظاهر حدث بخلق الله تعالى واما قولكم ان عقل الانسان لا يخالف عقول الحيوانات الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة فهو ايضا لايصادم شيئا من نصوص الشريعة المحمدية المعتمدة في الاعتقاد اذ غاية ما تفيده تلك النصوص ان الانسان قد خص بالعقل عن سائر الحيوانات وبه كلف بالشرائع دونها واما كونه مغايرا لادراكها في الذات والحقيقة ام لا فلم يرد في تلك النصوص ما هو تصريح بشي منها فاتباع محمد عليه السلام اذا سئلوا عن

هذا يقولون لا مانع ان يكون ادراك الحيوانات الذي اعطيته لتدبير معيشتها وعقل الانسان هما من مقولة واحدة هي عرض من الاعراض يحصل بخلق الله تعالى ولكنه قد زاد حتى بلغ في الانسان درجة تؤهله لاستنباط العلوم والتمييز بين الاخلاق الحميدة وغيرها والاستحصال على بقية ما يتميز به الانسان عن الحيوان وهذه الدرجة هي التي تجعله اهلا للتكليف الشرعي وسميت عقلا لانها تعقله عن ارتكاب خلاف الصواب فالقول بان العقل الانساني لا يخالف ادراك الحيوانات الا بالكم لا ينافي الدين الاسلامي وهو قابل للانطباق عليه وعلى هذا فجميع ما يرد في الشريعة من تعظيمات عقل الانسان من نحو انه نور ومدار التكليف وغير ذلك فانما هي تعظيمات لتلك الدرجة السامية من الادراك لا لشيء مغاير لادراك الحيوانات في اصل الحقيقة والله اعلم

واما انكاركم لبقية المسائل التي وجدتموها في الشريعة المحمدية لادليل عليها في علومكم او انها مرفوضة فيها فقد ورد لنا معكم من المباحث ما قد انجز الكلام في بعضها وانا انبه على ذلك فيما سياتي والباقي منها سأبين لكم تحقيق الكلام فيه بعون الله تعالى واريكم انه لا يوجد منه ما ترفضه العقول بل كل منطبق على قواعد العقل

السليم فاستمعوا ما اقول اما ان مادة العالم حدثت بعد ان كانت معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع الكائنات على هذا النظام هو الآله وانه قادر على ملاشاتها واعدامها من الوجود كما اوجدها بعد العدم وان الله تعالى خالق الانسان نوعا مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق انثاه واسكنهما في دار تسمى الجنة ثم اهبطهما الى الارض لمخالفتهما ما نهاهما عنه وان جميع ما يحدث في هذا العالم فهو بقضاء الله تعالى وتقديره اي انه يعلمه ويريده ويبرزه الى الوجود بقدرته وان جميع ما يقضيه فهو بخلقه يوجد ويكون لاخالق سواه وانه وان يكن قد ربط المسببات بالاسباب وجعل الاولى تنشا عن الثانية فهو الخالق للثنتين يخلق السبب ويعقبه بخلق المسبب وجميع الاشياء انما يوجد تاثيرها المشاهد لنا بخلقه وايجاده ولا شي يؤثر بطبعه او بقوة اودعت فيه وانه سبحانه موجود قديم دائم يستحيل عليه العدم واحد احد في ذاته وصفاته غني عن كل ماسواه مفتقر اليه جميع ما عداه لايشبه شيئا من جميع الموجودات ولا يشبهه شي منها مريد اتم الارادة عالم اكمل العلم يعلم ما كان يكون وما هو كائن لايعزب عن علمه شي قادر على كل شي من الجائز العقلي مهما كان عظيما جسيما حي متصف بصفات الكمال التي تليق به منزه عن صفات النقصان فهذه المسائل قد تقدم

في المباحث التي بسطتها لكم ما فيه الكفاية في الكلام عليها لان منها ما اقمت لكم برهانا على تحققه وثبوته وذلك كحدوث المادة ووجود الاله سبحانه واتصافه بصفاته ومنها ما وفقت بينه وبين ما يعارضه من علومكم وذكرت لذلك توجيها موافقا او هديتكم الى الطريق الذي بسلوكه لاتصادمون الدين الاسلامي مصادمة توجب رفض اعتقاده والذي لم اصرح به من ذلك فقد يوخذ من المباحث المتقدمة بادنى تامل ويوجد بسط الكلام عليه في كثير من الكتب الاسلامية فليرجع اليه من يريد

واما ان الله تعالى خلق سبع سموات فوقنا وخلق جسما كبيرا يسمى كرسيا فوق تلك السموات وجسما اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة وانه خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلما لاثبات ما يكون وتسطيره لا عن حاجة الى ذلك وانه يجري نعيم الانسان في دار خلقها تسمى الجنة وعذابه في دار تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب عالم الارض والسموات وبعثهم بعد الموت فاقول انتم واتباع محمد عليه السلام تقولون بالخلاء الممتد وهو البعد الشاسع الذي تتيه الافكار في سعته ثم انتم تقولون ان الشمس والكواكب قائمة في الفراغ الشاسع بناموس الجاذبية وفي اقوال بعض اتباع محمد عليه السلام ما

يوافق قولكم هذا في ان الشمس والكواكب ليست مركوزة في السماء بل هي قائمة في الفراغ وفلكها هو مدارها فيه كما تقدم فما المانع من ان يكون وراء تلك الكواكب في ذلك البعد الشاسع قد خلق الله تعالى تلك الاجسام المذكورة وهي السموات السبع (وكونها غير مرئية يجري على قول بعض اتباع محمد كما تقدم وهو ابو بكر ابن العربي) والعرش والكرسي واللوح القلم والجنة وجهنم واقامها هناك بقدرته سبحانه سواء اقامها بناموس من النواميس التي يضعها في نظام مخلوقاته ام بغير ناموس اذ هو قادر على ذلك حسب اعتقاد اتباع محمد عليه السلام من ان النواميس اسباب عادية كما اقام الشمس والكواكب في الفراغ التي هي فيه ثم الجميع بعيد عنا بمسافات شاسعة كما بينها مسافات كذلك وما ادركناه من عظمة ذلك الآله وعظمة قدرته في مصنوعاته التي نشاهدها لا يبعد عنده شيء من ذلك عليه فكل ذلك جائز ممكن لا يحيله العقل وقدرة الآله صالحة لتعلقها بايجاده وعدم وصولكم الى ادراكه بحواسكم او بوسائط اخرى لا يقتضي عدمه ومن تقرير هذا المقام يظهر انه لا مانع ايضا من وجود سبع ارضين كما ورد في بعض نصوص الشريعة المحمدية وتكون الارضون الستة قائمة في الفراغ الذي فيه ارضنا وسائر الكواكب ولا مانع من اشتمالها على عوالم كما تظنون انتم في اشتمال

الكواكب على ذلك وان قلتم اننا لم نرها بالنظارات المكبرة قلت يحتمل انها ليست منيرة تصلح للرؤية بها ويحتمل انكم رايتموها وحسبتموها في عدد الكواكب القائمة في الفراغ وان قلتم سلمنا ان جميع ذلك جائز الحصول ولكن ما الدليل على ان ذلك حاصل بالفعل وما الذي حمل اتباع محمد عليه السلام على القول به قلت الذي حملهم على ذلك وهو دليلهم عليه نصوص شريعتهم الصريحة في وجود تلك الاجسام وهي نصوص واردة ورودا قطعيا عن رسولهم عليه السلام وهو الصادق في جميع ما يخبر به لانه معصوم عن الكذب لثبوت رسالته من عند الله تعالى بالبراهين القاطعة التي قامت عند اتباعه وان قلتم ولمَ خلق الله تعالى هذه الاجسام قلت كما خلق الكواكب والارض وبقية العوالم التي تشاهدونها فهو اعلم بحكمة خلق الجميع وهو فاعل مختار لايسئل عما يفعل وقد قدمت لكم فيما سبق البرهان على قصور العقول عن الاحاطة بادراك جميع اسرار اعماله سبحانه فارجعوا اليه وقد ذكر اتباع محمد عليه السلام حكما واسرارا لخلق تلك الاجسام يطول بنا الشرح اذا بسطناها فارجعوا الي كتبهم اذا شئتم

واما ان ذلك الاله خلق اجساما نورانية تسمى الملائكة قادرة على التشكل وانها تقطع المسافات التي بين السموات والارض في مدة

قصيرة جدا وانها تمر امامنا ولا نراها وانها تفعل افعالا تعجز عنها القوى البشرية وان السموات مملوءة بها كما انه اوجد اجساما اخرى تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصهم من نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على افعال عظيمة ولكنها تخالفهم في انها ليست نورانية مثلهم الى اخر ما مر وتسمى هذه الاجسام جنا فاقول ما المانع ان الله تعالى خلق اجساما بتلك الخواص تسمى ملائكة واجساما اخرى نظيرها فيما تقدم تسمى جنا ويمكن ان تكون مادتها كمادة الاثير الذي تقولون بانه مالئ الكون ولم تروه او كمادة الهواء كونها الله تعالى وجمع اجزاءها بكيفية تجعلها صالحة لتلك الخواص التي ذكرت لها كما كون الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شيء مما ذكر فيحتمل ان عدم رؤيتنا اياها لشفافتها ولطافتها كالهواء والاثير على ان الامر ظاهر جدا على اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بان الرؤية بمحض خلق الله تعالى كما مر تقريره لكم واقتدارها على التشكل مع انه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه بان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء او الاثير او نظير ذلك وتكثيفها

وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس احدنا ثوبه فيظهرون للابصار بتلك الصورة وفي الاعمال الكيماوية التي اقدر الله البشر عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفا وبالعكس مايقرب فهم ما قررناه الى العقول وحيث ان تشكل تلك الاجسام كيف ما كان مسند الى عظمة قدرة الله تعالى الذي تدهش اعماله الافكار فيما اعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فيه اصلا

واما انها تعمل اعمالا تعجز عنها القوى البشرية مع انها اجسام لطيفة فبعد النظر الى اعمال الرياح التي تقلع الاشجار العظيمة واعمال قوة الكهربائية التي تجر الاثقال التي تعجز عنها الوف الرجال فلا غرابة في اعمال الملائكة والجن لاسيما ان الذي يقدرهم على ذلك هو الله تعالى الذي لايعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى ان بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هي قوة ذراعه الاعمل اعصابه التي تنتهي اخيرا الى مخه اللطيف النحيف الذي هو مبدا الحركة كما تقولون وهو لايحتمل ادنى مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد في الصلب الكثيف سبحانه

من قادر قاهر

واما كون الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجسام السماوية بمدة قصيرة جدا فاقول لا مانع منه عقلا لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد محدود وهذا النور تزعمون انه يصل الينا من الشمس التي بيننا و بينها ما ينوف عن تسعين مليون ميل في مقدار ثمان دقائق وكسور وان قلتم ان النور عندنا حركة وعرض قلت في علومكم الطبيعية ان الجسم الساقط الى الارض في اول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما وكسورا واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته في تلك الثانية اربع مائة وخمسين قدما وكسورا ثم ان الجسم يسقط في اي عدد كان من الثواني ما يساوي مقدار ما يسقط في اول ثانية مضروبا في مربع ذلك العدد من الثواني فبالتامل في هذا الناموس يعلم ما تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التي يحتار فيها الفكر وهذا نجم المشتري على ما في علوم الهيئة عندكم يجري ثلاثين الف ميل في الساعة اي اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجري تسعة اميال كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه على محوره اربعماية وسبعة وستون ميلا كل دقيقة وهو اكبر من ارضنا بالف وار بعماية مرة على ما يقول الفلكيون منكم ومن غيركم فالاله الذي

جعل هذا الجسم الكثيف العظيم يقطع تلك المسافة الشاسعة في
تلك المدة الجزئية لايبعد على قدرته ان يجعل الملك يقطع تلك
المسافات في مدة قليلة جداوان كانت هذه المسافات اكثر بكثير
من المسافة التي يقطعها المشتري ولكن النظر الصحيح في سير
ذلك الكوكب يقنع العقل بان قدرة ذلك الآله الذي سيره ذلك
السير صالحة لاعظم ما يكون من جنس هذا العمل لاسيما وناموس
الاجسام الساقطة قد بين عظمة سرعة حركة الاجسام وان قلتم
ان سير المشتري بواسطة الجاذبية على ما هو مفصل في علومنا
وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلت وما هي تلك الجاذبية التي
تطنطنون بها وتنسبون اليها اعمالا عظيمة في الكائنات وانتم
لا تعلمون حقيقتها وما الموجب لقيامها في الاجسام ولا تقدرون
على الافصاح عن ذلك غاية ما يكون انكم قلتم بها لتعليل الحوادث
التي حيرت عقولكم من نحو النظام الشمسي وغيره وعلى تسليم
ثبوتها فمن الذي اوجدها وجعلها خاصة الاجسام وانشا عنها تلك
الاعمال العظيمة في الكائنات أغير الآله الذي ابدع الخلق من
العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الآله قادرا
على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث تلك الاعمال عنها فلا يعجز ان
يجعل الملك يقطع تلك المسافات في مدة وجيزة اما بناموس وضعه فيه

واما بغير ناموس فالكل جائز عقلا وقدرته العظيمة صالحة لاي كان
واما كون السماء مملوءة بالملائكة فلا استغراب في ذلك فهم خلق
من جملة مخلوقات الله تعالى اسكنهم تلك السموات كما اسكن
عوالم الارض في الارض وكما اسكن الملايين من الحيوانات
المكرسكوبية في نقطة من الماء لاحرج على قدرته في اعظم عظيم
وادق دقيق وعلى زعمكم كثير من الفلكيين منكم ومن غيركم انه
يوجد في الكواكب عوالم ذات اعمال كالانسان يستدلون عليها بما
يتخيلونه بنظاراتهم المكبرة من اثار اعمالها في تلك الكواكب كفتح
الطرق وحفر الترع وامثال ذلك امور تشخص لنا المثل الجاري
ان رجلا وقف على المقابر وقال (كل هولاء الاموات كانوا عبيد
ابي فقال له آخر ما فيهم من يكذبك) فما استغرابكم من وجود
الملائكة في السموات وملئهم لها بعد هذا البيان وان قلتم ايضا ما
دليل اتباع محمد عليه السلام على جميع ما تقدم من ثبوت
الملائكة والجن وثبوت تلك الخواص فيهم وملئ الملائكة
للسماوات قلت ايضا دليلهم على جميع ذلك النصوص التي نطق
بها الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدق لثبوت
رسالته بالبراهين القاطعة القائمة لديهم وهو الذي حملهم على
الاعتقاد بذلك وهو جائز عقلا لايستلزم محالا فامنوا به من

دون تاويل

واما ان للانسان نفسا تسمى روحا وهي غير جسده وان لها تعلقا بجسده ينشا عنه حياته وعندما تنفصل عنه يحله الموت وان تلك الروح باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتتالم وان الانسان بعد حلول الموت فيه وفنائه يعيده الآله سبحانه ويعيد تعلق الروح به ويثيبه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض او يعذبه على اعماله الشرية هناك وان الذي يقوم فيه اللذة والالم عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة فيه هو مجموع الروح والجسد وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل الانسان وعندها من الادراك ما يكفي لتعيشها وليس عندها من الادراك والعقل مثل ما عند الانسان فلذلك كلف بعبادة الآله سبحانه دونها فاقول اذا ابيتم التصديق بما ذكر حيث لم توصلكم علومكم الا الى هذا الهيكل الانساني ولا تعلمون وراءه شيئا من نحو الروح وكذلك في بقية الحيوانات فاعلموا ان اتباع محمد عليه السلام قد اتفقوا على ان لكل انسان روحا لها تعلق بجسده ولكن اختلفوا في البحث عن حقيقتها فبعضهم ترك الخوض فيه حيث لم يرد عن الشارع دليل على ذلك وعلى طريقة هولاء يكفي في تصديق النصوص الشرعية التي وردت في وجود الروح ان يعتقدان لكل

انسان روحا وهو شيء موجود الله اعلم بحقيقته وليس في القول بوجوده ما يخالف العقل وعدم الاحساس به لايقتضي عدمه اذ ربما لم نحس به للطافته كالاثير الذي تقولون به ولم تحسوا به او لدقته جدا كالحيوانات المكروسكوبية او لغير ذلك و بعضهم خاض في البحث عن حقيقتها قال بعض محققيهم (هو الشيخ النووي كما في الامير على الجوهرة) واصح ما قيل فيها ما قاله بعضهم (هو امام الحرمين) انها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر ثم قال بعضهم انه لايعلم مقرها من الجسد وقال بعضهم ان مقرها البطن وقيل بقرب القلب وقيل به ثم اختلفوا في نفس حقيقة الانسان فقال بعضهم (هم جمهور المتكلمين كما في الرازي وغيره) ان الانسان هو الجسد ولكن له روح كما تقدم تتعلق به وبتعلقها تحصل حياته بخلق الله تعالى وقال بعضهم ان الانسان هو مجموع الروح والجسد وقال بعضهم وهم القليل ان الانسان هو الروح فقط والجسد انما هو قالب لها ولكن بعد ذلك اتفقوا جميعا على ان الله تعالى بعد موت الناس وفناء اجسادهم لابد ان يبعثهم باعادة اجسادهم واعادة ارواحهم اليها ويحاسبهم ويدخل بعضهم الجنة دار الثواب وبعضهم جهنم دار العقاب وهذا البعث وما يتبعه هو من اصول دينهم القطعية قد انعقد

اجماعهم عليه وهو من معلومات دينهم الضرورية بحيث ان انكار
جوازه او وقوعه يكون خروجا عن الدين الاسلامي وكثيرا ما
تصرح به نصوص شريعتهم وتنصب عليه الدلائل ويكفيهم
للتصديق بتلك النصوص واعتقاد البعث المذكور ان يعتقدوا انه
لابد من البعث باعادة الاجساد بعد فنائها واعادة الارواح اليها
للحساب وما يعقبه على وجه لايستلزم محالا عقليا بل يكون في دائرة
الجواز العقلي وهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يلزمهم
ان يعلموا تفصيل تلك الاعادة وبيان كيفيتها الجائزة عقلا لان
شريعتهم لم تكلفهم بذلك ولكن لما ورد عليهم من اخصامهم المنكرين
للبعث اشكالات تستلزم بظواهرها محالات عقلية في اعادة
الاجساد احتاجوا لاقناع عقول اخصامهم في تلك الاعادة وبيان
جوازها عقلا الى الخوض في تفصيلها وبيان كيفيتها على وجه يقنع
العقول ولا تضطرب عنده افكار الضعفاء في الدين ومن اشهر ما
ورد عليهم من الاشكالات في البعث والاعادة من طرف اخصامهم
قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال
الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته
وعادة المادة الى اصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا
خلقت في تلك المادة بعينها صورة انسان جديدة حدث منها انسان

اخر لاذلك الانسان الاول فان الموجود في الثاني من ذلك الاول
مادته لا صورته ولا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا
لثواب او عقاب بمادته بل بصورته فيكون الانسان المثاب والمعاقب
ليس الانسان المحسن والمسيء بل انسان اخر مشارك في مادته
وقولهم ايضا اذا اكل انسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق
روحان بانسان واحد عند البعث وايضا ان الغالب على ظاهر الارض
اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس
فيها اشجار واغتذي منها الناس وانعقد في ابدانهم ذلك لحما ودما
فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاصلة لصور اناسي كثيرة
انتهى وفي مقابلة هذه الاشكالات يصلح لاتباع محمد عليه السلام
ان يقولوا في دفعها اجمالا ان سعة علم الله تعالى وعظمة قدرته
المبرهن عليهما بمشاهدة عجائب مصنوعاته وغرائب اعماله ودقائق
افعاله لايبعد عليهما امر البعث على كيفية لا تستلزم تلك المحالات
التي تضمنتها تلك الاشكالات ونحن يكفينا الايمان بالبعث والاعادة
واعتقاد ان ذلك يحصل على وجه لايستلزم محالا ولا يلزمنا لصحة
ايماننا بيان الكيفية التي يجريها الله تعالى في ذلك ونفوض علمها
الى الله تعالى ولكن لاقناع العقول بالتفصيل وللمحافظة على
افكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول ان المعاد من الجسم

هو جميع اجزائه الاصلية اي الباقية من اول العمر الى اخره
لاالاجزاء الفضلية (كذا نقل القول بالاجزاء الاصلية والاجزاء
الفضلية في اليواقيت عن جمع الجوامع وحاشية الكمال عليه في
الجواب عن شبهة اكل انسان انسانا وهو يصلح جوابا عن بقية
الشبه كما سنقرره) اي فما المانع من الله تعالى الواسع العلم العظيم
القدرة يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان من التفرق ومن
زوال صورتها ومن الدخول في تركيب اجزاء اصلية لحيوان اخر
وان دخلت في تركيب اجزاء فضلية فتنفصل عنها عند انحلال
هذه ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بها ويضم
اليها اجزاء فضلية سواء كانت هذه عين ما كانت قبل الموت او
غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم او بالتعذيب انما هو للروح ولهذه
الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد
تعلق الروح بالاجزاء الاصلية بعد ان فارقتها واعيد لهذه
الاجزاء الاصلية الحياة واعيدت اليها اجزاء فضلية لا تتوقف
صحة الاعادة على اعادتها باعيانها فلا يقال ان الانسان المنعم
او المعذب غير الذي كان قبل الموت ولا ان الروحين تتعلقان
بجسد واحد ولا ان مادة واحدة حاصلة لاناسي كثيرة بل الاجزاء
الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي

بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث والاعادة ذلك الانسان
بعينه وعلم الله تعالى وقدرته يصلحان لاجراء هذه الكيفية التي
لا تتضمن محالا اصلا سواء كان ذلك بدون واسطة ناموس ام بواسطة
ذلك وعدم احساسنا بها لايستلزم عدمها اذ يحتمل اننا نشاهد
تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية اما لدقتها واما
للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء محجوبة
عن حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل فالملخص ان
نصوص شريعتنا نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد
انه سيكون على وجه لايستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه
التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي
قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الاشكالات والله اعلم
اقول ويمكن ايضاح هذا المقام وتوجيهه بما لايخالف شيئا من
نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار الاعتقاد بعون الله تعالى
وتوفيقه وذلك يحتاج الى تقديم جملة من كلام علماء الامة المحمدية
يظهر من التبصر بها قبول ما سنورده من التوجيه فاعلموا ان من
اكبر علماء الشريعة المحمدية من استدل على ان الانسان هو غير
تلك البنية (هو الامام الرازي في تفسيره الكبير) بقوله ان العلم
البديهي حاصل بان اجزاء الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان كما في

السمن والهزال والعلم الضروري حاصل بان المتبدل المتغير مغاير للثابت الباقي ويحصل من مجموع هذا الكلام العلم القطعي بان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة ثم قال وان الانسان قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون الانسان مغايرا لهذا البدن والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقونه فهذا النص صريح في ان اولئك المقتولين احياء والحس يدل على ان هذا الجسد ميت ثم قال على ان الانسان يحيى بعد الموت وكذلك قوله عليه السلام انبياء الله تعالى لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار كل هذه النصوص تدل على ان الانسان يبقى بعد موت الجسد وبديهة العقل والفطرة شاهدان بان هذا الجسد ميت ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع الجمادات وذاك عين السفسطه واذا ثبت ان الانسان حي وكان الجسد ميتا لزم ان الانسان شي غير هذا الجسد ثم قال ان الذين قد دلت النصوص الشرعية على مسخهم يقال ان الانسان هل بقي حال ذلك المسخ اولم يبق فان لم يبق كان هذا اماتة لذلك الانسان وخلقا لذلك الحيوان الممسوخ اليه وليس

هذا من المسخ في شيء وان قلنا ان ذلك الانسان حي حال
حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير ذلك الا نسان باق
وتلك البنية وذلك الهيكل غير باق فوجب ان يكون
ذلك الانسان شيئا مغايرا لتلك البنية ثم قال ان الانسان يجب
ان يكون عالما والعلم لا يحصل الا في القلب فيلزم ان يكون
الانسان عبارة عن الشي الموجود في القلب واذا ثبت هذا
بطل القول بان الانسان عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجثة
ثم استدل على ان للانسان علما وانه في القلب بما يطول نقله
ثم اعلموا انه قد ورد في نصوص القرآن الشريف قوله تعالى
(واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا) وقد ورد تفسير هذا
النص في الصحيح عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بان
الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره كلهم كهيئة الذر قال بعض
العلماء من اتباع محمد عليه السلام (كما في الجمل عن الخازن)
اخرج الله اولا ذرية آدم من ظهره ثم اخرج من هذا الذر
الذي اخرجه من آدم ذريته ذرا ثم اخرج من الذر الاخر ذريته
ذرًا وهكذا الى اخر النوع الانساني وخلق فيهم العقل
والفهم والحركة والكلام وخاطب الجميع بقوله الست بربكم

فقال الجميع بلى اي انت ربنا ثم اعاد الجميع الى ظهر آدم وقال بعضهم وهل هذا الذر استحال منيا او تخرج ذرة كل انسان في منيه الذي يتخلق منه والله اعلم بحقيقة الحال (كذا في الجمل باختصار) وقال بعضهم (كما في الجمل عن الشعراني) ان الاقرب كما قيل ان الله تعالى استخرجهم من مسام شعر ظهره يعني آدم ثم قال انهم اجابوا بالنطق وهم احياء عقلاء اذ لا يستحيل في العقل ان الله تعالى يعطيهم الحياة والعقل مع صغرهم (اقول ومن نظر الى الحيوانات المكرسكوبية وما عندها من الادراك الذي به تسعى اعلى رزقها وتتوالد وتجتنب المؤذيات وتحيد عن طريق ملاقيها لايستغرب ذلك ولا يستبعده على علم الله تعالى وقدرته) ويحتمل ان يكونوا مصورين بصورة الانسان لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولم يقل ذراتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين ثم قال والظاهر انه استخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء فيحتمل ان الله تعالى ادخل فيهم الارواح وهم في ظلمات ظهر ابيهم ويخلقها فيهم مرة اخرى في ظلمات بطون امهاتهن ويخلقها مرة اخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالي ثم قال

والظاهر انه لما ردهم الي ظهره قبض ارواحهم قياسا على ما يفعله اذا ردهم الى الارض بعد الموت فانه يقبض ارواحهم ويعيدهم فيها انتهى باختصار وقال بعض الائمة الاعلام (هو الامام ابو طاهر في كتابه سراج العقول كما يؤخذ من اليواقيت للشعراني) في الجواب عن الشبه المتقدمة الواردة على البعث ما ملخصه ان الذرة التي قبضت من الارض اولا في كل انسان باقية لاتتبدل البتة وهي الجزء القائم الذي اخذ عليه الميثاق (يعني كما في اية خطاب الذر المتقدمة) ويتوجه عليه في القبر السؤال ويتولى الجواب برد الروح اليه على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتي يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا شي لايخالفه عقل ولا شرع انتهي ببعض اختصار فاذا دققنا النظر وتفهمنا بامعان ما نقلته من تلك الدلائل التي اقامها ذلك العالم (الرازي) على ان الانسان ليس هو هذه البنية وما نقلته من تفسير الاية المتقدمة التي تذكر اخذ العهد على ذرية آدم وما قيل فيها من جانب بعض العلماء المحمديين (الخازن والشعراني كما تقدم عن الجمل واقره) وما قرره ذلك العام المحمدي (ابو طاهر) في رد شبه البعث وذكر انه لايخالفه عقل ولا شرع ظهر جليا انه يسوغ لاتباع محمد عليه السلام ان يفسروا الاجزاء

الاصلية التي تقدم لهم القول بها بتلك الذرات التي اخرجت
من ظهر آدم واخذ عليها العهد فيقولوا ان هذه الذرات هي الاجزاء
الاصلية لكل انسان و بقية البنية المشاهدة لنا هي الاجزاء الفضلية
التي تذهب وتتبدل فيكون الانسان الحقيقي المخاطب المكلف
المعاد المنعم المعذب هو تلك الذرات مع الروح التي تحل فيها
والهيكل الانساني المشاهد هو الاجزاء الفضلية ولا عبرة بها في
تحقق الاعادة سواء اعيدت باعيانها او بامثالها بل العبرة في تحقق
الاعادة هو الاجزاء الاصلية التي لايطرأ عليها الا مفارقة الروح
وانسلاخ الاجزاء الفضلية عنها وفي البعث تعاد اليها الروح وتعاد
الاجزاء الفضلية وتنضم اليها وقد تقدم ان بعضهم يكتفي في بيان
الروح ان يقول انها شيء موجود الله اعلم بحقيقته و بعضهم يفسرها
بانها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة
اشتباك الماء بالعود الاخضر فعلى جميع ما قدمناه يمكن تقرير المقام
على ما ياتي وهو يدفع جميع الشبه التي ترد على البعث وسؤال
القبر وامثال ذلك و يحفظ افكار الضعفاء من الاضطراب فيقال
ما المانع ان الله تعالى كون الارواح من اجزاء فردة من مادة لطيفة
كمادة الاثير الذي تقولون بوجوده على ترتيب وكيفية ووضع
يحصل بها جميع الخواص التي تذكر للروح وتفهم من نصوص

الشريعة من انها حية بنفسها اي لاتحتاج الى انضمام شيء اخر تحيي به وانهـا ذات ادراك واذا حلت بـالجسم اكسبته الحياة والادراك و بقية صفات الحي (وهكذا المغناطيس بدلكه بالفولاذ يكسبه خاصية جذب الحديد) وهي مع ذلك ذرة صغيرة جدا لاتدركها حواسنا ثم كون من اجزاء فردة ذرات صغيرة جدا على كيفية تقبل عند تعلق الروح بها الحياة و بقية خواصها من الادراك ونحوه وجعل لها اعضاء الا نسان كما للحيوانات المكرسكو بية اعضاء وهذه هي الاجزاء الاصلية التي تقدم ذكرها ثم كون هيكل آدم وهو الاجزاء الفضلية وجعلت ذرته في موضع من هيكله و يحتمل انه القلب لذلك الهيكل وهو الا قرب (وسياتي نقل عبارة الفيسولوجيين التي تقرب ان القلب هو مركز ذلك)ثم وضع ذرات جميع ذ ريته في ظهر هيكله ولا غرا بة في اتساعه للملايين هذه الذرات فان نقطة المـاء الصغيرة تحتوي على حيوانات مكرسكو بية عدد البشر الموجودين على وجه الارض كما تقولون فلا مانع من اتساع ذلك الظهر لذرات بني آدم الذين يوجدون في مدة الدنيا ثم انه سبحانه احل روح آدم في ذرته التي في داخل هيكله وكأن اليه الاشارة في القرآن الشر يف بقوله (ونفخت فيه من روحي) اي من الروح التي انفردت بابداعها ومعرفة حقيقتها

وحقيقة تكوينها فعند حلولها في تلك الذرة نشأ عنها حياتها وسرت
الحياة الى بقية الهيكل لانه سبحانه قد كون الهيكل على هذا
الاستعداد ثم انه اخرج جميع ذرات بني آدم من ظهره واحل
ارواحها فيها فاصبحت حية مدركة فخاطبها واخذ عليها العهد ثم
فصل عنها ارواحها واعادها الي ظهر ادم وادخلها فيه من مسامه
كما اخرجها منها وهكذا تدخل الحيوانات المرضية في الاجساد
وتخرج منها كما تقولون ثم حفظ تلك الارواح حيث شاء من الكون
ثم صار يخرج تلك الذرات في مادة المنى الذي ينفصل من آدم
الى رحم زوجته عند الجماع فتحل في البزور التي تنفصل من
مبيض زوجته فيكون هيا كلها من تلك البزور مع السائل المنوي
ويطورها اطوارا حتى تبلغ صورة الهيكل الانساني واول ذرة من
اولاده نقلها الى بزرتها نقل معها عدد الذرات التي تكون اولاداً
لها ثم ينقل تلك الذرات في المنى الذي ينفصل فيما بعد عن هيكل
هذه الذرة الاولى وهكذا الحال في بقية اولاده واولادهم يفعل
تلك الكيفية على هذا الترتيب الى اخر الدهر ولعل اليه الاشارة على ما
قاله بعضهم في تفسير قوله تعالى في حق الرسول عليه السلام (وتقلبك
في الساجدين) اي تنقلك في اصلاب الاباء وارحام الامهات
وعند بلوغ كل هيكل الى حد محدود يرسل الله تعالى الروح

فتحل في ذرتها وتسري فيها وفي هيكلها الحياة والحركة فكل انسان هو مجموع الروح والذرة وهذه الذرة هي الاجزاء الاصلية التي قال بها اتباع محمد عليه الصلاة والسلام وانها الباقية مدة العمر وهي المعادة باعادة الروح اليها بعد ان تفارقها بالموت والهيكل هو الاجزاء الفضلية التي تروح وتجئ وتزيد وتنقص فاذا اراد الله تعالى موت الانسان فصل عن ذرته الروح ففارقتها الحياة وفارقت الهيكل ايضا الذي هو الاجزاء الفضلية وحلها الموت فياخذ الهيكل بالانحلال ويجرى عليه من التفرق والدخول في تركيب غيره ما يجرى والذرة محفوظة بين اطباق الثري كما تحفظ ذرات الذهب من البلى والانحلال وان دخلت في تركيب حيوان فانما تدخل في تركيب هيكله الذي هو الاجزاء الفضلية محفوظة ايضا غير منحلة فاذا انحل ذلك الهيكل عادت محفوظة في اطباق الثري ولا تدخل في تركيب الاجزاء الاصلية لذلك الحيوان التي هي حقيقته غاية ما يطرأ عليها بالموت مفارقة الروح لها وانحلال هيكلها واذا اراد الله تعالى حياتها اعاد الروح اليها فتعود اليها الحياة وبقية خواصها وان كان هيكلها منحلا ومن هنا تنحل شبه سؤال القبر ونعيمه وعذابه وامثال ذلك من امور البرزخ التي وردت النصوص الشرعية بها وانها تكون قبل البعث ثم اذا اراد الله تعالى ان يبعث الخلق

للحساب اعاد تكوين هيا كل الذرات الا نسانية التي هي الاجزاء
الفضلية سواء كانت هي الاجزاء السابقة قبل الموت او غيرها
اذ المدار على عدم تبدل الذرات واحل الذرات في تلك الهيا كل
وبتعلق الروح بها تقوم فيها وفي هيا كلها الحياة ويقوم البشر في
النشأة الاخرة كما كانوا في هذه الدار وجميع ما تقدم يمكن ان يكون
حاصلا في بقية الحيوانات غير الانسان في جميع تفصيله واذا
تصورنا سعة علم الله تعالى وعظمة قدرته واثارهما في الكائنات
لا نستبعد شيئا من جميع ما تقدم سواء كان اجراء ذلك بواسطة
نواميس وضعها الله تعالى لذلك تجري عليها جميع تلك الا تصالات
والانفصالات والتكونات للاجزاء الفضلية او بدون نواميس واذا
تاملتم ايها الماديون فيما تقولونه با كتشافاتكم المكرسكوبية للحيوانات
الصغيرة جدا وكثرتها في نقطة ماء وحياتها وحركتها وادراكها في
امر معيشتها واحتراسها على نفسها تبين لكم انه لاغرابة ولا استحالة
في ان ذرات الانسان يمكن ان تحلها الحياة وجميع خواصها وان
الارواح تكون بتلك الخواص التي ذكرت لها واذا تاملتم في ان
المسام في الهيكل الانساني كثيرة جدا حتى قلتم ان في الشبر
المربع منه يوجد اربعة ملايين من المسام لم تستبعدوا خروج تلك
الذرات من ظهر آدم ثم اعادتها اليه ويزيد ذلك تقريبا لعقولكم

دخول الحيوانات المرضية مثل (الملاريا) في الاجساد وانتقالها
الى اجساد اخرى بالعدوى وسريانها في دورة الدم وامثال تلك
الحقائق المذكورة في كتب علومكم الطبية على ما تقولون
ثم انكم تقولون بوجود حيوانات منوية في السائل المنوي الذي ينفصل
من خصيتي الذكر ويلقح بزور الانثى وهي حيوانات صغيرة جدا
تشاهد بالمكرسكوب طول الواحد منها من جزء من خمسمائة جزء
الى جزء من ستمائة جزء من القيراط وطول راس الواحد من جزء
من خمسة الاف جزء الى جزء من ستة الاف جزء ولها حركة في
السائل المنوي بواسطة تحريك اذنابها بحيث تندفع رؤسها الى
جهات مختلفة ويظهر ان حركتها مستقلة لا تتعلق بالكيفيات
الخارجية بشرط ان لا تتغير كثافة السائل المنوي الطبيعية وقد
تدوم الحركة في داخل جسد الانثى سبعة ايام او ثمانية وخارجه
نحو اربع وعشرين ساعة واتجاه سيرها غير معلوم وقال بعض
الفيسيولوجيين انها تقطع قيراطا في ثلاث عشرة دقيقة وغاية ما
يعلم من فائدتها هو انها تكاد توجد في مني جميع الحيوانات وان
ملامستها للبيضة اي بزرة الانثى ضروري لاجل التلقيح كذا في
كتب الفيسيولوجيا فاي مانع ان تلك الحيوانات المنويه جعلها
الخالق تعالى تحمل ذرات بني آدم التي هي اصغر منها وتسيربها في

السائل المنوي حتى تلقيها في البزور المنفصلة من مبيض الام و يبتدأ
عند ذلك تكون الهيكل الا نساني الذي هو الاجزاء الفضلية بنمو
البزرة ويكون الانسان الحقيقي الذي تحله الروح وتسري الحياة
فيه ثم منه الى الهيكل هو ما حملته تلك الحيوانات وادخلته في
البزرة وتدخل معه الذرات التي هي عدد ما يكون له من الذرية
وتبقى هذه في هيكله حتى تخرج في منيه وتنتقل الي هيكل فروعه
وهلم جرا واذا كان الحال على هذه الكيفية التي لايمنع منها عقل
ولا شرع يتحقق كلام اتباع محمد عليه السلام بل كلام كثير من
العقلاء ان كل انسان فهو منتقل من ابيه الى رحم امه خلاف ما
تقولون انتم ان الا نسان هو من بزرة امه وانما منى ابيه لمجرد التلقيح
فانتم نظرتم الى الهيكل الا نساني ولم تعلموا سواه فلذلك قلتم بذلك
وسواكم وصل الي ما وراء الهيكل فقال ان الا نسان منفصل من
ابيه وليس لامه الا الهيكل وانفصاله من ابيه هو ما تذعن اليه
عقول الجم الغفير و يستأ نس له بعواطف الا باء على الاولاد
ثم ان الفيسيولوجيين اختلفوا في سبب نظام عمل القلب اي حركته
وعللوا ذلك بتعليلات واهية ثم رجعوا عليها بالنقض والذي استظهروه
اخيرا ان سبب ذلك العمل مستقر في القلب نفسه ثم قالوا انه
يظهر ان نظام حركته هو ناشيء عن العقد العصبية الموجودة فيه

فهي المراكز الحقيقية للعمل النظامي غير انه لاتعلم الى الان لماذا
تعمل هذه المراكز العصبية عملا منقطعا منتظما لاعملا دائما ثم قالوا
قد ظهر من تجارب كثيرة ان القوة الدافعة الناشئة من انقباضات
القلب هي وحدها كافيه لدورة الدم انتهى فاذا تاملتم في هذا
الكلام ظهر لكم وقرب في عقولكم ان يقال ان مركز الذرة الانسانية
هو القلب من الهيكل الانساني واذا حلت فيها الروح اورثتها
الحياة واخذت تحرك تلك الحركة المنتظمة ونشأ عنها دورة الدم
وسرت الحياة منها الى سائر الهيكل وصغرها وصغر الروح لايمنع
ان ينشأ عنها ذلك العمل الكافي لحياة الهيكل ولاعمال اعصابه
وعضلاته فكم من آلة صغيرة جدا اذا حركها طفل صغير يتولد عنها
حركة تدير آلة كبيرة جدا وينشأ عنها اعمال عظيمة تحتاج مباشرة
الى قوة عظيمة وهذا مشاهد في عمل الانسان فما بالكم في عمل
الاله العليم القادر الذي ركب مصنوعاته على كيفيات تنشوعنها
خواص تحتار فيها الفكر وتذهل العقول وخلاصة ما تقدم ان
الانسان الحقيقي على هذا التقرير هو الذرة التي تحل في القلب
وتحل فيها الروح فتكسبها الحياة وتسري الحياة الى الهيكل ثم
الهيكل انما هو آلة لقضاء اعمال تلك الذرة في هذا الكون ولاكتساب
معارفها بسببه وتلك الذرة مع الروح الحالة فيها هي المخاطب

بالتكليف والمعاد والمنعم والمعذب الى اخر ما ورد في حق الانسان وعلى هذا التقرير نجدان الشبه التي وردت على ماجاء في الشريعة المحمدية من البعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه وحياة بعض البشر في قبورهم ونحو ذلك قد سقطت برمتها كما يظهر بالتامل الصادق والله اعلم

فان قيل انا نرى نصوصا في الشريعة المحمدية تذكر اعادة نفس الهيكل الانساني او تنص على اعادة بعضه كما في قوله تعالى (من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة) فكيف ينطبق هذا مع التوجيه الذي ذكرته للبعث والاعادة قلت مقتضى ما قدمته من التوجيه ان البعث كما يكون للاجزاء الاصلية التي هي الذرات بالكيفية التي قدمتها كذلك يكون للهيكل الانساني الذي هو الاجزاء الفضلية ولكن الاشكالات المتقدمة على البعث تندفع بما ذكر في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي الذرات ثم ان اعادة الهيكل الذي هو الاجزاء الفضلية سواء كان باعادتها باعيانها او بايجاد امثالها لا يرد عليها تلك الاشكالات بعد اندفاعها بكيفية اعادة الاجزاء الاصلية على الوجه المتقدم وانما نصت تلك النصوص على اعادة الاجزاء الفضلية التي هي الهيكل لدفع اشكالات اخرى كانت تعرض لافكار اهل الجاهلية في اعادتها

اذ عند ذكر البعث لاتنصرف افكارهم الا الى اعادة هذا الهيكل المشاهد لهم فيقولون كيف تعود الحياة للعظام بعد ان تصير رميما وكيف تجتمع تلك الاجزاء المتفرقة في اعماق الثرى فتدفع تلك النصوص اشكالاتهم هذه بان الله تعالى قادر عليم لايعجزه ذلك فهو يحيي العظام كما بداها اول مرة وعلمه محيط بجميع الموجودات وقدرته شاملة لجميع الجائزات الى غير ذلك من الردود وهذا لاينافي التوجيه الذي تقدم في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي الذرات لتدفع به الاشكالات الاخرى التي تقدمت فليتأمل ولتعلموا بعد جميع ما تقدم بسطه لكم ايها القوم اني لست اقول ان ذلك التوجيه والتفسير للاجزاء الاصلية بالذرات والاجزاء الفضلية بالهيكل الى اخر ما حررته في هذا المقام هو مصرح به في كلام اتباع محمد عليه السلام كما شرحته او انه يجب عليهم اعتقاده بهذا التفصيل والبيان كلا انما اقول ان علماءهم قرروا ان للانسان اجزاء اصلية واجزاء فضلية ودفعوا بذلك الشبه التي وردت على البعث ونحوه وانا قلت لكم انه يوخذ من كلام كثير من اجلاء علمائهم (كالامام الرازي وابي طاهر صاحب سراج العقول والشعراني والخازن وغيرهم) ان لا مانع ان يراد بالاجزاء الاصلية التي ذكروها في دفع الشبه هي الذرات المذكورة في

تفسير الرسول عليه السلام للنص القراني الذي يذكر فيه اخذ
العهد على ذريه آدم وان تكون الارواح مع تلك الذرات هي
افراد الانسان الحقيقي وان يراد بالاجزاء الفضلية الهياكل
الانسانية و يوخذ من كلام علمائهم ايضا ان مقر الانسان الحقيقي
هو القلب من الهيكل فيكون ذلك الهيكل المتغير المتبدل آلة
للانسان الحقيقي في قضاء اعماله في هذا الكون واكتساب معارفه
وهذا شي يوضح لكم اندفاع الاشكالات المتقدمة على البعث ولا
يمنع منه عقل ولا شرع و يسوغ لهم ان يقولوا به لدفع تلك الشبه والا
فيكفي في صحة اعتقادهم ان يقولوا انا نعتقد ان لكل انسان روحا
الله اعلم بحقيقتها وكذلك لجميع الحيوانات ولا بد ان الله تعالى يعيد
الانسان بعد الموت ويحاسبه و ينعمه اويعذبه كل ذلك على كيفية
لا تستلزم محالا ولا يلزمنا تفصيلها والله اعلم بها فان ذلك من
الجائز العقلي وسعة علم الله وقدرته لا يستحيل عليها ذلك فيا ايها
الماديون تاملوا في هذا المقام ودققوا النظر فيه فانكم لا تجدون
لتفصيله ما يمنعكم في علومكم من تجويز جميع ما تقدم ان لكل انسان
نفسا يسمى روحا الى اخر ما ذكر في صدر هذا المبحث الا ان
يكون المانع لكم هو العناد وان قلتم سلمنا جواز جميع ما تقدم عقلا
ولكن ما الحامل لاتباع محمد عليه السلام على اعتقاد حصول

ذلك بالفعل قلت الجواب ما تقدم نظيره هو ان الحامل لهم على ذلك ما ورد في نصوص شريعتهم على لسان رسولهم الصادق عليه السلام التي تصرح بحصول ذلك وبمجموعها لا تحتمل التاويل وما دام ذلك منطبقا على العقل وجائزا في احكامه فلا يسوغ لهم ان يتركوا ظواهر تلك النصوص ويميلوا الى التاويل بوجه من الوجوه على ان البعث بخصوصه وان كان المشهور ان دليل جوازه عقلي نظير ما قدمنا ودليل وقوعه بالفعل نقلي هو نصوص الشريعة المحمدية ولكن اذا دقق النظر يتبين لوقوعه بالفعل ادلة عقلية ان لم تكن برهانية قاطعة فهي اقناعية تذعن لها العقول وتطمئن عندها القلوب وبتوارد مجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث ولا يعير للشك فيه اذنا صاغية فاستمعوا لما اتلوه عليكم من ذلك على ما افاده بعض علماء الامة الاسلامية (الرازي) مع ما ازيده عليه من توضيح او استحسن فيه من اختصار

فاقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود اله العالم واتصافه بصفاته الكاملة وسمو حكمته وعدله في خلقه ورحمته لهم لاشك ان كل معتقد لذلك يظهر له ان من حكمته تعالى وعدله بعد ان خلق الخلق واعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدراً بها يقدرون على الخير والشر ان يمنعهم عن ذكره بالسوء وعن

الجهل والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح ويرغبهم بعمل الخير والاتصاف بالاخلاق الفاضلة التي ينتظم بها معاشهم ومن المعلوم ان هذين الامرين لايتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير حاصل في دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا يقال انه يكتفي في الترهيب والترغيب بما اودع في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الي الانهماك في الشهوات الجسمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح قوي ومعاضد كامل وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك

ثم ان صريح العقل يقضي ان من حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء وحصول هذه التفرقة ليس في هذه الدار لانا نرى كثيرا من اهل الاساءة في اعظم الراحة وكثيرا من اهل الاحسان بالضد من ذلك فلا بد انه بعد هذه الدار من دار اخرى تحصل فيها تلك التفرقة

ثم انه لو لم يكن للناس زاجر من خوف المعاد لكثر الهرج والمرج ولعظمت الفتن وفسد نظام المعاش ولم يجد المكلف وقتا لاداء ما

كلف به فلا بد من حصول دار الثواب والعقاب لتنتظم احوال العالم وتصان عن الفساد وان قيل يكفي لبقاء نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم وايضا فالاوباش يعلمون انهم لو حكموا بحسن الهرج والمرج لانقلب الامر عليهم ولقدر غيرهم على قتلهم واخذ اموالهم فلهذا المعنى يحترزون عن اثارة الفتن قلنا ان مجرد مهابة الملوك لاتكفي بذلك لان الملك اما ان يكون قد بلغ في القدرة الى حيث لايخاف من الرعية واما ان يكون خائفا منهم فان كان لايخاف الرعية مع انه لا خوف له من المعاد ايضا فحينئذٍ يقدم على الظلم والايذاء على اقبح الوجوه لان الداعية النفسانية قائمة ولارادع لها في الدنيا ولا في الاخرة واما ان كان يخاف الرعية فحينئذٍ الرعية لايخافون منه خوفا شديدا فلا يصير ذلك رادعا لهم من القبائح والظلم فثبت ان نظام العالم لايتم ولا يكمل الا بالرغبة والرهبة في المعاد

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم اقوياء و بعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوي والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل

في هذه الدار لانا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهانا في غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض مهدور الدم والظالم يبقى في غاية العزة والقدرة فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف

ثم انه لولم يحصل للانسان معاد لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات في المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان في الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتامل اما الانسان فانه بسبب ما يحصل له من العقل يتفكر ابدا فى الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الاتية انواع من الخوف فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية اما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السرقين في مذاق الجعل طيب كما ان افخر الحلويات في مذاق الانسان طيب فلولم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم ان كل

ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت انه لولا حصول السعادة الاخروية لكان الانسان اخس الحيوانات حتي الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعا علمنا انه لا بد من الدار الاخرة والانسان خلق للاخرة لا للدنيا نعم ان هذه الدار هي كالمميز بين الخيري منه والشرير ليجزي الاول بالثواب والثاني بالعقاب لان كل من كان شريرا فالنار اولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات هذه الدار فلذلك نراها موفورة للاشرار منغصة على الاخيار

ومن هذا المقام تعلمون ايها الماديون انه يصدق فيكم قول اخصامكم اهل الشرائع والملل ان مذهبكم سيما في انكار المعاد شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام ومع هذا يمتنع العمران وجوابكم بان نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام فاقول قد غفلتم في هذا الجواب عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات لا يقاومها مجرد النواميس التي يقيمها العلم فلا بد من وازع اخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافئة على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر والا فليتامل العاقل ان الانسان اذا كان يعتقد انه

مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من
وجوده الا لذاته الحيوانية التي ينالها مدة حياته فمهما سن له العلم
من الضوابط لمعرفة ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فاذا
قدر على قتل سواه واخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون ان
يطلع عليه احد من الناس او على هتك اشرف عرض و بلوغ اشهى
لذة بدون اطلاع احد فهل يظن ان تلك القوانين التي سنها له
العلم تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ان
الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدري به حق الدراية لا يأمن
له في شيء الا اذا وجده مرتبطا بالدين واعتقاد المعاد انا نرى بعض
الامم تعتقد المعاد و يظهر فيها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها
لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلا شك ان فسادها بالدرهم يصير
بالقناطير على اننا نرى الامم التي انتشر بينها العلم في هذه الازمان
لا تزال اخذة في سبيل الشرور بل كلما ازداد علمها ازدادت
شرورها وفشى فيها الزنا الذي يضيع الانساب ويحل عقد التناصر
وقتل النفس والانتحار وازالة العقول بالمسكرات والاحتيال
بعلومها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من
الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لان علومها
التي برعت فيها ليس لها في اعتقاد المعاد نصيب وبظني ان تلك

الامم لولا بقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار واخذت تمحي من لوح الوجود ومما يضحك الثكلى انكم لما لاحظتم ان العلم لايتكفل بنظام الهيئة الا اذا كان تاما عاما في جميع الافراد الانسانية اشترطتم في تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم قلتم لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له الوف من الاجيال فانتم في رفضكم لاعتقاد المعاد وتمنيكم في العلم هذه الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذي يقول للمريض بالمرض القاتل اترك الحمية وكل ما شئت واني بعد كذا كذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاوك فقد صدق هنا المثل الدارج (الى حينما ياتي الترياق من العراق يكون مسلوع الهوى فارق) على انه ليس من حسن التدبير وكياسة الراي والاخذ بالحزم مع اعتقادكم لمذهبكم من انكار المعاد ان تجاهروا به بين العموم وتدرسوه للاحداث حتى تروا ان العلم الذي تزعمونه بمجرده متكفلا بحفظ نظام العالم قد تم وعم والا فانتم بمجاهرتكم بهذا المذهب الباطل قد فتحتم باب الدمار على العالم ونعوذ بالله ان يشيع هذا الفكر بين الامم ومعاذ الله ان يشيع والعقول السليمة تأباه هدانا الله واياكم لما فيه خير الانام

واني انصح لكم ان تاخذوا بالحزم والاحتياط وتتصوروا انكم اذا

صدقتم بالمعاد وتاهبتم له فان كان حقا نجوتم وان كان باطلاً لم
يضركم هذا الاعتقاد غاية ما في الباب ان يقال انه تفوتكم اللذات
الجسمانية الاان هذه اللذات يجب على العاقل ان لايبالي بهما
لامرين احدهما انها في غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنافس
والديدان والكلاب والثاني انها منقطعة سريعة الزوال والفناء
فالحرص عليها لايساوي ترك الحزم والاحتياط في الامر الذي
تخشي عواقبه

هذاوقد بقيت مسئلة من المسائل التي ذكرتم فيما تقدم انكم تنكرونها من
النصوص التي في الشريعة المحمدية وهي مسئلة نزول المطر من السماء
وذلك انكم تقولون ان اختباركم في علومكم دل على ان الامطار
تتولد من ابخرة ترتفع من الارض والبحار وتتصاعد الى الطبقة الباردة
من الهواء فتجتمع هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك
هو المطر فاقول ان النصوص التي وردت في الشريعة المحمدية من
المتواتر الذي عليه الاعتماد في الاعتقاد بشان المطر هي على قسمين
منها ما تصرح بان المطر ينزل من السماء ومنها ماتصرح بانه ينزل من
السحاب ثم السماء تطلق في اللغة العربية التي وردت الشريعة
المحمدية بها على عدة معان كما في قواميس تلك اللغة منها السماء التي هي
مسكن الملائكة ومنها سقف كل شيء وكل بيت ومنها كل ما علا

الشي فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر وقد تقدم لكم ان القاعدة
المقررة عند اتباع محمد عليه السلام ان يعتقدوا ظواهر النصوص
الشرعية والمعاني المتبادرة منها ما لم يقم دليل عقلي قاطع على خلافها
وان قام دليل كذلك اخذوا بتاويلها والتوفيق بينها و بين ذلك
الدليل فعلى هذا فهم يعتقدون المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء
المذكور في انزال المطر وهو الجسم الذي هو مسكن الملائكة كما هو المراد
في كثير من الاستعمالات الشرعية ويوفقون بين النصوص التي تصرح
بنزول المطر من السماء والتي تصرح بنزوله من السحاب بان الله تعالى
قادر على انزاله من السماء على البخارات المجتمعه المسماة بالسحاب ثم ينزله
منها الى الارض فتارة تذكر النصوص الشرعية محل نزوله الاول
وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله اصدق القائلين وان ثبت لديهم ما
تقولونه من ان المطر ليس الا بخارات الارض وبحارها وتحقق ذلك
بالبرهان القاطع ساغ لهم على موجب القاعدة المتقدمة ان يؤلوا
النصوص التي يتبادر من ظواهرها ان المطر ينزل من السماء التي
هي مقر الملائكة بان المراد بالسماء في هذه النصوص هي ما علانا وصار
سقفا لنا وهو السحاب (ذكر هذا التاويل الامام الرازي في تفسير
سورة البقرة واشار اليه الشيخ الشرنبلالي في مراقي الفلاح) او ان
يقال انه لما كان نزول المطر باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس

التي تثير وتصعد الاجزاء المائية من اعماق الارض او من البحار والانهار الى جو الهواء فتنعقد سحابا فتمطر كان الانزال من السحاب حقيقة ومن السماء مجازا باعتبار السببية والله مسبب الاسباب (ذكر هذا حقي افندي في تفسير سورة النباء) فبعد هذا البيان اي اشكال لكم ايها الماديون في نصوص هذا المقام ما دامت تنطبق على العقل باقرب تاويل وقد بقي كثير من نصوص الشريعة المحمدية اخال انكم باطلاعكم عليها تنكرونها في اول الامر لعدم معرفتكم توجيهها وبما قاله علماء الشريعة في معانيها وكيفية اعتقادها ولكن اذا سألتم اهل الذكر والمعرفة من اتباع محمد عليه السلام لا تجدون شيئا منها الا له انطباق صحيح على قانون العقل لا يخالفه بادنى مخالفة ولكن المدار على المذاكرة مع علماء هذه الشريعة المتبحرين فيها العالمين بقواعدها المحيطين بما قاله اجلاؤها في تفسير نصوصها الذين شافهوا الرسول عليه السلام لا مع الضعفاء الذين لا يعلمون منها الا رسوم العبادات واحكام المعاملات فتظنونهم من افاضل العلماء واساطين الحكماء فهولاء ربما يكونون عقبة في سبيل ايمان امثالكم لجهلهم بقواعد الدين المحمدي وعدم معرفتهم في طرق التوفيق بين نصوصه والادلة العقلية ومتى يجب ذلك التوفيق فقد يسلكون بغفلتهم سبلا يقصدون فيها المحاماة

عن المدين الاسلامي فيجلبون التنفير عنه عوضا عن التأليف اليه فهم بذلك اضر على الدين من اعدائه الالدَّاء (قد سمعت عن بعض هولاء الضعفاء انه يقول لايجوز في الدين الاسلامي الاعتقاد بوجود قارة اميريكا لان اعتقاد ذلك يستلزم اعتقاد ان الارض كرة وهو خلاف الاعتقاد الاسلامي انتهى فهذا المسكين قد كلف بجهله اهل الاسلام ان يكابروا بالمحسوس ويجعلوا دينهم سخرية بين الامم وحاشا الدين الاسلامي ان يكون بهذه المثابة وان ينحط الى هذه الدرجة السافلة وهو اعظم الاديان متانة في العقول وابعدها عن الاعتقادات الباطلة والتصديق بما ترفضه العقول السليمة وقد كان لهذا المسكين مناص عن تعسفه في هذا الطريق الحرج بان لاينكر وجود اميريكا الثابت وجودها بالعيان و بالتواتر واذا وجد كما زعم ان الاعتقاد بوجودها يستلزم قطعا الاعتقاد بان الارض كرة فله ان ياخذ بقول من قال من اجل علماء الملة الاسلامية بكروية الارض كالامام الرازي ويؤل الظاهر من النصوص الشرعية التي يتبادر منها ان الارض مبسوطة بتاويلات موافقة فيقول مثلا في النص القرآني الذي يقول والارض بعد ذلك دحاها ان المراد بالدحو تسوية ظاهرها بجعلها صالحة للسكنى كما قاله بعض المفسرين ولا يضر حينئذٍ هذا الاعتقاد في الشريعة المحمدية ما دام موافقا

لقول من اقوال علمائها الذين تعتمد اقوالهم في الدين وفي فهم
النصوص الشرعية وجاريا على وجه من اوجه التاويل الصحيحة
ولكن من اين لهذا المسكين ان يدرك هذا المدرك وهو لايعلم الا
شقشقة اللسان ببعض الفاظ الاحكام فهو صديق للدين ولكن
صديق احمق سالك في سبيل عد والد ذلك من وفور جهله وقلة
عقله وفقنا الله جميعا للتحلي بالعلم الحق وسلوك منهج الصواب
اللهم امين)

هذا ولما بلغ العالم المحمدي في كلامه مع هذه الطائفة الماديين الى
الى هذا الحد من البيان الذي كشف كل شبهة قامت لهم في الشريعة
المحمدية واراهم منزلة مذهبهم في نظر العقل السليم استيقظوا من
غفلتهم وانتبهوا من رقدتهم وبعثت البابهم من لحود الاوهام
وخلصت افكارهم من قفار الظلام وقالوا له انا لك من الشاكرين
ايها الناصح الامين والمرشد المبين فقد ازلت من امامنا صعوبات
ومهدت عقبات ولكن انت ازلت المانع من تصديق محمد عليه
السلام فبقي علينا المقتضي لتصديقه وهو يكون عندنا متى وجدنا
الادلة التي قامت عند اتباعه صحيحة دالة على صدقه دلالة قاطعة
فقال لهم ذلك العالم ان هذا الامر اليكم وسهل بمشية الله تعالى عليكم
فشرعوا في النظر في تلك الادلة وتدقيق البحث فيها مفصلة وجملة

فظهر لهم بعد امعان النظر واجالة الفكر انها من الصحة بمكان دالة على صدق محمد عليه السلام دلالة لا يعتريها الريب لاسيما مجموعها فان العقل السليم يحيل ان تنفق جميعها على صحة دعواه عليه السلام وهي تكون غير صحيحة واعتقاد الصدفة في اتفاقها لايذعن به العقل على ان منها ما ليس لمحمد عليه السلام في اقامته دخل ولا يقول بحصول الصدفة والاتفاق في ذلك الا مكابر (وتفصيل هذا قد مر في صدر كلام هذه الطائفة عند ما اخذت تستوضح حال محمد عليه السلام وسياتي في الردود على الطائفه التي تروم تشكيك اتباع محمد عليه السلام في ادلتهم فارجع لكل في مرجعه ولا حاجة الى التكرار هنا) فعند ذلك صدقت هذه الطائفة محمدا عليه الصلاة والسلام في دعواه الرسالة من عند الله تعالى مقرين بوجوده سبحانه مصدقين برسله وكتبه والبعث وجميع ما جاء به وامنوا بذلك ايمانا ثابتا عن بيان كاف وتوضيح شاف فاصبحوا من اكرم اشياعه عليه السلام واثبت اتباعه والله على كل شيء قدير

هذا وقد كان يوجد من كل طائفة من الطوائف المتقدمة اناس لهم رآسة في قومهم اما رآسة دينية واما رآسة امارة وسياسة ولهم نفوذ كلمة وسطوة على القلوب فلا يعصي لهم امر ولا يرد لهم راي هم

المتبوعون في الاقوال والافعال وسائر قومهم لهم اتباع وهم المسامحون
اذا سطوا على الاموال والاعراض والدماء لمكان رئاستهم وعزة
عصبيتهم فعندما ادعى محمد عليه الصلاة والسلام الرسالة من عند
الله تعالى وجرى ما جرى له مع الطوائف المتقدمة وآخر الامر
صدقوا دعواه بما ثبت لديهم من الدلائل على صدقه قام في نفوس
اولئك الروساء المذكورين صدق دعواه ايضا وجزموا بذلك اكمل
الجزم لوضوح دلائله ولكن حب الرآسة وما لهم من التميز بين
اقوامهم حال بينهم وبين الاذعان والخضوع له عليه الصلاة والسلام
والاقرار بتصديقه وذلك انه خطر لهم انهم اذا اتبعوه وخضعوا له
سلبوا تلك الرآسة وحرموا ذلك التميز ولزمهم ان يكونوا اتباعا بعد
ما كانوا متبوعين وتجري عليهم احكام شريعته لايميزون عن سواهم
في شيء كما هو شأن تلك الشريعة من التسوية بين جميع اتباعها
وانهم لاينالون شيئا من اموال قومهم التي تدخل تحت تصرفه عليه
السلام الا اذا عملوا عملا يعود على اتباعه بالنفع وان من يسطو
منهم على احد في مال او عرض او دم لايسامح بمثقال ذرة الا ان
يعفو صاحب الحق فكتموا ما قام في نفوسهم من صدقه عليه السلام
واخذوا يفتكرون في امر يعاكس شأنه ويفرق عنه اتباعه فرأوا ان
الاقرب في بلوغ ذلك المأرب ان يلقوا الشبه على الطوائف الذين

اتبعوه ليوقعوا في نفوسهم الشك فحاولوا توهين الدلائل التي استدل بها اولئك الطوائف بتطريق الاحتمالات فيها وايراد التاويلات حتى تعود في نظرهم غير يقينية فيقولون لهم حنيئذٍ ان هذه الدلائل التي اعتمدتم عليها في تصديق محمد عليه السلام ما هي الا دلائل ظنية ولا يليق بكم ان تتركوا عوائدكم المألوفة وما كان عليه اباؤكم من المعتقدات وما تلقيتموه من الاديان التي جاءت بها الرسل المتقدمون لمجرد دلائل ظنية والظن لايعتمد عليه في مثل هذا الحال فرتبوا في افكارهم تلك الشبه الواهية والاحتمالات الباطلة

وجاؤا للطائفة التي صدقت محمدا عليه السلام حينما تحدى بالقران وقال انه يستعجز الفصحاء والبلغاء بسورة منه وهم كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن المعارضة وصدقوا بسبب ذلك دعواه بالرسالة فقالوا لهم يحتمل ان محمدا عليه السلام قد حصل له درجة من الفصاحة والبلاغة لم توجد في احد منكم فعجزتم عن معارضته وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن شق غباره فاجابتهم تلك الطائفة بان صناعة الفصاحة والبلاغة وان كان اساسها استعداد صاحبها في اصل فطرته ولكن لابد لكمالها

وبلوغها فيه درجة سامية من ممارسة وتدرج في طرقها من نحو
قول الاشعار وروايتها ومعاناة الخطب ودراستها ومحاورة الفصحاء
ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصبح من زمرتها حسب
استعداده الذي فطر عليه وايضاهما بلغت درجتها من السمو فلابد
لها من نظير من نوعها ومثال من صنفها ولو كان دونها في درجات
ونحن نرى محمدا عليه السلام وان كان في اصل فطرته مستعدا
لتلك الصناعة ولكننا لم نجده من اول نشأته الى ان بلغ الاربعين
سنة من عمره التي هي سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك
الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن في تلك المدة
له معاناة في الاشعار لا قولا ولا رواية وكذلك الخطب والرسائل لم
يكن له فيهما عناية ولم نجده في تلك المدة ايضا مولعا بمحاورة الفصحاء
ومغالبة البلغاء وهو بين اظهرنا لايخفى علينا حاله وكيف يخفى ومن
يعاني تلك الصناعة يشتهر بيننا كالشمس في رابعة النهار لانها من
اعظم مفاخرنا فعند ما بلغ سن الاربعين وادعى الرسالة وتحدانا
بالقرآن ما راعنا الاما وجدناه في قرآنه من تلك الفصاحة البارعة
والبلاغة الصادعة اللتين رُمينا عندهما بالعجز واصبنا بالوهن وايضا
قد انفرد ذلك القران في منهجه الذي سلكه في الفصاحة والبلاغة
بما لانجد له نظيرا فلا هو من الاشعار ولا الاراجيز ولا من نوع

الخطب والرسائل ولا له مثال يحتذي عليه وهذا يكون اعرق في الغرابة فعلى من مارس محمد عليه السلام هذه الطريقة التي جاء بها في قرآنه وهي لم تعهد بين العرب اجمع ايكون هو اول مخترع لها ويبلغ فيها هذه الدرجة التي لا تلحق ما هذه عادة المخترعين للاشياء بل عادة كل مخترع ان يصدر عنه اختراعه كالطفل وسواه يربيه حتى يبلغ الغاية التي تمكن فيه واما ان المخترع يبلغ باختراعه الغاية القصوى التي لا تستطاع وليس بعدها منزلة فهذا شيء لم يعهد في المخترعين من البشر ولا يبعد ان يقال انه غير ممكن في قدرتهم حسب الاستقراء الا ان يكون الاختراع طفيفا جدا فعدم ممارسة محمد عليه السلام لتلك الصناعة في الماضي من عمره بما يبلغه تلك الدرجة التي لا تلحق وانفراد قرآنه في ذلك الاسلوب الذي بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة حتى عجزنا عن معارضته هو مبطل للاحتمال الذي جوزتموه واردتم ادخال الشك علينا به فنحن لا نزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعواه بدون شك ولا ريب ونقول ان ذلك القرآن ليس الاتيان به في قدرة البشر بل هو منزل من عند الله تعالى كما ادعاه محمد عليه السلام

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين صدقوا محمدا عليه السلام بسبب انهم وجدوا القرآن الذي جاء به مشتملا على

الصفات الفاضلة التي لايمكن اجتماعها في كلام الا ان يكون من
عند الله تعالى والى الطائفة الذين صدقوه بسبب انتظام حال
شريعته عليه السلام واحتوائها على كل فضيلة وتكفلها بانتظام حال
متبعيها فقالوا لهاتين الطائفتين قد بلغنا ان محمدا قبل دعواه الرسالة
قد سافر الى بلاد الروم في تجارة مرتين وبلغنا انه اجتمع هناك
ببعض رهبانهم (بحيرا الراهب الذي عند ما راه مع تجار قريش في
طريق الشام تفرس به انه نبي اخر الزمان كما هو منقول في السير
النبوية) فلعله نقل هذا القرآن المشتمل على الفضائل عمن ذكر
وتعلم منه تلك الشريعة وجاء بلاده وادعى الرسالة وعضد دعواه
بذلك القرآن وتلك الشريعة ولعدم وجود احد في بلاده من اهل
المعرفة الذين يمكنهم معارضته بالاتيان بمثل ما جاء به توهمتم ان ما
جاء به حصل له من جانب الله تعالى دون صنيع البشر فاجابتهم الطائفتان
المذكورتان بان مثل ذلك القرآن المحتوي على تلك الصفات
الفاضلة التي مر شرحها في استدلالنا وبيان ان اكبر العلماء والحكماء
والسياسيين يعجزون عن جمعها في مثل ذلك الكتاب وان مثل
تلك الشريعة المشتملة على ما تقدم شرحه ايضا في استدلالنا من
العقائد الحقة والاخلاق الحسنة والعبادات المبنية على الحكم والاسرار
الباهرة والاحكام التي تتكفل بانتظام احوال الانام وغير ذلك

مما سبق ان استيفاء عدده يحتاج الى مجلدات كل ذلك لو فرض
جواز تعلمه من الغير لاحتاج الى زمان مديد يبلغ العشرات من
السنين ولو كان المعلم من ابرع الحكماء والمتعلم من اعظم الاذكياء
ومحمد عليه السلام انما غاب عن بلده مكة في جميع عمره الذي
عاشه بين اظهرنا مع تجار قريش الذين كانوا ياتون البلاد الرومية
للتجارة اياما معدودة هي مدة الذهاب والاياب بين مكة وبلاد
الروم وقضاء مصالح التجارة وهذه مدة لاتكفي لان يتعلم فيها محمد
عليه السلام بابا واحدا من ابواب شريعته التي جاء بها وكل واحد
منا يعلم صعوبة التعلم واحتياجه الى الزمان الكافي على ان تعلم ما
جاء به محمد عليه السلام للكاتب القارئ هو من الصعوبة
والاحتياج الى الزمان المديد بمكان فكيف ومحمد عليه السلام
امي لايقراء ولايكتب فكيف يجيز العقل تعلمه جميع ذلك مع اميته
وقصر زمان غيبته عن بلده واميته عليه السلام التي طالما نسمعه
يدعيها لنفسه ويذكر في القرآن الذي يتلوه بين العام والخاص
انه النبي الامي ويذكر فيه ايضا في الاحتجاج على ان ما جاء به
هو من عند الله تعالى ليس بتعلم من البشر قول ربه له (وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذًا لارتاب المبطلون)
هي اي تلك الامية ثابتة عندنا بلا ريب لانه عليه السلام قد نشأ

بين اظهرنا ولم نعلم انه عانى صنعة القرآة والكتابة ولا رأه احد منا
او نقل الينا انه خط سطرا واحدا يوما من الايام ولو انه كان يعرف تلك
الصنعة بين قومه الذين لايوجد منهم من يعرفها الا الافراد القلائل
لما خفي علينا حاله في تلك المدة ولو تقصد اخفاءها وكيف يتقصده
ولاداعي يدعو اليه بل الداعي يدعو الى اظهار حاله لما فيه من الصفة
الكمالية بين تلك الامة الامية والعقل لايصدق ان هذا الرجل من
قبل تعلم تلك الصنعة صمم على انه يتعلمها ويخفي حاله ثم يستعين بها على
تعلم ذلك القرآن وتلك الشريعة من بعض رهبان الروم ثم يدعي
الرسالة من اين ضمن لنفسه تمام ذلك ثم تم له اخفاء حاله في تعلم
تلك الصنعة وتم له تعلم ما جاء به وادعى تلك الدعوى لايقول
بذلك الا كل مكابر او منقاد للاوهام و بعد ذلك كله فان العقل
لايصدق بوجود معلم قد حوي جميع تلك المعارف التي اشتمل عليها
القرآن وتلك الشريعة واحاط باطراف تلك العوارف لا في بلاد
الروم ولا في غيرها وقد ظهر لنا بعد مخالطتنا للروم ان ما جاء به
محمد عليه السلام لايوجد عند علمائهم اجمعين فضلا عن وجوده
عند بعضهم بل رايناهم بعد المخالطة والاطلاع على ما جاء به محمد
عليه السلام يعجبون من حسن انتظام الشريعة و يقتبسون منها ما
يوافق سياسة بلادهم فكيف يكون ذلك عند علمائهم ولا يشيعونه

بينهم و يبقى خفيا حتى يظهره و يجاهر به محمد عليه السلام فيقتبسون
منه ما يقتبسون على انه يوجد فيما جاء به كثير مما يخالف دين
الروم في العقائد والاعمال والاخلاق و يذم ذلك منهم غاية الذم
فكيف يقنع العقل ان بعض رهبان الروم علم محمدا ذلك واي داع
دعاه اليه على انه لو غض النظر عن جميع الموانع المتقدمة التي
تمنع من تعلم محمد عليه السلام ما جاء به من بعض رهبان الروم
فانه يوجد مانع اخر قوي يمنع من ذلك البته وهو ان محمدا عليه
السلام ما جاء بالقرآن والشريعة دفعة واحدة واظهر ذلك للناس
في اول دعواه بل جاء بذلك مفرقا منجما من اول دعواه الرسالة
الى ان تم دينه وانتشر بين الطوائف الذين اتبعوه والامم الذين
صدقوه فكان ياتي بالاية والايتين والسورة والسورتين من قرانه
على حسب الحوادث التي تحدث بينه و بين اخصامه او فيما بين
اتباعه مشتملا ذلك على ما يقتضيه الحال من استدلال او دفع
شبهة او جواب سؤال او غير ذلك وكذلك احكام الشريعة كان
يبلغها للناس شيئا بعد شيء على حسب المصالح والحوادث والمشاكل
والسؤالات فيأتي في مقابلة كل شيء من ذلك بطبق المرغوب
والملخص انه كان ياتي في مقابلة كل حادث يحدث معه في مدة
دعواه بما يناسبه و يوافقه من القرآن والشريعة وهذه الكيفية معلومة

بالضرورة لنا ولمن نقل لهم خبره وسيرته بالتواتر الصحيح وحينئذٍ
يقال ما الذي اعلم بعض رهبان الروم بجميع الحوادث المستقبلة
التي سوف تقع وتتفق لمحمد عليه السلام بينه وبين اخصامه او
اتباعه فعلمه لكل منها ما يناسبه من القرآن ومن الشريعة فعرف
جواب كل سوال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل
حادثة يتفق حدوثها في مدته وهو اورد لكل شيء من ذلك ما
يجب له في وقته مسددا مقنعا للافكار وانا نرى من تلك الحوادث
ما لا يخطر في بال احد انه سوف يقع او يتفق وقوعه الى اخر الدهر
ومن يطلع على جميع ما حدث من الحوادث في مدة دعواه عليه
السلام يعلم ان احاطة بعض رهبان الروم الذي تزعمونه بجميع ما
سوف يحدث في تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال البتة
لايقول به الا كل عنيد وان قلتم انه يوجد في اتباع محمد عليه
السلام رجل (قيل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه وقيل غيره)
هو من امة شهيرة بالمعارف ونظامات الممالك فما المانع من ان محمدا
عليه السلام يتعلم من ذلك الرجل احكام ما يرد عليه من الحوادث
واجوبة ما يلقى عليه من المسائل ودفوع ما يعارض به من الشبه
وغير ذلك كل شي ياخذه عنه في وقته فكلما ورد عليه امر من
ذلك لجاء الى ذلك الرجل وساله عنه فيعلمه ما يقتضيه الحال قلنا

ان توهم هذا الامر من السخافة بمكان اولا لا يخفى ان امر التعلم لايتأتى في جلسة واحدة ولا في جلسات قليلة ولا يتم في الخفية بل التعليم انما يتم اذا اختلف المتعلم الى المعلم ازمنة متطاولة ومدداً متباعدة ولو كان الامر كذلك لاشتهر بين الخلق ان محمدا عليه السلام يتعلم العلوم من فلان والحال ليس كذلك وثانيا لو كان ذلك الرجل معلما لمحمد عليه السلام جميع تلك العلوم التي وجدت في قرانه وشريعته لكان في غاية الفضل والتحقيق يشار اليه بالبنان والحال ان ذلك الرجل الذي تزعمونه ليس بهذه الدرجة السامية بل ولا هو من المشاهير بالمعرفة بين الناس و يوجد كثير من اتباع محمد عليه السلام يفوقونه في الاحاطة باحكام الشريعة بدرجات وهو نفسه يكتسب منهم وممن دونهم ويتعلم ما يحتاج اليه ويخضع لديهم خضوع المتعلم للمعلم ولا يصدق العقل ان يقتدر على اخفاء حاله بهذه الدرجة وثالثا لو كان هو المعلم لمحمد عليه السلام لاضطر محمد الى تقديمه في المرتبة والمقام بين اتباعه على جميعهم ولو لم يقمه محمد في تلك المنزلة لما صبر هو على ذلك ونحن نراه بين اتباع محمد دون كثير منهم في الرتبة وهو راض بذلك غير متنكر منه ورابعا انا قد خالطنا فيما بعد امة ذلك الرجل فلم نجد عندها جميع ماجاء به محمد عليه السلام من العلوم والاحكام والشريعة الجامعة

لكل خير وكثير منها لم يوجد عندهم منه عين ولا اثر بل وجدناهم يقتبسون من شريعته ما يرونه مناسبا لسياسة بلادهم فمن اين جاء ذلك الرجل جميع تلك المعارف وامته محرومة منها فكل ذلك يبطل هذه الاحتمالات التي اوردتموها علينا ايها المشككون ويلقيها في حيز الاهمال فنحن لا نزال مصدقين بدعوى محمد عليه الصلاة والسلام بدون شك ولا ريب

فقال اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق محمد عليه السلام باقرار اهل الفصاحة والبلاغة بالعجز عن معارضة قرآنه وبشهادة اهل المعرفة في فضائل الكلام باشتمال القرآن على الصفات الفاضلة التي يعجز عن جمعها في مثله كل احد من البشر وبعجز بعض اهل الفصاحة والبلاغة عن معارضة قرانه ايضا بدليل عدم التعرض لها بل انحازوا الى محاربته التي سببت قتل انفسهم وسبي ذراريهم وتخريب ديارهم وجلاءهم عن اوطانهم فتركوا الطريق السهل وهو المعارضة لو تمكنهم وسلكوا سبيل المحاربة التي هي اصعب السبل فقالوا لهم وما يدريكم ان الطائفتين اللتين احداهما اقرت بالعجز عن المعارضة والاخرى اقرت باشتمال القرآن على الفضائل التي لا تلحق واتبعوا جميعا محمدا (عليه السلام) كان ذلك منهم لغرض من الاغراض وغاية يبلغوها في ذلك الاتباع فاقروا

بذلك الاقرار واتوا بتلك الشهادة ليكون ذلك حجة لهم على من يلومهم واما الطائفة الذين تركوا المعارضة وانحازوا الى المحاربة التي سببت لهم تلك الاضرار فربما يكون محمد (عليه السلام) هو الذي ابتداهم بالمحاربة وبسبب استعار نار الحرب لم تبق لهم فرصة للمعارضة ولم يمكنهم محمد (عليه السلام) من ذلك وبهذا السبب تركوا الطريق السهل وسلكوا السبيل الصعب فهم قد الجؤا لذلك الجاء فاجابتهم هذه الطائفة بان قولكم في حق الطائفتين الاولين انه يحتمل ان يكون ما حصل منهم من الاقرار والشهادة والاتباع لغرض من الاغراض وغاية ينالونها في ذلك فهو قول مسربل بالمجازفة ومجرد عن كل روية لانه لايخفى ان اصعب شيء على العاقل مفارقة دينه الذي يرجو فيه النجاة في الدنيا والاخرة واصعب شيء بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التي مرن عليها وتلقاها عن اسلافه حتى ان البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها وعلى هذا فالعاقل لايفارق دينه الا اذا تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لاسيما الموروثة الا لسبب قوي قاهر فهاتان الطائفتان نراهم قد فارقوا دينهم الذي يرجون به نجاتهم وعوائدهم التي مرنوا عليها وصاروا يذمون جميع ذلك اشد الذم واقروا بالعجز عن المعارضة وشهدوا بفضل القرآن بمجرد اطلاعهم

عليه بدون ادنى خوف من جانب محمد عليه السلام لما لهم من
العصبية القوية بدون احتياج الى اموال في يده بل قبل ان تقوم
له عصبية وان يحصل في يده شي من الاموال و بدون سبب من
الاسباب الملجئة لذلك يعلم ذلك من استقصاء حالهم وحاله والاطلاع
على كيفية اتباعهم له فلولا انهم جزموا بالعجز عن المعارضة و باحتواء
القرآن على تلك الفضائل التي يعجز عن جمعها البشر لما اقروا
وشهدوا بذلك ولما كان منهم ذلك الاتباع الذي فارقوا به دينهم
الذي يعتقدون به نجاتهم وكابدوا مشقة هجر عوائدهم وهم عقلاء
فطناء آمنون واما قولكم في حق الفصحاء البلغاء الذي ظهر عجزهم
عن المعارضة بتركهم اياها وسلوكهم سبيل المحاربة التي جاءتهم
بالاضرار انه ربما ابتدأهم محمد عليه السلام بالمحاربة ولم يجدوا فرصة
للمعارضة ولم يمكنهم محمد منها فنقول لو كان ما حصل بينهم و بين
محمد عليه السلام من دعوته لهم وامتناعهم قد حدث في واقعة
واحدة وفي مدة وجيزة لربما كان العقل يصدق بذلك الاحتمال
الذي قلتم به ولكن الحال ليس كذلك فانهم ما تحاربوا معه عليه
السلام حتى تحداهم بالقرآن مرارا ونادى على رؤس الاشهاد
بعجز البشر عن معارضته ومضى على ذلك مدة من الزمان ليست
بقليلة وهو في قسم كبير من اولها لم يكن عليه السلام ذا اتباع يصلح

عددهم للمحاربة ثم بعد ما استعرت نار الحرب بينه وبين هذه الطائفة لم يزل متحديا بذلك ويدعوهم الى المعارضة كلما وجد فرصة لها وقد كان يحصل بينه وبينهم هدن كثيرة ويجتمع هو واصحابه معهم في اوقاتها فكان يمكنهم في اثناء تلك الهدن والفرص ان ياتوا بالمعارضة لو امكنتهم ويرسلوا اليه ما يعارضون به وينشروه بين احياء العرب ولايعدمون نصيرا ولكن لم نجدهم حاولوا ذلك لافي اول دعواه ولا في وقت الحرب ولا في زمن السلم وما التجؤا الى فصاحتهم وبلاغتهم الا في هجائه وهجاء اتباعه واما المعارضة فما تفوهوا في جانبها ببنت شفة ولو حصل منهم شيء منها لما خفي علينا ولكانت نقلته الرواة الى المشارق والمغارب فهذه الاحتمالات التي اردتم تشكيكنا بها باطلة زاهقة لايجوزها الا كل عديم التدقيق غبي عن حقيقة احوال اولئك الطوائف مع محمد عليه الصلاة والسلام فنحن نرفض جميع تلك الاحتمالات الواهية ولانزال مقرين مصدقين بدعوى محمد عليه السلام معتمدين على دليلنا المتقدم بدون ارتياب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين صدقوا دعوى محمد عليه السلام لما شاهدوه من خوارق العادات ومخالفة النواميس الطبيعية التي ظهرت على يديه فقالوا لهم يحتمل ان جميع ما اظهره

محمد (عليه السلام) من الخوارق كان من نوع السحر فسحر اعينكم حتى تخيلتم وقوع ذلك فاجابتهم تلك الطائفة بان حالة محمد عليه السلام ليست حالة ساحر فانه يامر بالخير وينهي عن الشر والذي يعهد من السحرة انهم اشرار شهوانيون ياتون باعمال السحر لنوال مآربهم الخسيسة ومحمد عليه السلام لايظهر شيئا من الاعمال الخارقة للعادات لاجل غرض خسيس ولا ياتي بذلك الا ليقنع العقول باتباع ماجاء به من الشريعة التي تحتوي على مكارم الاخلاق وتامر بالتخلي عن الشرور والتحلي بالخيرات فحالته حالة الرسل الذين تقدموه من كمال الصفات وسلوك سبيل الاستقامة وهداية الخلق الى الحق والسير في منهج النجاح وهو مؤيد دعواه بمثل ما ايدوا دعواهم من خرق النواميس الكونية التي لايقدر على خرقها الا الله تعالى وذلك يكون كالتصديق منه تعالى لدعوى ذلك الرسول كانه تعالى يقول صدق عبدي فيما يبلغ عني وخرقي للنواميس الكونية على يديه هو تصديقي له في دعواه (وقد تقدم توضيح ذلك باوفى بيان فارجع اليه ان شئت) على ان بعض تلك الخوارق التى ظهرت على يدي محمد عليه السلام لايصدق العقل ان للسحرة قدرة عليها وذلك كانشقاق القمر الذي شاهده الحاضر والبادي فانه كما راه الحاضرون عند محمد عليه السلام الذين طلبوه منه فقد شاهده

واخبروا به المسافرون الواردون من امكنة بعيدة تساوي افقهم مع افق الحاضرين فهب ان محمدا عليه السلام سحر اعين الحاضرين عنده حتى شاهدوا ان القمر قد انشق فهل في قدرته ان يسحر اولئك المسافرين الذين كان كل فريق منهم في مكان من البادية لايقول بذلك الا كل مكابر او جاهل بمقدار قدرة السحرة في اعمالهم على اننا بعد ما صدقنا محمدا عليه السلام بسبب تلك الخوارق واطلعنا على شريعته اتم الاطلاع وخالطناه اشد المخالطة ودققنا النظر في احواله عليه السلام لم نجد في شريعته الا كل استقامة وكل ما يؤل على العامل بها بجلب الخير ودفع الضير كشرائع الرسل المتقدمين في اصل الاستقامة فائقة عليها باستيفاء ابواب الكمالات ولم نجد فيه عليه السلام ماينكره العقل او يرتاب فيه الفكر وليس شانه شان السحرة ولا حاله حال المحتالين على تحصيل حطام الدنيا ونوال شهواتها بل دأبه هداية الناس الى منهج الاستقامة واداء شكر المولى تعالى وصلة الارحام واطعام الطعام للمساكين والايتام مع شفقة منه على اتباعه كشفقة الوالد الحنون لا طمع له في اموالهم ولا ميل فيه الى ملذاتهم بل هو يتفضل عليهم بالاحسان شان الرسل قبله عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام فعلى جميع ما قدمنا لم يبق لنا ريب في صدق دعواه وهذا

التشكيك منكم ذاهب ادراج الرياح وساقط في نظر كل منصف فنحن لانزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعواه مؤمنين بكل ما جاء به من عند الله تعالى والله وليّ التوفيق

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق محمد عليه السلام بسبب ان العلامات التي وردت في الكتب المنسوبة للرسل المتقدمين التى تكون في رسول يرسله الله تعالى بعدهم قد انطبقت عليه فقالوا لهم وما ادراكم ان تلك العلامات قد انطبقت على رسول قد مضى قبل ان قام محمد (عليه السلام) بدعواه فاجابتهم تلك الطائفة باننا قد بحثنا في تاريخ احوال الرسل الذين تقدموا محمدا عليه السلام وجاؤا بعد ورود تلك العلامات في تلك الكتب فلم نجد واحدا منهم قد انطبقت عليه جميع تلك العلامات ولو كان واحد منهم كذلك لما خلا ذكره من جميع تواريخ الرسل ولكانت اخباره تنقل الينا ولو في بعض الاقاصيص لان مثله لايندرس ذكره هذا الاندراس نعم قد وجد من وجدت فيه بعض تلك العلامات ولكن لم يوجد من توفرت فيه باجمعها وقد اوضحنا هذا في تقرير استدلالنا (فليراجع هناك) فقالوا لهم وما ادراكم انه قد ياتي في الزمن المستقبل رسول من ظرف الله تعالى تنطبق عليه جميع تلك العلامات و يكون هو المراد في تلك الكتب

وانطباق العلامات الان على محمد (عليه السلام) كان بطريق الصدفة والاتفاق وان كان وجود تلك العلامات وتوفرها في شخصين بعيدا جدا ولكن العقل لا يحيله فاجابتهم تلك الطائفة بانا نعتقد ان الله تعالى الذي ينسب اليه ارسال اولئك الرسل الذين جاؤا بتلك الكتب وايحاؤها اليهم هو عليم حكيم فلا بد ان يعلم كل مستقبل ياتي فاذا كان يعلم انه سوف ياتي محمد عليه السلام ويدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات والحال انه غير مراد وانما المراد من ياتي بعده فلا بد بمقتضى حكمته سبحانه انه كان ينبهنا على ذلك ولو بعبارة واحدة بان يقول في تلك الكتب انه يأتي واحد يدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات التي تذكر في كتب رسلي ولكنه غير المراد لي وانما المراد من ياتي بعده وحيث لم يرد منه سبحانه شي من ذلك فوجب ان يكون محمد عليه السلام هو المراد قطعا واحتمال وجود العلامات في شخصين الذي قلتم ان العقل لا يحيله قد تبين بهذا التقرير انه محال لانه يقتضي اما جهل الله تعالى في حوادث المستقبل او اجراء اعماله سبحانه على خلاف الحكمة ووقوع التلبيس منه تعالى على عباده وكل ذلك محال فما ادى اليه يكون محالا فاذاً وجود تلك العلامات في شخصين لا يجيزه العقل فمحمد عليه السلام الذي وجدت فيه باجمعها هو المراد البتة وقد

شرحنا ذلك في تقرير استدلالنا باكمل بيان (فليراجع هناك) فنحن لانزال مصدقين بدعوى محمد عليه السلام بلاشك ولا ريب

فمال اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق محمد عليه السلام بانه لو لم يكن صادقا في دعواه لما اتفق على تصديقه اولئك الطوائف العقلاء بعد ما كانوا مخالفين له اشد المخالفة ومكذبين اشد التكذيب ومتعصبين لعقائدهم وعوائدهم ولما توفرت لهم تلك الادلة لكن قد اتفقوا وتوفرت لهم تلك الادلة فيكون صادقا فقالوا لهم يحتمل ان يكون كل دليل من ادلة اولئك الطوائف دليلا ظنيا لايفيد اليقين واذا كان الحال كذلك فمجموع الادلة يكون ظنيا اذ ليس حقيقة المجموع الا تلك الافراد فكيف يعتمد على ذلك في الاعتقاد ومفارقة الدين ويحتمل ان محمداً بقوة حجته وحدة خاطره التي فطر عليها قد صور لكل طائفة من تلك الطوائف دليلا ظنيـا وحلاه بحلية اليقين فاجابتهم تلك الطائفة بان كل طائفة من تلك الطوائف المستدلة بتلك الادلة اذا تامل العاقل في شانهم من انهم عقلاء متعصبون لما هم عليه من العقائد والعادات لايصدق عقله بانهم يعتمدون في مفارقة دينهم وعوائدهم على دليل ظني ويتساهلون في تحرير دليلهم واعتماد اليقين فيه لان اقدامهم على ما اقدموا عليه ليس امرا طفيفا حتى

يهملوا التحقيق والتدقيق فيه فالذي يقنع به العقل السليم ان كل طائفة منهم لم تعتمد في اتباعها محمدا عليه السلام الا على دليل يقيني يفيد الجزم وعلى فرض ان هذا التقرير لايفيد القطع بان كل دليل من تلك الادلة هو يقيني فاتفاق تلك الادلة على نتيجة واحدة وهي صدق محمد عليه السلام مما يفيد صحة دعواه ويكون ذلك دليلا لنا مستقلا يوجب لنا الجزم بذلك وقولكم اذا كان كل دليل على حدته ظنيا فمجموع الادلة يكون كذلك اذ ليس المجموع الا تلك الافراد هو قول ممنوع لانه وان يكن المجموع ليس الا الافراد ولكن حكم كل فرد غير حكم المجموع في المحسوسات والمعقولات كما لايخفى (قد مر بسط الكلام في هذا المقام في الرد على المؤلين لادلة الطوائف الذين صدقوا الرجل المرسل من عند الملك ويزاد هنا على ذلك بعض البيان) الا ترون ان الحبل الثخين هو مجموع خيوط كل منها على حدته يستقل بقطعه الولد الصغير واما مجموع تلك الخيوط وهو الحبل فيعجز عن قطعه اقوى الرجال وكذلك الحال فيما لو خرج جماعة كثيرون من مجتمع حضروا فيه خطيبا خطب بينهم واخبر كل واحد منهم ان الخطيب في اثناء خطبته سقط عن منبر الخطبة وشج راسه فخبر كل واحد منهم على حدته وان كان ظنيا يحتمل انه كذب ولكن

مجموع اخبارهم تفيد اليقين ويحيل العقل ان هؤلاء الجماعة الكثيرين قد تواطؤا على الكذب وهم مختلفون في الافكار ولا جامع يجمعهم على اختلاق ذلك الخبر وكذلك اذا قال جماعة ان الامير قد حضر من سفره الى البلدة فاحدهم قال لاني رايت اليوم ثيابه قد حضرت مع بعض خدمه والاخر قال لاني رايت خدامه الخاصة بخدمته قد حضروا والاخر قال لاني رايت ولده العزيز الذي من عادته ان لا يفارقه لاسفرا ولا حضرا قد حضر والاخر قال لاني سمعت اصوات المدافع قد ضربت فسالت عن ذلك بعض المدفعيين فقال لي ان الامير قد حضر والاخر قال لاني رايت ارباب الوظائف في الحكومة مسرعين لملاقاته والسلام عليه عند خروجه من السفينة وهم اخبروني بذلك والاخر قال كذا والاخر قال كذا وكل منهم اتى بدليل اذا نظر اليه بحد ذاته يكون ظنيا فان العقل لاينظر الى كل دليل على حدته بل يعتبر مجموع تلك الادلة ويقول ان اتفاقها لايكون بطريق الصدفة ويجزم بسببها بحضور الامير البتة فقد ظهر ان الافراد من الادلة وان كان كل منها ظنيا ولكن مجموعها قد صار يقينا بالاجتماع يفيد الجزم واما قولكم يحتمل ان محمدا عليه السلام بقوة حجته وحدة خاطره التي فطر عليها قد صور لكل طائفة دليلا ظنيا وحلاه بحلية اليقين فهذا كلام من لم

يعرف حقيقة الادلة التي اعتمد عليها اولئك الطوائف فان اكثرها لم يتحصل بصنع من محمد عليه السلام فكيف يقال انه هو الذي صوره وحلاه تاملوا كيف يمكن لمحمد عليه السلام ان يحدث في الفصحاء والبلغاء العجز عن معارضة قرأنه اذا لم يكن نفس القرآن معجزا (وقد مر رد الشبه الواردة على هذا في اول الكلام مع الماديين فليراجع هناك) هب ان محمدا الزم نفسه بالعلامات المذكورة في الكتب المنسوبة للرسل المتقدمين التي هي من نوع الاخلاق والافعال الاختيارية على زعم انه اطلع على تلك الكتب مثل انه يحب البر ويبغض الاثم ويحكم بالعدل ويحارب ونحو ذلك فهل يمكنه ان يحدث في نفسه العلامات الجسدية مثل ان علامة ملكه بين كتفيه وكونه قويا وهل يمكنه ان يحدث العلامات التي ليست اختيارية بل هي من قبيل الحظوظ في العالم مثل كون الشعب تحته وكون الهدايا ترد اليه من الملوك وكون الاغنياء تنقاد له وان البرية ترفع صوتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قيدار وكونه الحجر الذي رفضه البناؤن وصار راس الزاوية وانه اعطى سلطانا على الامم وان الحبشة تجثو له وان ملوك اليمن تاتيه بالقرابين وهذه الامم تخضع له وتدين له بالطاعة وكونه يعطي من ذهب سبا وهو واتباعه مثل الزرع الكثير على وجه الارض وان سلطانه يكثر

يوما فيوما وانه بعد ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض وان الطيور تاكل لحم الملوك الذين يحاربونه وان اتباعه يقودون الملوك ويسوقونهم بالسلاسل والاغلال وان الله اغاربهم شعب اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل (قد مر تطبيق هذه العلامات في كلام الطائفة الذين استدلوا بها فليراجع هناك) فقد ثبت بما قررناه ان كل احتمال اوردتموه لتشكيكنا هو غير جائز لايصدقه العقل السليم الخالى عن التعصب فنحن لانزال مصدقين دعوي محمد عليه السلام بدون ارتياب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين كانوا ماديين طبيعيين ثم صدقوا محمدا واتبعوه بما شرح لهم العالم المحمدي وابانه من الدلائل التي تدل على بطلان مذهبهم في انكار اله العالم والوحي وتدل على صحة دين محمد عليه السلام وموافقته للعقل واحكامه اليقينية مع دفع الشبه التي كانت عقابا في سبيل تصديقهم فراى اولئك المشككون بعد اطلاعهم على ما جرى بين هذه الطائفة وبين ذلك العالم المحمدي من المذاكرات والمباحثات ان كل شبهة يرجون بها ادخال الشك على هذه الطائفة قد دفعها ذلك العالم في مباحثاته واظهر بطلانها فسقط في ايديهم وقالوا لم يبق لنا مع هذه الطائفة الا اننا نشككهم في كلام هذا العالم الذي كان

كلامه سبب اقناعهم في اتباع محمد (عليه السلام) فقالوا لهم لعل هذا العالم يكون قوي الحجة كثير الاطلاع متضلعا في اساليب المباحثات فسحر عقولكم بسحر بيانه حتى خيل لكم بطلان ما يخالف شريعته من مذهبكم وصحة دين محمد (عليه السلام) فكان عليكم ان تتثبتوا ولا تتركوا اعتقادكم المبني على علومكم الطويلة العريضة لمجرد مذاكرة ذلك العالم ومباحثته فاجابتهم تلك الطائفة باننا قوم اصحاب عقول ولنا باع طويل في المناظرات وفطنة تامة في تلقاء من يناظرنا فلا نخال ان ذلك العالم المحمدي او اعظم منه بكثير يقدر على تمويه الحجج علينا واقناع عقولنا بغير الصواب وكل ما ناظرنا فيه واقنع به عقولنا قد سلك فيه سبيل البيان العقلي الواضح وجرى في ذلك على مقتضى صريح العقل فاثبت لنا اولا حدوث مادة العالم بدليل واضح مبني على اكتشافاتنا في حقائق الكائنات ثم اقام لنا الدليل على وجوب وجود آله محدث للعالم ووجوب اتصافه بالصفات التي تدل عليها اثاره في هذه الاكوان ودفع عنا شبها كانت مانعة لنا من التصديق بوجود ذلك الآله وضرب لنا الامثلة على ذلك باوضح بيان وايقظ عقولنا للاستدلال على وجود ذلك الآله سبحانه وعظمة صفاته وفور حكمته بما ذكرنا به من تفاصيل الكائنات واسرارها المنطوية في مباحثنا المدونة في كتب علومنا على اكمل

تبيان ثم وفق لنا بين ما وردفي شريعة محمد عليه السلام
وبين ما جاء في علومنا مما ظاهره المخالفة لها حتى زال نفورنا عما
ورد في تلك الشريعة ثم ابان لنا الاضرار التي تنشاء في العالم البشري
من الاعتماد على اعتقاداتنا لاسيما من انكار البعث للانسان ثم
بعد ذلك تاملنا في الادلة التي اعتمدها الطوائف الذين اتبعوا
محمدا عليه السلام وصدقوه بسببها فظهر لنا انها صحيحة دالة على
صدقه يقينية الدلالة لاسيما مجموعها الذي لا يحتمل توفره بوجه
الصدفة والاتفاق فعند ذلك ظهر لنا الحق وليس بعد الحق الا
الضلال ونحن دائما بين الانام نطنطن باننا احرار الافكار نذعن
للحق اينما كان فكيف بعد ذلك كله نكابر ونخالف الصواب ولا
سيما مكابرة تعود علينا بالشقاء الابدي وخسارة انفسنا فلم يسعنا
بعد ذلك الا تصديق محمد عليه السلام واتباعه فصدقناه واتبعناه
باكمل ايمان واحكم ايقان فايرادكم هذا التشكيك في كلام ذلك
العالم المحمدي لايجديكم نفعا فكفوا عنا بسلام فعند ذلك رجع
اولئك المشككون عن اولئك الطوائف صفر الايدي بخفي حنين
والله لايصلح عمل المفسدين

هذا وقد كانت طائفة من اولئك الجماهير الذين قام بينهم محمد
عليه السلام بدعواه خامدة الافكار جامدة في تعصبها جمود الاحجار

فعند ما سمعوا بدعوى محمد عليه السلام وشاهدوا الطوائف الذين اتبعوه رأوا بسوء اختيارهم ان يلتزموا التعصب الاعمى لمعتقداتهم وعاداتهم و يكذبوا دعواه عليه السلام بدون استناد الى شي سوى قولهم انا وجدنا اباءنا على هذه الاعتقادات والعادات فلا نترك شيئا منها لدعوى محمد (عليه السلام) وكيف نترك شيئا من ذلك وقد مضى عليه اسلافنا وعملنا سنين عديدة فاصروا على هذا الجمود البارد والفكر الخامد فهولاء القوم قد بقوا في ضلالهم مع اتباع خطة دنية وخلة وبية لم يتبعوا الصواب ولم يناضلوا عن مختارهم مناضلة ذوي الالباب فسقطوا في مهاوي الخسران وانحطوا في دركات الهوان والله سبحانه وتعالى لايعذرهم في ذلك العناد ولا بد ان ينتقم منهم في يوم التناد وان قيل ان هولاء القوم كما ذكرت عنهم افكارهم خامدة فلعل ذلك يكون لهم عند الله تعالى عذرا فيقولون يا ربنا لم يكن عندنا من الفكر عند ما ادعى محمد عليه السلام الرسالة ما يوصلنا الى استيضاح دعواه فلذلك بقينا مصرين على تكذيبه قلت ان خمود افكارهم ليس لنقص في اصل خلقتهم وضعف فطري في عقولهم وجبلتهم ينزل بهم الى درجة المجانين او الحيوانات العجم حتى يعذروا عند الله تعالى في جمودهم على تكذيب دعوى محمد عليه السلام وعدم استيضاحهم لها

ويسقط بذلك عنهم التكليف الالهي الذي كلف الله تعالى به عباده على السنة رسله عليهم السلام بل ذلك الخمود فيهم قد نشأ من انغماسهم في الشهوات والتفاتهم الى اللذات وانهماكهم في تحصيل رغائبهم الدنوية و بلوغ اهوائهم الدنية فاستثقلوا لاجل ذلك سلوك سبيل الاستبصار وركنوا الى الذلة والصغار والدليل على ذلك اننا نراهم في تحصيل رغائبهم ومجادلة اخصامهم في مقاصدهم اصحاب افكار وانظار واستدلالات ذات اخطار يدققون النظر لبلوغ الوطر و يعملون الفكر في تحصيل الابر فاي مانع منعهم من الاستبصار في دعوى محمد عليه السلام بعد ما سمعوا بها ماهو الا للبطر وهوى النفس والاخلاد الى هذه الدنيا الفانية فهم يستحقون من الله تعالى الانتقام يوم الزحام على قانون العدل لايظلمون فتيلا؛ وهكذا ترى كثيرا من المنهمكين في اللذات وتحصيل الرغائب الفانية يهملون انفسهم من تصحيح عقائدهم وتعلم عباداتهم ومعاملاتهم واذا قيل لهم ان الشريعة تكلفكم بتعلم ذلك يقولون ان عقولنا لاتطيق فهمه ولا تستطيع علمه ومن اين لنا افكار تبلغ هذه الانظار وانت تراهم في تحصيل رغائبهم الدنوية ومخاصمة اخصامهم في ادنى امنية فلاسفة مدققين وحكماء محققين فلو وجهوا عقولهم التي وهبها الله تعالى لهم الى تعلم ذلك القدر الذي فرضه الله تعالى عليهم لوجدوا

فيها قبولا للتعلم واستعدادًا للتفهم ولكن استهواهم الكسل والانهماك
في الشهوات والسعي لتحصيل حطام الدنيا في جميع الاوقات يزينون
ظواهرهم بالملابس وبطونهم بالمطاعم وعقولهم عطلى من حلى المعارف
الحقة فهم بذلك غير معذورين في نظر الشريعة المحمدية وسوف
يسئلون عما كلفوا به من التعلم فى يوم الحساب ويستحقون هنالك
على تفريطهم انواع العقاب)

هذا ولم يزل محمد عليه الصلاة والسلام مع الطوائف الذين
اصروا على انكار رسالته عنادا وجهلا وضلالا يقيم لهم البراهين
على صدق دعواه ويورد لهم المواعظ ويؤلف قلوبهم بكل ممكن
ويرشدهم الى منهج الحق ومعالم الصدق ومضت له مدة من قيامه
بدعوى الرسالة وهو لم يومر الا بموعظتهم البالغة ومجادلتهم بالتي
هي احسن لكن لما ظهر وتبرهن للعقول السليمة والانظار القويمة ان
اولئك القوم لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر
لديهم الارشاد بل هم فضلا عن ضلالهم وغشهم لانفسهم بعدم
قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لايفترون عن اذاه
عليه السلام واذى اتباعه كلما سنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد
ويقيمون في سبيل دينهم المغاثر ويخترعون لهم بدائع الاضرار
ويعاملونهم معاملة الاشرار اذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد اولئك

الاعداء والاخصام الالداء والاغرار البلداء استبدالا للترغيب
بالترهيب ودفعا للاذى والفساد وقطع جرثومة العناد وقد يسمح
بالاشرار لسلامة الاخيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من
البوار ولكن شرع الله تعالى ذلك الجهاد على حدود تبقى للرفق
مجالا وللشفقة والعدل منالا وذلك ان يدعي المخالفون للدين اولا
بالموعظة الحسنة الى الاسلام وتوحيد الملك العلام والتصديق بجميع
ما جاء به عليه الصلاة والسلام فان قبلوا فبها ونعمت ويكونون
مثل سائر المسلمين وان لم يقبلوا فان كانوا من مشركي العرب
الذين جاء الشرع المحمدي بلغتهم وليس لهم شبهة كتاب او شرع
سماوي بل هم عبدة اصنام او نيران او نحو ذلك فحكمهم القتل (كما
كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الامم السبعة وهم
الحيثيون ومن ذكر معهم كما في سفر الاستثناء وفي حق المرتد والذابح
للاوثان والداعي الى عبادتها) وان كانوا من غير مشركي العرب يدعون
الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة فان قبلوا صارت دماؤهم كدماء
المسلمين واموالهم كاموالهم واعراضهم كاعراضهم لايسامح احد بشي من
ذلك ولو مثقال ذرة حتى لاتجوز غيبتهم او شتمهم او اذيتهم بادنى مكدر
الا بما يجوز مثله على المسلمين بوجه شرعي من نحو التاديب مثلا
وان لم يقبلوا بدفع الجزية والاطاعة فيحاربون وتباح دماوهم واموالهم

للمسلمين واسترقاقهم كما كان مثل ذلك في الشريعة الموسوية في حق الامم غير السبعة ولذلك حدود لايجوز تعديها فلا يقتل صغير ولا امراة ولا من يتخلى لما اتخذه عبادة الا ان يكون احد هولاء له نكاية في المسلمين ولو باعطاء الراي في تدبير الحروب وقد كان بعض من اتبعوا محمدا عليه السلام من اهل الشرائع المتقدمة انكروا امر الجهاد في اول الامر لما فيه من ازهاق الانفس وسلب الاموال واسترقاق البشر ولكن بعد ما حكموا الانصاف وقابلوا بين شريعة محمد عليه السلام وبين الشرائع المتقدمة لم يجدوا في الشريعة المحمدية ما يعاب عليها من تلك الامور ويشذ عن الذي يعهد في الشرائع بل وجدوا فيها تخفيفات قد خلت عنها الشرائع المتقدمة فان الشريعة المحمدية مع حكمها بقتل مشركي العرب اذا لم يومنوا قد حرمت قتل صغارهم ونسائهم بخلاف الشريعة الموسوية في حق الحيثيين وبقية الامم السبعة المذكورين في سفر الاستثناء فانها حكمت بقتل كل ذي حياة منهم ذكورهم واناثهم واطفالهم وذكر هناك ان هولاء الامم اكثر من بني اسرائيل عددا فسمح الله تعالى بهم لسلامة بني اسرائيل المومنين وشدد في اهلاكهم تشديدا بليغا فقال في سفر العدد فابيدوا كل سكان تلك الارض ثم انتم ان لم تبيدوا سكان الارض فالذين يبقون منهم يكونون لكم كاوتاد في

اعينكم ورماح في اجنابكم ويعسفون عليكم في الارض التي
تسكنونها وما كنت عزمت ان افعله بهم سافعله بكم واما حكم
الشريعة الموسوية في حق غير الامم السبعة فهو كحكم الشريعة المحمدية
بان يدعي المخالفون اولا الى الصلح فان رضوا به وقبلوا الاطاعة
بالايمان او اداء الجزية فبها وان لم يرضوا يحاربوا فاذا حصل الظفر
عليهم يقتل الذكور منهم ويسبى نساوهم واطفالهم وينهب دوابهم
واموالهم وتقسم على المجاهدين كما في السفر المذكور (المشهور في
الكتب الاسلامية ان الغنائم ما كانت تحل للامم السابقة بل كان
يجب عليهم حرقها فليتامل) ثم ان يوشع عليه السلام بعد موت
موسى عليه السلام جرى على الاحكام المندرجة في التوراة فقتل
المليونات الكثيرة كما يوخذ من كتابه من الباب الاول الى الباب
الحادي عشر وقد صرح في الباب الثاني عشر من كتابه انه قتل
احدا وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار وتسلط بنو اسرائيل
على مملكتهم و يوخذ من سفر صموئيل ان داود عليه السلام كان
يخرب كل الارض وما كان يبقي رجلا ولا امراة من اهل جاسور
وجزر وعمالق وينهب دوابهم وامتعتهم وفي السفر المذكور ان
الموبيين صاروا عبيدا لداود يودون اليه الخراج وانه ضرب هدر
عازار واخذ منه الف وسبعماية فارس ومن رجاله عشرين الفا

وضرب من ارام اثنين وعشرين الفا وانه قتل من السريانيين سبعمائة مركب واربعين الف فارس وانه اخذ الشعب الذين كانوا في قرية راية اخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين وكذلك صنع بجميع قرى بني عمون ويوخذ من سفر الملوك الاول ان ايليا عليه السلام ذبح اربعماية وخمسين رجلا من الذين يدعون انهم انبياء بعل ثم ان داود قد عد اعماله من الحسنات ومن جملتها جهاداته اذ قال في الزبور الثامن عشر ويجازيني الرب مثل بري ومثل طهارة يدي يكافئني لاني حفظت طرق الرب ولم اكفر بالهي لان جميع احكامه قدامي وعدله لم ابعده عني واكون معه بلا عيب لانه حفظني من اثمي وقد شهد الله تعالى ان جهاداته وسائر افعاله الحسنة كانت مقبولة عنده تعالى حيث قال في سفر الملوك الاول هكذا داود عبدي الذي حفظ وصاياي وتبعني من كل قلبه وعمل بما حسن امامي وقد شهد بولص لاولئك الانبياء بان اعمالهم في الجهاد للكفار كانت من جنس البر لا من جنس الاثم وكان منشؤها قوة الايمان ونيل مواعد الرحمن لا قساوة القلب والظلم وان كان افعال بعضهم في صورة اشد انواع الظلم سيما قتل الصغار غير المتدنسين بذنب اذ قال في الرسالة العبرانية هكذا وماذا اقول ايضا لانى يعوزني الوقت

ان اخبرت عن جدعون و باراق وشمسون و يفتاح وداود وصموئيل
والانبياء الذين بالايمان قهروا ممالك صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا
افواه اسود اطفؤا قوة النار نجوا من حد السيف تقوا من ضعف
صاروا اشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء وان قال قائل متجري
ان جهادات داود كانت لاجل سلطنته ومملكته قلنا هذا القول
من قلة الدين لان قتله لاولئك البشر لاسيما النساء والاطفال لايخلو
اما ان يكون مرضيا لله تعالى وحلالا له او مبغوضا عند الله تعالى
ومحرما عليه فان كان الاول فقد ثبت ان الجهاد مشروع من الله
تعالى في الشرائع المتقدمة وان كان الثاني لزم والعياذ بالله تعالى
كذب شهادة الله تعالى في حقه التي مر نقلها عن سفر الملوك
وكذب قوله هو في حق نفسه وكذب شهادة بولس في حقه وهذا
شي لايسلم به كل من يعتقد تلك الكتب التي تقدم نقل هذه
الاقوال عنها ولزم ان يكون دماء الوف من المعصومين وغير
واجبي القتل في ذمته ودم البري الواحد يكفي للهلاك فكيف
تحصل له النجاة الاخروية وبالاختصار اذا لم يكن لنا دليل على
مشروعية الجهاد عند الله تعالى وقتل المخالف لشرائع الله تعالى الا
ان عيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره عند نزوله كما هو
مصرح به في الباب الثاني من الرسالة الثانية الى اهل تسالونيقي

والباب التاسع من المشاهدات لكان ذلك دليلا كافيا واذا نظرنا
الى عادة الله تعالى الفاعل المختار الذي لاتوصف افعاله بالظلم بل
كل اعماله عدل وحكمة وجدنا ان من عادته سبحانه ان يبغض الكفر
ويجازي عليه في الاخرة يقينا وكذا يبغض العصيان وقد يعاقب
الكفار والعصاة في الدنيا ايضا فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما
كما في عهد نوح عليه السلام فلم ينج حينئذٍ الا اهل السفينة
وبالاغراق خصوصا كما اغرق فرعون وجنوده و بالاهلاك مفاجاة
كما اهلك اكبر اولاد كل انسان و بهيمة من اهل مصر في ليلة
خروج بني اسرائيل من مصر كما في سفر الخروج وتارة بامطار
الكبريت والنار وقلب المدن كما في عهد لوط عليه السلام فانه
اهلك اهل سادوم وعاموره ونواحيها بذلك وتارة بالامراض كما
اهلك الاسدوديين بالبواسير كما في سفر صموئيل الاول وتارة
بارسال الملك كما فعل بعسكر الاشوريين اذ قتل منه الملك في
ليلة واحدةماية وخمسة وثمانين الفا كما في سفر الملوك الثاني وكذا
يعاقب العصاة ايضا تارة بالخسف والنار كما اهلك قورح وداثان
وابيرم وغيرهم لما خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الارض
وابتلعت قورح وداثان وابيرم ونساءهم واولادهم واثقالهم ثم خرجت
نار فاكلت ماتين وخمسين رجلا كما في سفر العدد وتارة بالاهلاك

مفاجأة كما اهلك اربعة عشر الفا وسبعماية لما خالف بنو اسرائيل
في غد هلاك قورح وغيره ولو لم يقم هارون عليه السلام بين الموتى
والاحياء ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بغضب الرب في هذا اليوم
كما يوخذ من السفر المذكور وكما اهلك خمسين الفا وسبعين رجلا
من اهل بيت شمس على انهم راوا تابوت الله تعالى كما يوخذ من
سفر صموئيل الاول وتارة بارسال الحيات المؤذية كما ان بني
اسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة اخرى ارسل عليهم
الحيات المؤذية فجعلت تلدغهم فمات منهم كثير كما يوخذ من
سفر العدد فقال اولئك القوم بعد ما تاملوا في جميع ما تقدم من
احكام الشرايع المتقدمة في الجهاد واعمال الانبياء في الكفار وعادة
الله تعالى مع الكفار والعصاة ان محمدا عليه السلام ما دام رسولا
بشريعة من عند الله تعالى وثبت ذلك بالادلة القاطعة فاي شيء
يعاب عليه في مشروعية الجهاد في شريعته وفي قتله لمن يخالفونه
ونهب اموالهم واسترقاقهم لاسيما وقد وجدنا الجهاد فيها اخف من
الجهاد في الشرائع السابقة فشريعته لم تخالف تلك الشرائع ولم تكن
ضدا لعادة الله تعالى مع المخالف لشرائع انبيائه بالكفر او بالعصيان
فعلى كل من يصدق بالوحي ويؤمن بتنزيل الشرائع من عند
الله تعالى على الانبياء ان لايلقى بالا لهذه الشبهة والطعن في

الشريعة المحمدية من خصوص مشروعية الجهاد فيها واما من لم يوءمن بوجود اله العالم ولا بتنزيل الشرائع فهذا يقدم له اولا الاستدلال على وجود الله تعالى آله العالم واثبات الوحي (كما تقدم ذلك مع مناظرة الماديين) فبعد ان تقام عليه الحجة ويلتزم التصديق بالشرائع يبقى بمنزلة المليين المصدقين بها فنلزمه استحسان ماشرعه الله تعالى فيها وعند ذلك يجد ان شريعة محمد عليه السلام لم تخالف الشرائع المتقدمة في شان الجهاد بل انها اشتملت على تخفيفات فيه لم تكن في تلك الشرائع كما تقدم بيانه

ثم ان طائفة اخرى بعد ما شاع دين محمد عليه السلام وشرع الجهاد فيه توهموا ان هذا الدين ما قام وانتشر الا بالسيف واذا كان الحال كذلك فهذا شي يوقع في النفس ريبا وشكا ويجعل للانسان مجالا ان يقول ان هولاء الاتباع لمحمد عليه السلام قد اجبروا على الدخول في دينه اجباراً خوفا من القتل ولكن تلك الطائفة التزمت الانصاف واستقصت عن اول نشأة دين محمد عليه السلام فتحقق عندها بعد الفحص والتدقيق ومراجعة تاريخ اول تلك النشأة ان محمدا عليه السلام اول ما قام بدعوى الرسالة كان وحيدا فريدا ليس صاحب سلطان ولا متمكنا بعصبية عشيرة قادرة بل انه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم

فضلا عن ان عشيرته ليست ذات سطوة على بقية الامم وليس عندها كفاية لمقاومتها فهي كانت اول من كذبه في دعواه وعاداه اشد المعاداة وتسلطت عليه اشرارها بالاذى وتسفيه الراي ولكن هو عليه السلام لم يزل مقبلا على دعواه صابرا على اذى من اذاه يدعو الخلق الى الحق ويقيم لهم البراهين ويظهر لهم محاسن دينه ويوضح لهم معائب ما هم عليه حتى وضح الحق لمن اراد الله تعالى هدايته فاخذت العقول السليمة تقبل دينه وتستحسن شريعته ويتبعه الافراد والجماعات وهو حينئذٍ لم يومر باراقة قطرة من دم احد ويتلو قرانه المتضمن قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله تعالى في خطاب من اتبعه (يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله تعالى (ومن كفر فعليه كفره) وامثال ذلك من الايات وقد تبعه في زمن التزامه هذه الطريقة وقبل مشروعية الجهاد الجم الغفير كما يعلم من مراجعة تاريخ سيرته فاسلم ابو ذر وانيس اخوه وامهما رضى الله تعالى عنهم في اول ذلك العصر فلما رجعوا الى قبيلتهم اسلم نصف قبيلة غفار بدعوة ابي ذر رضى الله تعالى عنه وفي السنة السابعة من بعثته قبل ان يهاجر الى المدينة ويشرع الجهاد هاجر من اتباعه من مكة الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة لما كانوا يجدون من اذي

المشركين وقد بقي في مكة اناس ايضا من المسلمين وقد اسلم نحو عشرين رجلا من نصارى نجاران وكذا اسلم ضماد الازدي قبل السنة العاشرة من البعثة واسلم الظفيل بن عمر والدوسي قبل الهجرة وكان شريفا مطاعا في قومه واسلم ابوه وامه بدعوته بعد ما رجع الى قومه وقد اسلم قبل الهجرة قبيلة بني الاشهل في المدينة المنورة في يوم واحد ببركة وعظ مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه فما بقي منها رجل ولا امراة الا اسلم غير عمرو بن ثابت فانه تاخر اسلامه وبعد اسلامهم كان مصعب رضي الله تعالى عنه يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة اي قراها من جهة نجد ولما هاجر محمد عليه السلام الى المدينة اسلم بريدة الاسلمي مع سبعين رجلا من قومه في طريق المدينة طائعين وقد اسلم النجاشي ملك الحبشة قبل الهجرة ايضا ووفد قبل الهجرة ابو هند وتميم ونعيم واربعة اخرون من الشام واسلموا وهكذا اسلم اخرون واسلام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهما من مشاهير اتباعه عليه السلام قبل الهجرة امر مشهور (كما يعلم جميع ما ذكر من كتب سيرته عليه السلام الصحيحة فليرجع اليها) فبالتامل المنصف نجد ان دين محمد عليه السلام قد شاع قبل هجرته من مكة الى المدينة

وقبل مشروعية الجهاد فيها وقبلته العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحه ولا خوف هنالك ولا ترهيب فاين التهمة بان دينه قام بالسيف وشريعته شاعت بالاجبار لايقول بذلك منصف ومن نظر الى ما كان يحدث في بقية مدته عليه السلام و بعدها من دخول الناس في دينه افواجا افواجا حتى الى هذا الزمان بدون ادنى خوف بل مع الخوف من الدخول من اذية اعداء دينه انمحت من مخيلته هذه التهمة اللهم اذا كان منصفا حر الفكر نعم لما توفرت كثرة اتباعه عليه السلام وظهر ان الموعظة وقوة البرهان ليس لهما تاثير مع من بقي من المخالفين وان مداومة المعاملة للمخالفين بالرفق والتؤدة يزيد طغيانهم ويشوش امر الدين على اتباعه ويجرؤهم عليهم بالاذي فلذلك شرع في دينه الجهاد على ما فيه من الحدود العادلة التي تتكفل بدفع اذى المؤذين ولا تبلغ حد القسوة ويكتفي ممن لم يتبع الدين المحمدي ان يخضع لسلطانه ويدفع من ماله ما يكون عونا لاهل الدين في قيام دولته ودفع ضرورات اهله الدنوية وهو ايضا يكون في مقابلة حماية اهله لاولئك الدافعين الخاضعين لسلطان الدين وامرهم في الاخرة مفوض لرب العالمين او يوضع على من لم يتبع حكم الرق ليكون دافعا لشوكة اذاهم وعونا لاهل الدين في قضاء مصالحهم في دار الدنيا وقد كان بعض من

اتباع الشرائع السابقة نفروا من جواز الاسترقاق ومشروعيته في الدين المحمدي نظرا لما ينشأ عنه من دخول الرقيق تحت الحجر ولا سيما وقد شاهدوا الرقيق في بعض الممالك يكابد انواع الظلم (كما كان جاريا من زمن ليس ببعيد في اوربا والى الان في بعض ممالك اميركا) فيضرب الرقيق فيها ويهان ويذوق الجوع والعرى ويقيد كالبهائم ويحمل من مشاق الخدمة ما لايطاق ويعد كانه ليس من النوع الا نساني لاسيما اذا كان اسود اللون ولا يعد تحريره من مثوبات الدين ولايحرر الا في نادر الاحوال وحالته هناك اتعس من حالة ادنى الحيوانات فظن هولاء القوم ان الدين المحمدي يبيح الاسترقاق مع اباحة تلك الفظائع ومعاملة الرقيق بها وسهوا ايضا عن مشروعية الاسترقاق في الشرائع السابقة ولكنهم عادوا فدققوا النظر في كيفية مشروعيته في الدين المحمدي وما اشتملت عليه تلك الكيفية من اعانة اهل ذلك الدين على ضرورات دنياهم وما فيها من كف اذى اعدائه بوضع الرق عليهم وكسر شوكتهم به باستخدام مخالفيهم مع وصايا كثيرة تحفظ راحة الرقيق وتتكفل بمساواة معيشته لمعيشة سيده وبذلك يحصل تهذبه وتمدنه ان كان وحشيا والشريعة المحمدية تنهي اشد النهي عن اجراء ادنى شي من الفظائع التي تجريها بعض الامم مع الرقيق وتوعد عليها

بالعقاب الاخروي ومع ذلك ترغب في تحريره بحصول الثواب الجزيل فيه وشرعت وسائط تقتضي كثرة التحرير وشيوعه وتقصير مدة الاسترقاق وجعلت للرقيق وصلة بينه و بين سيده ولو بعد التحرير كوصلة النسب لا فرق في ذلك بين الابيض والاسود ووجدوا ان اهل هذا الدين نظرا لما وجدوه من ترغيب الشريعة بالاحسان الى الرقيق قد سلكوا طرائق عديدة ترجع عليه بالبر والاحسان وكثيرا ما تخوله نعمة لا يمكنه نوالها لولا دخوله تحت الرق ثم لاحظوا نصوص الشرائع المتقدمة فوجدوا ان الرق مشروع فيها مصرح به في الكتب المنسوبة اليها فعند ذلك رجعوا عن اعتراضهم على مشروعية الاسترقاق في الدين المحمدي وقالوا مادام ان اهل هذا الدين يعلمون بالبراهين القاطعة عندهم انهم على دين مشروع من عند الله تعالى ودينهم اباح لهم استرقاق مخالفيهم لنفعهم بخدمتهم ولكسر شوكة اذاهم عنهم وقد شرط عليهم شروطا تتكفل براحة ارقائهم ومساواتهم لهم في المعيشة وفتح لهم ابوابا مرغبة في تحريرهم وتقصير مدة استرقاقهم ونتج عن ذلك تهذيب كثير من الارقاء وتحسين معيشتهم وايصال احسانات اليهم ما كانوا ينالونها لولا الاسترقاق وحجر على اسيادهم ظلمهم واذاهم ووجد في الشرائع المتقدمة مشروعية الاسترقاق فهو ليس امرا مبتدعا فلا

شي يعاب على الدين المحمدي واهله في الاسترقاق البتة
اما الوصايا التي تحفظ راحة الرقيق و تتكفل بمساواة معيشته لمعيشة
سيده فهي في الشريعة المحمدية كثيرة جدا ولنقتصر على ما ياتي
منها قال الله تعالى في القرآن الكريم (واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا و بالوالدين احسانا و بذي القربي واليتامى والمساكين والجار
ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما
ملكت ايمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخورا) فقد قرن الله
تعالى الوصية بالمماليك مع الامر باخلاص العبادة له تعالى التي هي
اساس الايمان ومع الاحسان للوالدين اللذين نعمتهما على الانسان
بعد نعمة الرحمن ومع الاحسان الى من تقتضي الشفقة والمرحمة
والانسانية الاحسان اليهم وطلب الاحسان للمماليك يشمل كل
احسان ممكن ورفع كل اذى يناقض الاحسان وقد يوخذ شرح
ذلك من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (عبيدكم اخوانكم
جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون
ولا تعذبوا عباد الله) وقال عليه السلام في التحذير من احتقار
الارقاء والتحاشي عن الكبرياء (ولا يقل احدكم عبدي وليقل
فتاي وفتاتي وغلامي) وقد كان من اخر كلامه عليه الصلاة
والسلام من الدنيا قوله (الصلاة وما ملكت ايمانكم) فليتامل

المنصف قرنه عليه السلام بين الوصية بالصلاة التي هي عماد
الدين المحمدي وفيها قرة عينه من الدنيا كما قال (وجعلت قرة عيني
في الصلاة) و بين الوصية بما تملكه ايمان اتباعه وكون ذلك الكلام
كان من اخر كلامه لاصحابه فان ذلك كفاية في الدلالة على
استكمال الوصية بالارقاء لايحتاج معها الى زيادة بيان في ذلك
والنهي عن اذى الارقاء شهير في نصوص الشريعة المحمدية حتى
ورد انه عليه السلام اعتق عبد رجل قد مثل به حيث وجده مع
جاريته وجعل ولاءه لله ولرسوله واوصى به المسلمين وجعلت بعد
ذلك نفقته في بيت مال المسلمين واعتق خليفته (عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه) جارية رجل اقعدها في مقلى حار فاحرق عجزها
واوجعه ضربا وامثال ذلك كثير والوعيد على اذى الرقيق في يوم
الحشر شهير

واما الترغيب في تحرير الرقيق فنصوصه الشرعية اكثر من ان
تذكر فتحصر ولنقتصر ايضا على ما ياتي كان من حاله عليه الصلاة
والسلام انه يحث على عتق الرقاب وفي نصوص شريعته من اعتق
نسمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى كان
الرجل يستحب ان يعتق الرجل لكمال اعضائه والمرأة تعتق المرأة
لكمال اعضائها (كذا في عقود الجواهر المنيفة عن حماد عن ابراهيم

قال وهذا حكمه حكم المرفوع) وفي لفظ اخر من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتى فرجه بفرجه وروي في تفسير قوله تعالى (فك رقبة) ان اعرابيا جاء الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة (قال عتق النسمة وفك الرقبة قال يارسول الله او ليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها (كذا في الرازي) والنصوص في ذلك كثيرة وافرة

واما بيان ان الشريعة المحمدية شرعت وسائط تقتضي كثرة التحرير وشيوعه وتقصير مدة الاسترقاق فهي انها جعلت العتق كفارة لجنايات في الشرع مثل القتل خطأ والافطار في رمضان والحنث في اليمين وفكا لبعض ما يحظر على الانسان مثل كفارة الظهار فان المظاهر من زوجته لا يجوز له قربانها ودواعيه حتى يكفر واول ما يطالب به للكفارة عتق رقبة ثم مع ندبها للعتق والوعد عليه بالثواب لاحظت حال من لم يسمح بذهاب ماله بعتق رقيقه فشرعت المكاتبة وهي ان يتفق السيد مع رقيقه على انه ان ادّى اليه كذا من المال صار حرا فعندذلك يملك الرقيق حرية السعي على تحصيل المال فاذا أدّى المشروط عليه صار حرا وشرعت العتق على جعل بان يقول السيد لرقيقه انت حر على الف درهم

فاذا قبل العبد عتق وكان عليه اداء ما شرط عليه ولاحظت حال
من لايستغني عن خدمة رقيقه مدة حياته فشرعت باب التدبير
وهو ان يعتق السيد عبده عن دبر منه بان يقول له انت حر بعد
موتي فعند ذلك يمتنع بيعه وهبته والتصدق به ورهنه و بعد موت
السيد يصير العبد حرا وشرعت باب الوصية بالعتق ولاحظت ان
بعض المالكين للرقيق ربما لايتفق لهم شيء مما مر من دواعي العتق
ولا يوفقون لرغبة الثواب فيه ولكن ربما عند رغبتهم في منفعة
او رهبتهم من مضرة تسمح نفوسهم بعمل الخير الذي يرجون من
الله تعالى بسببه بلوغ مآربهم فشرعت نذر العتق عسى ان ياتوا به
عند حصول احد هذين الداعيين او ربما عند ارادتهم الزام انفسهم
بعمل او كفها عن عمل يشرطون عليها ما يصعب عليهم الاتيان به
لاجل وفائهم بما التزموا فشرعت لهم الحلف بالعتق عسى ان
يخالفوا ما التزموه فيحصل العتق فاذا تامل المتأمل في جميع ما تقدم
يجد ان المقصود منه الوصول الى العتق المرضي في الشريعة بسبب
من تلك الاسباب وانعم بتلك الوسائط لتكثير العتق وشيوعه
وتقصير مدة الاسترقاق ثم حيث ان الشريعة المحمدية جعلت للسيد
ملك رقبة الرقيقة فقد جعلت له ملك بضعها واباحت له التسري
بها حرصا على عدم تعطيل تناسلها وكونها تحت كنف سيدها يحفظها من

اختلاط نسب ذريتها فهي اذن كالزوجة محفوظ نسب اولادها
خلافا لما يحصل في الزنا ثم من جملة المراعاة التي جعلتها لها في
مقابلة اباحة بضعها لسيدها ومن جملة الوسائط الموصلة للعتق ان
حكمت للرقيقة التي تلد من سيدها ولو سقطا مستبين الخلق بانها
تصير مستولدة اي انه عند ذلك يحظر على سيدها بيعها وهبتها
ورهنها وامثال ذلك من التصرف وبعد موته تصير حرة صرفة
فالتامل في هذا الحكم يبرهن ماللشريعة المحمدية من مراعاة الرقيقات
والنظر في شؤنهن ومن وسائط تكثير التحرير في الشريعة المحمدية
وفيه صلة رحم ودفع الوحشة بين الارحام ما شرعته تلك الشريعة
من ان من ملك ذا رحم محرما منه عتق عليه ومن مراعاة المرحمة
والشفقة للارقاء ان الشريعة كرهت التفرقة بين الام وولدها
الصغير بنحو بيعه لاخر او بينه وبين ابيه او بين كبير وصغير
بينهما محرمية او بين صغيرين كذلك والملخص ان هذه الشريعة
العادلة ما تركت شيئا من مرغبات العتق وتقصير مدة الاسترقاق
وموجبات المرحمة للرقيق الاحثت عليه وفتحت له ابوابا فبالتامل
الصادق في سياستها في الاسترقاق نجد انها انما شرعته على قدر
الضرورة وقدرت الضرورة بقدرها باسلوب تكسر به شوكة مخالفيها
وتنفع اتباعها وتحفظ على الرقيق راحته وتمنع عنه الاضرار

وتعجل عليه الفرج وتدفع عنه بقدر الامكان الحرج

واما ان الشريعة المحمدية جعلت للرقيق وصلة بينه وبين سيده فانها قد حكمت بالولاء بينهما بعد عتق الرقيق ومن احكام ذلك الولاء انه اذا جنى العتيق جناية خطأ توجب الدية توزع تلك الدية على مولاه وعاقلته كأنه ابنه او اخوه وناهيك بذلك من مراعاة لشان ذلك العتيق ابعد جميع ماتقدم يجوز ان يقال ان المسلمين يعتبرون الرقيق لاسيما الاسود منه منحطا عن درجة البشر كلا ثم كلا لاتعتبره شريعتهم الا من اولاد آدم وحواء ولكنها تعامله بما يدفع شره ولا يحرمه حقوق الشفقة والمرحمة وتخفيف مدة الحجر عليه

واما كون اهل الشريعة المحمدية نظرا لما وجدوه من ترغيبها في الاحسان الى الرقيق قد سلكوا طرائق عديدة ترجع عليه بالبر والاحسان وكثيرا ما تخوله نعمة لايمكنه نوالها لولا دخوله تحت الرق فذلك ظاهر بما يشاهد بين اهل الاسلام من وقف الاوقاف على ارقائهم وعتقائهم والوصية لهم بالميراث وكثير منهم صار بسبب تلك المبرات اغنى من ذرية سيده وكثير منهم من تزوج من بنات سيده بل كثير من الاسياد من يتبنى رقيقه بعد عتقه بل يكون عنده اعز من ولده او يزوجه بنته وكثير من الارقاء من صار اميرا او سلطانا (كما في ملوك مصر المشهورين وسلطنة كافور الاخشيدي معلومة عند الجميع) وما

بلغ كثير من العتقاء من مراتب الجاه والمناصب العالية كالقضاء والافتاء بل مرتبة الاجتهاد (وناهيك حال عطاء بن ابي رياح الامام الجليل في الفقه الذي كان الخليفة يتمنى زيارته ويتلقاه للباب ويجلسه بجانبه) هو كاف واف ببيان ما يناله الارقاء من النعمة التي ما كانوا ينالونها لولا دخولهم تحت الرق بل كانوا يبقون في بلادهم الوحشية على حالتهم الخشونية أبعد ذلك كله يقال ان الشريعة المحمدية تعتبر الارقاء دون مرتبة البشر ولا تعطيهم حقوق الا نسان نعوذ بالله من الا فتراء

وان قيل انا نجد بعض اهل الاسلام يعامل الارقاء تلك المعاملة القاسية قيل نعم وقد يوجد من الحمقاء الذين لا يتمسكون باحكام الشريعة العادلة الراحمة من يعامل اولاده بمعاملة لاترضاها الشريعة ولا تقبلها المرحمة وهولاء من الندرة بمكان ايقال عند النظر لهؤلاء القساة ان عموم المسلمين يعاملون أولادهم بتلك الفظاظة وتكون النتيجة انه على المسلمين ان لايستولدوا اولادا انها لنتيجة خرافية ناشئة عن دليل هذيان من المعلوم عند كل عاقل ان الاحكام لاتبنى الا على الفعل العام الشائع لاعلى القليل النادر ان القسوة التي نسمع عنها انها موجودة في بعض الممالك المتمدنة تجري على الخدمة والارقاء بما تقشعر منه الجلود شائعة بين اولئك المتمدنين

الذين يدعون الحرص على رحمة البشر لو كانت موجودة بين المسلمين على ارقائهم شائعة بين عمومهم مجازة من جانب شريعتهم لكان لاستقباح الاسترقاق في الشريعة المحمدية وجه ظاهر ولكن ذلك لم يكن البتة يعلم ذلك من الاستقراء والاستقصاء ومراجعة تاريخ الامة الاسلامية ومن يقل خلاف ذلك من دون اقامة البرهان بل لمجرد اشاعات اصحاب الغايات السيئة والاعتماد على اخبار غير المدققين فهو رجل مفتر على المسلمين وشريعتهم بالتهمة الباطلة والظنة السافلة اعاذنا الله تعالى من الافتراء والبهتان والكذب المحط بشرف الانسان

واما كون الرق مشروعا في الشرائع السابقة على شريعة محمد عليه السلام ومصرحا به في الكتب المنسوبة اليها فيكفي في بيانه ما في كثير من ايات التوراة التي تدل على اتخاذ المخالفين عبيدا ومن ذلك ما في كتاب الاستثناء واذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم اولا الى الصلح فان قبلت وفتحت لك الابواب فكل الشعب الذي بها يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية ويؤخذ من سفر العدد ان موسى عليه السلام لما ارسل اثنى عشر الف رجل لمحاربة اهل مديان فانتصروا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوكهم وسبوا نساءهم واولادهم ومواشيهم كلها واحرقوا القرى

والدساكر والمداين بالنار فلما رجعوا غضب موسى عليه السلام وقال لمَ استحييتم النساء ثم امر بقتل كل طفل مذكر وكل امراة ثيبة وابقاء الابكار ففعلوا كما امر وكانت الغنيمة من الغنم ستماية وخمسة وسبعين الفا ومن البقر اثنين وسبعين الفا ومن الحمير احدا وستين الفا ومن الابكار اثنتين وثلاثين الفا فهذا مع دلالته على جواز قتل الاعداء في تلك الشريعة حتى الاطفال والنساء الثيبات يدل على جواز استرقاق النساء الابكار وفي سفر صموئيل وكان الموابيين عبيدا لداود يؤدون اليه الخراج وفي الاصحاح السادس من رسالة بولس الاولى الى تيموتاوس ما نصه جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل اكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه والذين لهم سادة مؤمنون لايستهينوا بهم لانهم اخوة بل ليخدموهم اكثر لان الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون علم وعظ بذلك انتهى وهذا النص يفهم منه تقرير الاسترقاق في الشريعة العيسوية وان الارقاء مكلفون باطاعة اسيادهم بكل اكرام ولولا ان استرقاق ساداتهم لهم مشروع في تلك الشريعة لما امروا بطاعتهم وخدمتهم اذ لا يومر المكلف حسبما يعهد من الشرائع بان يأتي بما هو ممقوت عند الله تعالى ويفهم منه ان اطاعة ساداتهم واجبة عليهم وان كانوا غير مومنين حيث

عمم اولا ثم خصص السادات المومنين بحكم عدم الاستهانة
وبالخدمة اكثر ولو كان الاسترقاق غير مباح في تلك الشريعة
لما قررت المؤمنين على الاسترقاق بالزام ارقائهم بمراعاتهم واكثرية
خدمتهم وكل ذلك ظاهر وفي رسالة بولس الى تيطس في الاصحاح
الثاني ما نصه والعبيد ان يخضعوا لساداتهم ويرضوهم في كل شيء
غير مناقضين غير مختلسين بل مقدمين كل امانة صالحة لكي
يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء انتهى وهذا النص قريب من
الاول في الافادة ويزيد عليه بحسب ظاهر عموم قوله في كل شيء
ان العبيد يجب عليهم اطاعة ساداتهم حتى في الامر الذي يكون
معصية لله تعالى كما اذا امر السيد عبده ان يزني لكن في الشريعة
المحمدية غير واجب على العبد ان يطيع مولاه في ذلك لان
القاعدة فيها ان لا طاعة لمخلوق مع معصية الخالق فعلى العبد ان
يطيع مولاه في غير معصية لله تعالى الا ان يجبر ويهدد بمثل القتل
فحينئذٍ حكمه حكم غير المملوك فيما لو اجبر بذلك فبعض المعاصي
تباح له بالاجبار وبعضها لايباح كما هو مفصل في تلك الشريعة
اللهم الا ان يقال ان ذلك العموم المفهوم من نص رسالة بولس في
قوله في كل شي مخصص بنصوص اخرى مذكورة في غير هذا
الموضع من الكتب المنسوبة للشريعة العيسوية وفي رسالة بطرس

الاولى في الاصحاح الثاني ايها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء ايضا انتهى وهذا النص وان لم يذكر العبيد بل ذكر الخدام ولكن قرينة قوله للسادة تعين ان المراد بالخدم العبيد وفيه قد جعل الاطاعة واجبة حتى للعنفاء وان لم تعتبر هذه القرينة عنادا فيكفي في اثبات المطلوب النصان السابقان فعند ما ظهر لاولئك القوم المعترضين على الشريعة المحمدية بالاسترقاق ما تقدم شرحه من حكمة مشروعيته في هذه الشريعة ومن حدوده وتلطيفاته التي تحفظ راحة الرقيق بل قد تجلب له النعمة وتقصر عليه مدة الاسترقاق وتاملوا هذه النصوص التي في الشريعة الموسوية والشريعة العيسوية التي تدل على مشروعية الاسترقاق وتقريره في هاتين الشريعتين قالوا لا اعتراض على الشريعة المحمدية في هذا الامر فهو حكم عادل مرتكب فيه اخف الضررين وهو القاعدة المعقولة ومراعى فيه جانب الشفقة والمرحمة والانسانية على قدر الامكان فيه ومقدرة فيه الضرورة بقدرها فكل منصف ومصدق بالوحي والشرائع لا وجه له في الاعتراض بعد هذا البيان

هذا واما سلب اموال الاعداء ووضع الخراج عليهم فيقال فيه نظير ما قيل في الاسترقاق اعتراضا وجوابا فلا حاجة للتطويل بل قد

م في مسئلة الاسترقاق والجهاد من الحجج ونصوص الشرائع المتقدمة ماهو مغنٍ عن التصدي للكلام فيه استقلالا يظهر ذلك بالتامل الصادق والله ولي التوفيق

ثم بعد مشروعية الجهاد في الشريعة المحمدية وشروع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في محاربة مخالفيه ومعاملتهم بما شرعه الله تعالى في ذلك كان يقتل بعضهم دفعا لاذاهم وحماية لاتباعه ونصرة لدينه لان ذلك كله لايتم الا بقتلهم ويسترق بعضهم ويضع على البعض الاخر الخراج ويجعله صاحب ذمة وعهد بحيث يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وتجب حمايته ومراعاة حقوقه وتحرم اذيته في النفس والعرض والمال ويشترط عليه الخضوع لاحكام من شريعته تكفي في السلامة من تعديه وافترائه على حقوق سواه ويتركه وما يدين من الاتيان بطقوس ما يعتقده على وجه يحفظ ابهة الدين المحمدي ولا يصدع افكار اتباعه ويفوض امره لله تعالى في يوم البعث والنشور ويجري كلا من الاسترقاق ووضع الخراج على الصورة المتقدمة عندما يجد ان ذلك كاف في دفع اذى المسترقين والموضوع عليهم مع عود النفع في ذلك على اتباعه وقد كان حاله صلى الله تعالى وسلم في محاربته لاعدائه سجالا فتارة ينتصر عليهم وتارة لا وذلك سنة الله تعالى في رسله ولكن آخر الامر كان النصر لايتم الا له

(والعاقبة للمتقين) حتى استولى على بلاد كثيرة وخضعت له قبائل عديدة واظهر الله دينه على الدين كله ولا يزال ظاهرا ولن يزال ان لم يكن بالسيف فبالحجة والبرهان واستحسان العقول الرزان

ثم ان البعض من اعداء دينه التجأوا للحصون والمعاقل فلم يزل يترقب بهم الفرص و يراسلهم بالحجج حريصا على هدايتهم موصيا اتباعه بان لا يهملوا دعوتهم الى دينه على المنهج الذي شرعه في معاملتهم كلما وجدوا لذلك فرصة من الزمان هذا حكم ماض الى يوم القيامة

ثم ان البعض من الاعداء اظهروا الخضوع لدينه عليه السلام والانخراط في سلك اتباعه وانصاره وهم يضمرون التكذيب والحامل لهم على ذلك اما الخوف واما الطمع فيما فتحه الله على يديه وايدي اتباعه من الغنائم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم في اول الامر يعدهم في جملة اتباعه مع علمه بحقيقة حالهم وسوء طويتهم ولا يفضح سرائرهم ولا يبيح اضرارهم خشية اشاعة الاعداء ان محمداً عليه السلام يكذب اتباعه في تصديقهم و يرتاب في اخلاصهم و يقتلهم لاغراض سيئة وهو امر يوجب التنفير ويثني عزم المقبلين لاسيما والدين في اول نشأته ولكن لما قويت شوكة الشريعة وكثرت انصارها وسطع نورها وظهرت معاملته لاصحابه عليه السلام بمحض

النصيحة وخالص الشفقة ولم يبق لتلك الاشاعات الباطلة مجال
اذنه صلى الله عليه وسلم مولاه بفضيحة اولئك المنافقين وتقريعهم
وتبكيتهم وتحذير اتباعه المخلصين منهم وهم بعد ذلك انقسموا
فرقتين فبعضهم لما خالط اهل الدين واطلع على حقيقة تلك الشريعة
الطاهرة العادلة وقابل بينها وبين ما كانوا عليه من الاعتقادات
الباطلة والعادات السافلة خلصت نيته وصفت سريرته وعاد مومنا
بعد ان كان منافقا واصبح من خيار الاتباع واكابر الانصار والله
الهادي الى سواء السبيل وبعضهم بقي على نفاقه متجرعا الغصص
في اشفاقه فهذا ان حمى نفسه من طائلة السيف فله في الاخرة
عذاب اليم وقد جعل صلى الله تعالى عليه وسلم لهذا القسم علامة
هي عنوان نفاقه ودليل الهوان وهي انه اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اؤتمن خان نسال الله تعالى الحماية والسلامة في
الدين والدنيا والاخرة

هذا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا واختار الرفيق
الاعلا بعد ان اتم الله تعالى على يديه الدين (جزاه الله تعالى عنا
احسن الجزاء بما هو اهله) بما انزله من القرآن الكريم وما اوحاه اليه
من هديه القويم وقد امتن علينا سبحانه بتلك المنة العظمى والكرامة
الكبرى فانزل على رسوله الكامل قوله تعالى جل من قائل في يوم

كان لنا العيد الاكبر (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا) فيا لذلك من نعمة كاملة ومنة فاضلة
فله سبحانه وتعالى الحمد والشكر كما هو اهله والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقد كان نزول هذه الاية
الكريمة نعيا لنفسه عليه الصلاة والسلام كما فهم ذلك صديقه
الاكبر عليه الرضوان عندما سمعها فبكى رضي الله تعالى عنه لانه
وضح له بنور بصيرته والمؤمن ينظر بنور الله تعالى ان ارساله عليه
الصلاة والسلام ووجوده الشريف في الدنيا لحكمة تبليغ الدين
فما دام ان الدين قد كمل فما بقي بعد ذلك الا انتقال رسوله عليه
السلام من دار الفناء الى دار البقاء التي هي دار القرار فخرج صلى
الله عليه وسلم من الدنيا راضيا مرضيا وهاديا صراطا سويا مبلغا
جميع ما جاء به من عند الله تعالى ناصحا للامة تاركا لهم على المحجة
البيضاء التي ليلها كنهارها مودعا في قلوبهم محبة لا تبلى ووداداً
لا يفنى مفديا عندهم بالارواح محمودا مشكورا مثني عليه بكل لسان
ثناء مبرورا فجزاه الله تعالى عن الامة احسن الجزاء واعطاه الوسيلة
والدرجة العالية الرفيعة في دار البقاء وعليه من مولاه سبحانه
اشرف الصلوات وازكى التحيات وعلى آله الكرام انوار الهدى
واصحابه العظام مصابيح الدجى ما تعاقب الملوان وكر الجديدان

اللهم امين

واذ قد انتهى بنا الكلام الى هنا و بلغنا الله تعالى على قدر الامكان في بيان حقيقة وحقية الملة الاسلامية المنى فلنجعل نهاية الكلام خاتمة وتنبيها و بالله سبحانه وتعالى التوفيق

اما الخاتمة فهي ان يعلم حقا ان الدين المحمدي بعقائده التي هي الاصول واحكامه التي هي الفروع مأخوذ من القرآن الشريف والاحاديث النبوية التي ثبتت عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لم يشذ شيء من تلك الاصول او الفروع عن هذين المأخذين الكريمين وهما المتكفلان به البتة بدليل الاية المصرحة باكمال الدين المحمدي في حياته عليه الصلاة والسلام ولكن العقائد وان كانت تدخل تحت عدد يمكن للالفاظ ان تعبر عنه صراحة اوقريبا من الصراحة ولكن الفروع لو اريد افادتها بالالفاظ صراحة او قريبا منها لاحتاجت الى الفاظ تستغرق المجلدات وناهيك انها تتجدد بتجدد الحوادث الزمانية فالقران الشريف والاحاديث الكريمة قدصرحا بالكفاية من العقائدوكثير من الفروع وجاآ بقواعد وضوابط تتضمن الجم الغفير منها او تشيراو ترمزالي كثيرمن ذلك حتى يصح ان يقال ان كل ما يحتاج اليه في الدين المحمدي هو مضمن في القران والاحاديث

اماصراحة واما رمزا واشارة وحيث ان فهم ذلك جميعه لايمكن لكل
فرد من افراد الامة فقد شرع الله تعالى طريقين آخرين لاخذ الاحكام
من ذينك الاصلين العظيمين و بسطها لعموم الامة فاحد هذين
الطريقين اجماع الامة المحمدية اي اهل المعرفة الكافية منهم اذ
جعل اجماعهم معصوما عن الخطأ لانهم لايجمعون الا على امر
فهموه من نصوص القرآن والاحاديث وان لم يصرحوا بمأخذهم
وثانيهما اجتهاد من فقهه الله تعالى في الدين واعطاه الفهم لاحكام
القرآن العظيم واحاديث الرسول الكريم فاجاز الله تعالى الاجتهاد
لمن هو اهله واعطى هذا المنصب لمن بان في الامة فضله فاخذت
الاحكام تستنبط من ذينك المأخذين بهذين الطريقين حتى
اكتفت الامة من التصريح باحكام دينها ووجدت ما يلزم لها في
عباداتها ومعاملاتها وآدابها وحدودها وقد بحث علماء الامة المحمدية
عن الصفات التي يلزم وجودها في الشخص حتي يبلغ درجة
الاجتهاد واستنباط الاحكام من القران والاحاديث فوجدوا
ان ذلك ينحصر فيما سياتي الاول ان يحوى ذلك الشخص علم
القرآن الشريف بان يعرفه بمعانيه لغة وشريعة اما لغة فبان يعرف
معاني المفردات والمركبات في خواصها في الافادة فيفتقر الى علم
اللغة الذي يعلم به المعاني التي وضعت لها مفردات اللغة العربية

التي انزل القرآن بها وعلم الصرف الذي يعرف به احوال ابنية المفردات العربية وصيغها وعلم النحو الذي يعرف به احوال المفردات العربية عند تركبها وما لها عند ذلك من الاعراب والبناء والدلالة على المعاني التي تحدث بالتركيب وعلم المعاني الذي يعرف به احوال الكلام العربي التي يطابق بها مقتضى الحال وعلم البيان الذي يعرف به تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة سواء علم تلك العلوم بالتعلم او كان يعلمها بالسليقة كما كان لمجتهدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم واما شريعة فبأن يعلم المعاني المؤثرة في الاحكام مثلا يعرف في قوله تعالى (او جاء احد منكم من الغائط) ان المراد بالغائط الحدث وان علة الحكم خروج النجاسة من بدن الانسان الحي ويعلم اقسام القرآن التي تذكر في اصول الفقه من الخاص والعام والمشترك والمجمل والمفسر والمحكم والمطلق والمقيد والصريح والكناية والظاهر والنص والخفي والمشكل والمتشابه والدال بعبارته والدال باشارته والدال باقتضائه والدال بدلالته والمفهوم المعتبر وما يقتضيه الامر والنهي وغير ذلك مما هو مذكور في علم الاصول الذي هو من اعظم العلوم الدينية وبان يعلم ان هذا خاص وذاك عام وهذا ناسخ وذاك منسوخ الى غير ذلك وهذا الاخير يتوقف على معرفة تواريخ نزول النصوص بان هذا سابق

وذاك مسبوق وهذه الامور مغايرة لمعرفة المعاني ثم المعتبر هو العلم بمواقع ما ذكر بحيث يتمكن من الرجوع اليه عند الطلب للحكم لا الحفظ عن ظهر القلب والمراد بالقرآن قدر ما يتعلق بمعرفة الاحكام الثاني علم السنة قدر ما يتعلق بالاحكام بان يعرف متن الاحاديث اي يعرف معانيها لغة وشريعة كما مر في القرآن و يعرف اقسامها من الخاص والعام وغيرهما مما مر نظيره في القرآن ايضا و يعرف مستندها وهو طريق وصولها الينا من تواتر او شهرة او احاد ويندرج في ذلك معرفة احوال الرواة الذين رووا هذا الحديث من كونهم معدلين او مجروحين وهذا علم واسع يحتاج الى اطلاع تاريخي صحيح ولكن عند طول الزمان بين المجتهد و بين زمنه عليه الصلاة والسلام وصيرورة معرفة احوال الرواة عسيرة جدا يكتفى بتعديل وتجريح الائمة الموثوق بهم في علم الحديث الثالث معرفة وجوه القياس اي الطريق الذي يتوصل به المجتهد الى استنباط الاحكام فيعرف شرائط تلك الوجوه واحكامها واقسامها والمقبول منها والمردود كما مبين في كتب الاصول الرابع ان يعرف المجمع عليه من علماء الدين الذين يعتبر اجماعهم لئلا يخالف اجماعهم في اجتهاده ومن المعلوم انه يشترط ايمان المجتهد وعدالته ولا حاجة الى بسط الكلام في هذا لانه ظاهر فاذا كملت تلك الشروط في شخص جاز له ان

يستنبط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة وجاز لغيره ممن
ليس من اهل الاجتهاد ان يقلده ويعمل بما استنبط ثم المعتمد عند
علماء السنة ان الحق واحد عند الله تعالى والمجتهد ان اصاب الحق
بعد ان استفرغ وسعه في استظهاره فله اجران وان اخطأ فهو
معذور وماجور باجر الكد والتعب اذ ليس عليه الا بذل وسعه
وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله نعم ان كان الدليل الموصل الى
الصواب بينا فاخطأ المجتهد لتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد
فانه يعاقب وما نقل عن بعض السلف من طعن بعضهم ببعض في
مسائلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين في زعم
الطاعن وكل هذا في الاجتهاد في المسائل الفرعية لان المطلوب فيها
تحصيل غلبة الظن واما الاجتهاد في الاصول والعقائد فالمخطى فيها يعاقب
او يضلل او يكفر لان المطلوب فيها اليقين الحاصل بالادلة القطعية
والصحيح ان القادر على الاستدلال ولو بدليل اجمالي اذا قلد
غيره بعقيدة يكون عاصيا بترك الاستدلال ولو كان ذلك الغير
الامام ابا حنيفة النعمان فمن هنا ترى العجب العجاب ممن يقطع
بكلام الفلكي او الجيولوجي الفلاني من دون دليل يقيني ويكون
ذلك الكلام مصادما لعقيدة اسلامية او لظاهر نص شرعي متواتر
نعوذ بالله من الجهل الفاضح نعم اذا ثبت قول ذلك القائل المصادم

بالدليل القاطع فعلينا التوفيق بالتاويل كما مر (كل ما تقدم في
الكلام على الاجتهاد فهو في الاجتهاد المطلق وهو ماخوذ من
التنقيح وحواشيه مع بعض توضيحات زدتها عليه واما الاجتهاد
المقيداي في مسئلة مخصوصة فليس الكلام فيه) ومن هذا المقام يعلم
سبب اختلاف المذاهب بين المسلمين فتجد أناسا منهم اتباع الامام ابى
حنيفة النعمان بن ثابت واناسا اتباع الامام مالك بن أنس واناسا اتباع
الامام محمد بن ادريس الشافعي واناسا اتباع الامام احمد بن جنبل
رضي الله تعالى عنهم وارضاهم فان كلا من هولاء المذكورين قد
بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق واستنباط الاحكام من نصوص الشريعة
المحمدية القرآنية والاحاديث النبوية حسبما اداه اليه اجتهاده
واوصله اليه كمال علمه واستعداده مع السير في المنهج القويم والتحري
التام فاتباع هولاء الائمة يقلدونهم في العمل بما استنبطوه وفهموه من
الشريعة وهم ناجون عند الله تعالى في ذلك التقليد حيث ان الله
تعالى قد اذن المجتهدين ان يجتهدوا واذن المقلدين ان يقلدوا فقال
تعالى في القرآن الكريم فاسالوا اهل الذكران كنتم لا تعلمون
والمجتهدون هم اهل الذكر والمعرفة في دين الله تعالى ثم اذا سئل
كل مقلد عمن قلد غير امامه يقول هو ناج عند الله تعالى لانه
قلد مجتهدا مستكمل شروط الاجتهاد وقد كان في صدر الاسلام

جملة من المجتهدين غير هولاء الاربعة الذين تقدم ذكرهم رضي الله
تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكن لم تتوفر لهم
اتباع تنقل اقوالهم بالتواتر او بطريق صحة موثوق به فلذلك درست
مذاهبهم واما هولاء الاربعة فقد وفق الله تعالى لهم اتباعا من
العلماء الاعلام نقلوا اقوالهم الى هذا العصر بالتواتر او بطريق موثوق
وحفظوها ودونوها في الكتب وتلقوها عن بعضهم بالمشافهة والتدريس
جيلا بعد جيل فلذلك بقت مذاهبهم ذات اتباع الى الان وكل
فريق من هولاء الاتباع لايطعن في الفريق الاخر ولا يضلله ولا
يفسقه ويسوغ لكل شخص ان يقلد اماما من اولئك الائمة ثم بعد
تقليده يجوز له ان يترك تقليده ويقلد اماما اخر منهم ولا يعد ذلك
معيبا عليه في دينه اذا كان ذلك الانتقال لغرض شرعي صحيح
وكل ذلك واضح ممايشاهده كل مطلع على احوال المسلمين اتباع
هولاء الائمة اذ يرى انهم يتناكحون فيما بينهم فياخذ الحنفي شافعية
او مالكية او حنبلية او بالعكس ومساجدهم واحدة وخليفتهم واحد
ويصلون مع بعضهم ولا شي بينهم يشعر بادنى بغضاء او طعن قادح
ويرى الحنفي يصير شافعيا او بالعكس غاية الامر ان كل متبع
يراعي مذهب امامه الذي اتبعه ويجري في العمل عليه وهو لاينكر
على سواه جريه على العمل بمقتضى مذهب من تلك المذاهب غير

مذهب امامه فهذه حالة المسلمين في مذاهبهم الاربعة الشائعة بينهم وهي الحال التي تنطبق على اصول شريعتهم فليعلم ذلك من لم يعلمه ثم اذا نظر الى الشروط التي تقدم اشتراطها لنوال الشخص مرتبة الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية نجد انها لايزال توفرها في اناس ممكنا عقلا الى الان و بعد الان ولكن من عصر اربعماية من الهجرة النبوية على صاحبها ازكى الصلاة والسلام قال بعض العلماء الاعلام كما ينقل عن علماء الحنفية ان باب الاجتهاد قدانسد من ذلك التاريخ وربما يتخيل لبعض ناس ان هذا الحكم من اولئك العلماء غير موافق للصواب اذ يقال ما دام توفر شروط الاجتهاد التي تقدم ذكرها لايستحيل عقلا وجوده في شخص الى الان وبعد الان فما المانع ان يوجد مجتهد بعد ذلك العصر حتى الان لكن اذا دقق النظر يظهر ان ما قاله اولئك الاعلام هو موافق للصواب وعين الحكمة وهو ناشيء عن دقة انظارهم ومعرفتهم في احوال الزمان وتقلباته واسرار الله تعالى في شؤن هذه الامة المحمدية و بيان ذلك ان هولاء العلماء القائلين بانسداد باب الاجتهاد من عصر الاربعماية نظروا في شؤن القرون الثلاثة وهم قرن الصحابة والتابعين وتابع التابعين فوجدوا ان الله تعالى قدوفقهم الى الانكباب على تحصيل علوم الشريعة والحرص على مواد

الاجتهاد واستنباط الاحكام من القرآن الكريم وتفاسيره المنقولة
عن الرسول عليه الصلاة والسلام والاحاديث النبوية واثار
الصحابة وفتاويهم وامثال ذلك مما أهل علماء تلك القرون ان
يبلغ كثير منهم درجة الاجتهاد في الدين لاسيما وعصرهم قريب
من عصر الرسول عليه السلام اوعصر من راه اوراى من رآه وقد
ظهرت عناية الله تعالى بتأهيل اهل تلك العصور لذلك حيث
قد تم فيها جميع ما يحتاج اليه في امر الدين فجمع القرآن وحفظ
وحصن من طوارق التبديل والتغيير وجمعت احاديث الرسول
عليه الصلاة والسلام ودونت وضرب في تحصيلها بطون الابل
من اقصي البلاد وانصب المجتهدون من علماء الامة على استنباط
الاحكام من ذينك الاصلين العيظمين حتى افرغوا الجهد في
ذلك ولم يبق من احتياجات الامة في احكام دينها الا النادر
الفذ الذي لايتفق وقوع حادثته الا في اجيال وتم امر الدين على
احسن منوال واقوم منهاج كل ذلك كان في القرون الثلاثة فلم
يبق لمن بعدهم وظيفة الا تدوين تلك الاحكام ونشرها وتبليغها
للامة وقد ظهر من هنالك فتور الهمم عن ذلك الانصباب في
تحصيل علوم الدين ولم يزل ذلك الفتور بازدياد حتى بلغ الغاية
في الازمنه المتاخرة لاينكر ذلك من له ادنى اطلاع على تاريخ هذه

الامة الاسلامية فنحن نرى اكبر علمائها اليوم ان برع في بعض العلوم التي تقدم اشتراطها في المجتهد فهو مقصر في البعض الاخر فمن هو الذي نراه منهم محيطا في هذه الازمان بعلوم القرآن من معرفة معانيه اللغوية والشرعية و بالعلوم العربية التي تلزم لفهمه كالنحو والصرف والمعاني والبيان و باقسامه التي تقدم ذكرها من الخاص والعام الى اخر ما مر و بتعيين كل واحد منها وتمييزه عن الاخر و بناسخه ومنسوخه و بوجوه القياس و بما اجمعت عليه الامة وبعلوم الاحاديث النبوية متنا وسندا كما تقدم تقريره في بيان شروط المجتهد ومن ادعى استيفاء ذلك كله فعليه ان يثبته بالبرهان (كل من يدعي بما ليس فيه * كذبته شواهد الامتحان) واظن ان كل من يعلم ان مثل ابي يوسف ومحمد وزفر والحسن اصحاب ابي حنيفة رضي الله تعالى عنهم اجمعين لم يدعوا مرتبة الاجتهاد المطلق يخجل ان يدعي هو تلك المرتبة وهو من اهل هذه الازمان وان قيل ان هذا الزمان قد توفرت فيه كتب تفاسير القرآن والحديث وشروحها وكتب اسباب النزول والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك مما هو الركن الاعظم لمرتبة الاجتهاد فما المانع ان يتقن شخص في هذه الازمان تلك العلوم التي تقدم اشتراطها و يعتمد على هذه الكتب التي تقدم ذكرها وهي متكفلة بالركن الاعظم لتلك المرتبة وعلى

ذلك فالذي يترائ ان الاجتهاد في هذا الزمان اسهل حصولا من
الاجتهاد في صدر الاسلام قبل ان تدون تلك الكتب قلت نعم قد
وجد جميع ذلك ولكن في السطور لا في الصدور وان لم يشترط
للمجتهد ان يحوى جميع ذلك في صدره ولكن لابد ان يعلم
مرجع كل شي من ذلك بحيث لايخفى عليه مرجع حكم عند
احتياجه الى مراجعته ووجود شخص بهذه الصفة في هذه الازمان
هو ايضا غير حاصل اذا رجع الى الانصاف فمن الذي في هذا
الزمان مستعد لاستنباط كل حكم باستيفائه تلك الشروط وقدرته
على مراجعة مرجع كل حكم من تلك الكتب بحيث يصل بذلك
الى معرفة كل اية ناسخة وآية منسوخة وكل حديث ناسخ اومنسوخ
باية اوحديث ومعرفة مراتب الاحاديث من التواتر والشهرة
والاحاد ومعرفة المجمع عليه الى اخر ما مر وبالجملة ان تشييد
البراهين على صحة قول من قال بسد باب الاجتهاد من عصر
الاربعماية يطول شرحه ويحتاج الى تاليف مخصوص ولكني انقل
هنا ما وجدت من كلام العلامة ابن الحاج في المدخل مما يوضح
هذا المقام ويقتنع به كل منصف منزه عن العناد وقد اختصرته
بعض الاختصار لدفع التشويش من التطويل قال رحمه الله تعالى
وارضاه في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم (خير القرون

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث هذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام في القرون المذكورة يعني في غالب الحال منهم ماذكر والا فقد كان منهم قوم لايقتدي بهم وانما عنى اهل العلم ثم قال وانظر الى حكمة الشارع صلوات الله تعالى عليه وسلامه وكيف خص هذه القرون بالفضيلة دون غيرهم وان كان غيرهم من القرون في كثير منهم البركة والخير ولكن اختصت هذه القرون بمزية لايوازيهم فيها غيرهم وهي ان الله تعالى خصهم لاقامة دينه واعلاء كلمته فالقرن الاول خصهم الله تعالى بخصوصية لاسبيل لاحدان يلحق غبار احدهم فضلاعن علمه لان الله تعالى قد خصهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضاطريا وبحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل نجوما نجومافاهلهم لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه لمن بعدهم وحفظوا احاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم واثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة وقد كان مالك رحمه الله تعالى اذا شك في الحديث تركه البتة فلا يحدث به وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثانى فما بالك بهم وهم الخيار ووصفهم في الحفظ والضبط لايمكن الاحاطة به ولا يصل اليه احد فجزاهم الله تعالى عن امة نبيه خيرالقد اخلصوا لله تعالى الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

من كان منكم متأسيا فليتاس باصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا واقومها هديا واحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا فضلهم واتبعوهم في اثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم اه فلما مضوا لسبيلهم طاهرين عقبهم التابعون لهم رضي الله تعالى عنهم فجمعوا ما كان من الاحاديث متفرقا وبقي احدهم يرحل في طلب الحديث الواحد وفي المسئلة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا امر الشريعة اتم ضبط وتلقوا الاحكام والتفسير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مثل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقول سلوني ما دمت بين اظهركم وقال عليه الصلاة والسلام في ابن عباس ترجمان القرآن فمن لقي مثل هولاء كيف يكون علمه وكيف يكون حاله وعمله فحصل للقرن الثاني نصيب وافر ايضا في اقامة هذا الدين ورؤية من راى بعيني رأسه صاحب الشريعة صلوات الله تعالى عليه وسلامه فلذلك كانوا خيرا من الذين بعدهم ثم عقبهم التابعون لهم وهم تابعوا التابعين رضي الله تعالى عنهم فيهم حدث الفقهاء المقلدون المرجوع اليهم في النوازل الكاشفون الكروب فوجدوا

القرآن والحمد لله تعالى مجموعا ميسرا ووجدوا الاحاديث قد ضبطت واحرزت فجمعوا ما كان متفرقا وتفقهوا في القران والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة واستخرجوا فوائد القران والاحاديث واستنبطوا منها فوائد واحكاما وبينوها على مقتضى المنقول والمعقول ودونوا الدواوين ويسروا على الناس وبينوا المشكلات باستخراج الفروع من الاصول ورد الفرع الى اصله وبينوا الاصل من فرعه فانتظم الحال واستقر من الدين لامة محمد عليه الصلاة والسلام بسببهم الخير العظيم فحصلت لهم في اقامة هذا الدين خصوصية ايضا بلقائهم من رأى من راي صاحب العصمة صلوات الله تعالى عليه وسلامه ومع ذلك لم يبقوا لمن بعدهم شيئا يحتاج ان يقوم به كل من اتى بعدهم انما هو مقلد لهم في الغالب وتابع لهم فان ظهر لهم فقه غير فقههم او فائدة غير فائدتهم فمردود كل ذلك عليه اعني بذلك ان يزيد في حكم من الاحكام التي تقررت او ينقص منها فذلك مردود بالاجماع واما ما استخرجه من بعدهم من الفوائد غير المتعلقة بالاحكام فمقبول لقوله عليه الصلاة والسلام في القرآن (لاتنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) (يعني التكرار) فعجائب القرآن والحديث لاتنقضى الى يوم القيامة كل قرن لابد له ان ياخذ منه فوائد جمة خصه الله تعالى بها وضمها

اليه لتكون بركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال عليه الصلاة والسلام (امتي مثل المطر لايدري ايّهُ انفع اوله او اخره) اوكما قال عليه الصلاة والسلام يعني في البركة والخير والدعوة الى الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يحدثون حكما من الاحكام اللهم الا ما يندر وقوعه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم لابالفعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذ ذاك ان ينظر الحكم فيه على مقتضى قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم المبينة الصريحة فاذا كان ذلك على مقتضي اصولهم قبلناه فلما مضوا لسبيلهم طاهرين ثم اتى من جاء بعدهم فلم يجد في هذا الدين وظيفة يقوم بها ويختص بها بل وجد الامر على اكمل الحالات فلم يبق له الا ان يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه فاختصت اقامة هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ليس الا فلاجل ذلك كانوا خيرا ممن اتى بعدهم ولا يحصل لمن يأتي بعد هذه القرون المشهود لهم بالخير خيرا لا باتباع من شهد له صاحب العصمة صلوات الله تعالى عليه وسلامه بالخير فبقي كل من ياتي بعدهم في ميزانهم ومن بعض حسناتهم فبان ما قاله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم انتهى كلام ابن الحاج في كتاب المدخل ومن يتامل كلام هذا الحبر الجليل وينظر

اليه بعين الانصاف يظهر له صحة القول المنقول عن علماء الحنفية ان باب الاجتهاد قد سد من عصر الاربعماية ويفهم سر ذلك وحكمته الالهية والحمد لله تعالى على تصريح هولاء الاعلام بهذا القول المؤيد باوفى بيان وعلى توفيق سلاطين آل عثمان وفق الله تعالى دولتهم الى ما فيه رضى الرحمن الى انفاذ هذا القول بين رعاياهم المؤمنين والا لكنت ترى في هذه الازمان التي قل فيها الورع وكثرت فيها الدعاوي الباطلة كثيرا من المتجرئين على الله تعالى المغرورين بانفسهم بسبب حصولهم على بعض من مواد الاجتهاد وهو اقل من القليل وغير كاف لبلوغ درجته يدعون هذا المنصب الجليل ويتبعهم بعض الاغرار ويحدثون في الدين ما يسمونه احكاما وما هو الا بدع وضلالات تخالف ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم الذين استوفوا امر الدين على اتم ما يرام وكنت ترى كل برهة من الزمان يتغير الحال في الدين كما تتغير السياسات بحسب مقتضيات الزمان (والدين الاسلامي قد جعله الله تعالى ثابت الاحكام الى يوم الحشر والقيام) فكان الامر يصل الى حالة تضل فيها الامة عما كان عليه نبيها عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام عليهم من الله تعالى الرضوان ونعوذ بالله من ذلك فجزى الله تعالى العلماء الاعلام خير الجزاء فيما ابدوه من البيان

وادام الله سبحانه وتعالى الدولة العلية العثمانية موفقة لحماية هذا الدين من اعدائه المضلين اللهم امين

هذا واني قد سمعت عن بعض القاصرين المتطاولين على منصب العلماء المحققين انهم يقولون ان الاولى لنا الاخذ بما يصرح به القران الشريف ليس الا يعنون انهم لاياخذون بما جات به الاحاديث النبوية وهذا الراي فاسد باطل في نظر علماء هذه الامة الاعلام لاننا معشر الامة المحمدية كما اننا مأمورون في نص القران والاحاديث التي ثبتت عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالتمسك بما يرد في القرآن الشريف كذلك مأمورون بالتمسك بما يرد في الاحاديث الكريمة الثابت ورودها عنه عليه الصلاة والسلام وقد انعقد الاجماع على ذلك والايات الدالة على التمسك بالسنة المطهرة والاتباع للرسول عليه الصلاة والسلام في اقواله وافعاله كثيرة جدا وان لم يكن من ذلك الا قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شي فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذينهم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل

معه اولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحي) الاية لكان كافيا في بيان وجوب الاخذ باقواله عليه الصلاة والسلام وهل لنا كمال فهم القرآن الا من احاديثه الكريمة وقد صرح هو عليه الصلاة والسلام فيما ثبت نقله عنه بان علينا الاخذ بما جاء به من الاحاديث وان الاقتصار على القرآن الشريف يستلزم اننا نكون قاصرين في احكام الدين ولا نصل الى فهم جميعها من القرآن فقط فمن الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة السلام في ذلك ما جاء في ابي داود عن العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله كأن هذه الموعظة موعظة مودع فما تعهد الينا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز واياكم محدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما في ابي داود والترمذي عن المقداد رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاواني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان

(كناية عن المغرور الغافل المنهمك بشهوته فتقييده بالشبع اشارة الى انه الحامل الي هذا القول المردود وفيه تنبيه ان الشبع سبب الحماقة والغفلة ولهذا لم يشبع صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في الشفاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها لم يمتلي جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قط) على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله الحديث وما في ابي داود عن العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله تعالى لم يحرم شيئا الا ما في هذا القرآن الاواني قد امرت ووعظت ونهيت عن اشياء انها مثل القرآن او اكثر وان الله تعالى لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب نسائهم ولا اكل ثمارهم اذا اعطوكم الذي عليهم وكثير من الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام تفيد ذلك يطول بنا الشرح ان استوفينا نقلها وفيما نقلناه كفاية فان كان شبهة هولاء القاصرين في هذا الحكم الباطل والراي الفاسد من الزام الامة بالاقتصار على ما يفهم من القرآن وترك ما يفهم من الاحاديث هي ان الاحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام يوجد بينها الضعيف الذي لم

يثبت وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم ثبوتا معتبرا لاخذ
الاحكام و يوجد بينها الموضوع اي الذي هو مكذوب عن النبي
عليه الصلاة والسلام وهذا امر على زعمهم يرفع الثقة بالاحاديث
قلنا لهم ان هذه شبهة ساقطة اذ من المعلوم ان علماء الدين المحمدي
الاعلام اهل التحقيق والتدقيق الموثوق بهم في رواية الاحاديث
ومعرفة تراجم رواتها لم يدعوا شيئا منها الا بينوا منزلته من الثبوت
عن الرسول عليه الصلاة والسلام واحاطوا بصفاتها واقسامها
واحوال رواتها على اتم وجه واكمل تبيان حتى افردوا لذلك فنا
مخصوصا يسمى فن مصطلح الحديث فالفوا فيه الكتب والرسائل
ونظموا الاراجيز والقصائد وكذلك فعلوا في تراجم رواة الاحاديث
فافردوا لذلك فنا ايضا يسمى فن التعديل والتجريح ثم بعد ذلك
نبهوا على منزلة كل حديث يذكر في كتب السنة وعلى حكمه في
الاعتماد عليه في الاحكام ام لا وبالجملة بينوا الاحاديث المتواترة
والمشهورة التي يعتمد عليها في الاعتقادات الاسلامية وفي الاحكام
الشرعية والاحاديث الاحادية الصحيحة والحسنة التي يعتمد عليها
في الاحكام والاحاديث الضعيفة التي لايعتمد عليها في شيء مما
تقدم ولكن قد يؤخذ بها في فضائل الاعمال اعني انها اذا كانت
واردة في فضل عمل لا شيء في الشريعة يمنع منه فلا مانع من

العمل بها والاحاديث الموضوعة التي لايعتمد عليها في شي من جميع ذلك بل يجب على تاليها ان يبين وضعها وانها مكذوبة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يؤخذ بها البتة والكتب المؤلفة في استيفاء هذه البيانات وتمييز منزلة كل حديث هي منتشرة بين علماء الامة حتى لا يخفى عليهم شيء من حقائقها فاي ضرر بعد ذلك في الاعتماد على الاحاديث النبوية كما يعتمد على القرآن كل منهما على قدر منزلته من الثبوت هذه اخبار الناس واحاديثهم يوجد بينها الصادق والكاذب أيسوغ لنا ان نقول لايجوز لنا ان نصدق خبرا ونعتمد عليه لوجود الاخبار الكاذبة بين اخبار الناس كلا والله لايقول بذلك الا كل جاهل بل الصواب ان نقول اننا نبحث عن الاخبار الكاذبة حتى نعرفها ونردها ولا نعتمد عليها ونبحث عن الاخبار الصادقة حتى نعرفها وناخذ بها ونعتمد عليه وهكذا فعل علماء الامة بالاحاديث المنسوبة الى الرسول عليها الصلاة والسلام بحثوا ودققوا عنها حتى وقفوا على ماصح نقله عنه عليه الصلاة والسلام فنبهوا على ثبوته واعتمدوه ووقفوا على ما كان بخلافه فنبهوا على قيمته فانزلوه منزلته من عدم الاعتماد عليه في الاحكام او رفضه البتة وان قال هولاء القاصرون من اين لنا الوقوف على منازل الاحاديث ومعرفة ما يعتمد منها وما لايعتمد قلنا فاذن انتم من قسم

العامة فان علماء الدين يعرفون ذلك ولا يخفى عليهم شي منه فعليكم
ان لا تتجرؤا بمثل هذه الجراءة وارجعوا في دينكم الى اهل الذكر
والمعرفة الذين يعرفون ذلك حق العرفان وان كان شبهة هولاء
القاصرين انه يوجد في الاحاديث المنقولة عن الرسول عليه الصلاة
والسلام ما ظاهره المخالفة لقانون العقل وما قام عليه الدليل العقلي
القاطع والاكتشافات التي اكتشفتها فنون هذا الزمان والمخلص من
ذلك على زعمهم الاقتصار على القرآن واهمال جميع الاحاديث النبوية
فاقول وهذه شبهة اوهن من بيت العنكبوت وتشبثهم بها يدل على
تمام قصور فهمهم في حقيقة الدين المحمدي المكين وذلك ان
القاعدة في الشريعة المحمدية كما تقدم بيانه في هذه الرسالة نقلا
عن علماء الاسلام الاعلام انه يجب علينا معشر المسلمين الاخذ
بظواهر القرآن والحديث الثابت عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما لم يقم دليل عقلي قاطع ينافي ظاهر شي من ذلك فان قام
دليل كذلك ينافي ظاهر آية او حديث فعلينا ان نؤل ذلك
الظاهر ونرده الى معنى محتمل وان كان بعيدا يحصل به التوفيق
بين ذلك النص و بين ذلك الدليل العقلي القاطع ومن تتبع القرآن
وجميع الاحاديث النبوية الثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام
لايجد شيئا من ذلك يخالف ظاهره الدليل العقلي القاطع الا ويمكن

تاويل ظاهره والتوفيق بينه وبين ذلك الدليل واما النصوص
التي لاتقبل التاويل ومعانيها متعينة فلاشي منها يخالف الدليل العقلي
القاطع ولا يمكن ان يقام دليل عقلي على مخالفتها البتة ومن يزعم
خلاف هذا فعليه البيان فهولاء القاصرون كان من الصواب لهم
انهم عوضا عن قولهم بترك الاخذ بالاحاديث النبوية لهذه الشبهة
ان يسالوا علماء الامة عن تطبيق كل حديث منها قد وجدوا
ظاهره مخالفا لدليل عقلي قاطع وهم يبينون لهم التوفيق على اقوم
طريق ويظهر لهم عند ذلك ان الدين الاسلامي لاشي من نصوصه
مخالف للعقل في الحقيقة ونفس الامر وانما يتخيل المخالفة ظاهراً في
بعض نصوصه اما لقصور الفهم اولقلة العلم او ان النص ورد على
ما يظهر فيه من المخالفة لحكمة من الله تعالى اما لابتلاء العلماء
وامتحانهم في فهم نصوص شريعتهم واجتهادهم في تحري الحق
والوصول الى الصواب واما لغير ذلك واني شارع في تاليف كتاب
اذكر فيه ما يوفقني الله تعالى اليه من النصوص القرآنية والاحاديث
النبوية مما ظاهره مخالفة الدليل العقلي والاكتشافات الجديدة المقطوع
بها واطبق كلا من ذلك على قانون العقل بتاويل مناسب جريا
على تلك القاعدة المتقدمة اسال الله سبحانه وتعالى ان يتفضل علي
ويوفقني لاتمامه خدمة لهذا الدين هدانا الله تعالى جميعا الى ما فيه

الحق وثبت قلوبنا على الايمان والسنتنا على الصدق ووفقنا لما فيه
رضاه ومسرة مصطفاه وختم لنا بخاتمة السعادة بجاه سيدنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب السيادة اللهم امين

واما التنبيه فاني ارجو ممن يطلع على هذه الرسالة ان لايبادر
بالانتقاد لما يتبادر فيه فهمه اني مخطئ فيه قبل ان يستوفى فهم المقام
الذي اكون اخذا في تقريره بل ينظر الى السابق واللاحق والى المقصد
الذي الفت لاجله الرسالة والكيفية التي رتبت عليها ثم ليحكم بما يظهر
له من الحق فاني لم ادع السلامة من الخطا ما دمت من جملة
البشر غير المعصومين وقد ابى الله العصمة لغير كتابه وكلام
رسوله عليه الصلاة والسلام غاية ما اقول اني تحريت الصواب
بقدر جهدي وطاقتي فما كان حقا فبتوفيق الله تعالى اليه هديت
وبيركة رسوله المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كنت من
بعض خدمة شريعته المطهرة وما كان خطأ فهو من قصور فهمي
وقلة علمي وضعف فكري وارجو الله تعالى ان لايواخذني بزللي ومن
رام ان ينتقد فله الاختيار ولكن عليه ان يقدم على ذلك بنية خالصة
فان تاليفي ما هو الا خدمة للدين الاسلامي فلينظر المنتقد الذي
هو من اهل هذا الدين ماذا يرضي الله ورسوله وليفعل ثم اني في
هذه الرسالة وان خضت في بعض المواضيع الفلسفية فليس قصدي

من ذلك التفلسف في الدين بل ذلك لاقناع عقول المتفلسفين
ولبيان ان الدين الاسلامي لا يكلف اتباعه الا با لعقائد الحقة
المنطبقة على قانون العقل الصحيح و بالاحكام التي ترجع عليهم
بالخير عاجلا وآجلا هولاء علماء الكلام خاضوا ما خاضوا مع
الفلاسفة من شرح المباحث الفلسفية لبلوغ تلك الغاية فلست
في ذلك سالكا طريقا لم تسلكه علماء الامة الاسلامية ومن يعلم
شيوع فنون الفلسفة الجديدة وكتبها بين اهل هذا العصر لاسيما
منهم غير المتمكنين في معرفة حقيقة الدين الاسلامي يستحسن
سلوك هذا الطريق للمحافظة على العقائد الاسلامية من شوائب
تلك الفلسفة الجديدة التي اشتملت على مكتشفات لم تكن في
عصر المتقدمين من علماء الامة الذين لم يتركوا شيئا من المحافظة
على العقائد من شوائب الفلسفة القديمة ثم انى في بعض المواضيع
ارخي العنان للخصم واجعل له الخيار في الاعتماد على بعض اقوال
علماء هذه الامة غير جمهورهم وما كان ذلك مني الا لتسهيل الطريق
عليه و تيسير الدخول في الدين لان دخوله فيه ولو على قول ذلك
البعض من العلماء الاسلاميين يجعله في عداد اهل الملة المحمدية
ولا يحرمه صفة الايمان فيكون سببا لنجاته مما عليه من المخالفة المهلكة
هذا الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه تهافت الفلاسفه

يكتفي بالزامهم الحجة ولو على قول بعض اهل الاعتزال لان المعتزلة لم يخرجوا عن كونهم من عداد المسلمين وكلامهم على قانون الاسلام كما في المواقف وما لهم النجاة على المعتمد هذا الحق سبحانه وتعالي قد اذن لرسوله عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد ان يخاطب الكفار بقوله (وانا اوايا كم لعلى هدى، او في ضلال مبين) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ليس شاكا فيما هو عليه وانما هو اسلوب خطابي لجلب الخصم الي الدخول في المباحثة والاصغاء الى الحجة فتتلي عليه فيفهمها فتقنعه بالحق و بذلك يحصل المقصود واما اعتقادي في الدين الاسلامي الذي القى الله تعالى عليه واساله سبحانه وتعالى ان يحسن خاتمتى به فهو اني اعتقد بجميع ما جاء به سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام اعتقادا جازما على وفق مايعتقده السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان طبق مذهب اهل السنة والجماعة واني على مذهبهم في التفويض في اعتقاد النصوص الشرعية فاعتقد ان كل نص جاء منها هو حق لا يخالف العقل الصحيح ولا يستلزم محالا واومن به على ما اراد الله تعالى منه وافوض علم تعيين معنى المتشابه اليه تعالى ولكني عند الانتصاب لمحاججة المعترضين على شيء من تلك النصوص او المعتقدين منها خلاف ما تفيده اصول الدين اجرى على طريقة

الخلف رضى الله تعالى عنهم من التاويل للنصوص التي يخالف
ظاهرها العقل بما يحصل به التوفيق بينها وبين العقل كما تقدم
من القاعدة وذلك لاقناع الخصم واحجاجه بانه يمكن له فهم النص
بهذا التاويل وترك المخالفة المهلكة وحقيقة الاعتقاد هوان النص ذو
معنى صحيح طبق العقل الصحيح وتعين معناه مفوض الى
علمه تعالى كما تقدم هذا مذهبي الذي التزمه واختاره فلينزل
عليه كلامي في كل مقام والله ولي التوفيق ثم اني في هذه الرسالة
قد التزمت في تحريرها طريقة تناسب افهام العوام على قدر
الامكان حتى اني كنت اكرر بعض عبارات واضع الظاهر موضع
المضمر اذ ابعد مرجعه او دخل في نوع خفاء واستعمل بعض
الفاظ عامية 'وغير ذلك مما تخلو عنه تآليف العلماء المتانقين في
التاليف كل ذلك مني لتسهيل الفهم وتوضيح المقام لعل الله تعالى
ينفع بهذه الرسالة بعض اخواني في الدين واخواني في الظين واني
اتضرع الى الله سبحانه وتعالى بانكساري وضعفي وعجزي واتوسل
اليه بصاحب الشريعة المطهرة والملة المنورة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتقبل عملي وينفع به عباده وان يخلص
نيتي لوجهه الكريم وان يوفق وينصر ويؤيد دولة مولانا امير
المؤمنين وخليفة رب العالمين ويحرسه بعين عنايته وحرز وقايته

انه مفيض الخير والجود امين   وقد وفقني الله تعالى لاتمام هذه الرسالة صبيحة نهار الجمعة المبارك قبيل طلوع الشمس من يوم عيد الفطر السعيد الذي جعله الله تعالى ترويحا لعباده المؤمنين بعد ادائهم فريضة الصيام وابتهاجا بدخول اشهر الحج المبارك من كل عام سنة الف وثلاثماية وست من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى ال كل وصحبه اجمعين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

صورة ما كتبه مولانا علامة الزمان والحائز قصب السبق في ميادين العرفان المحقق الفاضل والمدقق الكامل الجامع بين المنقول والمعقول والمشيد اركان الفروع والاصول سيدنا الاكرم رافعي زاده السيد الشيخ عبد الغني افندي الفاروقي الطرابلسي بعد ان قرأ هذه الرسالة بكل تدقيق اطال الله تعالى عمره وحفظ على مدى الايام للمسلمين قدره اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العظيم السلطان الباهر الحجة والبرهان الذي جعل العلماء عمد الدين وسرج اليقين وهداة العباد لسبل الرشاد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له آله

شهدت الكائنات بان لا خالق سواه ونطقت ذرات الوجود بانه
المبدع لما فطره وسواه واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله
وصفيه وخليله المنزل عليه كتاب مجيد لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرف وكرم وعظم وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه وعلى جميع
العلماء العاملين والائمة العادلين الذين قاموا بنصرة دينه المتين
وشرعه المبين وانتدبوا لرد شبه الملحدين وكشف ترهات المبطلين
بالبراهين الساطعة والحجج الصادعة اما بعد. فقد طالعت هذا
الكتاب المستطاب المتحلي بالحكمة وفصل الخطاب تاليف العلامة
الفاضل والمرشد الكامل الحسيب النسيب والبارع الاريب نابغة
الزمان ونادرة العصر مولانا السيد الشيخ حسين افندي الجسر
نجل الولي الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات الخارقة
والارشادات الصادقة التي سارت في الآفاق سير الامثال الاستاذ
السيد الشيخ محمد الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو كتاب
جميل ومؤلف جليل متكفل ببيان محاسن الشريعة المحمدية وحقية
الملة الحنيفية الاسلامية ومتعهد برد اباطيل الماديين وكشف شبه
الطبيعيين بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة حتى اضحت خرافات
الضلال واضحة البطلان سافلة البرهان فلله دره من همام اقرت

له بالسبق علماء العصر مع حجاب المعاصرة واعترفت له بالتقدم في حسن المحاضرة والمناظرة وشكرت صنيعه بما قام به عنهم من فرض الكفاية في نصرة الحق ورد شبه الغواية فجزاه الله تعالى عن الامة المحمدية جزاء رابحا ومن احسن قولا ممن دعا الي الله وعمل صالحا وانا لنرجو من حضرة مولانا امير المومنين وكافل حماية الملة والدين ان يامر بنشر هذا الكتاب في جميع البلاد الاسلاميه ويحتم تدريسه في كافة المدارس السلطانية لرد ما شاع في هذا الزمان من هذيان الطبيعيين وخرافات الماديين حتى صارت كتبهم الضلالية تنشر بين الانام وتتداولها السنة المارقين واكف الطغام كما يجب على كل من نما اليه كلامهم وعلقت في ذهنه مكابراتهم وخصامهم ان يستصحب هذا الكتاب في محاوراته وينظر به في عامة اوقاته حفظا لعقيدته الصحيحة من تلك الخزعبلات وقمعا وردعا لاهل الغواية والضلالات والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حرره الفقير عبد الغني الرافعي الفاروقي الحنفي
المفتي بطرابلس الشام سابقا غفر الله
تعالى له ولوالديه
وللمسلمين

صورة ما كتبه حضرة مولانا العلامة والحبر البحر الفهامة فخر المدرسين الكرام وقدوة المحققين الفخام شافعي زمانه وعين اعيان اقرانه سيدنا الهمام الاوحد نشابة زاده السيد الشيخ محمود افندي مدرس الجامع الكبير المنصوري في طرابلس الشام ادام الله تعالى وجوده للانام اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اوجد جميع الكائنات بقدرته واتقن سائر المصنوعات بحكمته والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالايات البينات والبراهين الواضحات وعلى اله واصحابه اولى الفصاحة والبلاغة والعنايات اما بعد فقد طالعت بالتمام هذه الرسالة العديمة المثال المنيعة المنال الموضوعة للرد على اهل الزيغ والضلال فاذا هي غاية من تحرير المعاني وترصيف المبانى كيف لا ومؤلفها علامة الزمان وناظورة الاقران والمرجوع اليه في كل وقت وآن جسر زاده السيد الشيخ حسين افندي حفظه الله

المعيد المبدي ولا بدع في ذلك اذ هو نتيجة من سارت كراماته في المشارق والمغارب وطارت اشاراته بين الابا عدو الاقارب ولي الله على التحقيق وحامل لواء اهل الصدق والتصديق قطب العصر وبهجة الدهر الغارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد الجسر امدنا الله بامداداته ونفعنا به في الدنيا والاخرة وما قلته في شأن هذا المؤلف الفاضل هو المشهور عند اولى الفضائل ولله در القائل حيث قال

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يازمان فكفر

فلا زال مظهرا لما خفي من الحقائق وفاتحا لما اغلق من الدقائق والله يحفظه مدى الزمان ويجري على يديه النفع لكل قاص ودان بجاه سيد ولد عدنان عليه من الله كل تحية وامان

آمين آمين لا ارضى بواحدة ... حتى يقول جميع الناس آمينا

كتبه الفقير اليه عزشانه

السيد محمود نشابه الشافعي

الازهري خادم العلم

الشريف عفي

عنه

صورة ما كتبه مولانا العلامة الفاضل والجهبذ الكامل نعمان هذا الزمان وقدوة المدرسين الاعيان صاحب التحقيق والتدقيق والكاشف المشكلات عن كل دقيق سيدنا الاكرم عبد الرؤف زاده السيد الشيخ عبد الله افندي الصفدي الطرابلسي ادام الله وجوده للانام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت الكائنات بانه الواجب الوجود المتصف باكمل الصفات الحكيم الذي اوجد الكائنات بنظام بديع واودعها من الحكم التي بهرت العقول ما فيه على عظيم قدرته اظهر دلالات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله عضد الدين بالعلماء الاعلام وجعلهم مصابيح يهتدى بهم في دياجي الحيرة والظلام واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي انزل عليه كتابا اخرس افصح الفصحاء وابلغ البلغاء عن معارضة اقصر سورة من سوره الكريمة وعجزت اساطين العلماء عن ادراك ما انطوى عليه من الحكم والاسرار العظيمة صلى الله تعالى عليه وعلى آله واصحابه

الذينهم لشريعته خير اتباع ولنصرة دينه خير اشياع وبعد فقد
طالعت هذا الكتاب تأليف العلامة الفاضل والمرشد الكامل واحد
الزمان وفريد الاوان مولانا الحسيب النسيب السيد الشيخ حسين
افندي الجسر نجل الولي الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات
المشهورة والاشارات الصادقة والاعمال المبرورة الطائر صيته في
الافاق خصوصا بين كمل الرجال الاستاذ السيد الشيخ محمد
الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو من اكمل المؤلفات واجل
المصنفات اثبت فيه بالبراهين والدلائل حقية الملة الاسلامية
ومحاسن الشريعة المحمدية والتزم فيه رد اباطيل الماديين وكشف
شبه الطبيعيين ووفي بما التزمه اتم توفية باعانة المنان حتى صارت
تلك الشبه والاباطيل واضحة البطلان بالحجج الباهرة وظاهر
البرهان فلله دره من امام حاز قصبات السبق في الفضل والفضائل
وهمام قام بفرض الكفاية عن اخوانه في نصرة الدين ورد شبه
الماديين والطبيعيين باقوى الدلائل فجزاه الله تعالى عن المسلمين
خير الجزاء ونرجو من حضرة مولانا امير المومنين وحامي حوزة
الملة المحمدية ان يامر بنشر هذا الكتاب في جميع البلاد الاسلامية
ويحتم تدريسه في كافة المدارس السلطانية حفظا لعقيدة التلامذة
المسلمين من التغير وعلى كل من نقلت اليه تلك الوساوس وعلقت

في ذهنه ان يستصحب هذا الكتاب وينظر فيه في معظم اوقاته حفظا لعقيدته الصحيحة من تلك الترهات وقمعا لاهل الغواية والضلالات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الارض والسموات

كتبه الفقير عبدالله عبد الرؤف
الصفدي غفر الله له
وللمسلمين

ومما قاله جناب الاريب اللبيب الفاضل والحسيب النسيب الكامل حائز قصب السبق في مضمار النظم والنثر وعين اعيان الاكارم في ميادين المكارم والفخر شهال زاده السيد محمود افندي الاكرم ادام الله تعالى بقاه بالنعم اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مكون الاكوان مدبر الخلائق بعطف وحنان خالق جميع الموجودات مع اختلافهم في الاشكال والالوان وهو غني

عن ان يساعد في مطلق شي او يعان لاتاثير في الكائنات لسواه
خلافا لمن تاه من فرط الجهالة في تيه الضلالة وقد اشتد به من
الحيرة الوله والهيمان فاصبح وهو لايدري الى اليمين ام الى الشمال
ياخذ في الحركة والسريان وضل عن الطريق الموصل لمعرفة من
رفع السماء بقدرته بلا عمد ولا اركان و بسط الارض ومدا لبحار
واجرى الانهار والخلجان وانعم على اجناس خلقه خصوصا
نوع الا نسان بجلائل نعمه التي لايحصى شكرها لسان واجلها نعمة
الاسلام والايمان فنشكره على ذلك مدى الازمان ونوحده
باللسان والجنان اذعانا بواجب وحدانيته في كل وقت وآن
لا آله الا هو آله تنزه عن ان تحيط بكنهه الاذهان اويحويه مكان
او يمر عليه زمان سبحانه وتعالى عما يصفه اهل البغي والطغيان
من القول الزور والبهتان وعما يعتقدونه من الهذيان باعتقاداتهم
البديهية البطلان نعوذ بقدرته المنيعة من التلاعب في الاديان
ونعتصم بسطوته القاهرة من هوى النفس الملقي في العذاب الهون
والهوان مستغيثين بفخر الكائنات سيد ولد عدنان عبده ورسوله
النبي الامي محمد عين الاعيان وقرة جواهر الاعيان الذي انزل
عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى و الفرقان فاعجز به
البلغاء والفصحاء من جميع قبائل العربان صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى

آله واصحابه شموس العرفان الذين استنارت بانوار هديهم الاكوان
واعتز بهم عماد الدين المنصان المؤسسة على اقوم شريعة بيضاء منه
القواعد والاركان باقوى اساس واحكم بنيان فلم يغيروا ولم يبدلوا فيه
وزنا من الاوزان بل اقاموا الوزن بالقسط ولم يخسروا الميزان حتى انه
الى الآن لم يزل ما كان على ما كان وكفى بهذا عنوانا على رضا
الملك الديان الذي خص من شاء بما شاء من فيض فضله الهتان
كالهمام الاوحد المشار اليه بالبنان الذي هو من قاب قوسي
السعادة دان من يغبط سنا فرقه الفرقدان ويحسد نور كمال طلعته
النيران المحفوف من العناية الصمدانية باعوان ومن السعادة الربانية
باخدان صاحب الاطلاع المعجب والاستحضار المعجز سيدنا السيد
حسين الجسر الافخم متع الله الانام بعوائد علومه الواسعة المدا
والميدان وحلى بفوائد فنونه البديعة الافتنان اجياد الطلاب ما
كر الملوان وتعاقب الجديدان امين

اما بعد فانني لما اطلقت لجواد عيني العنان وسرحت طرف طرفي
في مذاهب هذه الرسالة التي هي اشبه من المنثور بمنظوم حب
الجمان وشاهدت بهجة محاسنها بارزة للعيان وجدتها جنة عرفان
وسيفا قاطعا لالسنة اهل الزيغ والطغيان وشهابا ثاقبا رجمت به
شياطين الانس والجان تنتعش بفهم معانيها الابدان وترتاح لمبانيها

روح كل انسان ويزداد المومن بمطالعتها ايمان وقوة في دينه وايقان
كيف لا ومولفها ذلك الجسر المنتصب على متن الهداية والاطمئنان
الموصل بمجازه للوقوف على حقيقة الاديان والممتد من ادبه وعلمه
فوق بحرين يلتقيان يخرج منهما اللولوء والمرجان من لا يحصى مناقبه
الحسناء بحسبان فهو لقمان هذا الزمان ونعمان هذا العصر والاوان
كما ان عمرو بن سنان لو كان في زمنه اروي عنه سحر البيان
وكذلك سحبان لو انه في هذا العصر لا نقاد اليه ليزداد فصاحة
في اللسان فلله دره من بليغ فينان وتيار علم بفرائد جواهر الفوائد
ملأن وملاذ اذا استعين به اعان وناصر دين الحق بسيف الحجة
القاطعة والبرهان اذا شبت اهل الشبه حربها العوان فنحمد الله
تعالى على وجود مثل هذا الامام الذي هو من الله معان على محجة
الخصم والامعان في المعان ونشكره ونستجديه دوام الاحسان انه
كريم حنان جواد منان ولما وضح واستبان صبح الحق من افق هذه
الرسالة المسماة بالحميدية في حقيقة وحقية الديانة الاسلامية قلت
والله المستعان وعليه الاعتماد والتكلان

دين النبي محمد العدناني ... في كل آن ساطع البرهانِ
دين له رب قديم حافظ ... يحمي حماه لآخر الدوران
دين قويم النهج فيه اخو النهي ... يزداد ايقانا على ايقان

بادلة ان شئتها عقلية او شئتها نقلية سيان
من حيث كل منهما كالشمس في نهج المحجة واضح التبيان
اعظم به دينا قويما واضحا ومؤيدا في معجز القرآن
لولم يكن حقا ودينا قيما ما قام في سلطانه للآن
مازال كالشمس المنيرة مشرقا بسناه يمحو غيهب الطغيان
ياسعدنا فيه غدا ونجاحنا ونجاتنا فيه من النيران
تعسا لمن وضحت له طرق الهدى فطغى ولم ينفك ذا نكران
يكفيه في يوم الجزا حرمانه واياب بالخزي والخذلان
ما ثم ياسف غيره كلا وفي اخراه ليس سواه ذا خسران
هذا وكم من جاهل قد ضل عن نهج الهدى بوساوس الشيطان
ان الرسالة هذه حقا اتت ببيانها للحق كالفرقان
هي محض ارشاد وصرف دلالة وهداية لحقيقة الايمان
وهي الشفاء لقلب كل موحد من علة الاشراك والكفران
ولكم شفت قلبا بلطف علاجها المعدود للامراض عن لقمان
بكر حلت شأنا لسامعها وكم شقت مرارة كل غمر شاني
منها اساليب البلاغة قد اتت منظومة كقلائد العقيان
امعنت فيها ناظري فوجدتها ركنا لدين الواحد الديان
لله منشئها حسين من سما بعلو همته على كيوان

علامة الدنيا و بهجة اهلها ومِلاذ اهل الفضل والعرفان
وهو الجليل القدر والمولى الذي شرفا تشير له الورى ببنان
ذو منطق تزري فرائد لفظه باللولوء المنضود والمرجان
ما مثله بين الافاضل جهبذ يبدي معانيه بحسن بيان
فهو ابن سيدنا ابي الاحوال من من ربه نال المنى بامان
شمس الشريعة والحقيقة جسر اهل الله سامي السر والبرهان
مشغوف قلب هائم في ربه مستغرق صاح به سكران
وشهاب افق سما الولاية من غدا منها مكيناً في اعز مكان
هو قطب دائرة الكمال محمد غوث المروع ملجأ الولهان
رب الكرامات التي فاقت على شمس الضحى بوضوحها الرحماني
اعظم بها اسنى كرامات لقد سارت بها الركبان في البلدان
جلت فلا تحصى مناقبه بحسبان ولم تحصر بنطق لسان
اني لمن اجل التبرك فيه قد اوردت منها بعضها ببياني
من بعض ما نرويه عنه قوله سري بابني واضح البرهان
فوجود ذا المفضال كان كرامة ايضا لوالده الجليل الشان
هذا ومن يبغي الوقوف على نقا اخبار هذا العارف الرباني
ويرى العجائب فليراجع نزهة ال فكر الكتاب الفائق التبيان
لازال ذا القطب العلي مدى المدا تهمي عليه سحائب الرضوان

والله يرضي عنه ما لاح الصبا　ح وغرد القمري على الاغصان
وجزى حسين الجسر عنا دائما　خير الجزاء باوسع الاحسان
اذ قد اتى برسالة تاريخها　تاليفها قد جل في اتقان سنة ١٣٠٦
مع حسن اسلوب جديد قد اتى　بلزومه كما لروح للانسان
ادى بها في الدين اوفى خدمة　قد راج يغبطه بها الثقلان
دامت عليه من المهيمن نعمة　مصحوبة بالحمد والشكران
ما شنف الاسماع جوهر فضله　وحلى مديح علاه في الآذان
اوما انجلى غيم الضلال عن الهدى　بشروق صبح الحق للاعيان

وانى بالاختصار اقول في حق هذه الرسالة المشرقة مصابيح الادلة من نتائج افق قضاياها المسلمة ولا اشراق الغزالة انها في الحقيقة جوهرة لا تقوم باثمان ودرة امست السبع الدراري بها ثمان اذ مؤلفها كريم النجار فرع سلالة النبي المختار جمع بها فاوعى وشكر الله منه المسعى فلسان حال هذا العصر شاهد لها باذعان وناطق باعلان ان ليس في الامكان ابدع مما كان فنسال الله تعالى نيل الامان والتفضل بخاتمة الايمان امين

من قلم الحقير
محمود الشهال

وقد عرضت هذه الرسالة في اول مباشرة طبعها على انظار مولانا صاحب الفضيلة والافضال ومعدن المعارف والكمال فخر المدرسين وقدوة المفتين مولانا الهمام مفتي الانام في ولاية بيروت ذات الثغر البسام فاخوري زاده السيد الشيخ عبد الباسط افندي ادام الله تعالى وجوده للمسلمين اللهم امين فتفضل بتقريظها بما ياتي فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن شيد معالم الدين واسسها بالحجج والبراهين وارسل رسوله الاكرم لهداية الخلق ليسلكوا بانواره المقدسة فجاج الحق فمنهم من عرف بقلبه المنهج المبين واخر تعبد حتى اتاه اليقين اللهم صل وسلم على هذا الرسول الصادق الذي صدع بما امر قلب كل جاهل ومنافق بافصح حجة واوضح محجة التي ليلها كنهارها في علانيتها واسرارها وعلى آله واصحابه الذين حفظوا قرآنه ونقلوا حكمه وتبيانه وعلى التابعين الذين خدموا الدين ودفعوا عنه شبهات الضالين ووساوس المفسدين واراجيف الملحدين اما بعد فانى سرحت الطرف في

رياض هذه الرسالة التي غدت لقمر الشريعة هالة المسماة بالرسالة الحميدية في حقيقه الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية تاليف صديقنا العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ حسين افندي الجسر ابن استاذنا وشيخنا يتيمة الدهر فتربعت النفس بدست ربيعه علانية وجنت كل لذيذ من قطوفه الدانية

سفر جليل به للطالبين هدىً   في بابه قد اتى من احسن الكتب
لنا احاديثه تروى معنعنة   عن الحسين باسناد لخير نبي

فهو كتاب لم ينسج في نصرة الدين المحمدي على منواله ولم تات المتقدمون بتمثال امثاله لا عن تهاون منهم او تقصير وهل ينبئك مثل خبير فانهم جزاهم الله خيرا قد خدموا الدين بما هو اهم ونفعه للخلق اعم فكم سردوا المباحث الطويلة ودونوا الفوائد الجليلة اما الان فقد كلت الهمم وغدت من سقط المتاع عزائم الامم فلا نرى الا ناصرا لبغيته تابعا لنفسه وشهوته غريقا في بحر جهله متبرجا تبرج الجاهلية بفعله وقد حدث بعد الامور امور وظهرت مخبآت كانت تحت الستور وكثير منها ما هو اوهام او اضغاث احلام يغتر بها كل قاصر العقل واهن اليقين ساقط الفضل فاقتضى الحال درأ لتلك الشبهات والمحافظة على عقائد البعض من غوائل التخيلات

فوفق الله تعالى صاحب هذا الكتاب و يسر له الاسباب فى اظهار
نتائج بعض اسرار الدين الاسلامي المتين بالقول الشارح الحقائق
للمؤمنين وغير المؤمنين باسلوب نفيس مختصر تفهم معانيه كلمح البصر
مع رد الشبه الواهية والتطبيق بين المنقول والمعقول بدلائل كافية
ملتزما فيه عدم التعرض لمذهب او دين سالكا بالانصاف سبيل
المرشدين فجأت فرائده وافرة وفية تزدان بها الاندية العلمية وانه
الواسطة الكبرى لحفظ عقائد البنين من شبهات الملحدين وقد
حاز القبول لدى الحكومة السنية لما به من الفوائد الجلية ونظرا
لاعتبار هذا الكتاب عند الاجلاء الاخيار سيكون على قراته في
المدارس الاسلامية المدار حيث انه حوى المباحث العقلية والمسائل
النقلية فان المدارس بظل سلطاننا امير المومنين مفتحة ابوابها
للطالبين حفظ الله سلطانه ونصر اعوانه فقد شيد معالم المدارس
واسدى اليها النفائس فمؤلف هذا الكتاب هو من العلماء العاملين
وضعه لخدمة الدولة والدين فيجب علينا معاشر المسلمين ان يكون
هذا الكتاب ديدن المعلمين واملي وطيد بحضرات اولياء الامور
اصحاب الدين ان يجعلوه دستور التعلم في المدارس كل حين لما فيه
من رد جماح العقل عن التهور في وهاد الجهل ولما به من حفظ
عقائد الانام في جميع ممالك الاسلام اداما الله تعالى رافلة بحلل

الامان تحت ظل الدولة العلية العثمانية على ممر الزمان وفق الله الجميع لاصلاح الحال ولادراك غاية الكمال

لنهج الهدى والحق وافت رسالة | حميدية تأليف شهم مكرم
لقد نسبت واليمن وافق وضعها | لسلطاننا عبد الحميد المعظم

كتبه بقلمه وقاله بفمه الفقير اليه سبحانه عزشانه

عبد الباسط بن علي فاخوري

مفتي بيروت

ثم عرضت على انظار بعض ساداتنا علماء دمشق الشام الافاضل فتكرموا بتقاريظ كانت فرائد عقد هذه الرسالة تفخر بها في محافل الافتخار وتزهو بحلاها في سائر الامصار فمما قاله حضرة مولانا فخر العلماء الاعلام وقدوة الفضلاء الكرام علامة الزمان وفهامة الاوان والمشار اليه بالبنان والمرجع لكل قاص ودان سيدنا المرحوم المبرور عطار زاده السيد الشيخ محمد سليم افندي اسكنه الله تعالى بحبوحة جنانه واظله بظلال رضوانه وعوض الله المسلمين بمصابه خير عوض اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن وفق من شاء من خلاصة عباده للذب عن الشريعة
الغراء وافاض على قلوبهم من المعارف الربانية والعلوم الصمدانية
ما قهروا به اهل الطبيعة الذين هم لكتابه وسنة رسوله اعداء فسبحان
من وفقهم للعمل بما علموا حتى ورثوا علم ما لم يعلموا كما اخبر بذلك
سيد الانبياء وصلاة وسلاما على اول قابل للتجلي الاقدس والفيض
المقدس من حضرة الباء فكان اول من ثنى وجود الحق ولم يكن
اذ ذاك عرش ولا كرسي ولا ارض ولا سماء وعلى آله واصحابه
نجوم الهدى وائمة الاهتداء وعلى التابعين لهم الى يوم الحشر واللقاء
وبعد فاني قد تاملت في هذا الكتاب الحاوي من فنون المسائل
العجب العجاب الذي الفه العالم الفاضل والجهبذ النحرير الكامل
الوارث للمجد عن والده الماجد وليس على الله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد حضرة السيد حسين نجل المجمع على ولايته ووراثته
صاحب الاحوال والكرامات المرحوم السيد الشيخ محمد الشهير

بالجسر قدس سره فوجدته قد حوى درر الفوائد والفرائد جمع فيه من السيرة النبوية اصحها واوفاها ومن الادلة والبراهين على بطلان عقائد اهل الطبيعة والضلال اعلاها واقواها فلقد اجاد فيه وافاد ووفي بالمقصود والمراد فجزاه الله على صنيعه احسن الجزاء ومتع الله المسلمين بحياته بجاه سيد الانبياء والحمد لله في البدأ والختام والصلاة على سيد الا نام امين

كتبه الفقير اليه سبحانه

محمد سليم العطار

عفي عنه

ومما قاله فخر العلماء والمدرسين الكرام وعمدة الفضلاء والمحققين الفخام العلامة الفاضل والفهامة الكامل العامل ذو الفضل والارشاد وقدوة السالكين في سبيل السداد الهمام الاكرم عطار زاده السيد الشيخ بكري افندي الافخم ادام الله تعالى هديه وارشاده للمسلمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن له الحجة البالغة والبراهين الساطعة الدامغة القائل وهو القادر الخالق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والصلاة والسلام على اول موجود على الاطلاق سيدنا محمد المخصوص باحسن الاخلاق من جعله مولاه الحجة الكبرى على العالم وفضله على الملائكة الكرام وسائر بني آدم وايده بالمعجزات الباهرة لتكون حجة على النفوس الابية الكافرة وعلى آله الهداة الكرام واصحابه السادات العظام اما بعد فان الله تعالى جلت عظمته وعلت حكمته قد اقام لحراسة دينه القويم وصراطه المستقيم من ارباب البصائر والفكر من يدافع عنه في كل آن وعصر ويذب عنه بسيف الشريعة والقهر من تعرض له بسوء من اهل الضلال والكفر ولما نزغت بين الناس في هذه الايام اقوام من اهل الوساوس والاوهام يقولون باسم الطبيعة ويميلون عن منهج الشريعة قد اتخذوا الهوى مركبا والفساد مطلبا اخزاهم الله تعالى واغواهم وعن طريق الحق والرشاد اعماهم وفق الله تعالى لادحاض حججهم الباطلة وبراهينهم العاطلة من اولي البصر والبصيرة ومن ارباب

القلوب الخبيرة بدر فلك التحقيق في ليالي المشكلات وسراج اهل التدقيق في كشف ظلم المعضلات العالم النحرير العامل والمدقق الاريب الكامل جامع فضائل الاوائل والاواخر ووارث العلم عن اسلافه البحور الزواخر مولانا السيد حسين افندي بن مولانا العالم العلامة والعارف الكامل الفهامة ذي الكرامات المشهورة والاخلاق الحسنة الماثورة من اعترف بفضله كمل الرجال الشيخ محمد الجسر ابي الاحوال فألف هذه الرسالة الكافية الوافية وهي لما في صدور المنصفين شافية وقد اثبت فيها بالبراهين القطعية حقية الملة الحنيفية المحمدية وابطل شبه اهل الطبيعة والاهواء فجزاه الله عن المسلمين احسن الجزاء ومتعنا والمسلمين بطول حياته بجاه من ايده الله تعالى باياته والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيد الرسل الكرام وعليهم اجمعين آمين يارب العالمين

قاله الفقير الى رحمة ربه الغفار

بكري بن حامد العطار

الشافعي القادري

عفي عنهما

ومما قاله فخر العلماء الافاضل وقدوة الفضلاء الاماثل العلامة الاوحد والعلم الشهير المفرد عين اعيان العارفين وامام الجهابذة المحققين مولانا الاكرم عطار زاده السيد الشيخ عمر افندي الافخم ادام الله تعالى بقاه للمسين اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه انه المحمود باسمائه يامن تفردت بالافعال فكان لا فعل لسواه ويامن تعاليت عن السوى، ومن الشوى وليس الا مظاهره ومجلاه صل وسلم على الرحمة للعالمين من انقذنا من الضلالة سيدنا محمد من ختمت به النبوة والرسالة وآله وصحبه وبعد فاني قد سرحت ناظري في رياض هذا الكتاب المشتمل على كل معنى مستطاب فوجدته في نفس الامر والواقع قد كشف عن وجوه المعضلات البراقع وعلمت حقا انه فتح مبين منزه عن التعمل بيقين ولا عجب فانه شيء جاء على اصله فلا سوال عن حده ورسمه فلله در مؤلفه من همام احيي به ذكر اسلافه العارفين الاعلام فشكر الله العظيم مسعاه وادام نفعه العميم وحفظه وابقاه فكم رد اهل الغواية على الاعقاب وكم ارشد آل

الهداية لما فيه صلاحهم ونعم الآل والاصحاب اللهم كما هديت به فزده توفيقا وكما منحته فامنحنا هدىً وتحقيقا واحشرنا جميعا تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى كافة الانبياء اجمعين امين

كتبه الحقير

عمر العطار

ومما قاله العالم الفاضل والمرشد الكامل السالك بمريديه سبل النجاة والمروى ظمأ الطالبين من زلال عين الحياة مولانا الاجل الامجد خاني زاده السيد الشيخ محمد افندي الخالدي الاكرم اطال الله تعالى بقاه وادام نفع المسلمين بهداه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه اما بعد فقد تصفحت هذا الكتاب الذي حوي كل معنى مستطاب الذي الفه اخونا العالم الفاضل الاريب اللبيب الكامل الشيخ حسين نجل المرحوم المشهور بالولاية والفضل

والعلم والعمل الشيخ محمد الجسر قدس الله روحه ونور ضريحه من اهالي طرابلس الشام زاده الله توفيقا وافادة للعلوم وتحقيقا فوجدته قد حوى كثيرًا من الفوائد وبنى وهدم كثيرًا من القواعد مع غاية البيان والتحقيق نفع الله به ووفق لاقوم طريق وجزاه على قصده فانه غير مخلف وعده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين ومشيد هذا الدين الى يوم الدين

كتبه الفقير اليه

محمد الخاني

الخالدي

ومما قاله العالم الفاضل والجهبذ الكامل صاحب النظم الرائق والنثر الفائق حائز قصب السبق في مضمار البيان والمشار اليه في محافل البلاغة بالبنان عطار زاده السيد الشيخ ابراهيم افندي محمود ادام الله تعالى وجوده للانام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن تفرد بالايجاد ونور قلوب اوليائه بصحيح الاعتقاد وصلاة

وسلاما على افضل العباد سيدنا محمد الهادي الى سبيل الرشاد الماحي بواضح براهين شريعته سفسطة اهل الزيغ والعناد وعلى آله واصحابه واتباعه واحبابه السراة الهداة الظاهرين الامجاد اما بعد فاني لما سرحت جواد النظر واطلقت عنان الفكر في ميادين هذا السفر المبتكر المعتبر الفيتة قد جمع من ساطع ادلة هذه الشريعة ويقينياتها القاطعة المنيعة ما ازاح به شبه الملحدين ودحض اباطيل المعاندين المتمردين فلله در مؤلفه ما اتقنه وما ابهاه واحسنه كيف لا وهو قد ورث المجد كابرا عن كابر واضحت معارفه به تفاخر وتكاثر عنيت به الحسيب النسيب العلامة الفهامة الاديب الاريب الهمام المفضال السيد حسين افندي نجل مولانا المرحوم شيخ اهل الكمال الشيخ محمد افندي الشهير بالجسر والمكنى بابي الاحوال فحقيق ان ينشد ويقال

سمى البسط قد انشا كتابا ‌ ‌ فيا بشرى لمقتبس سناهُ
وذا من فضل آثار الحميد ‌ ‌ آله الغرش بلغه مناه
بعون الله لما تم ارخ ‌ ‌ به زاهٍ لقاصده غناه

سنة ١٣٠٦

متعنا الله والمسلمين بطول حياته واعاد الله علينا وعليهم من طيب

نفحاته وبركاته والصلاة والسلام على ختام النبيين وعلى آله واصحابه اجمعين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير الى الله عز شانه

ابراهيم بن محمود العطار

عفي عنهما

ومما قاله العالم المفضال والعلامة الفهامة اللوذعي ذو الكمال حائز قصبات السبق في مضمار المنثور والمنظوم والفائز بالقدح المعلى من المعارف والعلوم الحسيب النسيب الاكرم منير زاده السيد الشيخ محمد عارف افندي الحسيني حفظه مولاه وابقاه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدرنا للاسلام وجعل لنا نورا نمشي به في غياهب الظلام فانقذنا من الغرق في لجج المهالك والا ثام واوضح لنا سبيل الهدى في الانام فمن اهتدى اليه ربح القبول وظفر بالفوز والاعتصام ومن ضل عنه خسر ولم يظفر بالنجاح ونيل المرام سر ومن يبتغي غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من

الخاسرين قول الملك العلام احمده وهو ولي الحمد واشكره بلاحصر
ولا عد ان خصنا بمن هو للرسل امام ولجميع الانبياء بدء وختام
سيدنا محمد المظلل بالغمام المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الزحام
المنزل عليه ان الدين عند الله الاسلام القائل ان لله تعالى عند
كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم
بعلاماته وناهيك به من مقام عليه افضل صلاة واتم سلام وعلى
آله السادة الطهر الكرام الذين هم امان للامة من جهد البلاء
والانتقام وصحابته القادة الغر الاعلام الالى اسسوا لناقواعدالاحكام
وشيدوا الدين بالقنا والصمصام وجمعوا الكلمة على عبادة المولى
ذي الجلال والاكرام وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكسر
الاصنام وهدموا اركان الكفر بعد الاحكام و بددواجيوش الكفرة
اللئام وقاتلوا حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ولم يهابوا من
بطل ولا عرام والتابعين لهم المقتفين اثرهم ابد الابد ودوام الدوام
أمين اما بعد فلما كانت حكمة الله الباهرة وارادته القاهرة
اقتضتا ان يكون البشر انواعاوشعوبا وقبائل ومشارب وطباعاوكان
اللازم لذلك شرع دين لهم ليعبدوا به ربهم ولا يظلموا بعضهم ارسل
لهم رسلا امناء معصومين وانزل عليهم شرائع بابلاغها مأمورين
وكانت تلك الشرائع بحسب ما يناسب الزمان و يوافق مشرب

كل اهل اوان ولذا كان يتعاقبها النسخ والتبديل للاتيان بالخير
او بالمثيل ولما حان ظهور ما اراده الله تعالى من الازل من جعل
العالم امة واحدة تدعي لعبادته عز وجل ارسل نبينا محمدا صاحب
العلامة من رسالته لكافة الخلق عامة بشريعته التي هي خير
الشرائع واعدلها كما ان امته خير الامم وافضلها وانزل عليه بواسطة
جبريل الامين قرآنه العربي المبين فاعجز به البلغاء وابكم به الفصحاء
وجعله اسا لتلك الشريعة والدين فامن به من صادفته العناية وكفر به
من ادركته الغواية من الضالين وامره ان يثخن في الارض ليكون
له اسرى فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي
السفلى وبقية فرقة ممقوتة من الله تنكر وجود الآله وتعد التدين
بالدين منافيا للعقل المتين واخرى تقول بالبعض وتزعم انه الاصل
وتنفي النسخ الثابت بالنقل والعقل وانكرت رسالة نبينا خاتم المرسلين
صلاة الله وسلامه عليهم والهم اجمعين ونسبت الى ما جاء به من
الدين بعض اشياء كذبا موضوعا وزورا مصنوعا وزعما بيقين
وتسترت شرذمة بدعواها الاسلام وازمعت على هدم اركانه
بالقاء بعض شكوك فيه واوهام فتراها تنكر من الشريعة بعض اشياء
لم تظهر حكمتها لعقلها القاصر مدعية انها ليست من اصل الدين
وما هو الا كفر ظاهر او تختلق لها حكما لم يقصدها الشارع مخالفة

لمراده والواقع فرارا من التسليم ان يكون في الدين شي لم تظهر له حكمة وهذا من ضعف الايمان في القلب وتعاقب الظلمة فعند ذلك نهض المولى العالم النحرير الشهم المفنن العلامة الخبير الثاقب الفكر الشيخ حسين افندي نجل المرحوم العارف بالله تعالى الشيخ محمد الجسر الذي اختاره الله من الازل للذب عن هذا الدين الصحيح الاجل مستمدا بروحانية جده الرسول متوسلا به في بلوغ المامول

همام له في كل فضل فضيلة　　بليغ اذا ما قام في الناس يخطب
ابوه ابو الاحوال كم من كرامة　　له شهد الاعداء فيها واطنبوا

وتفرغ للتكلم بعلاماته حسبما رمز له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ببعض مقالاته ونصر الدين لله فاعانه الله وتولاه وايده وعضده وهداه الى ما اراده وقصده لانه

امام لنصر الدين شمر ساعداً　　لذا حمدت افعاله وماثره
ومن ينصر الله ابتغاء لوجهه　　فلا ريب ان الله بالنص ناصره

فالف هذا الكتاب الذي هو غاية في هذا الباب فجاء كما اراد وافيا بالمراد يغبطه على مثله الاديب ويحار في وصفه الاريب

هذا التأليف لقد اضحى　　اظهار الحق نتيجته
واذا حققت بـه تلقى　　احقاق الحق حقيقته

وقد سماه الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية وهو جدير بان ينسب الى مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان ذي الشوكة والمجد والشان ويحمده كل انسان فجزاه الله تعالى خير جزاء واحسن لنا وله الانتهاء ورحم والدينا ونفع بنا جميعا بجاه من ارسل لنا رحمه وشفيعا عليه وآله اشرف صلوات وازكى تسليمات وتحيات على الدوام ما فاح مسك ختام

نمقه الفقير اليه عز شانه محمد عارف المنير الحسني الشافعي الدمشقي

عفي عنه

ومما قاله الاريب اللبيب والاديب النجيب والحسيب النسيب ذو النظم المطرب والنثر المعجب الفاضل الكامل ظبيان زاده السيد الشيخ محمد علي افندي الكيلاني ادام الله تعالى توفيقه امين

هذي عروس بدت باللحظ تركية كانها في بديع الحسن حوريه
ام ذا رشيق قوام راق مبسمه اذا بدا يخجل السمر الردينيه
ام ذا مؤلف رازيّ الزمان حسين الجسر فيه لآلى العلم محويه
بـه براهين ايات مبينة جاءت تذب عن الغرا الحنيفيه

فياله من كتـاب ابرزته لنـا　افكار حبر عن التحقيق مرويه
منه لاهل الضلال الملحدين اتت　ادلة لاخي الانصاف مرضيه
ومنذ القى عصا برهانه بطلت　عقـائد لهم بـالوهم مبنيه
فـالله فضله قـدرا ففض له　ظلاسما من كنوز العلم مخفيه
لله اخلص في قول وفي عمل　بشرى له انما الاعمال بالنيه
لازال يهدي الورى من بحره دررا　ماغردت فوق غصن البان قمريه
والطبع لما انتهى قلنا نورخ فيه　راق طبع الرسالة الحميديه

٩٥　٣٠١　٨١　٧٢٢

خويدم العلم الشريف محمد
علي ظبيان الكيلاني
عفي عنه

ولمؤلف الرسالة الحميدية رسالة صغيرة في تعدد الزوجات وحجاب النسآء والظلاق الحقناها هنا تتميا للفائدة وهي هذه

بسـم الله الرحمن الرحيـم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فيقول الفقير الى الله تعالى حسين الجسر الطرابلسي ان من المسائل المهمة مسألة تعدد الزوجات وحجاب النساء والطلاق

واني اطلعت في هذه الاثناء على كتاب في الهجين لبعض الكتبة غير المسلمين تعرض فيه للمسألتين الاوليين حيث قال بخصوص الاولى في جميع الممالك ان الذكور اكثر من الاناث بقليل ربما كان حكمة العناية في ذلك النظر الى زيادة نقص الذكور لاسباب الموت مما يتأتى من مشاق السفر واخطار البحر والحرب الى غير ذلك ويظهر من النسبة ايضا ان الحكمة الالهية لم تجوز اكثر من زوجة واحدة للرجل فيكون تعدد الزوجات امرا مخالفا لما وضع في الطبيعة اه وفي ذلك التعريض باخذ الرجل زوجات فوق الواحدة كما هو حكم شريعتنا المطهرة وبان ذلك خلاف النظام الطبيعي وقال بخصوص الثانية في ذلك الكتاب فليس من العدل ولا الحق ان تحتقر الانثى او تظلم او يهمل تعليمها او يحجر عليها في البيت كما يحجر على الاسير والمسجون لسوء الظن فيها مع ان الرجل اقرب منها الى الاثم ذلك من عوائد الخشونة الى اخر ما قال وفيه التعريض بحكم شريعتنا العادلة بالحجاب على النساء والاقامة داخل البيوت فاحببنا ان نبين الحق في ذلك على مقتضى القانون العقلي لما ان المؤلف المذكور لا تقنعه الاحكام الشرعية اذ ليس هو من اهلها فجرينا في سبيل البيان على ما فيه مقنع لكل عاقل فنقول ان المولف المذكور حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وبيان

ذلك بعد تسليم تقارب عدد الذكور من عدد الاناث لايخفى ان الحكمة الالهية اقتضت توالد النوع الانساني بين الرجل والمرأة وتكثير افراده وبقائها الى ما شاء الله تعالى والالثبت نقيض ذلك وكان واجبا علينا السعي بتقليل التوالد واعدام البشر بوسائط شتى والواقع خلافه وذلك التوالد يكون بتلقيح الرجل وبزور المرأة ومعلوم ان الرجل تدوم فيه اهلية التلقيح ولو بلغ من العمر مائة سنة وبلوغه ذلك ممكن موجود ليس بالنادر حتى قال بعضهم ان الانسان خلق لان يعيش المائة اذا لم يعاجله الموت واما المراة فحيث ان حملها للجنين ووضعه وارضاعه تجهد قوتها ولا تطيق ذلك كله الا في حالة بلوغ جسمها قوته اقتضت الحكمة الالهية ان يكون استعدادها للتوليد من سن احتلامها الى سنة الخمسين من عمرها (على ما قيل او خمس وخمسين على رأي اخرين) ومن هناك حيث تاخذ قوتها الطبيعية بالتاخر قد منع عنها الباري تعالى امر الحمل وقطع دم حيضها الذي منه غذاء الجنين وحرمها تلك البزور لطفابها واحسانا فتكون مدة استعدادها للتوليد مقدار خمس وثلاثين سنة لان في الغالب تبلغ الحلم في الخامسة عشرة واذا تقرر هذا فنقول ان المراة في مدة استعدادها للتوليد اذا اقترنت بالرجل في اي زمن كان من عمره بعد بلوغه الحلم تجد فيه استعدادا للتلقيح

لايقصر عنه الا لعارض غير طبيعي واما الرجل فاذا اقترن بها بعد
بلوغها الحلم واقتصر عليها فكثيرا ما تعطل عليه مدة من عمره
لا يجد فيها لزرعه نتاجا و بيان ذلك انه لو فرض اقترانهما من اول
سن احتلامهما فيمكن توالدهما الى سن اياس المراة وهو الخمسون فان
عاشا ستين سنة عطلت عليه المراة عشر سنين وان عاشا سبعين عطلت
عليه عشرين الى ان يقال ان عاشا مائة عطلت عليه خمسين و كذلك
يقال ان كان مثلها في العمر واقترن بها عند سن اياسها لداع من
الدواعي واذا تخالف معها في العمر فعلى فرض انه اكبر منها سنا فالغالب
انها تعطل عليه ايضا حتى لو فرض انه اقترن بها وهو ابن خمسين سنة وهي
بنت خمس عشرة وعاشا المائة لعطلت عليه خمس عشرة واما لو فرض
انها اكبر منه فهناك ضرره العظيم و يتفاوت حينئذٍ زمن التعطيل
بفرض سنه وسنها واكثر ما يتصور ذلك انه لو اقترن بها وعمره
خمس عشرة سنة وهي قبيل سن الاياس لداع من الدواعي فلو
ولدت منه ولدا وايست لتعطل عليه خمس وثمانون سنة على
فرض ان يعيش المائة فلو لم يكن غير ذلك التفاوت سببا داعيا
لاباحة اقتران الرجل باكثر من امراة لكان كافيا لانه تبين ان
الرجل لايعطل على المراة يوما واحدا من ايام استعدادها للتوليد
وهي قد تعطل عليه كثيرا من الاعوام فباباحة اقترانه باكثر من

واحدة صار يمكنه مداركة ما كان يحتمل ان يعطل عليه ثم نقول من المعلوم ان الرجل نظرا لما منحه الله تعالى من القوة على الكسب ومعاناة شدائده دون المرأة جعل هو المعيل لها والقائم بامر نفقتها وجعلت وظيفتها بمقابلة ذلك قيامها بتدبير منزله وتربية اولادهما هذا امر كالطبيعي للبشر ومخالفته من البعض جرى على خلاف النظام الالهي والمالوف في الطباع ومن المعلوم ايضا ان الفقراء والقاصرين عن القيام باعباء النفقة على الزوجة اكثر من الاغنياء القادرين على ذلك في اكثر الممالك وان كان في بعضها يوجد ما يقارب المساواة في الغنى فالمملكة التي هي من القسم الاول لاشك ان الكثير من رجالها الفقراء يمتنعون عن الزواج حذرا من اعباء النفقة على المراة بل الشريعة العادلة تحظر عليهم ذلك اذا علموا من انفسهم انهم يظلمون المراة بعجزهم عن نفقتها وعند بعض الائمة يحق للحاكم ان يفرق بين الزوجين اذا عجز الزوج عن النفقة دفعا للظلم الذي تأباه العقول وفي هذه الازمان نرى زيادة عدد اولئك الرجال العاجزين بانضمام من يذهبون للجندية فان هولاء يمتنعون عن الزواج خوفا من ترك نسائهم في مدة التجند بلا معيل فاذا كان الاقتران لايباح للرجل الا بامراة واحدة بقيت النساء اللاتي في مقابلة الرجال الممتنعين عن الاقتران معطلات عن التوالد فتبطل

الحكمة في تكثير النوع الانساني و بقاء نموه ولكن اذا ابيح للرجل ان يأخذ اكثر من امراة امكن الرجال المقتدرين على النفقة ان يقترنوا باكثر من واحدة من تلك النساء اللاتي على شرف التعطيل وحينئذٍ لايضيع استعداد تلك المسكينات ولا يختل النظام الالهي وبدون ذلك تمضي اعمار تلك البائسات ولم يستفد منهن النوع الانساني ثمرة تذكر واما القسم الثاني من الممالك اعني التي يتقارب مساواة اهلها في الغني يمكن فيها ان يقترن كل رجل بامراة ولا يتعطل من نسائها احد ولا يمكن الرجل ان يقترن باكثر من واحدة لانه اذا طلب ذلك لم يجده لان الحساب قد تسدد وان قال قائل ان هذا التفصيل يقضي ان يباح الاقتران باكثر من واحدة لاهل القسم الاول من الممالك دون الثاني قلنا من المعلوم ان الممالك لا تدوم على حال واحد من الفقر والغنى بل يتعاقب على كل مملكة الحالان على ممر الازمان ولا يمكن ضبط ذلك وتحديد اوقاته وعلى فرض ذلك الضبط والتحديد فاذا كان الحكم كما قال ذلك القائل يؤول الامر الى الاختلاف دائما وتبديل الحكم الى ضده كل مدة من الزمان وربما آل الامر الى الحكم بأباحة الكثير من الزوجات في سنة وحظره في التي بعدها او بالعكس اذ من الممكن ان تكون المملكة غنية وتصبح فقيرة بسنة واحدة و بالعكس والاحكام الالهية

لاتكون بهذه المثابة ولا تفتح مثل هذه الابواب للتبديل والتغيير
الموجب ذلك تلاعب اهل الاغراض والشهوات فنتج مما تقدم
ان اباحة تعدد الزوجات هو الامر الموافق لما وضع في الطبيعة والعقل
السليم خلافا لما قاله ذلك المولف هذا واما حصر اباحة تعدد الزوجات
في اربع فلم يتعرض له ذلك المولف ولكن نذكر حكمته على سبيل
الاستطراد فنقول ان له حكمة شرعية ليس هنا محل لذكرها لان
المولف المذكور ليس من اهل شريعتنا حتى تقنع افكاره الحكم
الشرعية وله حكمة عقلية على نسق ما يألفه ويقنع به و بيانها انا
قدمنا ان الرجل العاجز عن النفقة يمتنع عن الزواج والرجل القادر
عليها يقدم عليه ولاشك ان اسباب الكسب اربعة الامارة والتجارة
والصناعة والزراعة فكأن الباري تعالى اباح بمقابلة كل سبب زوجة
فاذا توفرت هذه الاسباب جميعها للرجل امكنه اخذ اربع نسوة
واذا فقد منه سبب اقتصر على الثلاث وهكذا حتى اذا فقدت
الاسباب الاربعة ترك الزواج واحاله للاغنياء واذا وجد معه احد
هذه الاسباب متوفرا بحيث يقوم مقام سبب اخر او اكثر امكنه
الجري في الاقتران على قدر سعته واذا احطت خبرة بما تقدم و بما
هنا انقدح لك سر اباحة التسري باكثر من اربع من النساء
المسترقات لان هولاء النساء ليس في المملكة التي جلبن اليها

رجال في مقابلتهن فاذا كان الرجال الفقراء لايقتدرون على امتلاكهن ولم يبح الاستكثار منهن للاغنياء اصبحن معطلات عن التوليد فاباحة التعدد منهن للاغنياء هو عين الحكمة وهذا البيان كافٍ للمتامل البصير واما ما ذكره المولف المذكور في كتابه بخصوص المسالة الثانية وهي امر حجاب المراة فنقول فيه ان حجاب المرأة امر يقتضيه العقل السليم وتستحسنه الانسانية والنظام الالهي والناموس الطبيعي وبيانه انا قدمنا ان المكلف بأمر النفقة هو الرجل واما المراة فلا تكلف الا بتدبير المنزل وتربية الاولاد حسب المألوف والمستحسن في العقول ولا شك ان اختلاط الرجال بالنساء يكون فيه بواعث عديدة لارتكاب الفحشاء لتوفر الداعي من الطرفين ومن المعلوم ان النظر يزيد ذلك الامر القبيح الذي حرمته الشرائع وقبحته العقول لما فيه من اختلاط الانساب وضعف التناصر وقبحه مما لايحد وناهيك ان الله تعالى اهلك امما كثيرة من اجل ارتكابه فالناموس المانع من كثرة وقوعه هو منع الاختلاط بين الرجال والنساء وذلك لايكون الا بلزوم احد الفريقين للبيوت واذا نظرنا للرجال وجدناهم لما كلفوا به من السعي على النفقة خارج المنزل لايمكنهم لزومها والنساء نظرا لتكليفهن بتدبير المنزل صار لزومهن للمنازل موافقا لما كلفن به

فاقامتهن داخلها تكون هي عين الحكمة وان قيل ان في اقامتهن ضررا عليهن قلنا مهما فرض ذلك الضرر فالضرر الحاصل من الاختلاط اعظم واشد وارتكاب اخف الضررين هو الامر المعقول والمشروع ولذلك حكمت الشريعة عليهن بالحجاب وهذا الحكم موافق لمصلحتهن التي كلفن بها ولمصلحة النوع الانساني وهي حفظ الانساب على ان النسا اللاتي ينشأن من طفوليتهن محجبات لايظهر لضررهن من اثر وذلك للعادة التي يألفنها ولا يخفى ان العادة تعد الانسان لقبول ما يعجز عنه بدونها وقد قال ذلك المؤلف في نفس كتابه المذكور ما معناه ان الانسان يمكنه التعود ولو على الامور السامة بحيث انه يتناول منها مقدارا لو تناوله غير المعتاد لاضر به جدا فنحن نرى النساء المعتادات على الحجاب يتفاخرن به ويعددنه من اعظم اسباب الصيانة ويعيرن النساء المتبرجات اللاتي لايتحرين فيه وينسبنهن للقحة وعدم الصون وما ذلك الا لانهن الفن الحجاب ووجدنه خيرا لهن من التبذل فاذا تقرر هذا ظهر ان الحكم على النساء بالحجاب لا يجحف بحقوقهن ولا يعد ظلما ولاخشونة خلافا لما قاله ذلك المولف المجازف الذي لا دراية له باسرار الشريعة العادلة واما ما قاله من تحقير النساء وظلمهن واهمال تعليمهن فهذا امر تمنعه شريعتنا الغراء وتامر بمخالفته وارتكابه يعد

مخالفة لاحكامها المقدسة فذكر ذلك في كتابه لايمس بحاسياتنا ولا كلام
لنا معه فيه واما مسألة الطلاق فقد بلغنا الان ان البعض شارع
بتاليف كتاب مسميه الطلاق والظاهر منه ان مراده الرد على الطائفة
التي في مذهبها اباحة الطلاق ولاندري بماذا يحتج فيه ولكن نورد
الآن ما يبرهن ان اباحة الطلاق امر موافق للعقول ومنعه مناف
للنظام الالهي والترتيب الطبيعي بحيث لا يخالف ذلك الا المكابر
فنقول تقدم لك في صدر هذه الرسالة ان الحكمة الالهية تقتضي
تناسل النوع الانساني وكثرة توالده وان الرجل مستعد لذلك
من سن احتلامه لغاية اجله واما المراة فهي مستعدة له من سن
احتلامها لسن اياسها وذلك مقدار خمس وثلاثين سنة فاذا اقترن
الزوجان ولم يحصل بينهما توالد وذلك كثير يحتمل الامران
يكون المانع من جهة الزوج او من جهة المرأة او من جهتهما فاذا
كان الطلاق ممنوعا يمضيان عمرهما بلا وجود النسل ويتعطل
المستعد منهما على فرض وجوده وقد تكون مدة هذا التعطيل
مصورة بخمس وثمانين سنة واما اذا كان الطلاق مباحا امكن
الزوج بعد فراغ صبره ان يطلق المراة ويقترن بغيرها وامكنها
الاقتران بغيره فالمستعد منهما حينئذ يفوز بالنسل ولا يتعطل عليه
شيء وغير المستعد يستريح باله بظهور حقيقة حاله وقد يكون كل

منهما مستعدا للنسل ولكن آتي تناسلهما غير متوافقتين فاذا تفارقا امكن كلا منهما بالاقتران باخر ان ينتج نسلا ولا يحرم ثمرة استعداده ونرجع هنا لما كنا بصدده قبلا من جواز الاقتران باكثر من امراة فنقول اذا اراد الرجل ان يتربص بامر طلاق امراته التي لم تحمل منه يمكنه لاظهار محل المانع من الحمل ان يقترن بغيرها فان ظهر السبب منها ابقاها على عصمته ان شاء ولم ينس الفضل بينه وبينها اذ لا ثمرة بطلاقها على ما يظهر وان ظهر ان السبب المانع منه فهو مخير ببقائها ولا نقول بمقتضى الناموس المقرر سابقا كان يجب عليه طلاقها حينئذٍ لتقترن بغيره لان استعدادها غير متيقن بل مشكوك فيه لجواز عدمه منها ايضا ولا تبنى الاحكام على الشك ثم انه قد يوجد سبب آخر لاباحة الطلاق مهم جدا وهو حدوث النفرة بين الزوجين لاسباب شتى من نحو المرض المزمن وحدوث تشويه الخلقة وتعطيل آلة التناسل وخيانة المراة لزوجها في حفظ نسبه على وجه لا يمكنه اظهارها واثباتها للحاكم فان كان الطلاق محظورا تنغصت حياتهما وذاقا في عمرهما الامرين وانفتحت في اعينهما ابواب الفساد والذهاب الى الفحشاء واما اذا كان الطلاق مباحا يؤمان باب الفرج والخلاص من الضيق والصون عن ارتكاب الفحشاء والطهارة من الدياثة وبقي هنا ان يقال انما جعل الطلاق بيد الزوج

ولم يجعل بيد المراة لانه قد ثبت ان الرجل اثبت عقلا منها وهي سريعة التقلب في الفكر واظن ان هذا مسلم عند العموم وقد تقدم ان الرجل هو المكلف بامر النفقة على المراة فاذا حدث له نوع نفور منها يترجح عنده احتماله نظرًا لقوة ثبات عقله ولخشية ضياع ما انفقه عليها وذهابه ادراج الرياح فبذلك يرجع عن طلاقها واختيار فراقها واما هي فنظرا الى انها خالية من ذينك الامرين يقرب انها من ادنى سبب من النفور تسمح بطلاقه وترجيح فراقه وتنشد اهلا باهل وجيرانا بجيران فلذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد المراة وذلك عين الحكمة فالزوج العاقل لايقدم عليه الا عند غاية الاضطرار وحينما يكون بابا للفرج واما اقدام بعض الحمقاء عليه لوجود ادنى سبب فهذا يكون خلاف الامر الشرعي والنظام العقلي وهو مكروه لله تعالى كما نص عليه الائمة الاعلام وبهذا القدر كفاية لاهل الانصاف ولنختم كلامنا بذكر شيء من احوال الامم المتمدنة في هذه الازمان مما يؤيد ما قررناه وذلك ان تلك الامم آخذة باستحسان ما تبيحه شريعتنا فاباح بعضها التزوج باثنتين ولكن ياسوء حظ الثانية وحظ اولادها حيث لم تعدها زوجة شرعية ولم تعدهم اولادا شرعيين فليت شعري ما يقوله هنا هذا المؤلف المتعصب للنساء وبعض الممالك اباحت

الطلاق كما قد شاع وذاع في الجرائد فالحمد لله الذي جعل شريعتنا تستحسن احكامها العقول وتتبع نظامها المعقول فنتامل من حضرة ذلك المولف وامثاله ان لا يتعرضوا في كتبهم لما يمس حاسيات جيرانهم بل يسرحون بما هو علمهم و يمرحون والا فليعلموا ان الشريعة المقدسة مبنية احكامها على حكم الهية ونظامات عقلية لا تخلها اراؤهم الضعيفة ولها رجال يدافعون عنها الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

فهرست الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت

بعد التصحيح وجد بعض اغلاط جزئيه لا تخلو عنها المطبوعات وغالبها مدرك ولكن تسهيلا للامر وضع لها هذا الجدول في الخطأ والصواب ومن اصلح نسخته بحسبه فله من الله تعالى الاجر

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٥	١٨	تشمأز	تشمئز
٢٣	٥	محهد	محمد
٤٢	١٣	نخبر	يخبر
٧١	٣	تصرف	التصرف
٧٢	٧	ولوليته	وتولية
٨٠	٧	اشارة الباطن	اشارة الى تطهير الباطن
١٠١	٦	زوجه	زوجته
١٠١	٦	الآمن ضرر	الآمن من ضرر
١٠٣	١١	ياذهاق	بازهاق
١٠٥	٠٨	واسيغاثوا	واستغاثوا
١٢٢	٠١	نكاحهم	نكاحهن
١٢٧	١٦	ه	ها

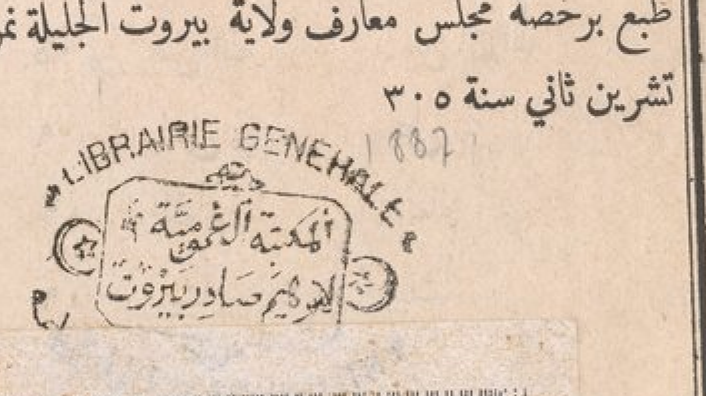
صحيفة	سطر	خطاء	صواب
١٢٩	١٧	بعد	بعض
١٣٧	٠٦	مستقبلة	مستقلة
١٣٧	١١	محمد	محمدا
١٤٠	١٨	بتعقدون	يعتقدون
١٤٢	٠٧	خجة	حجة
١٥٧	٠٤	انوع	انواع
١٦١	٠٧	منها	منه
١٦٧	١١	ووجود	ووجوده
١٨٢	٠٨	لانه	لان
١٨٢	٠٨	يجوز على اخر	جاز على الاخر
١٨٤	٠٨	تدعو	تدعوا
١٨٦	٠٦	ثبت	ثبتت
١٨٨	٠١	المتفرد	المنفرد
٢١٢	٠٤	كدرا	كدار
٢١٣	٠٢	جمد	خمد
٢١٤	٠٤	باش	بأس
٢١٨	٠٧	جزوره	جذوره

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٢١٨	٠٧	البنات	النبات
٢٢٤	٠٨	الجزور	الجذور
٢٣١	٠١	كل	كلا
١٣٢	١٣	المخزج	المخرج
٢٤٠	٠٩	الصبغات	الطبقات
٢٤٨	٠٥	خجمها	حجمها
٢٥٣	٠٥	عبرة	عبرة
٢٧٨	١٤	والفونغورافية	والفونغرافية
٣٠١	١٠	هذا جميع	هذا وجميع
٣١٧	٠٧	توالد	تولد
٣٣٢	١٦	يكون	وما يكون
٣٤٣	١٧	وعادة	وعادت
٣٤٥	٠٥	من الله	من ان الله
٣٤٩	٠٩	اعلى	على
٣٥٠	١٦	العام	العالم
٣٥٨	٠٩	يشأ	ينشأ
٣٥٨	١٣	ينشو	ينشأ

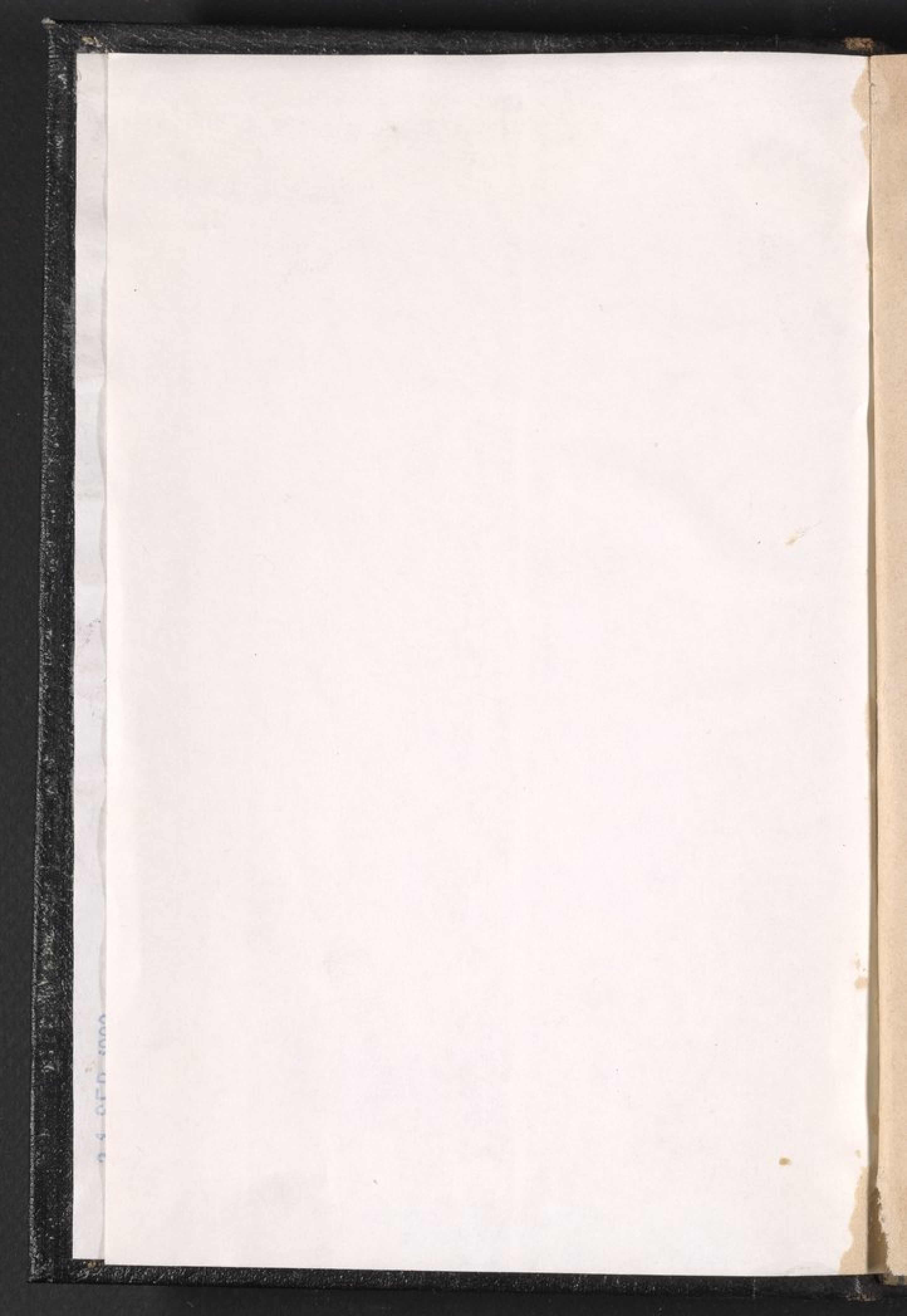
صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٣٦٨	١٠	مسلوع	ماسوع
٤٠١	٠٩	للبطر	البطر
٤٣٧	٠٧	بقت	بقيت
٤٣٨	٠٦	ازكى	اذكى

بقي بعض اغلاط مثل نقص او زيادة في النقط او انحراف بعض الحروف او نحو ذلك لا تخفى على فطنة القاري والله الهادي

طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة نمره ٤٦ بتاريخ تشرين ثاني سنة ٣٠٥








main
000001 32922
BP 161 J5x 1887/c.1

